



# عصر المأمون

بقلم

الذُّكْتُورُ

أحمد فريد رفاعي

المفتش بوزارة الداخلية

المجلد الثالث

(حقوق البيع عفوطة المؤلف)

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٤٦ - ١٩٢٧ م



# فهرست

## المجلد الثالث من عصر المأمون

### ملحق الكتاب الثالث - عصر الأمين والمأمون

#### باب المشور :

صفحة	
١	نصوص كتب الأمين والمأمون - نص كتاب الأمين الى المأمون
٢	نص كتاب الأمين الى أخيه صالح
٥	القول بخط القرآن (ما كتبه المأمون الى ولاة)
١٧	عهد طاهر بن الحسين
٢٦	رسالة الخوص (ما كتبه المأمون الى أهل خراسان)
٣٨	ما كتبه السيدة زينة الى المأمون - ما كتبه المأمون اليها
٣٩	رسالة أحمد بن يوسف

#### رسائل سهل بن هارون :

٤٨	وصفه وتاريخ حياته - ما حكاه الجاحظ عنه
٤٩	ما حكاه دجيل الخراساني الشاهر عنه
٥٠	كتبه وطريقته في التأليف
٥٢	من كلام له في آية ثمة وضرة
٥٣	ما كتبه الى صديق له أبل من صنف - رساله في البخل
٥٧	شيء من شعره

#### رسائل عمرو بن مسعدة :

٥٩	وصفه وتاريخ حياته
٦١	من كلام له - ما كتبه الى الحسن بن سهل - ما كتبه الى المأمون
٦٢	من حكمه

## صفحة

٦٤	ما كتبه الى بعض الرؤساء
٦٥	شيء من شعره
٦٦	حكاية له
٧٠	ما قاله أبو محمد عبد الله بن أبي ريث التيمي فيه

## رسائل الجاحظ :

٧٢	وصفه وتاريخ حياته — رسالته في بني أمية
٨٠	ما كتبه الى بعض إخوانه في ذم الزمان
٨٢	وصفه لقريش وبني هاشم
٨٣	ما كتبه في الاعتذار — ما كتبه في الاستعطاف
٨٤	ما كتبه في ذم الحمد — دفاعه عن مؤلفاته
٩٢	ما كتبه في أخذ البرى، بذنب المذنب
٩٨	ما كتبه في أقسام البيان
١٠١	ما كتبه في مدح الكتب
١١٥	ما كتبه في الترغيب في اصطلاح الكتب

## باب الرسائل :

١٢٨	الفصول المتخفية من الرسائل المختارة في كل فن — كتب رجل الى صديق له
١٣١	فصل لسعيد بن حميد
	فصل في حذية — فصل في شفاعته — فصل لرجل تميمي — فصل لأحمد بن يوسف
١٣٣	فصل في الصنع لأبي علي — فصل لأحمد بن يوسف
١٣٤	فصل لعقال بن شبة — فصل في التوديع — فصل في الصنع — جواب في صنع
١٣٥	فصل في الصنع عن الجفاء — فصل في الاعتذار
١٣٦	الى المأمون من مائل — فصل لابن الكلبي
١٣٧	فصل لإبراهيم بن إسحاق بن داود
١٣٨	فصل لسروين مسطمة
١٣٨	فصل لميس بن واضح الى الفضل بن ربيع — فصل لجليل بن يزيد
١٣٩	وله في الخمر — وله الى بعض إخوانه
١٤٠	فصل لابن أميين كاتب العزيزان — فصل لابن الكلبي — فصل لمولى بن عبيدة الى ابن الكلبي
١٤١	فصل لمارة — فصل لسعيد بن عبد الملك



صفحة

- ١٤٢ ... فضل بلبل بن يزيد الى بعض اخوانه — وله الى بعض اخوانه أيضا ...
- ١٤٤ ... فضل في شكر ...
- ١٤٥ ... فضل في صفة الجنة ...
- ما كتبه جعفر بن محمد الأشعث الى زبيل لم يكتبه — ما كتبه الفضل بن يحيى الى زبيل
- ١٤٦ ... يشاوره في أمر حدث — ما كتبه أحمد بن يوسف الى اسحاق بن ابراهيم الموصلي — توسل
- ما كتبه طاهر بن الحسين الى الفضل بن سهل — ما كتبه محمد بن الجهم — ما كتبه
- ١٤٧ ... محمد بن سمر — ما كتبه ابن وهب في الاحتذار ...

التحاميد :

- ١٤٨ ... التحميد الأول — التحميد الثاني ...
- صدر تحميد مفرد — صدر تحميد آخر — تحميد مختار لكتاب خزيمة بن عازم في فتح
- ١٤٩ ... الصنارية — تحميد لأحمد بن يوسف الى الولاية عن الخليفة ...
- تحميد لابراهيم بن العباس في فتح اسماعيل بن اسحاق — التحميد الثاني — تحميد له مبتدأ
- ١٥٠ ... مقام بين يدى الخليفة ...
- ١٥١ ... تحميد ثان — تحميد ثالث ...
- ١٥٢ ... تحميد في فتح لابن العباس ...
- ١٥٣ ... وله في فتح ابن العيث لما ظفرو به ...
- ١٥٤ ... وله صدر كتاب الخميس في تحميد الله وتحميده ...
- ١٥٥ ... تحميد لأحمد بن يوسف في صدور رسالة الخميني التي كانت محرراً بخراسان ...
- ١٥٦ ... تحميد للعباس في مقام له بين يدى المأمون — تحميد لعيد الحيد في أبي العلاء الخروزي ...
- تحميد في فتح الى أمير القنطرة — صدر تحميد لسان بن عبد الحيد في خطبة موجزة — تحميد
- ١٥٧ ... لعيد الحيد في فتح ...
- ١٥٨ ... تحميد ثالث ...
- ١٥٩ ... تحميد لأمن بن أبي شيخ — تحميد لعيد الحيد في فتح ينظم فيه أمر الاسلام ...
- ١٦٠ ... تحميد لعيد الحيد أيضا ...
- ١٦١ ... تحميد لقائمة — تحميد لزيد بن علي — تحميد في الاسلام ...
- ١٦٢ ... تحميد لأبي عبيد الله ...
- ١٦٣ ... صدور رسالة في الخميس لابراهيم بن المهدي ...
- ١٦٤ ... تحميد في الاسلام وما آمن به على الله ...
- ١٦٥ ... تحميد في الجهاد وما آمن به النبي صلى الله عليه وسلم ...

صفحة	
١٦٨	تحميد في فتح لسيد بن حيد ... ..
١٦٩	تحميد لابن المقفع ... ..
١٧١	تحميد لفسان بن عبد الحيد — تحميد لأحد بن يوسف في فتح السند ... ..
١٧٢	تحميد لأبي عبيد الله — تحميد لسيد بن حيد ... ..
١٧٣	فيا يقرظ به الخليفة ... ..
١٧٧	تحميد لأبي عبيد الله * ... ..
١٨٠	ما يكتب به في الحقائق وقت الجزية ... ..
١٨١	ما يكتب به في صفة الخالعين ... ..
١٨٤	ما يكتب به في العصاة — ما يكتب به في مدح ترواد الجيوش وصفة الأولياء في أسوارهم ... ..
١٨٧	وصف الأولياء في الكتب ... ..
١٨٨	ما يقرظ به أمير المؤمنين في أواخر الكتب — سعيد بن حيد ... ..
	التعاميد في أواخر الكتب :

١٨٨	تحميد لسيد بن نصر — تحميد لإبراهيم بن البياس — تحميد لأبي عبيد الله ... ..
١٩٢	الثناء للأمير المؤمنين في أواخر الكتب ... ..

مختار ما كتب من باب التهانى في كل فن :

	تهنئة خليفة بظفر — ما كتبه إبراهيم بن المهدي إلى المصمم في تخروجه عن أرض الروم
١٩٣	به فتح عمورية ... ..
١٩٤	ما كتبه أحمد بن يوسف إلى عبيد الله بن طاهر في ظفر — تهنئة خليفة بفتح ... ..
١٩٥	تهنئة بولاية — تهنئة لسيد بن حيد إلى بعض أخواته ... ..
١٩٧	ما كتبه محمد بن مكرم إلى أحمد بن دينار ... ..
١٩٨	تهنئة بزل عامل عن عمله ... ..
١٩٩	ما كتبه محمد بن مكرم إلى إبراهيم بن المبر ... ..
٢٠٠	تهنئة بترجيح وبناء أهل ... ..
٢٠١	تهنئة بولود كتبها البياس بن الحسن اللالي إلى المأمون ... ..
٢٠٤	ما كتبه ابن المقفع إلى صديق له ولدت له جارية ... ..
٢٠٥	تهنئة لهمد بن مكرم إلى نصراني أسلم ... ..

باب المنظوم :

٢٠٦	أبو نواس ... ..
٢٤٩	الضاحي ... ..

فهرس المجلد الثالث

(ز)

صفحة	
٢٥٥	دمبل .....
٢٦٥	حسين بن الضحك .....
٢٧٨	محمد بن عبد الملك الزيات .....
٢٨٣	ابن التواب .....
٢٨٦	الحسري .....
٢٩٥	عبد الله بن طاهر .....
٢٩٨	ما قبل في حياة الأمين ورواثة .....
٣٠٣	علاء يحيى بن أكرم .....
٣٠٥	وصف ثورة بغداد وروايتها .....



# مُلْحَقَاتُ

## الكتاب الثالث

### باب المنشور

#### (١) نصوص كتب الأمين والمأمون

١ - نص كتاب الأمين الى المأمون، وهو الكتاب الذي أشرنا اليه في الجزء الأول.  
إذا ورد عليك كتاب أخيك - أمانه الله من - فقلك - عند حلول ما لا مرة له  
ولا مدفع، مما قد أخلف وتامع الأمم الخالية، والقرون الماضية، بما عزاك الله به .  
وأعلم أن الله جل ثناؤه، قد اختار لأمر المؤمنين أفضل البارين، وأجزل الحظيين،  
فقبضه الله طاهراً زاكياً، قد شكره، وضره، إن شاء الله . فقم في أمرك قيام  
ذي الحزم والعزم، والتأطير لأخيه ونفسه، وسلطانه وعامة المسلمين . وإياك أن يطلب  
عليك الجزع، فإنه يَحْطِ الأجر، ويَقْبِ الوزر؛ وصلوات الله على أمير المؤمنين حياً وميتاً،  
وإنا لله وإنا إليه راجعون . وَخِذَ البيعة على مَنْ قَبْلَكَ، بِمَنْ قَوْلِكَ وجُندِكَ، وخاصتك  
وعائتك، لأخيك ثم لنفسك، ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين، على الشريطة التي جعلها لك  
أمير المؤمنين : من نسخها له وإبائها، فذلك مُقْلَدٌ من ذاك، ما قللك الله وخليفته .  
وأعلم مَنْ قَبْلَكَ رأيي في صلاحهم، وسد حَقَّتْهم، والتوسعة طبعهم، فمن أنكره عند  
بيعته، أو أتمته على طاعته، قايضت إلى برأسه مع خبره . وإياك وإقائته، فإنه النار أولى

به . وأَكْتُبُ الى عمال مُنُورِكَ ، وأُمرَاءِ أَجْنادِكَ ، بما طَرَقَكَ من المصيبة بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللهَ لَمْ يَرْضَ الدُّنْيَا لَهُ ثَوَابًا ، سَتَى قَبْضُهُ الى رُوحِهِ وَرَاحَتِهِ وَجَنَّتِهِ ، مَغْبُوطًا مَحْمُودًا ، قَاتِلًا بِجَمِيعِ خُلَفَائِهِ الى الجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللهُ . وَمُرَّهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا البَيْعَةَ عَلَى أَجْنَادِهِمْ ، وَخَوَاصِهِمْ وَعَوَائِمِهِمْ ، عَلَى مِثْلِ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ ، مِنْ أَخْذِهَا عَلَى مَنْ قَبْلَكَ ؛ وَأَوْعِزْ إِلَيْهِمْ فِي ضَيْطِ مُنُورِهِمْ ، وَالثَّقُوفَةِ عَلَى صَدُوقِهِمْ ، إِنْ تَمَقَّقَدَ حَالَاتِهِمْ ، وَلَا تُؤْمَسِّقْهُمْ ، وَتُوسِّعْ عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَنْ فِي قَهْوِيَةِ أَجْنَادِي وَأَنْصَارِي . وَلَتَكُنْ كُتَيْبُكُمُ إِلَيْهِمْ كُتَيْبًا طَامَةً لَتَقْرَأَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَا يَسْكُنُهُمْ ، وَيَسْطُرُ أَمْلَهُمْ . وَأَعْمَلْ بِمَا تَأْمُرُ بِهِ لَمَنْ حَضَرَكَ ، أَوْ نَأَى عَنكَ مِنْ أَجْنَادِكَ عَلَى حَسَبِ مَا تَرَى وَتُسَاهِدُ . فَإِنْ أَخَاكَ يَعْرِفُ حَسَنَ اخْتِيَارِكَ ، وَصَحَّةَ رَأْيِكَ ، وَبُيُودَ نَظْرِكَ ، وَهُوَ يَسْتَحْفِظُ اللهَ لَكَ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَسُدَّ بِكَ عَضُدَهُ ، وَيَجْعَلَ بِكَ أَمْرَهُ ، إِنَّهُ لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ . وَكُتِبَ بِكَرْبَنِ الْمُتَعَمِّرِينَ يَدِيْ وَإِمْلَأْنِي فِي شَوَّالِ سَنَةِ ١٩٢ هـ

٢ — وهذا تكتب محمد الأمين الى أخيه صالح .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ كِتَابِي هَذَا ، عِنْدَ وَقُوعِ مَا قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ ، وَنَفَذَ مِنْ قَضَائِهِ ، فِي خُلَفَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، وَجَرَتْ بِهِ سَنَتُهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ ، فَقَالَ : ( كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) . فَأَحْمَدُوا اللهَ عَلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ عَظِيمِ ثَوَابِهِ وَمُرَافَقَةِ أَنْبِيَائِهِ ، صَلَوَاتِ اللهِ عَلَيْهِمْ ، إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَإِلَيْهِ نَسْأَلُ أَنْ يُجِيبَ الْخُلَافَةَ عَلَى أَمَّةٍ نَبِيَّهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَدْ كَانَ لَهُمْ عِصْمَةٌ وَكَهْفًا ، وَبِهِمْ رَمُوقًا رَحِيمًا .

فَسَحَرْتُ فِي أَمْرِكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُظَنِّي بِعَيْدِكَ ، فَإِنْ أَخَاكَ قَدْ اخْتَارَكَ لِمَا اسْتَقْبَضَكَ لَهُ ، وَهُوَ مُتَقَدِّدٌ مَوَاقِعَ قُدْرَتِكَ ، لِحَقِّ ظَنِّهِ ، وَنَسْأَلُ اللهَ التَّوْفِيقَ . وَخِذْ البَيْعَةَ عَلَى مَنْ قَبْلَكَ ، مِنْ وَلَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَمَوَالِيهِ وَخَاصَّتِهِ وَطَامَتِهِ لِمُحَمَّدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ لِمُسَدِّدِ اللهِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ لِلْقَاسِمِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَلَى الشَّرِيعَةِ الَّتِي جَعَلَهَا

أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — من فسحها على القاسم أو إثباتها . فإِنَّ السَّعَادَةَ وَالْإِيمَنَ فِي الْأَخْذِ بِهِمَا وَالْمُضَى عَلَى مَنَاجِهِ .

وأعلم مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ رَأْيِي فِي اسْتِصْلَاحِهِمْ ، وَرَدِّ مَقَالِمِهِمْ ، وَتَقْدِيرِ حَالَاتِهِمْ ، وَأَدَاءِ أَرْزَاقِهِمْ ، وَأَعْطِيَاتِهِمْ عَلَيْهِمْ . فَإِنْ شَبَّ شَاغِبٌ ، أَوْ ضَرَّاعٌ ، فَاسْطُكْ بِهِ سَطْوَةً تَجْعَلُهُ نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلتَّائِبِينَ . وَأَسْأَلُكَ إِلَى الْمَيْمُونِ ابْنَ الْمَيْمُونِ الْقَضِيلِ بْنِ الرَّبِيعِ وَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَخَدَمُهُ وَأَهْلُهُ ، وَوَرَثُهُ بِالْمَسِيرِ مَعَهُمْ فِيمَنْ مَعَهُ ، وَجُنْدُهُ وَرَابِطَتُهُ ، وَصَبْرُهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ أَمْرَ الْمَسْكِرِ وَأَحْدَانِهِ ، فَإِنَّهُ تَقَى عَلَى مَا لَيْلٍ مَقْبُولٌ عِنْدَ الْعَامَّةِ ، وَأَسْأَلُكَ إِلَيْهِ جَمِيعَ جُنْدِ الشَّرْطِ ، مِنَ الرُّوَابِطِ وَغَيْرِهِمْ ، إِلَى مَنْ مَعَهُ مِنْ جُنْدِهِ ، وَوَرَثِهِ بِالْجِدِّ وَالْيَقِظِ ، وَتَقْدِيمِ الْحَزْمِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ . فَإِنَّ أَهْلَ السَّادَةِ وَالنَّفَاقِ لَمُنَا السُّلْطَانِ يَتَنَبَّهُونَ مِثْلَ حُلُولِ هَذِهِ الْمَصِيبَةِ ، وَأَيُّو حَاتِمِ بْنِ هَرَمَةَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَوَرَثِهِ بِحِرَاسَةِ مَا يَحْفَظُ بِهِ قُصُورَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ إِلَّا بِالطَّاعَةِ ، وَلَا يَدِينُ إِلَّا بِهَا ، بِمَعَاذِ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ ، مِمَّا قَدَّمَ لَهُ مِنْ حَالِ أَيْبِهِ الْحَمُودُ عِنْدَ الْخُلَفَاءِ ، وَوَرَثِهِمْ بِإِحْضَارِ رَوَابِطِهِمْ ، مَنْ يُسَدُّ بِهِمْ وَبِاجْتِدَاهُمْ مَوَاضِعَ الْإِثْلَاقِ مِنْ عَسْكَرِكَ ، فَإِنَّهُمْ حُدٌّ مِنْ حُدُودِكَ ، وَصَبْرٌ مُقْبَلَتِكَ إِلَى أَسَدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَرْزُوقٍ ، وَسَاقِطِكَ إِلَى يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ ، فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْبَلُودِ ، وَوَرَثِهِمَا بِمَنَاقِبِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ .

وَأَكْرَمَ الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ ، وَلَا تَمْدُورُ الْمَرَاحِلَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَرْقَى بِكَ ، وَوَرَثِهِ أَسَدِ بْنِ يَزِيدَ ، أَنْ يَجْتَزِيَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ أَوْ قَوَادِمَهُ ، فَيَصِيرَ إِلَى مَقْدَمَتِهِ ، ثُمَّ يَصِيرَ أَمَامَهُ ، تَحِيَّةَ الْمَنْزِلِ ، أَوْ بَعْضِ الطَّرِيقِ ، فَإِنْ لَمْ يَحْضُرْكَ فِي عَسْكَرِكَ بَعْضٌ مِّنْ سَمِيئَةٍ ، فَاخْتَرِ لَوَاضِعَهُمْ مِّنْ تَتَبَّقَ بِطَاعَتِهِ ، وَنَصِيحَتِهِ وَهَيْبَتِهِ ، عِنْدَ الْمَوَاقِفِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَنْ يُوَزَّكَ ، مِنْ قَوَادِمِكَ وَأَنْصَارِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَلَا تَكُنْ أَنْ تَفْعَلَ رَأْيًا ، أَوْ تُجِزِمَ أَمْرًا ، إِلَّا بِرَأْيِ شَيْخِكَ ، وَغِيَةِ آبَائِكَ ، التَّفَضُّلِ بْنِ الرَّبِيعِ ، وَأَقْرِضْ جَمِيعَ الْخُدَمِ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالسَّلَاحِ وَالْخِزَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ،

ولا تُخْرِجَنَّ أحدا منهم، من ضمن ما لي، إلى أن هدم عليّ . وقد أوصيت بكر بن المُنْتَمِر  
بما سَأَلْتَهُ، وأَتَمَّلَ في ذلك بقدر ما تشاهد وترى . وإن أشرت لأهل السكرك ببقاء  
أورزق فليكن الفضل بن الربيع المتولى لإعطائهم، على دواوين يَحْفَظُهَا لِنَفْسِهِ، بِمُحَافَظَةِ  
مِنْ أَصْحَابِ الدَّوَاوِينِ، فَلَئِنْ فَضَّلَ بَنَ الرَّبِيعِ لَمْ يَزَلْ مِثْلَ ذَلِكَ لِمَهْمَاتِ الْأُمُورِ . وَأَخِذْ  
إِلَى عِنْدِ وَصُولِ كِتَابِي هَذَا إِلَيْكَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ صَبِيحٍ، وَبَكْرَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ، عَلَى مَرَكَبَيْهِمَا  
مِنَ الْبَرِيدِ، وَلَا يَكُونُ لَكَ عُرْجَةٌ وَلَا مُهْلَةٌ، بِمَوْضِعِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، حَتَّى تُوجِبَهُ إِلَى  
بِعْسِكَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْخَزَائِنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . أَخُوكَ يَسْتَدْفِعُ اللَّهُ عَنْكَ، وَيَسْأَلُهُ لَكَ  
حَسَنُ التَّأْيِيدِ بِرَحْمَتِهِ . وَكُتِبَ بِكَرْنِ الْمُعْتَمِرِينَ يَدَى وَإِمْلَانِي فِي شَوَّالِ سَنَةِ ١٩٢ هـ .



## (ب) القول بخلق القرآن

وهناك مثلاً مما كتبه المأمون إلى ولاته في الأخذ بمذهبه في القول بخلق القرآن، وهو ما أرسله إلى طلحة إسماعيل بن إبراهيم وما يرويه لنا الطبري مما حصل .  
أما الكتاب فهو :

أما بعد، فإني حق الله على أئمة المسلمين وعُلمائهم الاجتهاد في إقامة دين الله الذي استحفظهم، ومواريث النبوة التي أورثهم، وأثر العلم الذي استودعهم، والمسلم بالحق في رعيته، والتشريع لطاعة الله فيهم، والله يسأل أمير المؤمنين، أن يوقفه لمزعة الرشد وصريحته، والإسقاط فيما ولّاه الله من رعيته، برحمته وميثقه، وقد عرف أمير المؤمنين أن ابنه فهو الأعمى، والسواد الأكبر، من حشو الرعية، وسفلة العاقبة، ممن لا نظر له ولا روية، ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته، ولا استضاءة بنور العلم وبرهانه، في جميع الأقطار والآفاق، أهل جهالة بالله وعي عنه، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به، ونكوب عن واضحاته وأعلامه وأوجب سبيله، وقصور أن يقدروا الله حق قدره، ويعرفوه كنه معرفته، ويفرقوا بينه وبين خلقه، لضعف آرائهم، وتقص عقولهم، وجفافهم عن التذكر والتدبر، وذلك أنهم ساءوا بين الله تبارك وتعالى، وبين ما أنزل من القرآن، فاطبقوا مجتمعين، وآتفقوا غير متعاجين، على أنه قديم أزول، لم يخلق الله، ويحدثه ويغيره، وقد قال الله عز وجل في محكم كتابه، الذي جعله لما في الصدور شفاءً، وللومين رحمةً وهدى : ( إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ) . فكل ما جعله الله فقد خلقه، وقال : ( الْحَسْبُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ) . وقال عز وجل : ( كُلُّكَ قَبْضُ طَيْلَكِ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ) . فإخباره قصص لأموال أحدهم بدعها، وبلا به منقلبه، وقال : ( أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰكَ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ) . وكل محكم مفصل، فله محكم مفصل، والله محكم كتابه ومفصله، فهو خالفه ومبطله ؟

ثم هم الذين جادلوا بالباطل، فدعوا إلى قولهم، ونسبوا أصحهم إلى السنة، وفي كل فصل من كتاب الله قصص من تلاته، يُبطل قولهم، ومكذب دعواهم، يرذ طبعهم قولهم ويُغتهم، ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحق والدين والجماعة، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة، فاستطالوا بذلك على الناس، وغشوا به الجهال، حتى مال قوم من أهل السمات الكاذب، والتخضع لغير الله، والتخضع لغير الدين إلى موافقتهم عليه، ومواطبتهم على سبب آرائهم، تزيئاً بذلك عندهم، وتصنعاً للرئاسة والسدالة فيهم، فتركوا الحق إلى باطلهم، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالتهم، ففعلت بركبتهم لهم شهادتهم، وقضت أحكام الكذب بهم، على دقل دينهم، وقفل أديعهم، وفساد نياتهم وقيهم؛ وكان ذلك غايهم التي إليها جروا، وإياها طلبوا في متابعتهم، والكذب على مولاهم، وقد أخذ طبعهم ميثاق الكذب، ألا يقولوا على الله إلا الحق، ودرسوا ما فيه، أولئك الذين أصحهم الله، وأعمى أبصارهم، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ، أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾. فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة، ورموس الضلالة، المتقومون من التوحيد حفظاً، والمختصسون من الإيمان نصيباً، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب، ولسان إبليس الناطق في أوليائه، والهاطل على أعدائه، من أهل دين الله، وأحق من يُهم في صدقه، وتطرح شهادته، ولا يوثق بقوله ولا عمله، فإنه لا عمل إلا بعد يقين، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام، وإخلاص التوحيد؛ ومن عي عن رشفه وحظه، من أهل الإيمان بالله وبتوحيده، كان عما سوى ذلك من عمله، والقصد في شهادته، أعمى وأضل سبيلاً، ولَمَرَّ أمير المؤمنين أن أحبب الناس بالكذب في قوله، وتغرض الباطل في شهادته من كذب على الله ووجه، ولم يعرف الله حقيقة معرفته، وأن أولاهم برذ شهادته، في حكم الله ودينه من رذ شهادة الله على كتابه، وبهت حق الله بباطله، فاجمع من يحضرك من القضاء، وأقرا عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك، فأبدأ بانتحانهم فيما يقولون، وتكشفهم عما يستقدون، في خلق الله القرآن وإحداثه، وأعطهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله، ولا واثق

فيا قلبه الله، واستحفظه من أمور رعيته بن لا يوثق بدينه، وخلوص توحيده وبقينه، فإذا أقروا بذلك، ووافقوا أمير المؤمنين فيه، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة، فوهم بنص من يحضرهم من اليهود على الناس، وسألهم عن علمهم في القرآن، وترك إثبات شهادة من لم يُقر أنه مخلوق مُحدث ولم يره، والامتناع من توقيعهما عنده، وأكتب إلى أمير المؤمنين بما يأتيك، عن قضاة أهل عمك في مسائلهم، والأمر لم يمتل ذلك، ثم أشرف عليهم، وتفقد آثارهم، حتى لا تُنفذ أحكام الله، إلا بشهادة أهل البصائر في الدين، والإخلاص للتوحيد، وأكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك إن شاء الله . وكتب في شهر ربيع الأول سنة ٢١٨ هـ .

وكتب المأمون، إلى إسماعيل بن إبراهيم، في إختصاص سبعة نفر، منهم : محمد بن سعد كاتب الواقدي، وأبو مسلم مستمل يزيد بن هارون، ويحيى بن معين، وزهير بن حرب أبو خيثمة، وإسماعيل بن داود، وإسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد بن النورقي، فأخضعوا إليه، فامتحنهم، وسألم عن خلق القرآن، فأجابوا جميعاً أن القرآن مخلوق، فأخضعهم إلى مدينة السلام، وأحضرهم إسماعيل بن إبراهيم داره، فشنهر أمرهم وقولهم بحضرة الفقهاء، والمشايخ من أهل الحديث، فأقروا بمتل ما أجابوا به المأمون نخل سيولهم، وكان ما فصل إسماعيل بن إبراهيم من ذلك بأمر المأمون .

وكتب المأمون بعد ذلك إلى إسماعيل بن إبراهيم :

أما بعد، فإن من حق الله على خلقه أن أرضه، وأمنائه على عبادته، الذين أرتضاهم لإقامة دينه، وحملهم رعاية خلقه، وإمضاء حكمه وسننه، والائتمار بملكه في برئته، أن يمهّدوا له أنفسهم، ويتصالحوا له فيا استحفظهم وقلوبهم، ويدلّوا عليه — تبارك اسمه وتعالى — بفضل العلم الذي أودعهم، والمعرفة التي جعلها فيهم، ويهدوا إليه من زاغ عنه، ويردوا من أدبر عن أمره، ويتهبوا لطايعهم تحت نجاتهم، ويقفوا على حدود إيمانهم، وسبيل فوزهم وعصمتهم، ويكشفوا لهم عن مغلطات أمورهم، ومشتبهاتها

عليهم، بما يلفضون الرب عنهم، ويعود بالضياء والهدى إلى كاهنهم؛ وأن يؤثروا ذلك من إرشادهم وتصبيرهم، إذ كان جامعا لفتون مصانهم، ومتظلا لحظوظ عاجلهم وآجلهم، ويتذكروا أن الله مُرشدٌ من مساعلتهم عما حُمِّلوه، ومجازاتهم بما أسقوه، وقلموا عنده؛ وما توفيقُ أمير المؤمنين، إلا بالله وحده، وحسبه الله وكفى به. ومما بينه أمير المؤمنين برويته، وطالعه بفكره، فبين عظيم خطره، وجليل ما يربح في الدين من وكفه وضروبه ما ينال المسامون بينهم من القول في القرآن الذي جعله الله إماما لهم، وأثرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم باقيا لهم، وأشباهه على كثير منهم، حتى حسن عندهم، وترين في عقولهم، ألا يكون مخلوقا، فتمضوا بذلك لدفع خلق الله، الذي بان به عن خلقه، وضرر يعلاته من ابتداع الأشياء كلها بحسبته، وإنشائها بقدرته، والتقدم عليها بأوليته، التي لا يبلغ أولها، ولا يدرك مداها، وكان كل شيء دونه، خلقا من خلقه، وسدنا هو المحدث له، وإن كان القرآن ناطقا به، ودالا عليه، وقاطعا للاختلاف فيه، وضاهوا به قول النصاري، في آدماتهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق، إذ كان كلمة الله، والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا صَرِيحًا﴾. وتأويل ذلك: إنا خلقناه، كما قال جل جلاله: ﴿وَجَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾. وقال: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾. ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾. فسوى عز وجل، بين القرآن، وبين هذه الخلائق، التي ذكرها في شعبة الصنعة، وأخبر أنه جاعله وحده، فقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾. فقال ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن، ولا يُحاط إلا بمخلوق، وقال لئله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمَظَّلَ بِهِ﴾. وقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخْبِتٍ﴾. وقال: ﴿لَمَّا أَنْشَأَ مِنْ آدَمَ عَلَى اللَّهِ كَلِمًا أَوْ كَتَبَ بِآيَاتِهِ﴾. وأخبر عن قوم ذمهم بكتبهم، أنهم قالوا: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشِيرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾. ثم أكتبهم على لسان رسوله، فقال لرسوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾. فسمى الله تعالى القرآن قرآنا وذكرا، وإعانة ونورا وهدى ومباركا ومرسيا

وقصصاً، فقال : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ .  
 وقال : ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ﴾ .  
 وقال : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِشُرُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾ . وقال : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ  
 وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ . فحصل له أولاً وآخراً، ودل عليه، أنه عندود مخلوق، وقد عظم هؤلاء  
 الجهلة بقولهم في القرآن؛ التلم في دينهم، والخرج في أمانتهم، وسهلوا السبل لعدو  
 الإسلام، وأصغروا بالتبديل والإلحاد على قلوبهم حتى عرفوا، ووصفوا خلق الله وقصه  
 بالصفة التي هي لله وحده وشبهوه به، والإشباع أولى بخلقهم، وليس يرى أمير المؤمنين،  
 لمن قال بهذه المقالة خطأ في الدين، ولا نصيباً من الإيمان واليقين، ولا يرى أن يُحْسَل  
 أحداً منهم محل الثقة في أمانة ولا عدالة ولا شهادة، ولا صدق في قول ولا حكاية، ولا تولية  
 لشيء من أمر الرعية؛ وإن ظهر قصد بعضهم، وعُرف بالسداد مُستد فيهم، فأت الفروع  
 مردودة إلى أصولها، ومجولة في الحمد والذم عليها، ومن كان جاهلاً بأمر دينه، الذي  
 أمره الله به، من وحدانيته، فهو بما سواه أعظم جهلاً، وعن الرشد في غيره أعمى وأضل  
 سيلاً .

فاقرأ كل جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحاق القاضي كتاب أمير المؤمنين، بما  
 كتب به إليك، وانصصهما عن طمهما في القرآن، وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا يستعين  
 على شيء من أمور المسلمين، إلا بمن وثق بإخلاصه وتوحيده، وأنه لا توجد لمن لم يُتَز  
 بأن القرآن مخلوق، فإن قالوا بقول أمير المؤمنين في ذلك فتقدم اليهما في امتحان من يصغر  
 مجالسهما، بالشهادات على الحقوق، ونصم عن قولهم في القرآن، فن لم يسل منهم أنه  
 مخلوق، أبغلاً شهادته، ولم يقطعا حكماً بقوله، وإن ثبت خطؤه بالقصد والسداد في أمره،  
 وأقبل ذلك بمن في سائر عمك من القضاة، وأشرف عليهم إشرافاً يزيد الله به ذا البصيرة  
 في بصيغته، ويمنع المراتب من إغفال دينه، وأكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون منك  
 في ذلك إن شاء الله .

ثم تنتظر ما حصل بعد ذلك مما يرويه لنا الطبري قال :

فأحضر إصحاق بن إبراهيم لذلك جماعة من الفقهاء والحكام والمحدثين ، وأحضر أبا حسان الزياتي ، وبشر بن الوليد الكندي ، وعلي بن أبي مقاتل ، والفضل بن قائم ، والذبال بن الميثم ، ومجادة ، والقواريري ، وأحمد بن حنبل ، وثيبة ، وسعدويه الواسطي ، وعلي بن الجعد ، وإصحاق بن أبي إسرائيل ، وأبن الحريش ، وأبن عتبة الأكبر ، ويحيى ابن عبد الرحمن الممرى ، وشيخنا آخر من ولد عمر بن الخطاب ، كان قاضي الرقة وأبا نصر التمار وأبا معمر القطيعي ، ومحمد بن حاتم بن ميمون ، ومحمد بن فوح المصروب ، وابن الفرخان ، وجماعة منهم النضر بن نعيميل ، وابن علي بن عاصم ، وأبو القوام الأتزاز ، وابن شجاع ، وعبد الرحمن بن إصحاق ، فأدخلوا جميعا على إصحاق ، فقرأ عليهم كتاب المأمون هذا مرتين ، حتى فهموه ، ثم قال لبشر بن الوليد : ما تقول في القرآن ؟ فقال : قد عرفت مقاتلي لأمر المؤمنين غير مرة ، قال : فقد تجد من كتاب أمير المؤمنين ما قد ترى ، فقال : أقول القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، أعطوق هو ؟ قال : الله خالق كل شيء ، قال : ما القرآن شيء ؟ قال : هو شيء ، قال : فمخلوق ؟ قال : ليس بخالق ، قال : ليس أسألك عن هذا ، أعطوق هو ؟ قال : ما أحسن غير ما قلت لك ، وقد استمهدت أمير المؤمنين ألا أتكلّم فيه ، وليس عندي غير ما قلت لك ، فأخذ إصحاق بن إبراهيم رقعة كانت بين يديه ، فقرأها عليه ، ووقفه عليها ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله أحدا فردا لم يكن قبله شيء ، ولا بعده شيء ، ولا يشبهه شيء من خلقه ، في معنى من المعاني ، ولا وجه من الوجوه ، قال : نعم ، وقد كنت أضرب الناس على دون هذا ، فقال للكاتب : أكتب ما قال .

ثم قال لعلي بن أبي مقاتل : ما تقول يا علي ؟ قال : قد سمعت كلامي لأمر المؤمنين في هذا غير مرة ، وما عندي غير ما سمع ، فلم تحته بالرقعة ، فأقرت بما فيها ، ثم قال : القرآن مخلوق ؟ قال : القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، قال : هو كلام الله وإن أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا ، فقال للكاتب : أكتب مقاله .



ابن بنت وهب بن مُنيّة، والمُظَفَّر ابن مُرَبَّجَا، ورجلا ضريرا ليس من أهل الفقه، ولا يُعرف بشيء منه إلا أنه دُرس في ذلك الموضع، ورجلا من ولد عمر بن الخطاب قاضي الرقة، وابن الأحرر، فأما ابن البكاء الأكبر فإنه قال: القرآن مجبول لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، والقرآن مُحدَثُ لقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ﴾ قال له إسحاق: فالجبول مخلوق؟ قال: نعم، قال: فالقرآن مخلوق؟ قال: لا أقول مخلوق ولكنه مجبول، فكتب مقالته، فلما فرغ من امتحان القوم وكتب مقالاتهم أعرض ابن البكاء الأصغر فقال — أصلحك الله — إن هذين التفاضلين أئمة، فلو أصرتهما فأعادا الكلام! قال له إسحاق: هسا من يقوم بحجة أمير المؤمنين، قال: فلو أصرتهما أن يُسميَنا مقالاتهما لتُحَيَّى ذلك عنهما! قال له إسحاق: إن شِدتَ عندهما بشهادة فستعلم مقالاتهما إن شاء الله، فكتب مقالة القوم رجلا رجلا ووَجَّهت إلى المأمون، فكثت القوم أسماء أيام ثم دعا بهم. وقد ورد كتاب المأمون، جوابُ كتاب إسحاق بن إبراهيم في أمرهم. وهالك هو مايجعله ختاماً لكلتنا.



بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك جوابُ كتابه، كان إليك فيما ذهب إليه مُصَنِّعة أهل القبلة، ومُتَمِّسو الرياسة فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة، من القول في القرآن، وأمرَك به أمير المؤمنين، من امتنعتهم، وتكشيف أحوالهم، وإحلالهم محالهم، تذكر إحضارك جعفر بن عيسى، وعبد الرحمن بن إسحاق، عند ورود كتاب أمير المؤمنين، مع من أخصرت ممن كان ينسب إلى الفقه، ويُعرف بالجلوس للحديث، ويتصب نفسه للفتيا بمدينة السلام، وقراءتك عليهم جميعا كتاب أمير المؤمنين، ومسالك إياهم عن اعتقادهم في القرآن، والدلالة لم على حفظهم، وإطباقتهم على قبح التشويه، واختلافهم في القرآن، وأمرَك من لم يقل منهم إنه مخلوق بالإمساك من الحديث والفتوى، في السر والعلانية، وتقدُّمك إلى السُّنْدِي، وعباس مولى أمير المؤمنين بما



تَهَمَّتَ بِهِ فِيمَ إِلَى الْقَاضِيَيْنِ بِمِثْلِ مَا مِثْلُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَمْتَحَانِ مَنْ يَحْضُرُ  
بِجَالِسِهِمَا مِنَ الشُّهُودِ، وَبِتِ الْكُتُبِ إِلَى الْقَضَاءِ فِي النِّوَاحِ مِنْ عَمَلِكَ بِالْقُدُومِ عَلَيْكَ،  
لِتَعْمِلَهُمْ وَتَمَيِّزَهُمْ عَلَى مَا حَذَرَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَشِيكَ فِي أَمْرِ الْكَلْبِ إِسْمَاءَ مَنْ حَضَرَ  
وَمَقَالَاتِهِمْ، وَفَهَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا اقْتَضَصْتَ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَثِيرًا كَمَا هُوَ أَهْلُهُ،  
وَيَسَّالُهُ أَنْ يَصِلَ عَلَى عَهْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَرْقُبَ إِلَى اللَّهِ فِي التَّوْفِيقِ  
لِعَاطَتِهِ، وَحَسَنَ الْمَوْئِدَةِ، عَلَى صَالِحِ نَيْتِهِ بِرَحْمَتِهِ .

وَقَدْ تَدَبَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَتَبْتَ بِهِ مِنْ أَسْمَاءَ مِنْ سَأَلَتْ عَنِ الْقِرَآنِ، وَمَا وَجَّعَ  
إِلَيْكَ فِيهِ كُلَّ أَمْرٍ مِنْهُمْ، وَمَا شَرَحْتَ مِنْ مَقَالَتِهِمْ، فَأَمَّا مَا قَالَ الْمُرُورَ بِشَرِّ الْوَلِيدِ  
فِي قِيَّ التَّشْبِيهِ، وَمَا أَمْسَكَ عَنْهُ مِنْ أَنْ الْقِرَآنَ مَخْلُوقٌ، وَأَدَّعَى مِنْ تَرْكِهِ الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ  
وَأَسْتَعَاهِدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ كَذَّبَ بِشَرِّ ذَلِكَ وَكَفَرَ، وَقَالَ الزُّورَ وَالْمُنْكَرَ، وَلَمْ يَكُنْ  
يَجْرِي بَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَهُ فِي ذَلِكَ، وَلَا فِي غَيْرِهِ، عَهْدٌ وَلَا نَظَرٌ أَكْثَرَ مِنْ إِخْبَارِهِ  
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَعْتَادِهِ كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ وَالْقَوْلَ بِأَنَّ الْقِرَآنَ مَخْلُوقٌ، فَادَّعَى بِهِ إِلَيْكَ،  
وَأَعْلَسَهُ مَا أَعْلَسَكَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْصَحَصَهُ عَنْ قَوْلِهِ فِي الْقِرَآنِ، وَاسْتَقْبَلَهُ مِنْهُ،  
فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَرَى أَنْ تَقْتَضِبَ مَنْ قَالَ بِمَقَالَتِهِ إِذْ كَانَتْ تِلْكَ الْمَقَالَةُ الْكُفْرَ الصَّرَاحَ وَالشَّرْكَ  
الْمَحْضَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ تَابَ مِنْهَا فَاشْهَرُ أَمْرَهُ، وَأَمْسَكَ عَنْهُ، وَإِنْ أَصْرَ عَلَى شَرْكَهِ،  
وَدَفَعُ أَنْ يَكُونَ الْقِرَآنَ مَخْلُوقًا بِكُفْرِهِ وَالْحِلَالَةِ، فَاضْرِبْ عَقَبَهُ، وَأَبْعَثْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
بِرَأْسِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَكَذَلِكَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ فَاثْمَحْتَهُ بِمِثْلِ مَا تَمْتَحِنُ بِهِ بِنَا، فَهَئِذَا كَانَ  
يَقُولُ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ بَلَّغْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْهُ بِالْبَلْغِ، فَإِنْ قَالَ إِنَّ الْقِرَآنَ مَخْلُوقٌ، فَاشْهَرُ أَمْرَهُ  
وَأَكْشِفْهُ، وَإِلَّا فَاضْرِبْ عَقَبَهُ، وَأَبْعَثْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْسِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي مُقَاتِلٍ قَتَلَ لَهُ : أَلَسْتَ الْقَاتِلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ تَحْتَلُّ وَتَحْرِمُ  
وَالْمُكَلَّمُ لَهُ بِمِثْلِ مَا كَتَبْتَهُ بِهِ، مَا لَمْ يَنْهَبْ عَنْهُ ذِكْرُهُ، وَأَمَّا الدِّيَالُ بْنُ الْهَيْمِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ  
كَانَ فِي الطَّامِ الَّذِي كَانَ يَسْرِقُهُ فِي الْأَنْبَارِ، وَفِيهَا يَسْتَوِلِي عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ مَدِينَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

أبى العباس ما يشغله، وأنه لو كان مقتنياً آثارَ سلفه، وسالكا مذهبهم، ومُعْتَذِياً سبيلهم، لما خرج إلى الشرك بعد إيمانه؛ وأنا أحد بن يزيد المعروف بأبى السَّوَام، وقوله أنه لا يُحْسِنُ الجواب في القرآن، فأعلمه أنه صبيٌّ في عقله، لا في سنه، جاهل، وأنه إن كان لا يُحْسِنُ الجواب في القرآن فسيُحْسِنُه، إذا أخذه التأديب، ثم إن لم يفعل كان السيف من وراء ذلك إن شاء الله.

وأما أحمد بن حنبل، وما تكتب عنه، فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عَرَفَ خَوَى تلك المقالة، وسبيله فيها، وأستدلُّ على جهله، وأخيه بها؛ وأما الفضل بن غانم، فأعلمه أنه لم يُخَفِّ على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر، وما اكتسب من الأموال في أقل من سنة، وما تَجَرَّ به بين المَطْلَب بن عبد الله في ذلك، فإنه من كان شأنه شأنه، وكانت رغبته في الدينار والدرهم رغبته، فليس يُسْتَنْكَرُ أَنْ يبيع إيمانه طمعا فيهما، وإثارة لمعاجل نفعهما، وأنه مع ذلك القائل لعلَّ بن هشام ما قال، والمخالف له فيما خالفه فيه، فما الذي حال به عن ذلك، وهمله إلى غيره؛ وأما الزَّيَادِي، فأعلمه أنه كان مُتَّسِلًا لِأَقْوَلِ دَعْيٍ كان في الإسلام خُوِّلَفَ فيه حَكْمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان جديرا أن يسلك مسلكه فانكر أبو حسان أن يكون مولى لزيد، أو يكون مولى لأحد من الناس، — وذكر أنه إنما نُسِبَ إلى زياد لأمر من الأمور— وأما المعروف بأبى نصر التمار، فإن أمير المؤمنين شبه خسامة عقله بخسامة متجره؛ وأما الفضل بن الفرخان، فأعلمه أنه حاول بالقول الذي قاله في القرآن أخذَ الودائع التي أودعها إياه عبد الرحمن بن إسحاق وغيره، ترصبا بن استودعه، وطمعا في الاستكثار لما صار في يده، ولا سبيل عليه عن تخادم عهده، وتطاول الأيام به، فقل لعبد الرحمن بن إسحاق لا جراك الله خيرا عن تقويتك مثل هذا، وإيمانتك إياه، وهو معتقدٌ للشرك، مفسخ من التوحيد.

وأما محمد بن حاتم، وابن نوح، والمعروف بأبى مَعْمَر، فأعلمهم أنهم مشاغل بال كل الرأى، عن الوقوف على التوحيد، وأن أمير المؤمنين لو لم يستحلَّ محاربتهم في الله ومجاهدتهم،

إلا لإرَائِهِمْ، وما تَزَلْ به كَلْبُ الله في أَمْتَلَمْ، لَأَسْتَعْلَ ذَلِك، فَكَيْفَ بِهِمْ وَقَدْ جَمَعُوا مَعَ  
 الْإِرْبَاءِ شَرَكًا، وَصَارُوا لِقَنْصَارَى مَثَلًا؛ وَأَمَّا أَحْمَدُ بْنُ حُجَّاعٍ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ صَاحِبُهُ بِالْأَمْسِ،  
 وَالْمُسْتَخْرَجُ مِنْهُ مَا أَسْتَخْرِجُهُ مِنَ الْمَالِ الَّذِي كَانَ أَسْتَحْلَهُ مِنْ مَالِ عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ، وَأَنَّهُ  
 مِنَ الْبَيْتَارِ وَالْدَرَمِ دَيْنُهُ؛ وَأَمَّا سَمْعُونُ بْنُ الْوَاسِطِيِّ فَقُلْ لَهُ: قَبِيعُ اللهِ رَجُلًا يُلَاحِظُ بِهِ التَّصَنُّعُ  
 الْحَدِيثَ، وَالْتَرْتِينَ بِهِ، وَالْحَرَصُ عَلَى طَلَبِ الرِّيَاسَةِ فِيهِ، أَنَّهُ يَمْتَنِي وَقْتُ الْحِنَةِ يَقُولُ بِالْقُرْبِ  
 بِهَا: حَتَّى يُتَحَنُّ فَيَجْلِسُ لِلْحَدِيثِ؛ وَأَمَّا الْمَعْرُوفُ بِسَجْدَةِ، وَإِنْكَارُهُ أَنْ يَكُونَ سَمِيعَ مَنْ كَانَ  
 يَخَالِسُ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَأَهْلِ الْفَقْهِ، الْقَوْلُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ خَلْقٌ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ فِي شُغْلِهِ  
 بِإِعْدَادِ النَّسَبِ، وَحَكْمِهِ لِإِصْلَاحِ تَجَادُدِهِ، وَبِالْوِدَائِعِ الَّتِي دَفَعَهَا إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى وَغَيْرُهُ  
 مَا أَذْهَلَهُ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالْهَادِ، ثُمَّ سَلَّهُ عَمَّا كَانَ يُوسِفُ بْنُ أَبِي يُوسُفَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ،  
 يَقُولَانِ إِنَّ كَانَ شَاهِدَهُمَا وَجَاهِلَهُمَا؛ وَأَمَّا الْقَوَارِيرِيُّ فَهِيَ تَكْشِفُ مِنْ أَوْحَالِهِ، وَقَبُولُهُ  
 الرُّشَا وَالْمَصَانِعَاتِ مَا أَبَانَ عَنْ مَذْهَبِهِ، وَسُوءِ طَرِيقَتِهِ، وَخَفَافَةِ عَقْلِهِ وَدِينِهِ، وَقَدْ أَتَمَّتْ  
 إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ يَتَوَلَّى لِحُفَيْرِ بْنِ عَيْسَى الْحَسَنِيِّ مَسَائِلَهُ، فَقَضَاهُ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ عَيْسَى  
 فِي رَفْضِهِ، وَتَرْكِ التَّفَقُّعِ بِهِ، وَالْإِسْتِمَانَةِ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّعْمَرِيِّ، فَإِنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لِحُوَابِهِ  
 مَعْرُوفٍ؛ وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَاصِمٍ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُقْتَدِلًا بَيْنَ مَضَى مِنْ سَلَفِهِ  
 لَمْ يَتَّخِذْ التَّحْلَةَ الَّتِي حَكَمَتْ عَنْهُ، وَإِنَّهُ بَعْدُ صَبِيٍّ يَحْتَاجُ إِلَى تَعَلُّمٍ، وَقَدْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ  
 وَجْهَ إِلَيْكَ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي مُنِيرٍ، بَعْدَ أَنْ نَصَّه أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مَحَبَّتِهِ فِي الْقُرْآنِ، بِفَتْحِهِمْ  
 عَنْهَا، وَبَلْغِجِ فِيهَا، حَتَّى دَخَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّيْفِ، فَاتَّقَزَّيْمَا، فَانْصَحَا عَنْ إِقْرَارِهِ،  
 فَإِنَّ كَانَ مَقِيًّا عَلَيْهِ فَاشْهَرِ ذَلِكَ وَأَظْهَرِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ؛ وَمَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ شَرِكِهِ عَنْ سَمِيَّتِ  
 لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي كِتَابِكَ، وَذَكَرَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ، أَوْ أَمْسَكَ عَنْ ذِكْرِهِ فِي كِتَابِهِ هَذَا، وَلَمْ  
 يَقُلْ إِنَّ الْقُرْآنَ خَلْقٌ، بَعْدَ بَشَرِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ، فَأَحْلَهُمْ أَجْمَعِينَ، مُؤَكِّدِينَ

الى عسكر أمير المؤمنين مع من يقوم بحفظهم ، وحراستهم في طريقهم ، حتى يوثقهم الى عسكر أمير المؤمنين ، ويُسلمهم الى من يُؤمّر بتسليمهم اليه ، لينصمهم أمير المؤمنين ، فإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعا على السيف إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله ، وقد أنفذ أمير المؤمنين كتابه هذا في خريطة بُنْدَارِيَّة ، ولم ينظر به أجتاع الكتب الخرائطية مُسجلا به ، هزوبا الى الله عز وجل بما أصدر من الحكم ، ورجاء ما أحمده ، وإدراك ما أمله ، من جزيل ثواب الله عليه ، فَأَيْدُ لِي أَتَاكَ مِنْ أَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَجَّلَ إِجَابَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَكُونُ مِنْكَ فِي خَرِيطَةِ بُنْدَارِيَّةٍ مَفْرُودَةٍ عَنْ سَائِرِ الْخَرَائِطِ ، لِتَعْرِفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَعْمَلُونَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَكُتِبَ سَنَةِ ٨٢١٨ .

## (ج) عهد طاهر بن الحسين

قال ابن طيفور : ولما عهد طاهر بن الحسين الى عبدالله ابنه هذا العهد، تنازعه الناس وكتبوه وتعارسوه، وشاع أمره حتى بلغ المأمون، فدعا به وقرئ عليه، وقال : ما أبقى أبو الطيب شيئا من الدين والدنيا، والتدبير والرأي، وإصلاح الملك والرحمة، وحفظ النعمة، وطاعة الخلفاء، وتقويم الخلافة الا وقد أحكمه، وأوصى به، وتقدم فيه . وأمر أن يكتب بذلك الى جميع المال في نواحي الأعمال . ولما كان هذا العهد من الوثائق التاريخية التي لها قيمتها العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية أثرنا ذكره على ما فيه من طول وغبطة مما في ألا يتلو كتابنا من هذا الأمر العظيم القيمة والخطير، وهما أنه :

« عليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ومزاياه تتخطه ، وحفظ رعيته ، وأزمت ما ألبسك الله في العافية بالذكر لمأدك ، وما أنت صائر اليه ، وموقوف عليه ، ومستول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يصحبك الله ويحبك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه ، فإن الله قد أحسن اليك ، وأوجب عليك الرافة بمن أسترطك أمرهم من عباده ، وأزمتك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب عنهم ، والدفع عن حريمهم وبيضتهم ، والحقن لدمائهم ، والأمر لسيلهم ، وإدخال الراحة عليهم في معاشهم ، ومواخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه ، ومساكتك عنه ، ومشييك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرغ لئلك فكرك وعقلك وبصرك ورويتك ، ولا يهلكك عنه فعل ، ولا يهلكك عنه شغل ، فإنه رأس أمرك وملاكك شأنك ، وأول ما يوقفك الله به لرشدك ، وليكن أول ما يلزم به نفسك وتنسب اليه فمالك ، للمواظبة على ما اقترض الله عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننها في إصباح الوضوء لها وأنصاح ذكره فيها ، وترتل في قرأتك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وتسبلك ، وتصدق فيها لربك نيتك ، وأحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك ، وأدأب عليها فإنها كما

قال الله تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمتابعة على خلافه، وأقتضاه آثار السلف الصالح من بعده، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستشارة الله وتخواه، ولزوم ما أنزل الله في كتابه، من أمره ونهيه، وحلاله وحرامه، وانتهام ما جاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قم فيه بما يحقق لله عليك، ولا تمل عن العدل فيما أحبت أو كرهت، لتقريب من الناس أو بعيد، وآثر الفقه وأهله، والدين وسمته وكتاب الله والعاملين به، فإن أفضل ما تزين به المرء نفسه في دين الله، والطلب له والحث عليه، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله، فإنه الدليل على الخير كله، والقائد له، والآمر به، والناسي عن المعاصي والموبقات كلها، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله، عز وجل، وإجلالا له ودرجا للدرجات العلى في المهاد، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمره والميعة لسلطانه، والأتساع بك والثقة بمملكته. وعليك بالاعتصام في الأمور كلها فليس شيء أبين فضا ولا أحضر أمنا ولا أجمع فضلا من القصد، والقصد داعية إلى الرشد، والرشد دليل على التوفيق، والتوفيق متفاد إلى السعادة، وقوام الدين والسنن الهادية بالاعتصام، فآثره في دنياك كلها، ولا تحصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة، والسنن المعروفة ومعالج الرشد، فلا غاية للاستكثار من البر والسعي له، إذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته، ومراقبة أوليائه، في دار كرامته.

وأعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز، ويحصن من الذنوب وأنتك لن تحوط نفسك ومن يليك، ولا تستصلح أمورك، بأفضل منه، فاته، وأهتد به تم أمورك، وزد مقدورك، وتصلح خاصتك وطاعتك، وأحسن الظن بالله عز وجل، تستقم لك رعيته، والتبس الوسيلة إليه في الأمور كلها، تستمد به النعمة عليك، ولا تنهض أحدا من الناس، فيما توليه من عملك، قبل تكشف أمره بالتهمة، فإن إزاع التهم بالبراءة والظنون السيئة بهم مأمم، وأجل من شأنك، حسن الظن بأصحابك، وأطرد عنك سوء الظن بهم، وأرفضه عنهم، يمتك ذلك على أصطناعهم ورياضتهم، ولا يجلد عدو الله الشيطان في أمرك مغفرا،

فإنه إنما يكتفى بالقليل من وَهْنِكَ فَيَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنَ النَّفْسِ ، فِي سَوَاءِ الظَّنِّ ، مَا يُنْقَضُ عَلَيْكَ  
لِفَاقَةِ عَيْشِكَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَجِدُ بِحَسَنِ الظَّنِّ ، قُوَّةَ وَرَاحَةٍ ، وَتُكْفَى بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتِهِ مِنْ  
أُمُورِكَ ، وَتَعِدُّ بِهِ النَّاسَ إِلَى عَجَبِكَ ، وَالْإِسْتِقَامَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا لَكَ . وَلَا يَمْتَنِعُ حَسَنُ الظَّنِّ  
بِأَصْحَابِكَ ، وَالرَّافَةُ بِرَعِيَّتِكَ ، أَلَمْ تَسْتَعْمِلِ الْمُسْئِلَةَ وَالْبَحْثَ عَنْ أُمُورِكَ الْمُبَاشِرَةَ لِأُمُورِ  
الْأَوْلِيَاءِ ، وَالْحَيَاطَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالنَّظَرَ فِي حَوَائِجِهِمْ ، وَحَمَلَ مَوْثِقَاتِهِمْ ، آخَرَ عَيْنِكَ مِمَّا سَوَى ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ  
أَقْرَبُ لِلدِّينِ ، وَأَحْيَا لِللِّسَنَةِ ، وَأَخْلَصُ يَدِكَ فِي جَمِيعِ هَذَا ، وَتَقْوَدُ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ ، تَقْوَدَ مِنْ  
يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا صَنَعَ ، وَعِزَّتِي بِمَا أَحْسَنَ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا ، وَرَفَعَ مِنْ  
أَتْبَعِهِ وَعِزَّزَهُ ، فَاسْلُوكَ بَيْنَ تَسْوِسِهِ وَتَرْيَاهُ ، نَهْجَ الدِّينِ ، وَطَرِيقَةَ الْهُدَى ، وَأَقِمَّ حَدُودَ اللَّهِ  
فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ ، وَمَا أَسْتَحِقُّوه ، وَلَا تَطْلُبْ ذَلِكَ وَلَا تَتَّكِنُ بِهِ ، وَلَا  
تُؤْثِرْ عِقَابَهُ أَهْلَ الْعُقُوبَةِ ، فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِكَ فِي ذَلِكَ ، لِمَا يُفِيدُ عَلَيْكَ حَسَنَ ظَنِّكَ ،  
وَأَعِزُّكَ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالسَّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَجَانِبِ الشُّبُهَةِ وَالْبِدْعَاتِ ، يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ ،  
وَتَقُمَّ لَكَ مَرْوَةٌ ، وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا قَبْلَ بِهِ ، وَإِذَا وَعَدْتَ الْخَلِيفَةَ فَأَنْجِزْهُ ، وَأَقْبَلِ الْحُسْنَةَ ،  
وَأَدْفَعْ بِهَا ، وَأَغْمِضْ عَنْ عَيْبِ كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، وَأَشَدُّ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الْكَذِبِ  
وَالزُّورِ ، وَأَبْضِضْ أَهْلَهُ ، وَأَقْصِ أَهْلَ النِّيمَةِ ، فَإِنَّ أَقْلَ فُسَادِ أَمْرِكَ فِي طَاجِلِ الْأُمُورِ  
وَأَجْلَاهَا ، تَقْرِيبُ الْكَذِبِ ، وَالْجُرْأَةُ عَلَى الْكَذِبِ ، لِأَنَّ الْكَذِبَ رَأْسُ الْمَآثِمِ ، وَالزُّورِ  
وَالنِّيمَةِ خَاتِمُهَا ، لِأَنَّ النِّيمَةَ لَا يَسْلُمُ صَاحِبُهَا ، وَقَاتِلُهَا لَا يَسْلُمُ لَهُ صَاحِبٌ وَلَا يَسْتَعِيمُ لَطِيمُهَا  
أَمْرٌ ، وَأَحَبُّ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالصَّلَاحِ ، وَأَعَنِ الْأَشْرَافَ بِالْحَقِّ ، وَوَاصِلِ الضُّعَفَاءِ ، وَصِلِ  
الرَّحِمَ ، وَابْتَغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ ، وَعِزَّةَ أَمْرِهِ ، وَأَتَمِّسْ فِيهِ تَوَابَهُ وَالنَّادِرَ الْإِسْرَةَ ، وَاجْتَنِبِ  
سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْجُورِ ، وَأَصْرِفْ عَنْهَا رَأْيَكَ ، وَأَطْلِعْ مِنْ ذَلِكَ لِرَعِيَّتِكَ ، وَأَتَمِّمْ بِالْعَدْلِ  
سِيَاسَتَهُمْ ، وَقِمِ الْحَقَّ فِيهِمْ ، وَبِالْمَعْرِفَةِ الَّتِي تَقْبِي بِكَ إِلَى سَبِيلِ الْهُدَى ، وَأَمْلِكْ تَحَسُّكَ عِنْدَ  
النَّضْبِ ، وَآثِرِ الْوَقَارَ وَالْحِلْمَ ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْدَةَ وَالْعَلِيْشَ وَالتَّوَرُّدَ فِيهَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ ، وَلِيَاكَ أَنْ

نقول : إني مُسلِّطٌ أَهْلُ ما أشاء فان ذلك سرَّحٌ فيك إلى نقص الرأي ، وقلة اليقين بأهله وحده لاشريك له ، وأخلص لله وحده النية فيه ، واليقين به ، وأعلم أن الملك لله ، يعطيه من يشاء ، ويقرعه بمن يشاء وإن تجدد تغير النعمة ، وطول النعمة ، إلى أحدٍ أسرع منه ، إلى حملة النعمة ، من أصحاب السلطان ، والميسوط لهم في الدولة ، إذا كفروا بنعم الله وإحسانه وأستطالوا بما آتاهم الله من فضله ، ودع عنك شره نفسك ، ولكن ذخارتك وكنوزك التي تتخزنها وتكثرها البر والتقوى ، والمصلحة ، وأستصلاح الرعية وعمارة بلادهم ، والتفقد لأموالهم ، والحفظ لدمائهم ، والإغاثة للمهوفهم ، وأعلم أن الأموال إذا كثرت وقُذِرَتْ في الخزان ، لا تُغنى ، وإذا كانت في إصلاح الرعية ، وإعطاء حقوقهم ، وكف المؤونة عنهم ، نمت ودرت ، وصلحت به العامة ، وترتبت به الولاية ، وطالب به الزيان ، وأعتقد فيه العز والمنفعة ، فليكن كثرت خزانك تغريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله ، ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأوف رعيته من ذلك حصصهم ، وتمهد بما يصلح أمورهم ومعايشهم ، فإنك إذا فعلت ذلك قوت النعمة عليك ، وأستوجب المزيد من الله ، وكنت بذلك على جباية تراجك ، وجمع أموال رعيته وعملك أقدر ، وكان الجميع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك ، وأطيب فسا بكل ما أردت ، فاجهد نفسك ، فيما حدثت لك في هذا الباب ، ولتُعظم حبسك فيه ، فإنما يبقى من المال ، ما أنفق في سبيل حقه ، وأعرف للساكرين شكرهم ، وأبهم عليه ، وإياك أن تُنسيك الدنيا وغروبها حول الأثرة ، فتهاون بما يحق عليك ، فان التهاون يوجب التفريط والتفريط يورث البوار ، ولكن عملك لله ، وفيه تبارك وتعالى ، وأرج الثواب ، فإن الله قد أسبغ عليك نعمته في الدنيا ، وأظهر ليدك فضله ، فاعتم بالشكر ، وطيه فاعتمد ، يزدك الله خيرا وإحسانا . فان الله يشيب بقدر شكر الساكرين وسيرة المحسنين ، وقضاء الحق فيما حل من النعم ، وأبس من العافية والكرامة ، ولا تحقرن ذنبا ، ولا تملكن حامدا ، ولا ترحمن فاجرا ، ولا تصعلن كفورا ، ولا تعاهقن عدوا ، ولا تصدنقن قتلما ، ولا تأمنن غدارا ، ولا توالين فاسقا ، ولا تبعين غاويا ، ولا تحمدن



مُرَائِيًا ، ولا تَحْقِرَنَّ إِنْسَانًا ، ولا تَرُدَّنْ سَالًا فَقِيرًا ، ولا تَجْبِينَ بِاطْلَا ، ولا تَلَاظِنَ  
مُضْحَكًا ، ولا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا ، ولا تَدْعِينَ نَفَرًا ، ولا تَطْهَرَنَّ غَضَبًا ، ولا تَأْتِينَ بِذَخٍّ ،  
ولا تَمْسِينَ مَرَحًا ، ولا تَرْكَبِينَ سَفَهًا ، ولا تُخْرِطَنَّ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ ، ولا تَدْفَعِ الْأَيَّامَ عِيَانًا ،  
ولا تُقِيمَنَّ عَنِ الظَّالِمِ رَهْبَةً مِنْهُ ، أَوْ عِاقَفَةً ، ولا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَكْثَرَ  
مُشَاوَرَةِ الْفَقَهَاءِ ، وَأَسْتَعْمِلْ نَفْسَكَ بِالْحِلْمِ ، وَخُذْ عَنِ أَهْلِ التَّجَارِبِ وَذَوِي الْعُقُلِ وَالرَّأْيِ  
وَالْحِكْمَةِ ، وَلَا تُتَخَلَّطَنَّ فِي مَشُورَتِكَ أَهْلُ الدُّفْعَةِ وَالْبِخْلِ ، وَلَا تَسْمَعَنَّ لَهُمْ قَوْلًا ، فَإِنَّ  
ضَرَرَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ مَنَفَعَتِهِمْ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ نَسَاًا لِمَا اسْتَقْبَلَتْ فِي أَمْرِ رَعِيَّتِكَ مِنْ  
الشُّعْخِ ، وَأَعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ حَرِيصًا ، كُنْتَ كَثِيرَ الْأَخْذِ ، قَلِيلَ الْمُعْطِيَةِ ، وَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ  
لَمْ يَسْتَقِمْ لَكَ أَمْرُكَ إِلَّا قَلِيلًا ، فَإِنَّ رَعِيَّتَكَ إِنَّمَا تَصْقَدُ عَلَى عَهْدِكَ بِالْكَفِّ عَنْ أُمُومِهِمْ ،  
وَتَرْكُ الْجُودِ عَلَيْهِمْ ، وَيُدُومُ صَفَاءُ أَوْلِيَائِكَ لَكَ ، بِالْإِنْفِصَالِ عَلَيْهِمْ ، وَحَسَنَ الْمُعْطِيَةِ لَهُمْ ،  
فَأَجْتَنِبِ الشُّعْخَ ، وَأَعْلَمْ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا عَصَى بِهِ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ ، وَإِنَّ الْعَاصِيَ بِمِثْلَةِ نَخْرٍ ،  
وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ يُوَفِّقْ نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ فَسَهِّلْ طَرِيقَ الْجُودِ  
بِالْحَقِّ ، وَأَجْعَلْ لِلْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ مِنْ نَيْتِكَ حِفْظًا وَنَصِييَا ، وَأَيِّقَنَّ أَنَّ الْجُودَ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ  
الْعِبَادِ ، فَأَعِدِدْ لِنَفْسِكَ خُفَا ، وَأَرْضَ بِهِ عَمَلًا وَمِنْهَا ، وَتَحَقَّقْ أُمُورَ الْجَنَّةِ فِي دُرَاهِمِهِمْ ،  
وَمَكَاتِبِهِمْ ، وَأَدِيرْ عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي مَعَايِنِهِمْ ، لِيُنْجِبَ بِذَلِكَ اللَّهُ فُاقَتَهُمْ ،  
وَيَقُومَ لَكَ أَمْرُهُمْ ، وَيَزِيدَ بِهِ قُلُوبُهُمْ فِي طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ ، خُلُومًا وَانْشِرَاحًا ، وَحَسَبُ  
ذِي سُلْطَانٍ مِنَ السَّعَادَةِ ، أَنْ يَكُونَ عَلَى جَنَدِهِ وَرَعِيَّتِهِ ، رَحْمَةٌ فِي عَدْلِهِ وَحِيطَةٌ وَإِنصَافُهُ  
وَعَنَايَتُهُ ، وَشَفَقَتُهُ وَرَحْمَتُهُ وَتَوْصِيَّتُهُ ، فَرَايِلُ مَكْرُوهُ إِحْدَى الْبَلِيَّتَيْنِ ، بِاسْتِشَارَةِ تَكَلُّمِ الْبَابِ الْآخِرِ  
وَلَزُومِ الْعَمَلِ بِهِ تَأْتِي أَنْ شَاءَ اللَّهُ نَجَاحًا وَصَلَاحًا وَفَلَاحًا .

وَأَعْلَمْ أَنَّ الْقَضَاءَ مِنْ اللَّهِ ، بِالْمَكَانِ الَّذِي لَيْسَ مِثْلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأُمُورِ ، لِأَنَّهُ مِيزَانُ اللَّهِ الَّذِي  
تَعْتَدِلُ عَلَيْهِ الْأَحْوَالُ فِي الْأَرْضِ ، وَبِقِيَامَةِ الْعَدْلِ فِي الْقَضَاءِ وَالْعَمَلِ تَصْلُحُ الرِّعْيَةُ ، وَتُؤَمِّنُ  
السَّبِيلَ ، وَيُخَصِّفُ الْمَظْلُومَ ، وَيَأْخُذُ النَّاسَ حَقُوقَهُمْ ، وَتَحْسُنُ الْمَوْشِيَةُ ، وَتُؤَدِّي حَقَّ

الطاعة، ويرزق الله العافية والسلامة، ويقوم الدين، وتجري السفن والشرايع، وعلى مجاريها  
يُتَجَرَّ الحَقُّ والعدل في القضاء . وأشدت في أمر الله وتوزع عن التطف وأمض لإقامة  
الحدود، وأقلل العجلة، وأبعد من الضجر والقلق، وأفتح بالقيم، ولتسكن ريتك،  
ويقر جحك، وانتفع بغيرتك، وانقبه في صمتك، وأسدد في منطقك، وأنصف الخصم،  
وقف عند الشبهة، وأبلغ في الحجّة، ولا يأخذك في أحد من رعيّتك تحاباة ولا تجاملة،  
ولا لوم لأم، وثبت وثاق، وراقب وأظفر، وتذكر وتذكر، واعتبر وتواضع لربك، وارأف  
بجميع الرعية، وسلط الحق على نفسك، ولا تسرعن إلى سفك دم، فإن الدماء من الله بمكان  
عظيم انتهاكاً لها بغير حقها، وأظفر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية، وجعله الله  
للإسلام عزاً ورفعة، ولأهله سعة ومنعة، ولمدنوه وعلوهم كبراً وغيظاً، ولأهل الكفر  
من معاديتهم ذلاً وصغاراً، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية، والمعموم فيه،  
ولا تدفن منه شيئاً عن شريف لشرفه، وعن غنى لغناه، ولا عن كاتب لك، ولا أحد  
من خاصتك، فلا تأخذ منه، فوق الاحتمال له، ولا تكلفن أمراً فيه شطط، وأحل  
الناس كلهم على مر الحق، فإن ذلك أجمع لأقمتهم، وألزم لرضى العامة، واعلم أنك جعلت  
بولايتك خازناً وحافظاً، وراعياً، وإنما سعى أهل عملك رعيّتك، لألك راعيتهم، وقيمهم،  
تأخذ منهم ما أعطوك، من غنوم ومقدرتهم، وتنفق في قوام أمرهم وصلاحيهم،  
وتقوم أودهم، فاستعمل عليهم في كور عملك، ذوى الرأى والتدبير والتجربة والنجبة  
بالعمل، والعلم بالسياسة والشفاف، ووسع عليهم في الرزق، فإن ذلك من الحقوق اللازمة  
لك فيما تهللت، وأسند اليك، ولا يشغلك عنه شاغل، ولا يصرفك عنه صارف، فإنك  
متى آثرته، وقتت فيه بالواجب، استدعيت به زيادة النعمة من ربك، وحسن الأحداث  
في عملك، واستجرت به المحبة من رعيّتك، وأعنت على الصلاح، فدزت الخيبرات  
ببلدك، وقشت العماراة بناحيّتك، وظهر الخصب في كورك، وكثرت نراجك، وتوفرت  
أموالك، وقويت بذلك على ارتباط جنسك، وإرضاء العامة، بإفاضة العطاء فيهم من

نفسك، وكنت عمود السياسة، مَرَحَى السُّدُل في ذلك عند مدوك، وكنت في أمورك كلها، ذاعِل وقوة، وآلة وعُدَّة، فَنَافَس في هذا، ولا تَهْدَم عليه شيئا، تُحَدِّث مَعِيَّةَ أَمْرِكَ، إن شاء الله، وأجعل في كل كورة من عملك أمينا، يَحْبِرُكَ أخبار عَمَّا لَكَ، ويكتب اليك بسيرتهم وأعمالهم، حتى كأنك مع كل عامل في عمله، مُعَايِنٌ لأمره كله، وإن أردت أن تآمره بأمر، فانظر في عواقب ما أردت من ذلك، فإن رأيت السلامة فيه والعافية، ورجوت فيه حسن الدفاع، والنصح والصنع فأمضه، وإلا فتوقف عنه، وراجع أهل البصر والعلم، ثم خُذْ فيه عُدَّتَهُ، فإنه ربما نظر الرجل في أمر من أمره، قد واثق على ما هوى، فتقواء على ذلك وأعجبه، وإن لم ينظر في عواقبه أهلكه، وتُفَضُّ عليه أمره، فاستعمل الحزم في كل ما أردت وباشره بعد عون الله بالقوة، وأكثر استشارة ريك، في جميع أمورك، وأفرغ من عمل يومك، ولا تَوَثِّرْ لنفسك، وأكثر مباشرته بنفسك، فإن لقيت أمورا وحوادث تُلْهِيك عن عمل يومك الذي آثرت، وأعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه، وإذا آثرت عمله أجمع عليك أمر يومين، فشغلك ذلك حتى تُعْرِض عنه، فإذا أمضيت لكل يوم عمله، أُرِحْتَ نفسك وبذلك، وأحكمت أمور سلطانك، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم، ثم استيقن صفاء طويتهم، وتهذيب موتهم لك، ومظاهرهم بالنصح والمحافظة على أمرك، فاستخلصهم، وأحسن إليهم، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة، فاحتمل مؤوتهم وأصلح حالهم، حتى لا يجدوا خلقتهم ساءا، وأفرد نفسك للنظر في أمور الفقراء والمساكين، ومن لا يقدر على دفع مظلة إليك، والمحقق الذي لا علم له بطلب حقه، فاسأل عنه أخى مسألة، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيك، ومُرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك، لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم، وتعاهد ذوى البأساء ويتألمهم وأراملهم، وأجعل لهم أرزاقا من بيت المال أقصداء بأمر المؤمنين أعزاه الله في العطف عليهم والصلة لهم، ليُصلح الله بذلك عيشتهم، ويرزقك به بركة وزيادة، وأجر للأمرء من بيت المال، وقدم حيلة

القرآن منهم، والحافظين لأكثره، في الحرابة على ضريحهم، وأنصَبَ لمرضى المسلمين دُورًا  
ترويحهم، وتوثاقهم يرقون بهم، وأطباء يبالغون أسقامهم، وأسعفهم بشهواتهم، ما لم يؤد ذلك  
إلى سرف في بيت المال، وأعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم، وأفضل أمانيتهم لم يُرضهم  
ذلك، ولم تطب أنفسهم، دون رفع حوائجهم إلى ولاتهم؛ طمعا في نيل الزيادة، وفضل  
الرفق منهم، وربما يرم المتصعق لأمر الناس لكثرة ما يرد عليه، ويشغل فكره وزهده، ومنها  
ما يناله به مؤونة ومشقة، وليس من يرضى في العدل ويعرف عاين أموره في العاجل  
وفضل ثواب الآجل، كالذي يستقبل ما يقربه إلى الله، ويتنسى رحمة به، وأكثر الإذن  
للناس عليك، وأبرز لهم وجهك، وسكن لهم أحراسك، وأخفص لهم جناحك، وأظهر لهم  
بشرك، وإن لم في المسألة والمنطق، وأعطف عليهم بحودك وفضلك، وإذا أعطيت فأعط  
بساسة وطيب نفس، وأتقى الصنينة والأجر، غير مكدر ولا متأن، فإن العطية على ذلك  
تجارة مريضة أن شاء الله، وأعتبر بما ترى من أمور الدنيا، ومن مضى من قبلك، من أهل  
السلطان والرياسة، في القرون الخالية والأهم البائدة، ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله،  
والوقوف عند محبته، والعمل بشريعته وسننه وإقامة دينه وكتابه، وأجنب ما فارقت ذلك  
وخالفه، ودعا إلى تحفظ الله، وأعرف ما يجمع عمالك من الأموال، وينفقون منها،  
ولا يجمع حراما، ولا تنفق إسرافا، وأكثر مجالسة العلماء، ومشاورتهم ومخاطبتهم، ولكن  
هواك أتباع السن وإقامتها، وإيثار مكارم الأمور ومعاليتها، ولكن أكرم دخلائك وخاصتك  
عليك من إذا رأى عيبا فيك لم تمنعه هيئتك من إنهاء ذلك اليك، في سر، وإعلامك  
ما فيه من النقص، فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك، وأنظر عمالك الذين يحضرك،  
وتكلمك فوقت لئلا رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكجيته ومؤامراته  
وما عنده من حوائج عمالك وأمر كورك ورجعتك، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك  
سمك وبصرك، وفهمك وعقلك، وكرّر النظر إليه والتدبر له، فما كان موافقا للزم والحق  
فامضه وأسيره الله فيه، وما كان مخالفا لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه والمسألة عنه،

ولا تمنّ على رعيّتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم، ولا تحبّل من أحد منهم إلا الوفاء والاستقامة والعمّون في أمور أمير المؤمنين، ولا تَضْمَنَ المعروف إلا على ذلك، ونفهم كتابي إليك، وأكثر النظر فيه، والعمل به، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره، فإن الله مع الصّالح وأهله، ولكن أعظم سببك، وأفضل رغبك، ما كان لله رِضًا، وليس له نظاما، ولأهله عزّا وتمكينًا، وللجنة والمِلَّة عدلا وصلاحا، وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك، ورشدك وكلامك، وأن يقرل عليك فضله ورحمته، بتمام فضله عليك، وكرامته لك، حتى يصلك أفضل أمثالك نصيبا، وأوفرهم حظا، وأسانم ذكرا وأمرأ، وأن يُملك عدوك ومن تأواك وبني عليك، ويرزقك من رعيّتك المافية، ويعجز الشيطان عنك ووساوسه، حتى يستمل أمرك بالمرّة والقوّة والتوفيق، إنه قريب مجيب .

## (د) رسالة الخميس

من عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين، إلى المبشرين على الحق، والناصرين للدين،  
من أهل نراسان وغيرهم من أهل الإسلام : سلام عليكم ، فإن أمير المؤمنين محمد اليكم  
الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يُصلّي على محمد عبده ورسوله .

أما بعد، فالجدة القادر القاهرة، الباعث الوارث، ذي العز والسلطان، والنور  
والبرهان، فاطر السموات والأرض وما بينهما، والمتقدم المثل والقول على أهلها، قبل  
استحقاقهم لثوابه، بالمحافظة على شرائع طاعته، الذي جعل ما أودع عباده من نعمته، دليلاً  
هادياً لهم إلى معرفته، بما أنعم من الآيات، التي يفهمون بها فصل الخطاب، حتى اقتنوا  
علم موارد الاختبار، وتيقنوا مصادر الاعتبار، وحكوا على ما بين بما ظهر، وعلى ما غاب بما  
حضر، واستدلوا بما أراهم من بالغ حكمته، ومُتَقِنِ صُنْعِهِ، وحاجة مترايل خلقه ومُتَوَاصِلِهِ،  
إلى القوم بما يُلِمُّه ويُصَلِّمُهُ، على أن له بارئاً أنشاء وأبداءً، ويسر بعضه لبعض . فكان  
من أقرب وجودهم، ما يباشرون به من أنفسهم في تصريف أحوالهم، وفنون استقالتهم،  
وما يظهرون عليه من المعجز عن التأتى لما تكاملت به قواهم، وتمت به أدواتهم؛ مع أثر  
تدبير الله عز وجل وتهديره فيهم، حتى صاروا إلى الحلقة المحكمة، والدورة المعجبة،  
ليس لهم في شيء منها تَلَفُّفٌ يَتَمَوَّنُهُ، ولا مَقْصِدٌ يَتَمَدُّونُهُ من أنفسهم؛ فإنه قال تعالى  
ذِكْرُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْأَكْرِمَ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَىْ صُورَةٍ مَّا  
شَاءَ رَبُّكَ﴾ . ثم ما يتفكرون فيه من خلق السموات، وما يجري فيها من الشمس والقمر  
والنجوم مسخرات، على مسير لا يثبت العالم إلا به من تصاريف الأزمنة التي بها صلاح  
الحرث والنسل، وإحياء الأرض، وإقحاح النبات والاشجار، وتداول الليل والنهار، وممر الأيام  
والشهور والسنين التي تُنْصَحَى بها الأوقات؛ ثم ما يوجد من دلائل التركيب في طبقات  
السقف الرفوع، والمهاد الموضوع، باختلاف أجزائه وألوانها، ونقوش الآثار، وإرساء

الجبال . ومن البينات الشاهد ما أخبر الله عز وجل به من إنشائه الخلق ، وحدوثه بعد أن لم يكن متريقاً في السماء ، وبيّته إلى أجله في البقاء ، ثم عماره مُنْقِضاً إلى غاية الفناء . ولو لم يكن له مُفْتَسِحٌ عدد ولا مُقْطَعُ أمد ، ما أزداد ينشوء ، ولا تحيفه نقصان ، ولا تفاوت على الأزمان ؛ لأن ما لا حد له ولا نهاية ، غير ممكن الاحتمال للنقص والزيادة . ثم ما يوجد عليه منقته من ثبات بعضه لبعض ، وقوام كل شيء منه بما يستره ، فيبده استبداده إلى منتهى تفاده ؛ كما احتج الله عز وجل على خلقه ، فقال : ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ كُلُّ مِّنْ عِندِنَا قَائِدٌ رَّجَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْبَلَدَيْنِ ﴾ . وكل ما قلتم من الأخبار عن آيات الله عز وجل ودلالاته في سمواته التي تحي ، وأطباق الأرض التي دحا ، وآثار صنعه فيها برأ وفراً ، ثابت في فطر العقول ، حتى يُسَخَّرَ أولى الریح ما يدخلون على أنفسهم من الشبهة فيما يحصلون له من الأضداد والاتداد . جل عما يُشركون . ولولا توحيده بالتدبير ، عن كل معين وظهير ، لكان الشركاء جنداء أن تختلف بهم إرادتهم فيما يخلقون ، ولم يكن التخلق في إثباته وإزالته ليدخل من أحد وجهيه ، وأيهما كان فيه فالجز والنقص مما اتاه وبرأه . جل البديع خالق الخلق ومالك الأمر عن ذلك وتعالى علواً كبيراً ؛ كما قال سبحانه : ﴿ مَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَنْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ مَّا خَلَقَ وَلَمْ يَلَمْ بِهِمْ عَلَىٰ بَعْضِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ . ثم من عظيم نعمة الله عز وجل على خلقه أفقاده إياهم ، وأنه يُستدحهم ويُلْهم على منافعهم ، ويَحْتَجُّهم مضارهم ، ويَهْدِيهم لما فيه صلاحهم ، ويرْغِبهم في المحافظة على التمسك بدين الله عز وجل ، الذي جملة عصمة لم يجازأ بينهم .

ولولا ما تهكم به من تلافيهم واستدراكهم بفضل رحمته ، لاجتاحهم التلف ، لقصور معرفتهم عن الثاني لأهوائهم ومبايشهم ، ولم يكونوا ليقْتَصِرُوا على حظوظهم وأقسامهم عما نبأ عليهم من الجمع والرغبة ، ولتألكوا بيني وبينهم على بعض ، وعدوان قوتهم على ضعيفهم ، ولكنه بعد معرفته إياهم مُلْكُ قدرته وجلالة عزته ، يست إلهيم أنباء ورسله مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ،

بِالْآيَاتِ الَّتِي لَا تُلْهَىٰ أَعْيُنُ الْمَخْلُوقِينَ؛ فَزُشُوا بِمَا قُطِبَ بِهِمْ، وَارْتَدُّوا عَنِ التَّبَاغِي وَالنَّظَائِمِ،  
لِمَا وَعَدُوا مِنَ الثَّوَابِ الْجَسَمِ وَخَوْفُوا مِنَ الْعِقَابِ الْأَلِيمِ؛ وَلَمْ يَكُونُوا يُطِيعُوا أَمْرًا  
لِأَمْرٍ وَلَا نَهْيًا لِنَهْيٍ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَبِينُ بِهَا الْحَقُّ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْمُطِيعِينَ، وَتَحْذِيرٍ  
يُثَبِّتُ بِهِ مُقَارَفَةً مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ، وَرَجَاءٍ يَحْتَمِلُونَ لَهُ مَوْثُوعَةً مَا تُعْطَاؤُهُ . فَانْفَتَحَ اللَّهُ عَنْ  
وَجَلِّ بِأَيُّهِمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَضَلَّهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لَهُ -  
كَأَنَّهُمْ فِي وَحْيِهِ الْمُنَزَّلِ - وَكَرَّمَ وَلَدَهُ وَفَضَّلَهُمْ، فَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ  
وَحَلَلْنَا فِيهِمُ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ .  
وَجَعَلَ مَا تَقَرَّرَ عَلَيْهِ مِنَ الْعُطْفِ عَلَىٰ ذُرِّيَّتِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ سَبِيلًا لِمَا أَرَادَ مِنْ بَقَائِهِمْ وَتَسْلِيمِهِمْ،  
وَمَا اخْتَصَّ بِهِمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ حِجَّةً عَلَيْهِمْ، لِيَتَّعِنَ طَاعَتَهُمْ، وَيَتْلَوْهُمْ أَهْمُ أَحْسَنُ  
عَمَلًا . وَلَمْ تَزَلْ رَسَلُ اللَّهِ عَنْ وَجَلِّ إِلَىٰ خَلْقِهِ تَتَرَّى بِالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالْبَرَاهِينَ الْقَاطِعِ،  
لَا يَجِدُونَ لِمَا يُورِدُونَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ الْقَاهِرِ مَرَدًّا وَلَا مَدْفَعًا؛ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ يُخَوِّمُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَفْتَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أُجْرِمُوا وَكَانَ  
حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . فَلَمْ يَجِدِ الْمَكِيدُونَ مَسَاغًا إِلَىٰ دَفْعِ مَا أُقِيمَ عَلَيْهِمْ مِنْ لَازِمِ الْحُجَّةِ،  
إِلَّا الْمَعَانِدَةَ وَالْمُجَاهِدَةَ . وَكَانَ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، يُعْمَلُونَ فِي أَصْعَادِ الْحَقِّبِ،  
تُذَرُّ لِلَّامِ، حَتَّىٰ خَنَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّبِيِّ الْأَخْمِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَعَثَهُ فَرْدًا  
وَحِيدًا لَا عَاضِدَ لَهُ وَلَا وَاقِدَ، إِلَىٰ قَوْمٍ يَبْذُلُونَ أَصْنَافًا بِكْرًا، وَحِجَارَةً سَمًّا، فَكُتِبَ بِهِ  
الْقَوْمُ الَّذِينَ يَبْسُ فِيهِمْ أَوَّلُ مَا دَعَاهُمْ، وَرَامَهُ مَلُوكُ أَقْطَارِ الْبِلَادِ بِتَوْجِيهِ الْأَجْنَادِ،  
وَمُرَافِقَةِ الْقُوَّةِ وَالْعِتَادِ وَبَنَى الْقِسْوَالِ، وَنَصَبَ الْحَبَائِلَ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّهِ  
بِمَا أَمَرَهُ بِهِ، لِذِي قَوْلِ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ  
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ . ثُمَّ جَاهَدَ بَيْنَ طَاعَتِهِ مِنْ عَصَاةٍ، وَبَيْنَ اتِّبَاعِهِ مِنْ خَالَفِهِ، حَتَّىٰ  
أَمَرَ اللَّهُ كَلِمَتَهُ، وَأَظْهَرَ دَعْوَتَهُ، وَأَكَلَ لِبْلَادَهُ دِينَهُمُ الَّذِي أَرْضَقَىٰ لَهُمْ . فَلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ لَهُ  
مَا لَدَيْهِ، وَاخْتَصَّ بِهِ عَنْدهُ : مِنَ النِّسَمِ الْمُقِيمِ، وَالْجُزْأِ الْكَرِيمِ، بَدَأَ اسْتِظْمَانَةَ الْعَيْنِ



ودخول الناس فيه أوجاجاً، خلقه، إذ ختم به الأنبياء، بالبررة النجباء من أذانيه وكلمته، لإقامة الشرائع المُفترضة، وإنفاذ حكم الله المنزل، وأقفاء السنة المأثورة ويحفظها له في قرابته ومجيبي دعوته، وإتماماً لما أوجب له من الفضيلة، وقريب الوسيلة، وإنجازاً لما وعده من إظهار ما يشه به، من دينه الذي أبسطناه وأرتضاه. وكان اختيار أول الفضل من كلمته وعصيته لإرث خلافته، ومن عظيم الزلف التي رغب إلى الله فيها أنبياءه، وبما أقص في منزل حبه، وأخص تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما أمره به من مسألة أمته تصيير مودته في القريب جزاءه ممن تبعه على الرسالة، وهذه من الضلالة؛ فكانت فضيلتهم عزيزة من الله عز وجل، دون طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألزمه تاديبه إلى خلقه وألزمهم أدامه، فقال عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. ودل بما أخبر به وأظهره من تطهير إياهم وإنعاده الرجس عنهم، على أبسطناهم لهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. وكان مما أوجب لهم به حق الوراثية في حكم تزيه قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾. ثم قرن طاعتهم بطاعته، فقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. وأسلمهم من التباة والصيت بالحصل الذي أعل به أمرهم ورفع به ذكركم، لما أحب من التبيين في الدلالة عليهم، والهداية إليهم، فإنه يقول عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾. ولو كان الأئمة المقلدون أمر عباده خاملة أنسابهم، متقطعة أسابهم، غير مخصوصين بفضيلة يرتفع بها دون غيرهم، لم تعد طلبتهم عقد اختلافه لهم، وأن تكون من المفترضات على كافة الأمة، أو على بعض دون بعض، فإن كان لأهل الشرق والغرب من ذوى النقص والكمال أن يختاروا لأنفسهم، فليس في اجتماع آرائهم مع تفرقهم واختلافهم طمع آخر أيام الدهر. وإن كان إلى خاصة دون عامة، فستحتاج العامة من طلب معرفة تلك الحال إلى مثل ما احتاجوا إليه في أنفسهم، إذ لم يكن أهل الأرياب والطلب من أعلام الأفاق ليتواطسوا على اتفاق،

لنفاذ أجلهم قبل بلوغهم غاية الاجتهاد في الفحص والتكشيف، وحاجتهم الى اختبار  
 البُلدان، وتحديد أولي الفضائل بالامتحان، وما هو حلق عليهم من الشبه في اختيارهم،  
 والاختلاف فيمن عَسَوْا أن يَحْتَبُوهُ وَيُقَدِّمُوهُ، حتى تهلك الرعية بتظالمها بينها، ويَطْرُقُ  
 من ليها من الإثم لِيَاها، إذ لا ذائد عنها ولا عُجَى. فلذا أُلْزِمَت الأئمة الحاجة إلى  
 نَصَب الحكام لإقامة الدين، وتسييط الحقوق من المسلمين، ومجاهدة عدوهم من  
 المشركين، لم يكن لهم في الإمام عليهم بَاجِزٌ إلى التخلص من حقِّه إليهم، ولا ريبَ  
 عند المعرفة برأفة الله ورحمته، ولطفه وحكمه، في دفعه عن عباده ما لم يحصل في حيلتهم له  
 وُسْعًا، ولا في حيلتهم له دَرْكًا، وكفايته إِيَّاهم ما يُعْجِزهم من البحث والتفتيش عن ولاة  
 أمرهم، بتَّصِيهِ إِيَّاهم، وما رَضِيهم إليه من الدرجة التي أعلاها وأَسْأَلَهَا، إذ وَصَلَ نَسَبهم  
 برسول الله صل الله عليه وسلم، وأَقْرَضَ مَوْتَهُمْ على خلقه، ولم يَنْتَهِمْ جَهْلُهُم للفرض الذي  
 لَزِمهم له، ولم يَجِبْ عليهم فَرَضٌ في معرفة مَنْ سِوَاهم. ولم يَزَلْ سِيَّاقُ أئمة الهدى مُطَوِّدًا،  
 ونظامهم مُتَّصِلًا، يتلقاه كَأَبْرَأُ عن كَأَبْر، ويؤديه أَوَّلُ إلى آخِر، حتى تساهى إلى أمير  
 المؤمنين، وهو حال دار دعوته، وبين أنصاره من أهل نُحُاسَان، فنظربه خَيْرَهُمْ، وصرَّفوا  
 ما تَصَرَّفَتْ به أحوالهم، وظهر لهم من بيان مُجْتَمَعَةٍ على مَنْ نَازَعَهُ في الأُمُر، وشاهدوا من  
 إبلاغه في العذر، واستظهاره بالثأني والصبر، ما أَرَّاحَ عنهم الشبهة وكَشَطَ الحيرة، حتى  
 اسْتَغْلَوْا نَوْصَهُ بِحَقِّهِ، وخافوا الزَّيْغَ على أديانهم فيما أَعْطَوْهُ من صَفَقَةٍ إِيْمَانِهِمْ، وهو  
 مَاضٍ على عادته، مستديمٌ للوَدَاعَةِ، مُتَلَوِّمٌ على المراجعة، بالغ غاية ما في وُسْعِهِ من الرخصة  
 في دفع الولاية التي تَهْتَبُهَا الرعية، حتى ضاق عليه في دينه تركُ القيام بما أَنهَضَهُ اللهُ به  
 من قِتْلِهَا وَقَتْلِهِ من حُلْمِهَا، وخاف المخلوعَ قَاتِمَتِ بِالشَّرِّ وَالْفِرَّةِ، فتناول أولياء الحق باغيا  
 طاغيا، لما أَرَادَ اللهُ من تأييدهم عليه بالبيان والنجدة التي يَجِبُ لها قَلْبُهُ، وَبُثَّتْ بِهَا  
 في عضده، وبِقِلَ اللهُ ما شَرَفَكُمْ به من النصر والغلبة فيه التي جعلها اللهُ للفقين. فاجتمع

لكم معشر أهل نخراسان في دولة أمير المؤمنين ثلاث خلال آخضكم الله بفضيلتها، وسبني مراتبها، دون ثلاث سبلكم وغيركم .

أما الأولى من اللواتي خضكم الله بهنّ، فما حقتم لأسلافكم من نصرة أهل بيت النبي، والفاطميين بمراتبه من آباء أمير المؤمنين .

وأما الثانية، فما آتاكم الله به من نصرة في دعوته الثانية .

وأما الثالثة، فما حقتم به من صحة صفاتكم، وعرض مناصبتكم .

وأما الثلاث اللواتي هنّ لكم ولنبيكم :

فنبين ما أكد الله لأمر المؤمنين في أعتاق المسلمين : من العهد الذي أخذ إصره، وألهمهم الوفاء به واتمسك بوثاق عصمته، عند محاولة الخلويع ماحول من الإعلان بالروقة، وأتقن من تبديل معالم الدين وتغذية آثاره ، فلم يلب الرعية سدى مهملين، لا جامع لأصرهم، ولا ضام لثروهم .

ومنهنّ ما أفادكم الله وإياهم من العبر، عند حلول النير بمن غدر وخرّ، تذكرة لأولى النهى، وحجة بالغة على من أدبر وتولى، لينتدى مصير ويتفط مرّ دجر، ﴿ وَلِيُعْصِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَحَقِّقَ الْكَافِرِينَ ﴾ . ومنهنّ اجتاع أهل الفضل من المسلمين : ممن لم يكن له نصر ولا أزر في الدعوة الأولى على المشايخة في الدعوة الثانية؛ فأصبح دعاة أمير المؤمنين من أهل الحرمين والمصريين ومدينة السلام والمشرق والمغرب ممن غار أو أنجد من المتمسكين بدمهم المؤمنين بنذورهم، من إخوانكم، وإن كان الله قد قلّمكم في الأسرين جميعا بنفوق حاكم على غيركم، يستلون من معاضدتكم ومكافئتكم بما جعله الله عز وجل ألفة لكم وموتة بينكم، بيد ما كان الشيطان يترغ به بين أهل التباعد في الأنساب، والثاني في الأوطان من إحقاق العداوة والبغضاء، والأطواء على الأحقاد والذمن، وطلب هديم الإحن، وصار أهل السمو إلى الدرجة العاليا والاعتصام بالبرّة الوثيق من أولياء أمير المؤمنين وشيعته، منشرة صدورهم بمكافئته، منبسطة إليهم بمعاونة على حقّه،

منسجمة آمالهم في إنقاذ ناره على ملوكه والإخفاف في بلاده وأنتاح تمتع حصونه، بما جمعهم الله عليه من الألفة، ورفع عنهم من الحمية والعصبية، راجعين عودتهم إلى أحسن ماضى عليه سلفهم، في عهد نبيه صلى الله عليه وسلم، من سلامة الصدور، وصلاح ذات البين، وأجتماع القوى على مجاهدة من شاقهم؛ قد أفرد الله عنهم فترة التطارب والتجاذب، وجعل ما كان يسعى به بعضهم من الإعداد لبعض، زيادة في ربحهم، وحنًا في شوكتهم، لاحتلاهم في دولة أمير المؤمنين المجودة المؤيدة بصدق الضائر، ونفاذ البصائر، وإلى الله يرغب أمير المؤمنين في إعانتة على صالح نية، وتبليغه منتهى سؤله وغاية همته، في اعزاز دينه وإذلال من صد عن سبيله، إنه سميع قريب .

ومن أقوى الأسباب إلى استدعاء الشكر على النعمة تذكروا كانت عليه الحال قبلها، فاستديموا الإنفاضة فيما رفع الله من خصاصكم وأمل من أقداركم، بنصرة أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وسلم، وما أبلاكم الله في الدعوة الأولى مما لا يؤدي حقه إلا بون الله وتوفيقه، فإنه ارتاح لهم بلفظه وتوفيقه، فأنما لم رغب الأقسام وسبي الخطوات، ورفع درجاتهم ودرج خلونهم وألقابهم من صلحهم، بمد إذ هم مستضعفون يخافون أن يقطعتهم الناس، ملعونون بقهر ملوكهم واستكثاره عليهم، ثم لم يلبثوا أن صاروا إلى الحال التي يؤمنهم بها من النية والبهجة، إلا أنهم أخذوها بحقها، وكانت في أيدى الظلمة من أهل بيت اللعنة وأتباعهم بعده الباطل وبخنة الابتلاء، ﴿ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْقِيَمِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ . وليس أحد منكم بخارج من الجنة بما أليس من النعمة، وإن كنتم أهلها الآخذين لها بحقها، بل الذي يلزمكم استقامتها والقيام بحفظها، على حسب ما أولاكم الله منها، فربما كان الذي يقب أهلها من النقلة والاختار ويؤمنهم بها من حيورها وسرورها، أعظم إثمًا وخوفاً مما يخاف على أهل البطالة والصبر من ضعف العزم وقلة الصبر، لما يستولى عليهم من استكانة القلب، والاختيار بالقصير، والفرع إلى رهيم في تفتيس كرمهم، فإنه

تبارك وتمالئ قد وصف أهل الطبقتين فقال : ( وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِنَّا نَسُّهُ الشَّرَفُ فَنُدُّهُ عَرِيضًا ) . فاجتكم اذا أصبح الله سيكم وأظفركم جلبيكم ؟ الى حياطة ما أودعكم الله من منه وراسمة ما آتاكم من فضله ، بالشكر المتري للزبد . فتمهدوا معشر شيعة أمير المؤمنين أتمسكم بتذكر ما سهل الله لكم من الجزوة ، وذلك لكم من الصوبة ، وحكم لكم به من النصر ، على مرقا اللمة ومخالي أهيل القبلة ، وأباحكم من ديارهم وأموالهم ، فاصبحت بمنى الله عليكم حمة الدين ، وأنصار الأئمة الراشدين ، وحصون كافة المسلمين ، جد ما آجئت الله بكم قرون الفاق ، وأباد بكم صناديد الضلالة ، وشرد من لم تستعمله سيوكم ، وأضرع اليكم من أذن وأستسلم ، وقد استشر فكم معشر شيعة أمير المؤمنين أهل الثنان ، ولا حظكم بأعين الحسد والمافسة ، فين ذلك مجهر معاني ، ومفسر مداهن ، وداخل في عدادكم ، وواجب في سوادكم ، يرى أتمته بين ظهوركم ، فطمعته عليكم في دولكم بريعة التويه وخدع التشبه ، أيسر عليه كلفة وأعظم فيكم جرما ونكابة ، فتوقوا هذه الطبقة أشد التوق ، فإن أكثر من يلجأ الى استباحة الحيلة ، من عجز عن المباداة والإحصار ، وعند ظهور الحازم وغلته يمتريز من لطيف الخدع وخفى الاستدراج .

وأحذروا معشر شيعة أمير المؤمنين من استمراء الطرامه ، والركون الى راحة الذمة ما قد رأيتم وباله عاد على أهله ، وأوردتهم عواقبه طول الندم والحسرة ، فإنكم قد كنتم في حال المراقبة لعدوكم ، والخوف لياخته متيقظين متحفظين لما كان برومكم به من ختله وحيله ، ثم أنفضيت الى الجح والجد جهدكم السى ومسكم التعب ، وسبق الشيطان في أمانيتكم أن قد اكتسبتم بسالف ما قاسيت ، ويجد من ضعف العزائم مبعثا داعيا الى اعتنام الخفض ، والإخلاد الى الأرض ، ما لم تعتصموا بما بايتم من الاعتبار ، وتمتثلوا مواهي الآثار فيمن سلف من القرون الخالية ، وما أفضت به اليه العزة من زوال النعم ووقوع النير ، فإن جميع ما خولكم الله وأفادكم ممرتهم بما ألزمكم من حياطته واستقامه ، فقد وجبت عليكم المحبة بما حضمكم الله .

عليه، وعظمت عليكم المنّة بما هداكم إليه، وأراكم من آياته ومُثلّاه فيمن خلا قبلكم  
 ما فيه أبلغ الإغثار والإفثار لكم . ومن أجمع له قضاء صواب من تقّله الى ما يبعث من  
 نفسه، فكانه قد اختبر التجربة، مع استعداده بما يستفيد، ويستزيد ما يفتح له ورأيه،  
 وأيقنوا أنكم لن تصلوا الى من سواكم، ممن هو أصرُّ طاعة عليكم وأعدُّ بمصيبتكم، حتى  
 تبدوا باستصلاح أنفسكم، وأنه لن يرجي لكم القوة على مجاهدة عدوكم حتى تهووا على مجاهدة  
 أهوائكم، فإن على كل امرئ رية من أمره، وغطاء من غيبة، لا يكشفه إلا صحة المعرفة،  
 والإدعان بالثبته؛ فهناك يؤمن عليه الجهل والمعاندة، وإذا أمنت هاتان الخلتان أنست  
 بإذن الله تلم الآفات، وتوقى المكار، فإنه لا يُخاف الضلال من أهتدى، ولا اعتاد  
 الجور على من آتصف من هوى .

ولكن أول ما تتمهلون به أنفسكم، وتُتأبرون عليه من صالح أدبكم تتأصف الحق  
 بينكم، بتقديم أهل الفضائل والآثار المحمودة منكم وتضخيم أمركم؛ فقد علمت أن منكم  
 المبرز القائل الذي لا يدرك شأؤه ولا يوازي بلاؤه، حين كشف الإبلاء صفات القلوب  
 وجلا مشتهات الطنون، فصرّح بالمحاربة بعد التقدم في الحجّة، وفاءً بمؤكّد العهد وركوبا  
 منه هائل الخطر، غير هائب مع محبة الحق ما برق لديه التاكس المخلوع ورعد، ولا  
 مستوحش فياخذ به الى من تولى وأدبر، حتى أتى النهاية التي أجرى إليها في الله عز وجل  
 وفي خليفته، ثم لرؤسائكم من أهل المشايمة والمكاثمة والنصرة والحلف الجزيل والامر المؤمنين،  
 نوابهم واجب وحقهم لازم؛ ثم منكم من يحفظ لسلفه وأئله من الآباء الذين يحفظون  
 ولايتهم، فإن الله عز وجل يقول في ذكر اليتيمين : ﴿ وَأَمَّا الْحَدَّادُ فَكَانَ لِلْعَامِلِينَ يَتِيمَيْنِ  
 فِي الْمَدِينَةِ ﴾ الآية . وقال على لسان يعقوب لابنه يوسف : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ  
 وَصَلِّكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ الآية . وأمير المؤمنين يرى توريث الحكمة والنعامة سنة  
 عليه في أخلاقه التي يرطها ويحافظ عليها؛ كما أنه يرى وراثة التركة فريضة واجبة،  
 فيخلف السلف الصالح عنده من المزية والفضل ما يتلون به أهل الشفاء بأنفسهم، ثم

يتلوم من أقدى [بهم] وأحدى بهمهم . والسابق المتقدم من أعتد بلاء نفسه الى بلاء  
سلفه ، ثم يقبه بعد الميلي بنفسه ، ثم يتلوما المتوسل بأباه ، ثم الصاعد به هواء ورأيه ،  
طبقة طبقة ، فليقصر كل أمرئ منكم على المرتبة التي أحله بها سميّه ، وليسلك الى  
الازدياد فيها بالزيادة من نفسه ؛ فإن من التثوق العظيمة على أهل الدول ما يترغ به  
الشیطان بينهم ، ويكثر عندهم ما يكون منه ، فيوافق من الحيف للأتقى ما يجد به مسافا  
الى ما يروم من إحقاق الشحنة بينهم ، وتثبيت الإحن في صدورهم ، بعد التآزر والتناصر .  
ومتى يجمع المرء لمزية من فوقه ، واعتباط من دونه كفى مترك . ولن تحلص نياتكم . وقسم  
ضمايركم ، حتى تتحفظوا شكر ما أوليه إخوانكم ، وتعتقوا ما نالهم شاملا لكم ، وتجنّبوا طريقة  
من اقتصر بأمنيته على خاصته ، وتنبه فيها أثره أهل الفضل دونه . وكفى عظة فيما  
نهاكم الله عنه من ذلك ؛ يقول الله عز وجل : ﴿وَلَا تَحْتَمِلُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾  
الآية . ولا يتيسر أحد مودته عن سوء نية بحسن مداراة في ظاهره ، فإن الله مقلد كل  
أمرئ يرضه عمله ومطوقه طوق سريره . ولا يندرت فيما يلزمه لإمامه ؛ فإنه إنما يفدر  
في حفظه ويحس نفسه ، ويحس نفسه . ثم لا يقتصر على استصلاحها حتى يتناول من  
كانت ميته عليه من أقربيه وحسويه ، فإن يسير ما هو ممان من تأديتهم لا ينشب أن  
يجاوز أدنى المراتب الى أقاصيها ، وقربها الى متاهيها ، حتى يستفيض شاملا علما ، بعد أن  
بدا محققا خاصا .

واصلوا أن أمير المؤمنين متفقد من تسييفكم وتقويمكم على صالح الأدب  
ومحمود السيرة ، ما لا يتفقد به من سواكم ؛ فإنه إن كان يُوجب على نفسه استصلاح الرعية  
وحلهم على ما فيه رشدهم وقوامهم ، لما يلزمه من فضل العناية بالأخص والأولى  
فالأولى ، فإن في أخلاقكم من التقديم في التأديب والتمهيد ، وجوها من الضرر : منها :  
أنكم أولى بحسن الطاعة وسيرة الإجابة ، اللطف بحكم وقرب مكانكم عند أمير المؤمنين .

ومنها : أنكم يأس بكم المؤمنون ويقتدى بكم التابعون ، ففى قصرهم وأخلاقهم ، أفضى  
 أنكم من نصيبهم له أعلاما ، ثم لم يكن لكم أن تردوا عليه ، ولا أن تأخذوا فوق يده ؛ بل كان  
 قينا أن يكون يسومكم الرضا بمثل ما سمعتموه ، ثم تجرى هذه العادة فى الطبقات ، حتى يطرد  
 السياق ، الى أن يستفيض الفساد فى حشو الناس وعامتهم ، فلا تُفنى قوة ولا حزم ولا  
 شدة ، إلا السجز والأضاعة ؛ ثم يجد الأعداء مساعا الى الطعن والعيب ، فلا يملكون أن  
 يرفقوك ويستولى عليكم القتل ؛ فإن الأيدى إنما تُبسط بنفاذ المزائم ، والمزائم إنما تُنفذ  
 بنبات الحجة ، والجملة إنما تهت إذا كانت عن الحق . وإذا أضيع أول هذه الرسوم ، التى  
 رسم لكم أمير المؤمنين ، يمتد تواليه وشتمته لواحظه ، ووجد العدو الملاحظ مكان العورة ،  
 مطمئا فى إهمال ما كان يسهله من الفتوة ، ويتوفق به من مناهزة الفرصة ، ولكن ما يفضون  
 فيه وتسدونه ظهيرا على طاعين إن طعن فى دولتك ، ما ألم الله أمير المؤمنين : من شمول  
 رعيته بالعدل ، وفرض الأمر فى مضمراتها ومقلتها ، ورفع به عنهم من سير الجود ، وبسط  
 به يده من إثابة أهل البلاء ، وتنفذ الجرائم لأولى الزلل ، والإبلاغ فى دهاء من عائد وشاق  
 الى التوبة والإثابة ، وإقالة العثرة بعد القدرة ، والحقن لمباح النماء ، فلم تملوه صبرا محملا ،  
 ولا هتاك لأحد ممن أظفروه الله به سيرا ، ولا وقفه على عورة . ثم تولى الله أمير المؤمنين ،  
 فى حروبه شرقا وغربا ، التى أغناه الله عن الإطباب فى وصف صنع الله لكم فيها ،  
 لاستغاضة أخبارها فى دهمائكم ، مع ما أحب من مطالعة إياكم ببالغ أدبه وشاق  
 عطفه ، أن يتكذب من الإسهاب ، فى غير ما حمد له ورأى من تهريج أسماعكم وأذنانكم ،  
 لوى ما اتبس أن توه من تبصيركم خطكم ، وتبصيركم على رشدكم . وحسب أمير المؤمنين  
 فى نفسه وفيكم الله ، وكفى به ميثا .

وإك أمير المؤمنين مع ما هتمم به اليكم لعل همة من حيطة الله خلاقه التى جعلها  
 عزرا لبيته وقواما لخلق ، وأنه ليس بها ممن أدبر عن حقها أو تنسلل بل من خلغ  
 رغبها وأضاع حظها منها ، جلب الخلة والحاجة وتخسران الدنيا والآخرة . وإنما أتي



المُقَصِّرُونَ في إعظام حقها من ضعف الرواية عن بلوغ ما تُقَضَى بهم إلى مصادر المواقف ، وتُؤَدِّمُهم إليه رواجع ما قَلَمُوا ، فلا يكونون بمسلهم غير متجاوزين بهمهم ، وفيهم الذي هم فيه إلى ما يَحْتَمِلُهُ .

وأستدعيوا مشرَّ المسلمين سابع النعمة بحمد موليا والمُتَطَوِّل بها . وقد تَرَوْنَ ما كنتم فيه قبلها وما آلت إليه حال من سُلْها ؛ ثم يُقَبِّبُ الندامة حين لا مُسْتَعْتَبٌ ولا نِظَرَةٌ يمكن فيها استقالة الفارط بتقصير ولا هَفْوَةٌ زَال . وهوا من رعاية أمير المؤمنين محمود آثاركم ، وما مضى من بلاء كلٍّ أمرئ منكم ، بما تَطْمَنُّونَ إليه وتَتَوَقَّعُونَ عادته ، بأسنى ما ترفع إلى آمالك وتسمو إليه هممكم ، إلى ما يَدْنُرُ الله لمن تمسك بهده ، واعتصم بتقواه ، وجاهد عن حقه ، وإياها بأمر عهده من جزيل ثوابه وكرامته ، إلى الدار التي هي أكبر درجات : وأكبر تفضيلا .

أحب أمير المؤمنين أن يتهدكم بسطة تَهَبِكُمْ على حَقِّكم ، وتُثَبِّتَ من بصائرکم ، وتقطع من طمع الشيطان وحزبه فيكم ، لِيَأْبِغَ عليه من إرشادكم ، ويرجو من تادية حق الله عز وجل فيكم ، وليأبى من اتصالكم بجملة ، وما يشملُه من الصنيع فيا ولاكم الله به ، وتولاه لكم .

وأمير المؤمنين يسأل الله الذي دلَّ على الدعاء تطولا ، وتكفل بالإجابة حثا ، فقال عز وجل : (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) ، أن يجمع على رضاه أَلْتَمَسَ ، وأن يصل على الطاعة حبلكم ، وأن يَتَمَكَّمَ بأحسن ما أودعكم من منته ، ويوزعكم عليها من شكره ، ما يواصل لكم مزيده ، وأن يكفكم كيد الكافرين ، وحسد الباغين ، ويحفظ أمير المؤمنين فيكم بأفضل ما حَفِظَ به أمام هدى في أوليائه وشيعته ، ويَجِلَّ عنه قتل ما حمله منكم . والله يستعين أمير المؤمنين ، على ما ينسوى من جزائلكم بالحسن ، وحبلكم على الطريقة المثل ، وبه يرضى ناصرا ووليا ، وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والمأمون — لما كتبت إليه السيدة زُبَيْدَة بعد مقتل ولدها الأمين خطبها  
الآتي تستعطفه :

كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ . وَكُلُّ زَلَلٍ وَإِنْ جَلَّ  
حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذَلِكَ الَّذِي عَوَّدَكَ اللَّهُ ؛ فَأَطَالَ مَدَّتَكَ ، وَتَمَّ نِعْمَتَكَ ، وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ ،  
وَرَفَعَ بِكَ الشَّرَّ .

هذه رُقعة الوليِّ التي ترجوك في الحياة لنواب الدهر ، وفي الممات بليل الذكر . فَإِنْ  
رَأَيْتَ أَنْ تَرَحَّمْ صَغْفَى ، وَأَسْتَكَاتِي ، وَقَلَّةَ حِيلِي ، وَأَنْ تَصِلَ رَحْمِي ، وَتَحْتَسِبَ فِيَا جَعْلَكَ  
اللَّهُ لَهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاغِبًا فَافْعَلْ ، وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ .

فكتب إليها المأمون :

وَصَلَّتْ رُقْعَتُكَ يَا أَمَانَهُ ، أَحَاطَ اللَّهُ وَتَوَلَّاهُ بِالرَّحْمَةِ ، وَقَفَّتْ عَلَيْهَا وَمَادَنِي — شَهِدَ  
اللَّهُ — جَمِيعَ مَا أَوْصَحَيْتَ فِيهَا ، لَكِنَّ الْأَقْدَارَ نَافِذَةٌ ، وَالْأَحْكَامَ جَارِيَةٌ ، وَالْأُمُورَ مُتَصَرِّفَةٌ ،  
وَالْمَخْلُوقُونَ فِي قَبْضَتِهَا ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا ، وَالْدُنْيَا كُلُّهَا إِلَى شَتَاتٍ ، وَكُلٌّ حَىٌّ إِلَى مَمَاتٍ ،  
وَالْقَدَرُ وَالْبَقِيَّةُ حَتْفُ الْإِنْسَانِ ، وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ بِدَّ جَمِيعَ مَا أُخِذَ  
لَكَ ، وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ . وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مَا  
تَخَارِينِ ؛ وَالسَّلَامُ .

(٨) أحمد بن يوسف<sup>(١)</sup>

رسالة ممتنة لأحمد بن يوسف ذكرها ابن طيفور في اختيار المنظوم والمتنور هي :

أما بعد فالحمد لله القاهر القادر، الخالق الرازق، فاطر السموات والأرض، الذي أحاط بكل شيء علما، ونطق به خبرا، وأخفنه حكمة وعلما، وألقب بين محتفه ومُتَفَهه، ليدل بقوام بعضه على بعض، على اتصال تدبير مشيئته ومبتدعه، وأنه أحد صمد، لا يضد له ولا يند، إذ قدر له حاجته ثم شدّها بلاغها إلى الغاية التي جعلها، فقال جل وعزّ (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) وحكى عن نجيّة موسى عليه السلام، (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَقَّهُ ثُمَّ هَدَى) ، وقال الله تعالى (وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانُهُ فَصِيلًا) ثم لم يكف العباد من شكره كفاه نعمته، بل رضى منهم باليسير، وقبل منهم الغفور، وجعل طاعتهم إياه مائدة عليهم يميز الحظ في دينهم ودنياهم، ليناه عن عبادتهم، وأوسع قدرته بالتطول عليهم، مُفْتِصِحًا وخائما، وبأدنا وعالما .

والحمد لله الذي أصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم، نبيا لرسالته، وأتمته على وحيه، وأزل عليه كتابه العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فأدى إلى خلقه الرسالة، وأستقنهم من الضلالة، وصدّع بأمر ربه وجاهد في سبيله، ونصح لأئمة حتى أتاه اليقين من ربه، بعد استنارة الحق، وظهور الحقبة، فصلى الله عليه بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا قد تلافى من الملّكة، وجمع الألفة بعد الفُرقة، وأوضح الهدى بعد اللّورس، ومعلّم الرشد بعد اللّموس، وكان بالمؤمنين رحما .

والحمد لله الذي قفى على آثار المرسلين، والأئمة الراشدين، الهاديّ التقي، الطاهر الزكي، الإمام المأمون أمير المؤمنين، أمر الله نصره، فسدّ ثلثتهم، ورأب صدعهم وقلّده خلافتهم، وجعله لكافة المسلمين غياثا ورحمة، وجعل ما أتمه من العدل والإحسان

(١) راجع ما كتبه عنه في الفصل الثامن من الكتاب الثالث في المجلد الأول .

الهم، مِنَّةٌ عليه ورحمةٌ ذَرَّها له، دون الخلقاء قَبْلَهُ، فبما أظهر من فضل زمانه حل الأزمات، وسياسة مَنْ تَقَدَّمه، ومنح الرعية من عطفه ونظَره، ما لا يحل عنهم أو به ولا يؤذى عنهم شكره، الا هو لا شريك له؛ وأحسن الله جزاء أمير المؤمنين ومثوبته، على صلَّة رَحِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي هي رَحِمه وقربته، وأخياره لولاية عهده الأمير الرضى على بن موسى، حفظه الله، حين أحمد سيرته، ورضى محبته، وعرف استقلاله، بما قلَّده في هَدْيِهِ، ودينه ووفائه، بما أكَّدَ الله به عليه، من عهد أمير المؤمنين أيَّده الله، في أغنيائه من ازره وأَسَّاه بما شَفَّعَ رأيَه، وأنفذَ تديره، حين همَّ لامتصلاح ما استقره الله، من أمور عبادِه، لما أتقى القائم بدعوته، ورئيس شريعته، الأمير ذا الرِّاستين رحمه الله، فاتخذهُ مكائفا ظهيرا ووزيرا دون من سواه، فاتَّبع مِنهاج أمير المؤمنين أيَّده الله، وسار بسيرته، شرقا وغربا، وغورا ونجدا، مُوفيا بعهده، قائما بدعوته، مقتفيا لأثره وسُنَّته، لحسم الله به الأعداء، ولقمع به الأعداء، من عتاة الأمم، وطواغيت الشرك، وأباد على يده، أهل الشقاق والفتاق، في كل أُنْفٍ وطَرْفٍ، بجِدِّ أمير المؤمنين أعزَّه الله، وبركة سياسته ودولته، ونَجَحَ سعى من قام بُنصرة من قام بحقه، وأثار برهانه، حتى توفاه الله عز وجل، حين بلغ حَتَمه وفايته، ومُحِ أجَلُهُ، وأقطعت مدَّته، سعيدا حميدا، شهيدا فقيدا، عند إمامه أكرمَه الله، وعند الخاصة والعامة، وكان من إجلال أمير المؤمنين، الحادث الذي نزل به، فأحيا آثاره، بوصف محاسنه، في مشاهدته وبجسامه، وترجمه عليه عند ذكره، وحَفِظَه في مُنَمَّتِه، وأهل حرْمته، وفيمن كان يحمي الله على طاعته ونصيحته، ما أتمَّ به نعمته، عندنا وعندكم معشر الشيعة، فقد أصبح أمره بكم متصلا، وموقعه من جماعتكم متمكنا، يقبضكم ما قبضه، ويسطركم ما بسطه من لومة المصيبة، وحسن الثَّقَى، وقد علمتم معشر أهل الجحما والشمى، والطاعة لله عز وجل وخليفته، وذوى النِّناء واليَّلاء في دعوته من أهل خراسان وضميرهم من حضر ممن أمتحن الله قلبه بوفاء المهدي والاستبصار في حقِّ أمير المؤمنين إبقاء الله، والمجاهدة دونه، والصبر على مواطن الصِّدْقِ والألواء، والتَّذَبُّعِ عن اللَّيْثَةِ والحريم،

والمحتملين للنَّصَب، والمصائب التي أَجَلَّتْ، حتى كأن لم تكن، وبقي أجرها على الله عز وجل، ومحمود ذكرها شاملاً في الناس، إن تيم الله، قد جَلَّتْ ولَقُفَّتْ، وَخَصَّتْ وَصَمَّتْ، وعَلَّتْ وصَحَّتْ، وتمَّتْ ودامت، حتى قصرتا عن موازيتها، والإحاطة بأدائها، فلذا لم يكن لنا معشر إخواننا سببٌ إلى مكافأة بلاءه بالعمل، فنحن جُئِرَاهُ أن نجتهد في القول، ونُطِيب في الوصف إن شاء الله جلَّ وعزَّ، فقد جعل ذكر النعم من أسباب الشكر، وقد جَعَدَ لنا أمير المؤمنين أيده الله من الحياة والكرامة، وجزيل الحيلة، وسني الرتبة التي قرئ بها عليكم كتابه ما يستغرق جهدها، ويستفرغ وسعنا، فغرب إلى الله عز وجل، ولي الرغبة، ومؤق السؤل والعليلة، في إمانتنا على تادية ما وجب له، فيما منحنا من نوائمه ونحوه، ثم نستفيدكم ونستعينكم على شكره، وإمدادنا بما يفتته طاعتكم في السعي له فقد أدنا بقُلْ ما حملنا، وقُلْ ما طوقنا، وعظمت فافتنا إلى استعجال القوى من الأتقى والحامدة، والخاصة والعائقة، في جزاء ما جَلَّلَ أمير المؤمنين فينا من سُنَّته، وشيئنا من تالذ أياديه وطارفها، وقديمها وحديثها، وكيف يوجد إلى موازاة أمير المؤمنين سبيل يبذل جهده، أو بلوغ حشد، فلما قَتَدَى هُده، وتَشَوَّ بنوره في ديننا، وليس يجزئنا عن أن نجزي حقه، بواضح عتاً مؤونة الضروب في التحزى لتاديته، فإن الله عز وجل، قد أخبر بفضل الشكر ومناقبه، وجعله من اسمائه، (وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)، وقد قال تعالى (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا)، وقال تعالى (إِنْ تُقْرَضُوا إِلَى اللَّهِ قَرْضًا حَسَنًا مَضَاعِفُهُ أَكْبَرُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ عَلِيمٌ). ولولا أن الله عز وجل رضي لنفسه، لأجلناه عن التسمية إذ كان أكثر ما نستعمله، ونعرفه في مكافأة من منَّ وتَطَوَّل، ثم نبي بذكر فضله في العباد، فإن الله تبارك وتعالى أفتح أول ما علم خلقه بالحمد، وجعله بده كتابه، وخاتمة دعوة أهل جنته، فقال عز وجل، (وَأَسْمِعْ دُعَاؤَكُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، وخلق الله السموات والأرض، ومن برأ ودرأ في الحياة لِيَتْلُو عِبَادَهُ بِشُكْرِهِ، وأعد الجنة في الآخرة لمن شكره، والنار لمن كفره، وقال الله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لِلْكَافِرِينَ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِ الْغَايِبِينَ)

كَفَرْتُمْ إِنَّ مَتَابِي لَشَدِيدٌ ﴿١﴾، وقال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّبَعُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، فجعل الثغوى واقعة، والشكر مرجعاً ليدل على ارتفاع رتبته، وعلو درجته عنده، وقال ليجيبه موسى عليه السلام : ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَيَكْلَامِي خُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ . فلم يكلفه إلا أخذ ما أعطاه، والشكر على ما آتاه، واخير بعزته في البعاد، فقال تعالى : ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، فاية نعمة أجل قدرها، وأسمى أمراً، معشر الشيعة من نعمة أمير المؤمنين، أيده الله، عند الأمير ذى الرياستين، ومراتبه التي رتبها، فإنه أعطاه رياسة الحرب، ورياسة التدبير، وعقد له على رأسهما علماً في رواية دعوته، وقبلة سيفهما وختمه بخاتم الخلافة، وساتم الدولة، وجعل صلاته بين صاحب حرمة، وصاحب شُرطته، ومسيرة بين أمير المؤمنين وبينهما، أمامه وخلفه، وصبره الجلوس على الكري بحضرته، في صدر كل مجلس جلس، إلا أن يؤثر به من أحب من أباء الخلفاء، وقدمه في دخول دار الأمير راجعاً الى أقصى مكان ينتهي إليه أحد من بني هاشم، لأنه منهم، وأعظمهم غناء عنهم، فسأه صاحب دعوته وسيفه على عقده وبابه الذي يدخل اليه منه، وولاه خذوله في أقطار الأرض، ومقدمته بحضرته، وقبلة من الثغور ما قد علمت، بما أفرده في عهده، الى ما أخذ من أمره، في جميع سلطانه ومملكته، من مشارق الأرض ومغاربها، وأين يأتي الوصف على ما فضله به، وقدمه وشرفه على الناس كافة، ولكنا نحيط بذكوره، ثم نكمل السامعين الى ما يرجعون إليه من المعرفة التي لا تبلغها الصفة، ثم لم يكن ما أكرمه به في حياته بأعلى مما أكرمه به في وفاته، تولى غسله وتكفينه، ومباشرته لجهازه، إلى حفرة بيده، وقاسى من النقص، وبرساء الحزن، وإذراء التربة، وإراقة الدمعة ما حال بينه وبين الكلام، وكاد يمنعه من القول والبكاء في صلاته عليه، من الحكم، وحفظ أهل الحرمته، به رعاية له فيهم، ووفاء بهده من بعده، وأقر خاصته، وتقواده ومآله . وكناه على مراتبهم، وحيد مجده، وقدم بقله، وحيد لجنده، وتلى كربتته، فظفرا وعطفاً، فلم يبق عليه في إحياء ذكره، وبلوغ كل ما يحبه في حياته غاية إلا أتى من ورائها،

وأمر بقراءة قُودحه، كما كانت تُقرأ على عهده، وأضاف كل ما حَدَث من بعده إلى ما تقدم من سعيه، وأخبر أنه كَلَبَ سِيَّته، والمُتَّصِح به، وولى محمد بن الحسن خلافته، ونَصَّبه منصبه، وأقامه مقامه إلى أن جَدَّد العهد لي، فاستخفَّته على ما ولى بحضرته، ثم تَبَّعت كُتُبُ أمير المؤمنين، أكرمه الله بعد مصاب الأمير ذي أكرامتين، بما لا يقارب التفضيل، والإطلاق والتفويض الذي كنتم سمعتم به وبلغكم، فلم يكن يرى وراءه جسارة، ولا فوقه مَصْعداً، حتى جَدَّد لنا من كرامته، ما قد قُرئ عليكم في كتابه، فبلغ بنا ما لم تكن المهم تبلغه، والأمانى يُحيط به، لولا ما منحنا الله عز وجل من الترقى في الفضل، إلى ما تُتَعَسَّر من دونه الأُصْبار، وتقطع دونه الآمال، وإنما أقتصرناه وذكرنا ما أبلغنا وأصطفين عندنا من بلائه بدعائنا إلى الله عز وجل، وإلى طاعته بالعدل والإحسان إلى رعيته والنظر بالصفح، والأخذ بالفضل، والأمير المعروف، وصِلَّة المروءة بالوفاء بالعهد، والشكر للئن، ورعاية الأخلاق المحموده، وإحفظاء أهلها، وإقامة سوقها، حتى تنافسوها وتَنَافَسُوا فيها، وصارت هي التُّرَايع إليه، والوسائل عنده، فلو تأمل متأمل أهل الرُّفْقَة، والآثرة لديه، لو جَدَّ الأَخْصَ فالأَخْصَ، والأَعلَى قَدراً عنده هو الأفضل ديناً ومروءة، فلو لم يكن في المخطوطة عنده إلا لِصَابِها لصاحبها محبة المحبة، والتزامة عن كل غِلَّة، لكان فيها أعظم الفِيتَةِ، وأعدل الشهادة والذمالة، وستَقْصُ عليكم بما أخبرناكم عنه مالا سبيل إلى بحمد وإكباره، بوضوح مآله ومنازله، أو ليس المجاهد عن دين الله، والمجاهد عن بيضة المسلمين، والمُؤَاتَى لأغلظ عدوهم شوكة، وأخوفهم عداوة، والمُتَّصِح في بلادهم، بمن كان لا يرام، ولا يُحَاوَل لاستصحابه وشقة مقاساته، حتى أذعن جيفويه بالعبودية له، ثم أباح حرَّيه حين تمزق عليه، حتى بلغ السَّيِّ إلى ولده، وحاربونا به، وتغلَّظت خيولُه، حتى توصلت إلى قُبَّته، وبنتى عِزَّه، أو ليس مُسَكِّن التَّيج بالمشرق، حتى خَبَّت النيران فيه، وأذعن رؤسائها وقادتها . أو ليس غازی بلادِ بابل حين طغى أميرها، وبذل، ونكث وقض، حتى أجهَّظت أرومته، وأباح حرَّيه، وأراح المسلمين من معزته، أو ليس سائق الثغور، ومُحَصِّن

عورتها، والمباشر لتدبيرها، والمتعمدا لمكايده المتحج فيمن أرادها، وفكك العنادة، من ريق الإسمار، وناشر الرحمة على قراء المسلمين وضعتهم وأهل المسكنة، وانقلته منهم، وقاسم الصدقات في أهلها، وعامر الموسم وعصيته من الآفات حياة المسلمين في مجهم، وما يتقربون به إلى ربهم؛ وهل أقترن لأحد من الأئمة ما أقترن له في الملك والدين والعز، والتواضع والسعة، واليدل والقدرة، والعفو واللفظة، والبيان في مواضعها، والنفسك مع المهمة، والسطوة مع الاقالة، وهل ترك معشر الأولياء والاخوان في الدين غاية لم يسم بها إلى شرفها، وعلى مراتبها، واستراد الحظ في عاجل وآجل، لم يلفناه ونختار لنا خاص مكرته، ومندحر عاقبته، أرشدنا إلى الدين، وسلک بنا سبل الجنة، سألنا الملك، فلم يبق وراء ما ملكنا غاية، وورد بنا الحروب وسأسها لنا، فلم يدع غاية للتعليم والتدريه، سلط علينا بسلطان الله الذي أتاه فلم يدع غاية في التقليد والفقه، فكف عنا الفضائل، ثم فضّلنا بها، غلب لنا الأهم، ثم خولناها. علمنا طرائق الشرف، ثم شرفنا بها. اخترنا عن الإثبات فكفنا مؤونة التماسها، وأغنانا بما عنده فيها، أخذ على أيدينا الخير للرعية، فوهب لنا شكرها، وصنق مقاتلتنا عند الشبهة، وأخذ أمرنا في التدبير.

فيا أيها الإمام المنصور المهدى الرشيد حزت فضائل الآباء، وأختدت بهدى الأنبياء، أنشرك عن الاسلام، فانت القائم به الداعي له، والناصر لحقه، أم تشرك عن الأمصار، فانت المفتيح لمتنها عنوة، والمتطول على أهلها بالرحمة، والمنعطف عليهم بحسن الفائدة بعد ما هيئت منك سورة الغضب، فاطفأت نارها، وأخمدت قهبا، وعُدت على من سبه، وأضاع حظه؛ أم تشرك على المساجد، فانت الذي أسسها على التقوى، وعمرتها بسلامة القرآن، وطهرت المنابر وركبتها، تملؤها صائما، وتنطق عليها صداقا، وتدعو إلى الرشد عليها ناصحا، وتحم القرآن قبل أن تبدأها عسنا، وتتلون فوارعه، ما تصيخ له الأسماع وتلين له القلوب؛ أم تشرك على البيت العتيق، والركن والمقام، والنجوى وزمزم، ومشاعر الحج، وأنت ذببت عنها، وأعدت إليها عهدا، في مبعث نبيها،



صل الله عليه وسلم ، فأنتم النازع اليها ، من كل فج عميق ، والحالين بها من الركوع  
والسجود ، أم نشكرك عن رسول الله صل الله عليه وسلم ، فيما حفظت فيه من عثرته ،  
بفوك عن مجرمهم ، ومضاعفتك ثواب عسهم ، وإحياك من أمرهم ، ما كان قد أندرس  
وأظلمس ، بعد اللقاء بنبى الله صل الله عليه وسلم ، وقد راعيت منه في قرابته وقربائك ،  
وذوى رحمه ورحلك ، ماضى الناس . ووصلت منهم ما كان وصله ، إذ كان الله عز وجل ،  
قد قرض صلة الأرحام ، فكان أطوع خلق الله عز وجل فيما قرض عليه . أم نشكرك  
عن العوام ، فقد ألبست المسلمين ثوب الأمن ، وأدقهم طم السعة والرأفة ، وصدت  
بينهم بالإصاف ، وتولت دونهم النصب ، وآرتهم الراحة . أم نشكرك عن الملوك والقواد  
والأجناد ، فأت الذى رفعت منازلهم ، ووقرت عددهم ، فلم يكن فى دهر أحد من الخلفاء  
أسمه ولا أحظى منهم فى سلطانك ، بما بذلت لهم من المعاون ، ووليتهم من الثغور  
والأمصار ، وأدرت عليهم من الأرزاق والخواص ، أم نشكرك عن الأحكام والسفن ، فأت  
الذى أنهجت سبلها ، فأوجبت قرضا ، ونافست فى أهلها ، أم نشكرك عن الأعداء فأت  
الذى بدأتهم بالهزيمة ، ودعوتهم الى الفينة والإثابة ، ثم ثبتت معقبا بالعبو ، ونشبتهم بعد  
البؤس ، وآنتهم من الوحشة ، أم نشكرك على مكارم الأخلاق ، وأنت الذى ثبت وطأتها ،  
ونغيت عنها أضدادها ، ولو تطلعت بالفضل ، لنطق بشكرك ، فى إزالة إيها عن الناس ،  
وإخطائك من أعترى اليها . أم نشكرك عن الثغور ، فأت الذى تممتها ، وحصنت عورتها ،  
أم نشكرك عن السف ، فأت الذى أشدت بعالم ، وحفظت من أبنائهم ، أم نشكرك عن  
بُرد رسول الله صل الله عليه وسلم ، وعن القصب الذى شخص به ، حتى جعلتما زينتك ،  
وسموت بهما فى أعيادك ، عند حشدك ، على الطهر والزكاة ، والنسك والتقوى ، أم نشكرك  
عن المسلمين فى رعيتك إياهم ، وما ترعيتهم من جنابك ، وتنف عنهم من الآفات ، وتعمل  
عنهم من جباية الكفر ، وتخلص من جيوش الشرك والنكث ، وتفتح من الحصون  
المستصبة ، وتقبل من الطرق الوعرة ، أم نشكرك عن تواضعك لله عز وجل ولصالح

المسلمين طلبا للرفعة عند الله. أم تشركك عن الدين وقد جعلت السلطان عبدا وقائدا ومتبذرا. وكان مأمورا بخلعة أمراء، وآلة للقبوة بخلعة القوة له آلة، فيأمن اتصل شكره بشكر الله عز وجل، وضمنته بنعمة الله تعالى وطاعته، بطاعة الله فوهب الله لك شرف المنازل، ورقاك درج الفضائل، وجزاك الله عنا وعن غيرنا، مما شكر من ناطق أو صامت، جزيل الثواب ورفع الدرجات، وأمنك ما أنك وأمن الأمة ما آمنك منك، والحمد لله ذي الرغبات، وتمم الصالحات، شكرا لرب العالمين، فإنه مبلغ طاعتنا، ومتمى جهتنا، وبه نستعين على تأدية فرائضه، أنه لا يحين على ذلك إلا هو، أحبت أن نشكر اليك أمير المؤمنين أيده الله، إذ ورد على من أنامه وافضاله، مالا يبلغه بالفضل، وأن يكون ما أقتصصنا عليك، داعيا لكم، إلى أن تشكروه عنا، وعن أنفسكم، وعن الإسلام والمسلمين، ورجوت بما وثقنا الله له، فيما شرحنا وأوضحنا، من الدلالة والبيان أن يكون مجتمعا يتفجع به من حضرة، ومن عسى أن يؤدى إليه انطباعنا، أو حدث بعدنا، وضنت بهذه المكرمة الراجعة، والمآثرة البارعة، التي أدخرها الله لأمر المؤمنين، أعز الله نصره، وأفرده بها، دون الأئمة والخلفاء، أن تمر بالأسماع صفحا، وتجتاز على القلوب سهوا، حتى تؤكد بالشواهد والبرهان، ليقى ذكراها وتفعها في الخلوفا والأعقاب، ونحن نسأل الله عز وجل الذي جمع بأمر المؤمنين — مد الله في عمره — ألفتنا، وعلى طاعته أهواننا وضماننا، وأماننا من القبطة في دولته وسلطانه، مالم تحويه شيعه إمام، ولا أنصار خليفة، أن يتم نور أمير المؤمنين، ويصل كعبه، ويتمتاز ببقائه، حتى يبلغه سؤله وقرنته في الاستكثار من البر وأدخار الأجر، واستيجاب الحمد والشكر، وأن لم به الشمت، ويرأب به الصمد، ويصلح على يديه الفساد ويرثق به قوق هذه الأمة، ويخفن بسياسة ونكايته في عدوها، ويتاج الفتوح في بلدانهم حتى يؤتبه من منج السعى، ورغائب الحظ في الدنيا، ما يمسزل عليه ثوابه في الآخرة، وأرشد نجباء واصفياء، الذين يقول لهم، ﴿فَاتَّأَمُّوا اللَّهَ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

ومن توقيعاته قَلا من كتب الصُولى .

وقع الى عامل ظالم « الحقُّ طريق واضح لمن طلبه تهديده مخجته ولا تخاف عثرته  
وَيُؤْمِنُ فِي الْمَرَّةِ مَقْبَتَهُ فَلَا تَسْتَقِلَّ مِنْهُ وَلَا تَعْدِلَنَّ عَنْهُ فَقَدْ بَالَسْتُ فِي مُنَاصَحَتِكَ فَلَا تُخَوِّجُنِي  
إِلَى مُعَاوَدَتِكَ فَلَيْسَ بَعْدَ التَّقْدِمَةِ إِلَيْكَ إِلَّا سَطْوَةُ الْإِنْكَارِ عَلَيْكَ » .

ووقع في عناية بإنسان الى بعض النبال « أنا بفلان تآم العناية وله شديدُ الرعاية وكنتُ  
أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَا أُرْعِيَّتَهُ طَرَفَكَ مِنْ أَمْرِهِ فِي كِتَابِي مُسْتَوْدَعًا تَمْتَكُ مِنْ خَطَابِي فَلَا تَعْدِلَنَّ  
بِمَنَائِكَ إِلَيَّ غَيْرَهُ وَلَا تَمْنَحْنِي بِعَقْدِكَ سِوَاهُ حَتَّى تَبْلُغَ لِرَادَتِهِ وَتُجَاوِزَ بِهِ أُمْنِيَّتَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .  
وفي كتاب ابن طيفور من توقيعات أحمد بن يوسف الشيء الكثير فارجع اليه  
إِنْ شِئْتَ .

(و) رسائل سهل بن هارون<sup>(١)</sup>

من كلامه :

حكى الجاحظ قال : — لقي رجل سهل بن هارون فقال : هب لي ما لا ضرر به عليك ؟  
فقال : وما هو يا أحمى ؟ قال : درهم ، قال : لقد هوت الدرهم وهو طالع الله في أرضه

(١) هو من أبناء الفرس وكان من رجالات البلاطة والملك والحكمة في دعوى الرشيد والمأمون ، وقد وضع كتابا حاكى به كتاب طرفة ودمعة وسماه « ثمة وضرة » . وكان قلم بيت الحكمة (مدير دار الكتب) في عهد المأمون . وله سهل بن هارون في مدينة ميسان بين واسط والبصرة ، وفي رواية في دستان كورة بين الأهواز وواسط والبصرة ، في أواخر النصف الأول من القرن الثاني تقديرا ، ولا يعرف من نسب إلا أنه سهل بن هرون بن راهون (راهبون) وكنيته أبو عمرو ، فارسي الجنس ، أحرأى أرغوزى المولد ، عراقى المنشأ ، تحول الى البصرة من سنّ لم تعرف ، وكانت البصرة إذ ذاك مدينة العلم في الدولة الاسلامية ، بل مدينة العلم في العالم كله ، أو كما قيل فيها « قبة الإسلام » ونزاة العرب « حوت من العلم الانساني أصوله وفروعه ، ومن القائمين على تيممه مصاعمه وغروره ، فنفى روحه بليان مجالها وبجاسعها ، واستأرقه بما التبسه من نور سائرها فخرج بطلانها ، ولا شك أنهم كانوا طبقة طيبة جدا ، في كل مطلب من مطالب الآداب . » . قيل : أن سهل بن هارون كان شيعيا ، وشيعة العراق في زمنه كانوا على الاطلاق مسترزة ، ولم يؤثر عنه أنه تنقص أحدا من الصحابة الكرام ، بل عرف بالاعتدال مع الأموات ، إحصاءه مع الأحياء ، وما أثر عنه أنه خاض غمار مباحث الكلام التي كانت على أشد حرارتها إذ ذاك ولا سيما في البصرة ودار السلام ببغداد ، وأتهموه بأنه كان مع الشيعة الذين يصغرون شأن العرب ، ولا يرون لهم على العلم فضلا ، وإذا صحت هذه التهمة فمن الصعب التوفيق بين مذهب من يقول بالشيوعية ومن يقول بالتشيع ، على أقصى التقى ضربه بعد قرون .

وصفه الجاحظ فقال : « كان سهل سبلا في نفسه ، عتيق الوجه ، حسن الشارة ، بعيدا من القناعة (الى) » . معتدل القامة ، مقبول الصورة ، يفضى له بالحكمة ، قليل الخبرة ، وبرقة الفطن ، قليل الخطاطبة ، ورياسة المذهب ، قليل الاحتمان ، وبالليل ، قيل للكشف (الظهور) . وكان الجاحظ مازنيه وقائمه . وقيل لفرات ولعله إبراهيم بن ذكوان كاتب الحادى وزيره . بيتك وبين سهل بن هارون صداقة فأنه لما كان يعرف ، قال : « هو كالنخل ، وأوزن العلم ، واسع العلم ، إن حدث لم يكتب ، وإن مزج لم يفض ، كالنبت أين وقع ، تبع ، وكالشمس حيث أوتت ، أحييت ، وكالارض ما حلتها حلت ، وكالملك ظهور نفسه ، وقائع لفه من أسر إليه ، وكالطوارى التى تنطفئ من الحياة بالنفس ، وكالاراقى يمشي بها الممرور ، وكالملك الذى قد حفت بأصناف التور » . ا . هـ . صديتان جيلتان في وصف سهل مؤدما مؤدوان مبدعان عاشا بقره ، وفضها بمقته ومقته .

وأتهموا سهل بن هارون بالخل وأوردوا له قصصا ونوادير ، وربما كان اتهامه بالخل مبالغا فيه زاد به التفتة والفتادة . ا . هـ . من معاصرة للاستاذ الباحث السيد محمد كرم الله تعالى بالجميع العلمى العربى بدمشق وخرطما بجلى الجميع والتفتل .

لا يعصى ، وهو عَشْرُ العَشْرَةِ ، والعَشْرَةُ عَشْرُ المِائَةِ ، والمِائَةُ عَشْرُ الأَلْفِ ، والأَلْفُ ذِيَّةُ المسلم ، ألا ترى الى أين أتى الدرهم الذى هوئته ، وهل يبوت الأموال إلا درهم على درهم ! فانصرف الرجل ، ولولا أنصرافه لم يسكت .

وحكى دِعْبِلُ الخَزَاعِيّ الشاعر قال : أقنأ يوما عند سهل بن هارون ، وأطعنا الحديث حتى أضرب به الجوع ، فدعا بفذاؤه فَأَتَانِي بِصَحْفَةٍ فيها مَرَقٌ تحته ديك هَرِمٌ ، فأخذ كسرةً وتفقد ما فى الصحفة فلم يجد رأس الديك فسقى مطرقا ، ثم قال للسلام : أين الرأس ؟ قال : رميته به ، قال : ولم ؟ قال : لم أظنك تأكله ، قال : ولم ظننت ذلك ! فوافقه إلى لَأَمَقْتُ من يرى برجله فكيف برأسه ! ولولم أكره ما صسعت إلا للطيرة والغال لكرهته ، أما علمت أنت الرأس رئيس يتقاتل به ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصبح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه فرقه الذى يتبرك به ، وعينه التى يضرب بصفتها المثل فيقال : شراب كمين الديك ، ودماغه عجب لوجع الكلبة ، ولم أر عظما قط أحسن تحت الأسنان منه ، وإن كان يلع من ثبلك أنك لا تأكله ، فسندها من يأكله ، أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق ! أنظر أين رميته ؟ فقال : والله ما أدري ، قال : أنا والله أدري ! إنك رميته به ، والله فى بطنك ، فافقه حسيك .

ومن مؤلفاته كتابُ البخله .

ولما صنف سهل كتابه فى البخل أهداه الى الحسن بن سهل وأستقامه ، فكتب إليه الحسن : قد مدحت ما ذمّه الله ، وحسنت ما قبحه الله ، وما يقوم بفساد ممناك صلاح لفظك ، قد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك ، فما تمطيك شيئا .

وأتهم سهل بن هارون بالبخل وأورد له فى ذلك قصص ونوادر وصده الجلاظ من "متاعلى البخله" وأنتهى العلماء "قال : ما علمت أن أحدا جرد فى البخل كتابا إلا سهل بن هارون ، وأبا عبد الرحمن الثورى ، والبخل فى القوس غالب فى الجملة ، غلبة الكرم على

طبائع العرب ، فاقضى ذلك التفريط الذى رآه سهل فى تبذير العرب ، أن يُدلى قومه بأرائه المفرطة فى الاقتصاد والإمساك . وما شُهد قط تفريط آلا وإلى جانبه إفراط .

كتبه وطرقته فى التأليف :

كان سهل بن هارون مُقطع القرنين فى صنوف العلم والآداب ، وناهيك بِعالم كبير كالملاحظ كان يؤلف الكتابَ الكثيرَ الممانى ، الحسنَ النَّظم ، فيُنسبُ الى قسه فلا يرى الأسماع تُصغى اليه ، ولا القلوب تَجمُّ نحوه ثم يؤلف كما قال عن قسه ، ما هو أقصُّ منه مرتبةً وأقلُّ منه فائدةً ، فيَحُلُّه عبد الله بن المقفع ، أو سهل بن هارون ، فيُقبل الناس عليها ، ويسارعون الى تَسْخِئِها .

ويقال إن طريقة سهل فى كتابته طريقة أمير المؤمنين عـ بن أبى طالب لا يَنكُفُّ لكلامه ، فلا يُشاهد فيه الناقد أثر الصُّلِّ ، بل لا يكلف بغير إرسال النفس على سَجيئِها ، فهو وأبْنُ المقفع والملاحظ على غِرَّائِهِ واحد .

وقيل إن سهلاً كاتبُ سلاطين ، والملاحظ مؤلفُ دواوين . وكانَ كلامه نَمَّةً موسيقيةً تعرف انتهاءَ جملته من رَئِئِها بعد أن ملكَتْ طيك مشاعرك ، لا يَحْفَلُ بالإنجاء إلا إذا جاءت عَوَّ الخاطري ، شان بُلْغاء الصدرِ الأثول . وكان يقول الشعرَ وأكثُرُ شعره مما أملاه قلبه ، فى غرض من أغراضِ المَجْتَمَع . وعده الملاحظ من الخطباء والشعراء الذين جمعوا الشعرَ والخطب والرسائل الطَّوَالِ والقِصَارَ ، والكتبَ الكَبَّارَ والمَجْلِدَةَ ، والسِّيرَ الحَسَنَ المولدة ، والأخبارَ المدونة . ولقبه مرةً بالكاتب ، ولعلَّ لقب الكاتب فى شرفه أكبر من عالم . وذكره ابن النديم فى البُلْغاء وقال : إنه شاعرٌ مُقِلٌّ ، وعده فى الشعراء الكُتَّاب . وقال : إنه كان ممن يعمل الإهتمام والخُرَافَات على أَلْسِنَةِ الناس والطَّيَرِ والبَهايم هو وعبدُ الله بن المقفع وعـ بن داود كاتبُ زبَّيده . وشعره نحسون ورقةً . أما البهشة ففى تآليفه ، فله ديوان رسائله ، وكتاب القروا للطلب ، وكتاب اسباسيوس ( أسانوس ) فى اتخاذ الإخوان ، كتاب أسد بن أسد ، كتاب سَحرة العقل ، كتاب تدبير الملك والسياسة ، كتاب الى عيسى بن أبان

في القضاء، كتاب الفرس، كتاب الفزالي، كتاب ندود وودود وأندود، كتاب الرياض، كتاب نملعة وعفراء، (وفي رواية نملعة وعفراء) على مثال كتاب كلبلة وديمنة، قلده في أبوابه وأمثاله .

وقال المسعودي: يزيد عليه أى على كلبلة وديمنة في حسن نظمه وقد صنّعه لأماون .  
ومن تأليفه: كتاب الهزلية والمغزوي، كتاب الوامق والسندرمالى غير ذلك من المصنفات التي لم تُبقِ الأيامُ وبالأأسف على واحد منها فيما علينا .

دخل سهل على الرشيد وهو يضاحك المأمون؛ فقال : اللهم زدّه من الخيرات، وأبسط له من البركات، حتى يكون في كلّ يوم من أيامه مُرَبِّياً على أمسه، مُقَصِّراً عن غده، فقال الرشيد : يا سهل، مَنْ رَوَى من الشعر أحسنه وأرصنه، ومن الحديث أفصحهم وأوضحهم، إذا رام أن يقول لا يُسجّزه القول؟ فقال سهل : يا أمير المؤمنين، ما ظننت أن أحداً يقدّمنى إلى هذا المعنى، قال بل أعشى همدان حيث يقول :

رَأَيْتُكَ أَمِيرَ خَيْرِ بَنِي لُؤَيٍّ \* وَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرُ مَنْكَ أَمِيرٍ  
وَأَنْتَ قَدْ تَزِيدُ الْخَيْرَ ضَعْفًا \* كَذَلِكَ تَزِيدُ سَادَةَ عَهْدِ شَمْسٍ

وقد شَهِدَ مقتل البرامكة في سنة ١٨٧هـ وحلّت فيها كان عليه يحيى وجعفر من البلاغة فقال : إنَّ تَجَاعَى الْخُلَطَاءِ، وَتُجْبَرَى الْقَرِيضَ عِيَالٌ عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْدِكَ وَجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى، وَلَوْ كَانَ كَلَامٌ يَتَصَوَّرُ دُرّاً، وَيُجَلِّدُ الْمُنَاطِقَ السَّيْرَى جَوْهَرًا، لَكَانَ كَلَامَهُمَا، وَالْمُنَاقِيَّ مِنْ لَقَطَهُمَا، وَلَقَدْ كَانَ مَعَ هَذَا عِنْدَ كَلَامِ الرَّشِيدِ فِي بَلِيَّتِهِ وَتَوْقِيعَاتِهِ فِي كُتُبِهِ، فَتَمَيَّنَ عَيْنٌ، وَجَاهِلِينَ آمِينَ، وَلَقَدْ تَعَمَّرَتْ مَعَهُمْ، وَأَدْرَكَتْ طَبَقَةَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي أَيَّامِهِمْ، وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْبَلَاغَةَ لَمْ تُسْكَكَلْ إِلَّا فِيهِمْ، وَلَمْ تَكُنْ مَقْصُودَةً إِلَّا عَلَيْهِمْ، وَلَا أَتَاهَدَتْ إِلَّا لَهُمْ، وَأَنْهُمْ حَصَّ الْأَنَامَ، وَلَبَّابَ الْكَرَامِ، وَيَطْعُ الْأَيَّامَ، عَشَقَتْ مَنَظَرَ، وَجُودَةَ عَجَبٍ، وَجَزَالَ مَنَاطِقَ، وَصَهْلَةً لَفْظًا، وَزَاهَةً قَسَمَ، وَأَكْبَالَ خِصَالٍ، حَتَّى لَوْ فَانَرَتْ الدُّنْيَا بَقِيْلَ أَيَّامِهِمْ، وَالْمَأْوِيْرَ

من خطبائهم ، كثير أيام من سوام من لُذْن آدم أيهم الى التفتخ في الصور ، وأبتمت أهل القبور ، حاشا أنبياء الله المكرمين ، وأهل وحيه المرسلين ، لما باهت إلّا بهم ، ولا عولت في الفخر إلا عليهم ، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم ، وكريم أعراقهم ، وسعة آفاقهم ، ورفق ميثاقهم ، ومعمول مذاقهم ، وبهاء إشرافهم ، وقاوة أعراضهم ، وتهذيب أغراضهم ، وأكتيال خلّال الخير فيهم ، الى ملء الأرض مثلهم في جنب محاسن المأمون كالنقطة (الشفلة) في البحر ، والحركة في المهمة القفر .

قيل : وهذا الكلام على ما فيه من حقيقة في بيان عجائب البرامكة والرشيد والمأمون لم يمتح بمصنفة الحق ، ومال به سهل الى المصانعة ، ونحرجه على نحو مبالغة القُرس ، في الإطراد والملاقى لولى الأمر .

وروى بعض الرواة أن المأمون كان استقل سهل بن هارون ؛ وقد دخل عليه يوما والناس على مراتبهم ، فتكلم للمأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فلما قرع من كلامه أقبل سهل بن هارون على الجمع فقال : ما لكم تسمعون ولا تعون ، وتشاهدون ولا تفقهون ، وتفهمن ولا تفهمون ، وتسمعون ولا تسمعون ! والله إنه ليقول ويفعل في اليوم القصير ما فعل بنو مروان في الدهر الطويل ، عريككم كجمكم ، وعجمكم كعبيدكم ، ولكن كيف يعرف بالنواء من لا يشعر بالنداء . فرجع المأمون فيه الى الرأي الأول ؛ وعرف أنه الرجل كل الرجل ، ففزع به وأداه على النحو الذي كان عليه في عهد والده .

ومن كلام له في كتابه حلة وعفرة :

”اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مُقْسَماً قبل الذي تجردون به من تفضلكم ، فإنّ تقديم النافذة مع الإبطاء في الفريضة شاهد على وحن العقيدة ، وتقصير الرؤية ، ومُضِرٌّ بالثديير ، ومُحَلٌّ بالاختيار ، وليس في تقع تمجد به عوض من فساد المروعة ، ولزوم النقيصة “ .



وهذا مأخوذ من قوله في يحيى بن جعفر :  
 مَلُوءٌ بِلَادَ الْمَالِ فَيَا يَنْبُوهُ • مَنُوعٌ إِذَا مَا مَنَعَهُ كَانَ أَحْزَمًا  
 مُدَلَّلٌ نَفْسٍ قَدْ أَبَتْ غَيْرَ أَنْ تَرَى • مَكَارِهِ مَا تَأْتِي مِنَ الْعَيْشِ مَقْنَمًا  
 وكتب الى صديق له أبلى من ضعف :

” بلغني خبر الفترة في السامها وأنصارها ، والشكاية في حلولها وأرمحلها ، فكاد يشغل  
 القلب بأوله عن السكون لآثره ، وتَهْلُ الحيرة في ابتدائه ، عن المسرة في آتياه ، وكان  
 تَقِيرُ في الحالين بقدرهما آرتياغاً للأولى ، وأرتياحاً للآخرة “ .



وكتب في البخل :

بسم الله الرحمن الرحيم

اصلى الله امرئكم وجمع تملككم وعلمكم الخير وجعلكم من أهله . قال الأحف بن قيس :  
 يا معشر بني تميم ، لا تُسرِعُوا الى الفتنة فَإِنَّ أَسْرَعَ النَّاسِ إِلَى الْقِتَالِ أَقْلُهُمْ حَيَاءٌ مِنَ الْفِرَارِ .  
 وقد كانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب جمّة فأمل عيًّا فإنه إنما يعيب الناس  
 بفضل ما فيه من العيب . ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب . وبيح أن تنهى  
 مُرشدًا وأن تُقرى بمُشفي . وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم ، وإصلاح فاسدكم ،  
 وإجاء النعمة عليكم . وما أخطأنا سبيل حُسن النية فيما بيننا وبينكم . وقد تملّهُون  
 أنا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لكم ، ولأخسنا قُلُوبَكُمْ ، وشعرباه في الألفاظ دونكم ، ثم تقول  
 في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : ( وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلُقَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ  
 إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ) فما كان أحقنا  
 منكم في مُرَبِّيتِكُمْ أَنْ تَرْعَوْا حَقَّ قَصْلِنَا بِذَلِكَ الْيَكْمِ عَلَى مَا رَعَيْنَاهُ مِنْ وَاجِبِ حَقِّكُمْ ،  
 فلا المُتَرَبِّطُ بِالْبَسُوطِ بَلَّتُمْ وَلَا بَوَاجِبِ الْحُرْمَةِ قُتِمَ . ولو كان ذكر العيوب يُرَادُ بِهِ نَقْرُ زَيْنَا  
 في أخسنا من ذلك شغلا .

عِثْمُونِي يَقُولُ لِمَالِدَى : أَجِدِي السَّيِّئَ فَهُوَ أَطْيَبُ لَطْمُهُ وَأَزِيدُ فِي رِيهِ .<sup>(١)</sup> وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَمْلِكُوا السَّيِّئَ فَإِنَّهُ أَحَدُ الرَّسَيْنِ .<sup>(٢)</sup>

وَعِثْمُونِي حِينَ خَتَمَتْ عَلَى مَا فِيهِ شَيْءٌ تَجِنُّ مِنْ فَاكِهَةٍ رَطْبَةٍ قَبِيَّةٍ وَمِنْ رَطْبَةِ غَرِيبَةٍ عَلَى عَبْدِ نَهْمٍ وَصَبَى جَيْشَمَ وَأُمَةً لَكَهَاءَ وَزَوْجَةً مُضِيْعَةً .<sup>(٣)</sup>

وَعِثْمُونِي بِالْخَمِّ وَقَدْ خَتَمَ بِمَعْشَرِ الْأَتَمَةِ عَلَى مَرْزُودٍ سَوِيْقٍ وَحَلَّ كَهْمُ فَارِغٍ . وَقَالَ : طِبْنَةُ خَيْرٌ مِنْ طَبِيَّةٍ ، فَاْمَسْكُمُ عَنْ خَتَمٍ عَلَى لَا شَيْءٍ وَعِثْمُ مِنْ خَتَمٍ عَلَى شَيْءٍ .<sup>(٤)</sup>

وَعِثْمُونِي أَنَّ قُلْتَ لِلْفَلَاحِ : إِذَا زِدْتَ فِي الْمَرْقِ قَزْدٌ فِي الْإِنْضَاجِ لِيَجْتَمَعَ مَعَ الْقَادِمِ بِالْقَمِّ طِيبُ الْمَرْقِ .

وَعِثْمُونِي بِخَصْفِ التَّمَلِّ وَبِتَصْدِيرِ التَّمْيِصِ وَحِينَ زَعَمْتُ أَنَّ الْمُخْصُوفَةَ مِنَ التَّمَلِّ أَبْيَ وَأَقْوَى وَأَشْبَهَ بِالْشَّدِّ وَأَنَّ التَّرْقِيعَ مِنَ الْحَزْمِ وَالتَّضْرِيطِ مِنَ التَّضْيِيعِ ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصِفُ نَهْلَهُ وَيُرْقِعُ ثَوْبَهُ وَيَقُولُ : لَوْ أَهْدَى إِلَى ذِرَاعٍ لَقَبِلْتُ ، وَلَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاجٍ لَأَجَبْتُ . وَقَالَتِ الْحَكَمَاءُ : لَا جَدِيدَ لِمَنْ لَمْ يَلْبَسِ الْخَلْقَ . وَبَسَتْ زِيَادُ رَجُلًا يَرْتَادُ لَهُ مُعْدَتَا وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا فَأَتَاهُ بِهِ مُوَافِقًا فَقَالَ لَهُ : أَكُنْتُ بِهِ ذَا مَعْرِفَةٍ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُهُ فِي يَوْمٍ قَاطَفٌ يَلْبَسُ خَلْقًا وَيَلْبَسُ النَّاسَ جَدِيدًا ، فَتَفَرَّسْتُ فِيهِ الْعَقْلَ وَالْأَدَبَ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْخَلْقَ فِي مَوْضِعِهِ مِثْلُ الْجَدِيدِ فِي مَوْضِعِهِ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا وَسَمًّا بِهِ مَوْضِعًا كَمَا جَعَلَ لِكُلِّ زَمَانٍ رَجُلًا وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا . وَقَدْ أَحْيَا اللَّهُ بِالنَّمِّ وَأَمَاتَ بِالْهَوَاءِ وَأَخْصَى بِالْمَاءِ . وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْإِصْلَاحَ أَحَدُ الْكَاسِيَيْنِ كَمَا زَعَمُوا أَنَّ قِلَّةَ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ . وَقَدْ جَبَّرَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ يَدَ عَتَرٍ وَأَمَرَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ

(١) الرِّيحُ : الْغَيَاةُ وَالزِّيَادَةُ . (٢) إِمْلَاكُ السَّيِّئِ : إِتْمَامُ بَعْضِهِ . (٣) الْكَهَاءُ : الْخَفَاءُ .

(٤) الْمَرْزُودُ : دِيَارُ الْإِزَادِ . وَالسَوِيْقُ : طَلْعٌ يَخْذُ مِنَ الْحَمَلَةِ أَوْ الشَّعِيرِ . (٥) خَصَفَ الْقُلَّ : نَحَرَهَا .

(٦) تَصْدِيرُ التَّمْيِصِ : أَنْ يَجْعَلَ لِمَصْرُوعِهِ بِلَاقَةً .

يَهْرَكَ النَّعْلَ . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكل بَيْضَةً فقد أَكَلَ دَجَاجَةً .  
وليس سالم بن عبد الله جِلْدُ أُحْمِيَةٍ . وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أَهْدِيَ إِلَيْكَ  
دَجَاجَةً . فقال : إن كَانَ لَا يَدُ فَاجْعَلْهَا بَيْوُضًا .

وعبتمونى حين قُلْتُ : من لم يعرف مواضع السَّرَفِ في الموجود الرخيص لم يصرف  
مواضع الاقتصاد في المُنْتَعِ النَّالِ . ولقد أُتِيَتْ بِمَاءٍ لِلْوَضوءِ عَلَى مِخْلَجِ الْكِفَايَةِ وَأَشْفَدَ مِنْ  
الْكِفَايَةِ ، فَلَمَّا صُرْتُ إِلَى تَغْرِيقِ أَجْزَائِهِ عَلَى الْأَعْضَاءِ وَالِى التَّوْفِيرِ عَلَيْهَا مِنْ وَضِيعَةِ الْمَاءِ  
وَجِدْتُ فِي الْأَعْضَاءِ فَضْلًا عَنِ الْمَاءِ ، فَصَلُّتُ أَنْ لَوْ كُنْتُ سَلَكْتُ الْاِْتِصَادَ فِي أَوَالِهِ  
لَخَرَجَ آخِرُهُ عَلَى كِفَايَةِ أَوَّلِهِ وَلَكِنْ نَصِيبُ الْأَوَّلِ كَنَصِيبِ الْآخِرِ ، فَعَبْتُمُونِي بِذَلِكَ وَشَعْنَمَ  
عَلَيَّ ، وَقَدْ قَالَ الْحَسَنُ وَذَكَرَ السَّرَفَ : أَمَا إِنَّهُ لَيَكُونُ فِي الْمَاءِ وَالْكَلَّا فِلَمْ يَرْضَ بِذِكْرِ  
الْمَاءِ حَتَّى أَرَدَفَهُ الْكَلَّا .

وعبتمونى أَن قُلْتُ : لَا يَنْفَرُّ أَحَدُكُمْ بِطُولِ عَمَرِهِ وَتَقْوِيَسِ ظَهْرِهِ وَرِقَّةِ عَظْمِهِ وَوَعْنِ  
قُوَّتِهِ وَأَنْ يَرَى نَحْوَهُ أَكْثَرَ ذُرِّيَّتِهِ ، فَيَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَى إِنْتِرَاجِ مَا لَهُ مِنْ يَدِهِ وَنَحْوِيلِهِ إِلَى مِلْكٍ  
غَيْرِهِ وَالِى تَحْكِيمِ السَّرَفِ فِيهِ وَتَسْلِيْطِ الشَّهَوَاتِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا يَكُونُ مُعَمَّرًا وَهُوَ لَا يَدْرِي ،  
وَمَعْدُودًا لَهُ فِي السَّنِّ وَهُوَ لَا يَتَسَمَّرُ ، وَلَمَّا أَنْ يُرَزَّقَ الْوَلَدُ عَلَى الْيَاسِ وَيَحْمِلَتْ عَلَيْهِ مِنْ آفَاتِ  
الدَّهْرِ مَا لَا يَحْتَسِرُّ عَلَى بَالٍ وَلَا يُكْرَهُ عَقْلٌ ، فَيَسْتَرْدُّ مِنْ لَا يَرُدُّهُ وَيُظْهِرُ الشُّكْرَ إِلَى مَنْ  
لَا يَرْجِعُهُ أَضْمَبَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الطَّلَبُ وَأَقْبَحَ مَا كَانَ بِهِ أَنْ يَطْلُبَ ، فَعَبْتُمُونِي بِذَلِكَ ،  
وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ : " إِنْ حَمَلَ لَدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَمِيشُ أَبَدًا ، وَأَعْمَلْتَ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ  
تَمُوتُ غَدًا " .

وعبتمونى بِأَنْ قُلْتُ : بَانَ السَّرَفُ وَالتَّجْدِيرُ إِلَى مَالِ الْمَوَارِيثِ وَأَمْوَالِ الْمُلُوكِ وَأَنْ  
الْحَفَظَ لِلْمَالِ الْمَكْتَسَبِ وَالْفَنَى الْمُجْتَلَبِ وَالِى مَنْ لَا يُرَمِّضُ فِيهِ بَهَابَ الدِّينِ وَأَهْتِصَامَ  
الْعُرْضِ وَنَصِيبَ الْبَدَنِ وَاهْتِمَامَ الْقَلْبِ أَسْرَعَ وَمَنْ لَمْ يَحْسَبْ فَقْفَهُ لَمْ يَحْسَبْ دَخْلَهُ

ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الأصل . ومن لم يعرف للنفي قدره فقد أوزن بالفقر وطالب نفساً بالذل .

وعبتموني بأن قلت : إن كُتب الحلال يضمن الإحراق في الحلال . وإن أُنكِحت يترجى إلى الخبيث ، وإن الطيب يدعو إلى الطيب ، وإن الإحراق في الهوى يحجب دون الهدى ، فبتم على هذا القول ، وقد قال معاوية : لم أرتبذراً قط إلا وإلى جنبه حق مضجع . وقد قال الحسن : إن أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا فيما إذا ينفقه فإن الخبيث إنما يتفق في السرف . وقلت لكم بالشفقة عليكم وحسن النظر مني لكم وأنتم في دار الآفات ، والجوائح خير مأمونات : فإن أحاطت بمل أحدكم آفة لم يرجع إلا إلى نفسه . فاحذروا التعم باختلاف الأمكنة فإن الآفة لا تجرى في الجميع إلا بموت الجميع .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السيد والأمة والشاة والبهي : تفرقوا بين النسيان . وقال ابن سيرين لبعض البعيرين : كيف تصبئون بأموالكم ؟ قالوا : نفوقها في السفن فإن عيلب بعض سلم بعض . ولولا أن السلامة أكثر ما حملنا أموالنا في البحر . قال ابن سيرين : « تحسبها ترقاه وهي صناع<sup>(١)</sup> » .

وعبتموني بأن قلت لكم عند إشتاق عليكم : إن للنفي تسكراً وللإلزام لتزوة<sup>(٢)</sup> فمن لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد أهمله .

فعبتموني بذلك وقد قال زيد بن جبلة : ليس أحد أقصر عقلاً من غنى أمين الفقر ، وسكر النبي أكثر من سكر الخمر . وقد قال الشاعر في يحيى بن خالد بن برمك :  
وهوبُ تلاد المال فيما يتوبه \* متنوع إذا ما منه كان حزناً

وعبتموني حين زعمت أني أقدم المال على العلم ، لأن المال به يُقاد السلم وبه تقوم النفس قبل أن تعرف فضل العلم ، فهو أصل والأصل أحق بالترتيب من الفرع ، فقلت :

(١) هذا مثل يضرب لمن تظن به الضعة وعرضه فقط . (٢) التزوة : الزينة أو الوثنية .

كيف هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟ قال : العلماء . قيل له : فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال وجهل الأغنياء بحق العلم . قلت : حالمًا هي القاضية بينهما . وكيف يستوى شئ ، حاجة العامة إليه وشئ يفتى فيه بعضهم عن بعض .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء بالتخاذل مع الفقراء بالتخاذل الدجاج . وقال أبو بكر رضى الله عنه : إني لأبغض أهل بيت يُنفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدؤلى يقول لولده : إذا بسط الله لك الرزق فأبسط وإذا قبض فاقبض .

وعيمونى حين قلت : فضل الفنى على القوت إنما هو كفضل الآلة تكون في البيت إذا احتيج إليها استعملت وإن استغني عنها كانت عبثة . وقد قال الحصين بن المنذر : ويحدث أن لى مثل أحد ذهبًا لا انتفع منه بشئ . قيل له : فما كنت تصنع به ؟ قال : لكثرة من كان يحتسب عليه لأن المال مخدم . وقد قال بعض الحكماء : عليك بطلب الفنى فلم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك ونذل في قلب منوك لكان الحظ فيه جسيمًا والنعف فيه عظيمًا .

ولسنا ندع سيرة الأثياء وتعلم الخلفاء وتاديب الحكماء لأصحاب اللهو ، ولستم على ترقون ولا رأى تفتنون ، فقدموا النظر قبل المزم وأدركوا مالكم قبل أن تدركوا مالكم . والسلام عليكم .

وسهل هو القائل :

تسمنى هانٍ قد كفًا بالي • وقد تركا ظني عملة يلبال  
هما أدريًا تسمى ولم تدري عبرى • رهينة خذ ذات سميح وخطال  
ولا قهوة لم يبق منها سوى القذى • على أن تحاكي النور في رأس ذبال

تخل منها جرئها وتماصكت • لما نفس ممدوم على الزمن انطالي  
ولكننا أبكى بين عيية • على حديث تبكي له من أمالي  
فراق خليل لا يقوم به الأمي • وخلة حر لا يقوم بها مالي  
فواحسرتي حتى متى القلب موبج • لتفر خليل أو تمدد إفضال  
وما الفضل إلا أن تجود بنائي • وإلا لقاء النيل ذي الخلق العالي

وهو القائل :

أنا أمرؤ ضائق على لم يصدق خلق • من أن يراني غنيا عنه بالياس  
لا أطلب المال كي أغني بفضليته • ما كان مطلبه قسرا من الناس

( ز ) عمرو بن مسعدة<sup>(١)</sup>

كان كاتباً ليلياً، جَزَلَ العبارة وجيَّزَهَا، سَدِّدَ المقاصد، فضلهُ شائعٌ، وبُلهُ نافعٌ، أشهرُ من أن يُبَيَّنَ عليه، أو يُدَلَّلَ بالوصف إليه؛ قد ولىَ للأمون الأعمالَ الجليلةَ، وألحقَ بِنِدَى المراتبِ العاليةِ. وسمَّاه بعضُ الشعراءَ وزيراً لمُعَظَّمِ منزلته لا لأنه كان وزيراً، وهو قوله:

لقد أسعدَ الله الوزيرَ بنَ مسعدة \* وبُتُّ له في الناسِ شُكْرٌ ومُحَدَّة

(١) هو عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول بن صول (بضم الصاد) كان رجلاً تركاً وكانت ملك وأخوه فيروز على جربان وبجسا بد التركة وشيها بالقرص .

بدأ عمرو بن مسعدة في خدمة الدولة عاملاً من البهال فظهرت كفايته وبلاغته، وبالبلاغة توصَّل إلى الخليفة فعدَّ أحد أفراد لُطائف في رجاله، قال أحمد بن يوسف الكاتب: دخلت يوماً على الأمون ويسده كتاب يهود فراه تارة بعد أخرى، ويصعد فيه ويصُوب، فلما مررت على ذلك مدَّ من زمانه لفتت إلى وقال: يا أحمد أراك مفكراً فيما تراه مني، قلت: نعم، قال: إن في هذا الكتاب كلاماً نظيراً ما سمعت الرشيد يقول في البلاغة: زِم أن البلاغة إنما هي القياد عن الاطلاقة، والتقرُّب من معنى البنية، والدلالة بالقليل من القِطْع، على الكثير من المعنى، وما كنت أتوهم أن أحداً يقدر على ذلك. وقال: هذا كتاب عمرو بن مسعدة إلينا، فتككته فاذا فيه: «كتابي إلى أمير المؤمنين» ومن قبل من فواده، ورؤساء أجناده، في الاقبياد والطلاقة، على أحسن ما تكون طاعة جند تأثرت أرزاقهم، واقبياد كفافة تراخت أعليتهم، غاغطت ذلك أحوالهم، والثالث منه أمورهم». فلما قرأه قال: إن استحساني إليك يعني أن أمرت لجنه قبله بأعليتهم لسببة أخرى، وأنا على مجازاة الكتاب بما يستحقه من حل محله في صناعته. وفي رواية الأمون أمر لعمرو بن مسعدة برفق غاية أشهر وأه قال لأحمد بن يوسف: لله درهمو ما أبغته! ألا ترى إلى إحسانه المسافة في الأخبار، وإخفائه سلطاناً من الاكثار.

وكان عمرو بن مسعدة وكنيته أبو الفضل أبيض أحر الوجه، وكان الأمون يسميه الروي لياض وجهه وكان يخطب وتوفى بإذنة سنة سبع عشرة ومائتين. ولم تصرف منشاء وعرفه وأساتيده وظاية ما عرفاه أنه كان أحد إخوة أربعة أحسن أبويهم — وكان كاتباً أيضاً — تربيتهم كل الإحسان حتى جاءت من أحدهم هذه البلاغة النادرة التي كان من أثرها أن أصبح شعر الأمون، وكان هو أبو عباد ثابت بن يحيى يكتبان بين يديه ويغسلوانه ويمازجاناه. ولكن يصل الرجل إلى هذا المقام مع مثل هذا الخليفة العظيم في كل شؤنه يجب أن يتطوى على صفات طالحة يمز عليها في الأقران والأتراب.

قال عمرو بن مسعدة: كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي فوضع اليه ظفاه ووقع يستزدينه في روايتهم فرى على ما قال: أجب عنها فكُتبت: «ظليل دأتم خير من كثير منقطع» فغضب بيده على نظري وقال: —

فهو كما كتب الحسن بن سهل إلى محمد بن سماعة القاضي وقد احتاج إلى رجل يؤثّر  
بعض الأعمال فقال: إنه يريد رجلاً جامعاً لخصال الخير، ذا عفة وتزاهة طمعة، قد هذبته  
الآداب، وأحكمه التجارب، ليس بظنين في رأيه، ولا بطمعون في حسبه إن أوتعن على  
الأسرار قام بها، وإن قلّد مهمّاً من الأمور أجزأ فيه، له سنٌّ مع أدب ولسان، تُعفده  
الزناة، ويسكته الحلم، قد فُرع عن ذكاه وفطنة، وعص على قارعة من الكال، تكفيه  
المخطة، وتُرشده السكنة، قد أبصر خدمة الملوك وأحكامها، وقام في أمور تُخمد فيها، له  
أناة الوزراء، وصولة الأمراء، وتواضع العلماء، وفهمُ الفقهاء، وجوابُ الحكماء، لا يبيع  
نصيب يومه بجرمان غده، يكاد يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه، وحسني بيانه، دلائل  
الفضل عليه لائحة، وأمارات العلم له شاهدة، مضطجلاً بما استنص، مستقيلاً بما حمل.

== أي وزير في جفك. وقد شهد لسمر بن سبعة بالبلاسة أعيان البيان في عصره وبهم الفضل بن سهل فقال فيه :  
إنه أبلغ الناس، ومن بلاغته أن كل أحد إذا سمع كلامه ظن أنه يكتب منه فإذا رآه بعد طيه . وهذا كما قيل لأحد  
البناء : ما جد البلاغة ؟ فقال : التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يقدر على مثلها ، فإذا رآها أصبحت عليه .  
ولم يؤثر عن عمرو أنه ألف في موضوع خاص وأفرد مسألة في التأليف ، وعده ابن النديم في الشراء الكتاب  
ولم يذكر إلا أن له ولأخيه بجاشع بحسين ورقة من الشعر وهي من البائع أيضاً . والغالب أن مهام العمالة  
لم تترك له وقتاً يصرفه في درس خاص ، أو وضع كتاب أو رسالة : وما تقتضيه العلم والأدب . من كلامه ،  
فهرما صدرت بالمناسبات ، ورواه له المصنوع ، وما أعظم المفقود منه . والمختون أن لو كانت جمعت  
له رسائله على إنجازها لكان منها ديوان كبير ، لأن من صرف أحوالاً طويلة وهو قابض على براعة يبالغ بها  
الموضوعات الباسية والادارية في ذلك المجتمع العظيم لا شك أنه يتجسس له صفحات كثيرة مهما كان مغلا  
معرفة بالإنجاز . ١٠ من محاضرة الأستاذ الباحث محمد كرد علي نشرها بمجلة المجمع العلمي العربي . وفي عمرو بن  
سبعة قال محمد البليق وقد احتل :

قالوا أير الفضل مثل قلقت لم \* قصي القعدة له من كل محاسن

يا ليت طه بي خير أرف له \* أير الطليل وإن خير ما أجور

وتجدر ترجمته في سبعم الأدياء لياتوت (ج ٦ ص ٨٨) وابن خلكان (ج ١ ص ٥٥٥) والواق بالوفيات  
الصفدي (ج ٥ ص ٥٠٢) قسم ثالث من الأصل المتحفوظ بدار الكتب المصرية) .  
(١) في الأساس : ومن الجياز ثلاث طيب الحسنة ونعيت الحسنة (بالكسر) وهي الجيزة التي هنا يرتق  
(بروز الحرة) . (٢) أجزأت كذا : كفاً . (٣) فرعن ذكاه، وطفة، أي جرب وباعبر  
فيها . (٤) وعص على قارعة، تخلفه عن بلوغه درجة الكال .



ومن كلام عمرو بن مسعدة :

أعظم الناس أجراً، وأنبههم ذكراً، مَنْ لم يَرَمَّ بموت المدل في دولته، وظهور الحق في سلطانه، وإيصال المنافع إلى رعيته في حياته، وأسعد الرعاة مَنْ دامت سعادة الحق في أيامه، وبعد وفاته واقرضه .

وقال : انلخط صُورُ الكُتُبِ تَرَدُّ إليها أرواحها .

وقال : انلخط صورة ضئيلة لها معانٍ جليلة، وربما ضاق عن العيون، وقد ملا أخطار التنون .

وقال : لا تستصحب مَنْ يكون استمتاعه بمالك وجليك، أكثر من إمتاعه بك إنسرك لسانه وفوائده عليه، وَمَنْ كانت غايته الاحتياال على مالك وإطرائك في وجهك، فإن هذا لا يكون إلا ردىء الغيب، سريعاً إلى القم .

وكتب إلى الحسن بن سهل :

أما بعد، فإنك مَنْ إذا غَرَسَ سَقِي، وإذا أَسَسَ بَنَى، لستَ تشيد أُسُيه، وبغني بِنَارِ غَرَسِه، وثأرك عندى قد شارف الدروس، وغرسك مُشِفٌ على اليوس، فتدرك بناء ما أَسَسْتَ، وسقى ما غَرَسْتَ إن شاء الله .

وكتب إلى بعض أصحابه في شخص يسر طيه :

أما بعد، فوصل كتابي إليك سالم والسلام . أراد قول الشاعر :

يُديروني عن سالم وأدبرهم • وجلة بين العين والأقف سالم

أى يحل منى هذا المحل .

وكتب إلى المأمون في رجل من بني ضبة يستشف له بالزيادة في منزله وجعل كتابه

تصريفاً :

أما بعد، فقد استشفع بي فلان يا أمير المؤمنين لتطوأك على، في إلحاقه بنقراؤه من الخاصة فيما يرزقون به، وأعلته أن أمير المؤمنين لم يحصلنى في مراتب المستشفعين، وفي ابتدائه بذلك تمدى طاعته والسلام .

فكتب إليه المأمون : "قد عرفنا توطئتك له ، وتمريضك لنفسك ، وأجبتك اليهما ، وواقفك عليهما" . وقوله : "إن أمير المؤمنين لم يحصل في مراتب المستشفين ، وفي ابتدائه بذلك تعدى طاعته" : من الكلام السرّي الذي يدل على مبلغ أدب عمرو وبُعدِ قُوّره في السياسة ووقوفه على رُوح عصره ونسيّة الخلفاء .

قَدِمَ رجل من أبناء دُعَايَيْن قُرَيْش ، على المأمون لِمَعْدَةِ سَلَفَتِ مِنْهُ ، فطال على الرجل انتظارُ خروج أمر المأمون ، فقال لعمرو بن مسعدة : "توصلني رُقعةً إلى أمير المؤمنين تكون أنت الذي تكتبها تكن لك على نعمتان . فكتب : "إِن رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يَفْلِكَ أَسْرَ عِيْدِهِ مِنْ رُقْعَةِ الْمُطَّلِ بِقَضَاءِ حَاجَتِهِ ، أَوْ يَلْذَنَ لَهُ بِالْإِنْصِرَافِ إِلَى بَلَدِهِ فَهَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ" .

فلما قرأ المأمون الرُقعة دعا عمراً بفعل يَسْجَبَ مِنْ حَسَنِ لَفْظِهَا ، وَإِيجَازِ الْمُرَادِ . فقال عمرو : لما نَجِجْتُمَا يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قال : الكتاب له في هذا الوقت بما وعدناه ، لئلا يتأثر فضلُ استصساننا كلامه ، وبِجَارَةِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، مِصْلَةً عَنْ دَعَاةِ الْمُطَّلِ . وَتَمَاجِةِ الْإِفْضَالِ .

وهذا مما يدل على سعة عقل المأمون وولوعه بالبلاغة وقدره أهلها حتى قدرهم ، دَحَ مَا هُنَاكَ مِنْ قِيسٍ مَا أَحْبَبْتَ إِلَّا الْجُودَ وَالْعَطَاءَ .

وَمِنْ حِكْمِ عَمْرُو بْنِ مَسْعَدَةَ :

العبودية عبودية الإساءة . لا عبودية الرّق . الودّ أعطف من الرّم . إن الكريم ليرعى من المعرفة ما رعى الوصل من القرابة . عليكم بالإخوان فإنهم زينة في الرضاء ، وُعدّةٌ للبلاد . مثل الإخوان مثل النار ، قليلها متاع ، وكثيرها بوار . النفس بالصدق ، أس منها بالعشيق ، وعرّز المودة ، أرزق من عزّز الصباية . من حقوق المودة ، عفو الإخوان ، والإغضاء عن قصصهم إن كان . ذكر رجل رجلاً فقال : حسبك أنه خلق كما تشبهى إخوانه . المودة قرابة

(١) الدهانين : الزعماء . أرباب الأملوك بالسواد ، وأخدم دهقان (بكر الدال مزب) .

مستغادة . ما تواصل اثنان فدام تواصلهما ، الا لفضلهما أو فضل أحدهما . أسرع الأشياء  
 اعتقلا مودة الأشرار . المحروم من حرم صالحى الإخوان . لقاء الخليل شفاء الفيل .  
 قلّة الزبارة ، أمان من اللّالة . إخوان السوء كشجر النار يحرق بعضه بعضا . علامة الصديق  
 اذا أراد القطيعة أن يؤخر الجواب ، ولا يتدبى بالكاتب . لا يُفسدك الظن على صديق  
 قد أصلحك اليقين له . من لم يُقدم الامتحان قبل الثقة ، والثقة قبل الأثر ، أثمرت مودته  
 ندما . اذا قدمت الحرمة ، تشبهت بالقرواية . العتاب حياة المودة . ظاهر العتاب خير من  
 باطن الحقد . ما أكثر من يأتب لطلب علة ، ويتق اللؤم ما يتق العتاب . تكون الحقد  
 فى القواد ككثون النار فى الزناد . القريب بيد بعداوتة ، والبعيد قريب بمودته . لا تأمن  
 عدوك وإن كان مقهورا ، واحذر وإن كان مفقودا ، فإن حد السيف فيه وإن كان مفقودا  
 لا تتعرض لمذوك فى دولته ، فإنها اذا زالت كفنت مؤنته . نصبح الصديق ناديب ، ونصبح  
 العدو تأيب .

روى البيهقي قال : أخبرنا بعض أصحابنا قال : شهدت المأمون يوما وقد نرج من  
 باب البستان بينداد فصاح به رجل بصري : يا أمير المؤمنين إني تزوجت امرأة من  
 آل زياد وإن أبا الرزائي فرق بيننا وقال : هي امرأة من قريش ؟ قال : فأمر عمرو بن  
 مسعدة فكتب الى أبي الرزائي :

إنه قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من الزيادة وخلفك إياها إذ كانت من قريش . فتي  
 تحاكت اليك العرب ؟ لا أم لك فى أنسابها ، ومتى وكلحك قريش يا ابن الفناء بأن تطيق  
 بها من ليس منها ؟ غفل بين الرجل وامرأته ، ففطن كان زياد من قريش ، إنه لأن سمية  
 بنتى عاهرة ، لا يختبر ، قرابتها ولا يتطاول بولادتها . ولئن كان ابن عبيد ، لقد باه بأمر  
 عظيم ، إذ أدعى الى غير أبيه ، لحظ تتجلبه ، ومليك قهره .

وأمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب لرجل به عناية الى بعض النبال فى قضاء  
 حقه ، وأن يختصر كتابه ما أمكنه ، حتى يكون ما يكتب به فى سطر واحد ، لا زيادة عليه .  
 فكتب عمرو :

كتابي إليك كلابٌ واتي بن كتبك إليه ، متى بن كتيب له ، ولني يصيح بين الثقة  
والثانية حامله .

وكتب الى بعض الرؤساء ، وقد تزوجت أمه فسامه ذلك ، فلما قرأها ذلك الرئيس  
أسل بها ، ونهب عنه ما كان يحمله . وقيل : إن هذه الرسالة من إنشاء ابن العميد وهي :  
الحمد لله الذي كشف عنا ستر الحيرة ، وهدانا لستر العورة . وجدع بما شرع من  
الحلال أنف الثيرة ، ومنع من عضل الأمهات ، كما منع من وأد البنات ، استزالا للنفس  
الآتية ، عن الحية حية الجاهلية ، ثم عرض بلزبل الأجر ، من استسلم لواقع قضائه ،  
وعوض جليل الذخر من صبر على نازل بلائه ، وهتاك الذي شرح للتقوى صدرك ، ووسع  
في البلوى صبرك ، وألمعك من التسليم لمشيئته ، وإرضا بقضيته ، ما وقفك له من قضاء  
الواجب في أحد أبوتك ، ومن عظم حقه طليك ، وجعل الله تعالى جثمه ما تجزعه من  
أنف ، وكظلمته من أسف ، مملودا فيما يُعظم به أجرك ، ويجزل عليه ذُكرك ، وقرن  
بالحاضر من امتناضك بفعلها ، المُتَظَر من ارتناضك بذفنها ، تستوفي بها المصيبة ، وتستكمل  
عنها المثوبة ، فوصل الله لسيدى ما استشعره من الصبر على عُرسها ، بما يكتسبه من الصبر  
على قسما ، وعوضه من أسرة فرشا ، أعواد نعشا ، وجعل تعالى جثمه ما ينعم به عليه بعدما  
من نعمة ، معرى من قمة ، وما يوليه بعد قبضها من منحة ، مبرا من محنة ، فأحكام  
الله تعالى لجثمه ، وتقدست أسمائه ، جارية على غير مُراد المخلوقين ، لكنه تعالى يختار لعباده  
المؤمنين ما هو خير لهم في الساجدة ، وأبقى لهم في الآجلة ، اختار الله لك في قبضها إليه ،  
وقُدومها عليه ، ما هو أنفع لها ، وأولى بها ، وجعل الثبر ، كقودا لها والسلام .

وقال عبد العزيز بن يحيى المكي الذي ناظر بشر بن غياث المريسي بحضرة أمير المؤمنين  
في مسألة خلق القرآن :

جاءني خليفة عمرو بن مسعدة ومعه جمع من الفرسان والرجال فسلمني مكرما على دابته  
حتى صار الى باب أمير المؤمنين فأوقفني حتى جاء عمرو بن مسعدة فدخل مجلسي فحجرتي

التي كان يجلس فيها ثم أذن لي بالدخول عليه فدخلت فلما صرت بين يديه اجلسني ثم قال لي : أنت مقيم على ما كنت عليه أو قد رجعت عنه ؟ قلت : بل مقيم على ما كنت وقد ازدادت بتوفيق الله تعالى إياي بصيرة في أمري ، فقال لي عمرو بن مسعدة : أيها الرجل ، قد حملت همك على أمر عظيم ، وبلغت النهاية في مكروها ، وتعرضت لمسا لا تقوم لك به في مخالفة أمير المؤمنين ، وأدعيت بما لا يثبت لك به حجة على مخالفتك ، ولا لأحد غيرك ، وليس ورايك بعد النجاة عليك إلا السيف ، فانظر لنفسك وبادر أمرك ، قبل أن تجع المناظرة وتظهر عليك الهزيمة ، فلا تنفك الندامة ولا يقبل منك معذرة ولا يقال لك عثرة ، فقد رحمتك واشفقت عليك مما هو نازل بك ، وأنا أستقبل لك أمير المؤمنين وأسأله الصنيع عن جرمك ، وعظيم ما كان منك إذا أظهرت الرجوع عنه والندم على ما كان ، وأخذك الأمان منه والجائزة ، فإن كانت لك ظلامة أزلتها عنك وإن كانت لك حاجة قضيتها لك ، فإنما جلست رحمة لك مما هو نازل بك بعد ساعة إن أقمت على ما أنت عليه ورجوت أن يخلصك الله تعالى على يد من عظيم ما أوقعت نفسك فيه .

### شعره :

قلنا أمثلة قليلة من شعر عمرو بن مسعدة ، أما شعره فقليل جدا . ذكر المترجمون له أنه كان له فرس آدم أغر ، لم يكن لاحد مثله فراحته وحسنا . فبلغ المأمون خبره ، وبلغ عمرو ابن مسعدة ذلك . تخاف أن يامر بقتله إليه فلا يكون له فيه محبة ، فوجه به إليه هدية وكتب معه :

يا إماما لا يسدا • نيه إذا عد إمام  
فضل الناس كما يف • خيل قصصنا تمام  
قد بعثنا يحموا • مثله ليس يرأ  
فرس يتهي به له • حن سرج ولبام  
دونه الخيل كما م • لك في الفضل الأمام

وجْههُ صُبْحٌ وَلَكِنْ • سَاوَرِ الْجِسْمَ ظِلَامُ  
وَالَّذِي يَصْلُحُ لَو • لَى عَلَى الْعَبْدِ حَرَامُ

وعمره هو القتال :

وَمُسْتَعِيبٌ لِلْهَجْرِ وَالْوَصْلِ أَعْدَبُ • أَكَاثِمُهُ حُسْبَى فِتْنَى وَأَقْرَبُ  
إِذَا جَدْتُ نَى بِالرَّضَا جَادَ بِالْجَلْفَا • وَيَزِمُ أَنَّى مُنِيبٌ وَهَوَا ذَنْبُ  
تَمَلَّسْتُ الْوَانَ الرِّضَا خَوْفَ هَجْرِهِ • وَعَلِمَهُ حُسْبَى لَهُ كَيْفَ يَنْقُضُ  
وَلَى غَيْرُ وَجْهِهِ قَدْ عَرَفْتُ طَرِيقَهُ • وَلَكِنْ بَلَا قَلْبِي إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ

ورَقَّعَ مَرَّةً فِي ظَهْرِ رُقْعَةٍ لِرَبِيلَ :

أَعِزَّزْتُ عَلَى بَأْسِي أَنْتَ طَالِبُهُ • لَمْ يُبَيِّنْ التَّجْعُ فِيهِ وَأَهْضَى أَمَلُهُ

ولعمرو بن مسعدة حكايات منها ما حكاه القاضي التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة :  
قال عمرو بن مسعدة : كنت مع المأمون عند قدومه من بلاد الروم حتى إذا نزلت الرقعة  
قال : يا عمرو، ما ترى الرَّجِيحِيَّ قد احتوى على الأهواز، وهي سلة الخير وجميع المال قبلة  
وطمع فيها، وكُتِبَتْ متصلةً بجملها، وهو يتعلل ويربص في الدوائر؟ فقلت : أنا أكنى  
أمير المؤمنين هذا، وأخذ من يضطره إلى حمل ما عليه، فقال : ما يخفى هذا، قلت :  
فيأمر أمير المؤمنين بأمره، فقال : فأنرج إليه بنفسك حتى تُصَفِّدَ بالحديد، فتحملة إلى  
بغداد وتقبض على جميع ما في يده من أموالنا، وتظر في أعمالنا وترتب لها عمالاً، قلت :  
السمع والطاعة، فلما كان في غد دخلت عليه فقال : ما فعلت فيما أمرتك به ؟ قلت :  
أنا على ذلك، قال : أتريد أن نجيه في غد مؤدماً؟ قلت : السمع والطاعة، فلما كان  
في غد جئته مؤدماً، فقال : أريد أن تحلف لي أنك لا تعيم ببغداد إلا يوماً واحداً،  
فاضطربت من ذلك إلى أن حَضَنِي وَأَسْتَحْفِنِي إِلَّا أَقِمَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فغَرِجْتُ

حتى قمتُ بتدليد ، فلم أقم بها إلا ثلاثة أيام وأخمدتُ في زلالي أريد البصرة وجعل لي في الزلالي خيش واستكثرتُ من الطلح لشدة الحر .

فلما صرتُ بين جُرَيْان وجبل سمعتُ صوتاً من الشاطئ يصيح : يا ملاح ، فرصتُ عَيْفَ الزَّلالي وأنا بشيخ كبير السن جالس حابر الرأس حافي القدمين خالق القصيص ، قلت للفلام : أجبه ، فأجابه ، قال : يا غلام ، أنا شيخ كبير السن على هذه الصورة التي ترى ، وقد أحرقني الشمس وكادتُ لتلغني ، وأريد جبل ، فأحملوني معكم فان الله يحسن أجر صاحبكم ، قال : فنتشه الملاح وأنتهه ، فأدركني رقةٌ عليه وقلتُ : خذوه معنا ، فقدمنا الشطَّ ومضنا به وحملناه ، فلما صار معنا في الزلالي وأخذنا نتقدم فندفعتُ إليه قبضا وميتدلا وغسل وجهه واستراح وكأنه كان ميتا وعاد الى الدنيا فحضر وقتُ الغذاء وتقدمت وقلتُ للفلام : هاته يا كلِّ معنا ، فجاء وقعد على الطعام ، فأكل أكل أديب نظيف فبر أن الجوع أثر فيه ، فلما رُفِعتُ المسائدة أردتُ أن يقوم ويفسل يده ناحية كما فعل العامة في مجالس الخاصة فلم يفعل ، فسلتُ يدي وتذممتُ أن أمر بقيامه ، فقلتُ : قدّموا له الطشت ففسل يده ، وأردتُ بمدحها أن يقوم لأثام فلم يفعل ، فقلتُ : يا شيخ ، أي شيء صناعتك؟ قال : سائك أصلحك الله ، فقلتُ في نفسي : هذه الحياكة علمته سوء الأدب ، فتاورمتُ عليه ومددتُ رجلي فقال : قد سائني عن صناعتي وأنت أعزك الله ما صناعتك؟ فأكبرتُ ذلك وقلت : أنا جئتُ على قمى هذه الجناية ولا بد من احتالها ، أتراه الأحق لا يرى زلالي وفلساني ونعمتي وأن مثلي لا يقال له هذا ! فقلتُ : كلب ، فقال : كاتب كلل أم كاتب ناقص فإن الكتاب خمسة ، فأيهم أنت ؟ فورد على قول الحائك موردا عظيما وسمعتُ كلاما أكبرته وكنت متكا فقلت ، ثم قلت : فصل الخمسة قال :

نعم ، كاتبُ نراج يحتاج أن يكون عالما بالشروط والطسوت والحساب والمساحة والبيقوق والفتسوق والرتوق . وكاتبُ أحكام يحتاج أن يكون عالما بالحلل والحرام

(١) في النقد العزبي : « دفين ديمرقل معنى العائول » .

والاحتجاج والإجاع والأصول والفروع . وكاتبٌ مَعُونَةٌ يحتاج أن يكون عالماً بالقصاص والحدود والجراحات والمواثبات والسياسات . وكاتبٌ جَيْشٍ يحتاج أن يكون عالماً بجُلِّ الرجال وشيآت الدوابِّ ومُدَاراةِ الأولياء وشيئا من العلم بالنسب والحساب . وكاتبٌ رسائل يحتاج أن يكون عالماً بالصدور والفصول والإطالة والإيجاز وحُسْنِ البلاغة والخط ، قال : فقلت : إني كاتبٌ رسائل ، قال : فأسألك عن بعضها ، قلت : قل ، فقال لي :

أصلحك الله ، لو أنَّ رجلا من إخوانك تزوج أمك فأردت أن تكتبه مهتتا فكيف كنت تكتبه ؟ فكركتُ في الحال فلم يخطر ببالى شيء ، فقلتُ : ما أرى للتهتة وجهها ، قال : فكيف تكتب إليه تمزيه فكركتُ فلم يخطر ببالى شيء ، فقلت : اصفني ، قال : قد فعلت ، ولكك لست بكاتبٌ رسائل ، قلت : أنا كاتبٌ نراج ، قال : لا بأس ، لو أنَّ أمير المؤمنين ولأك ناحية وأمرك فيها بالعدل والإنصاف وتضى حاجة السلطان فينظّم اليك بعضهم من مسأحيك وأحضرتهم للنظر بينهم وبين رعيتك ، خلف المسأح بالله العظيم لقد أنصفوا وما ظلموا ، وحلفتُ الرعية بالله إنهم لقد جاروا وظالموا ، وقالت الرعية : قف مما حل ما مسحوه وأنظر من الصادق بين الكاذب ، فخرجتُ لثقف عليه ، فوقفوا على براح شكّله قاتل قتا ، كيف كنتَ تمسحه ؟ قلت : كنت أخذ طولَه على أمرأجه وعرضه ثم أضربه في مثله ، قال : إنَّ شكل قاتل قتا أن يكون زاويتاه محدودتين وفي تحديده تقويس ، قلت : فأخذ الوَسَطَ فأضربه في العَرْض ، قال : إذا يثنى عليك العمود ، فأسكنني ، فقلت : ولستُ كاتبٌ نراج ، قال : فلماذا ما أنت ؟ قلت : أنا كاتبٌ قاض ، قال : أرايتَ لو أنَّ رجلا توفى وخلف امرأتين حاملتين أحدهما حُرّةً والأخرى سَرِيّةً ، فولدت السرية غلاما والحرة جارية ، فصلدت الحرة الى ولد السرية فأخذته ، وتركزت بلله الجارية فأنجصها في ذلك ، فكيف الحكم بينهما ؟ قلتُ : لا أدري ، قال : فلست بكاتب قاض ، قلتُ : فانا كاتبٌ جيش ، قال : لا بأس ، أرايتَ لو أنَّ رجلين جاما اليك تُطعِمهما وكل واحد منهما اسمه وأسم أبيه كاسم الآخر إلا أنَّ أحدهما مشقوقُ الشفة العليا ، والآخر مشقوقُ



الشفة السفلى؟ كيف كنت تحملهما، قال: قلت: فلان الأظف وفلان الأظف، قال: إن رزقهما مختلفان وكل واحد منهما يحيى في دعوة الآخر، قلت: لا أدري، قال: فلست بكتاب جيش، قلت: أنا كاتب مأمونة، قال: لا تبالي، لو أن رجلين رُفعا اليك قد فتح أحدهما الآخر شجة موصحة<sup>(١)</sup>، وفتح الآخر شجة مأمونة، كيف كنت تحصل بينهما؟ قلت: لا أدري، قال: لست إذا كاتب مأمونة، اطلب لنفسك أيها الرجل شغلا غير هذا، قال: فصبرت إلى نفسي وظاظني، فقلت: قد سألت عن هذه الأمور ويعجز ألا يكون عنك جوابها كما لم يكن عندي، فإن كنت عالما بالجواب فقل، فقال:

نعم، أما الذي تزوج أمك فتكتب إليه: أما بعد، فإن الأمور تجري من عند الله بغير حجة عباده ولا اختيارهم، بل هو تعالى يختار لم ما أحب، وقد بلغني تزويج الوالدة خرافة لك في قبضها، وإن القبور أكرم الأزواج وأسر العيوب والسلام.

وأما براغ قاتل قتا فتسمح العمود حتى إذا صار علدا في يدك ضربته في مثله ومثل ثلته فما خرج فهو المساحة.

وأما الجارية والغلام فيوزن لبن الاثنين، فأيهما كان أخف فالجارية له.

وأما الجنديان المتفقا الأسمين، فإن كان الشق في الشفة العليا قبل فلان الأعلم، وإذا كان في الشفة السفلى قلت فلان الأظف.

وأما صاحب الشجنتين فلصاحب الموصحة ثلث الدية، ولصاحب المأمونة نصف الدية، فلما أجلب بهذه المسائل تعجبت منه وامتنعته بأشياء كثيرة غيرها فوجدته ماهرا في جميعها حللقا بلقا، فقلت: ألت زعمت أنك حائك، قال: أنا أصلحك الله حائك كلام ولست بحائك تساجع، وأنشأ يقول:

ما مرَّ يؤس ولا نسيم • إلا ولي فيهما نصيب  
ففقت حلوا وذقت مرًا • كذلك جيش النقي ضروب  
نوابئ النهر أدبني • وإنما يوصط الأدب

(١) الموصحة: الشجة التي تبلى رشح النعام.

قلتُ : فإلذى بك من سوء الحال ؟ قال : أنا رجلٌ كاتبٌ دامت عُنُطِي ، وكَثُرَتْ عَيْتِي ، وتواصلتْ مِحْنِي ، وتَلَّتْ جِلْيِي ، تَفَرَّجْتُ أَطْلُبُ نَصْرًا فَقُطِعَ عَلَيَّ الطَّرِيقُ فَصَرْتُ كَمَا تَرَى ، فثَبِيتُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَمَّا لَاحَ لِيَ الزُّلَالَى اسْتَفْتَيْتُ بِكَ ، قلتُ : إني قد نَجِحتُ إِلَى مُتَصَرِّفٍ جَلِيلٍ أحتاجُ فِيهِ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْكَ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمَنْطَةِ حَسَنَةٍ تُصَلِّحُ لِمَنْتَظَمٍ وَخَمْسَةَ آلَافٍ دَرَاهِمٍ تُصَلِّحُ بِهَا أَمْرَكَ ، وَتُنْفِذُ مِنْهَا إِلَى عِيَالِكَ ، وَتُقَوِّى نَفْسَكَ بِبَاقِهَا ، وَتَصِيرُ مِثْلِي إِلَى عَمَلٍ فَأَوَّلُكَ أَجَلُهُ ، قَالَ : أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ إِذَا تَجِدُنِي بِمِثِّ أَسْرَكَ ، وَلَا أَهْوَأُ مِنْ مَقَامٍ مَعْدُورٍ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأَمَرْتُ بِنَقِيضِهِ مَا رَسَمْتُ لَهُ قَبِيضَهُ ، وَانْحَدَرْتُ إِلَى الْأَهْوَازِ مَعِي ، بِمَنْطَةِ الْمُنَاطَرِ لِلرَّحْمَى وَالْحَاسِبِ لَهُ بِمَضْرُوقٍ ، وَالْمُسْتَخْرَجِ لِيَا طَبِيعِهِ ، فقام بذلك أَحْسَنُ قِيَامٍ وَعَظُمَتْ حَالُهُ مَعِي ، وَعَادَتْ نِعْمَتُهُ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ .

وفى عمرو بن مسعدة يقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي :

أَعِنِّي عَلَى بَارِقِ نَاضِبٍ \* خَفِيَّ كَوَحْيِكَ بِالْحَاجِبِ  
كَأَنَّ تَأَقُّقَهُ فِي السَّمَاءِ \* يَدَا كَاتِبٍ أَوْ يَدَا حَاصِبِ  
فَرَوَى مَنَازِلَ تَذَكُّرُهَا \* يُبَيِّجُ مِنْ شَوْقِكَ الْغَالِبِ  
غَرِيبٌ يَحْمِلُ لَأُوطَانِهِ \* وَيَتَكِي عَلَى عَصْرِهِ الْفَاهِبِ  
كَفَاكَ أَبُو الْفَضْلِ عَمْرُو النَّدَى \* مَطَالِمَةَ الْأَسَلِ الْكَانِبِ  
وَصَدَّقَ الرِّجَاءَ وَحَسُنَ الْوَفَاءُ \* لِعَمْرُو بْنِ مَسْعَدَةَ الْكَاتِبِ  
مَرِيضُ الْفَنَاءِ طَوِيلُ الْبِنَاءِ \* فِي الْمِزِّ وَالشَّرَفِ الشَّاقِبِ  
بَنَى الْمَلِكُ طَوِيلُهُ لَهُ يَتْنُهُ \* وَأَهْلُ الْخِلَافَةِ مِنْ غَالِبِ  
هُوَ الْمَرْغِيُّ لَصُرُوفِ الزَّمَانِ \* وَسُتَمَّ الرَّاغِبِ الرَّاهِبِ  
جَوَادٌ بِمَا مَلَكَتْ كَفُّهُ \* عَلَى الضَّيْفِ وَالْجَارِ وَالصَّاحِبِ  
بَادِمٌ الرُّكَّابِ وَوَشْيُ الثِّبَا \* بِبِطْنِ الْغُرْفِ وَالطُّفْلِ الْكَامِبِ  
وَمَنْ لَهُ لِحَامُ الْأُمُورِ \* وَزَجْرُهُ لِقَلِيلِ الْكَارِبِ

حَصِبُ الْجَنَابِ مَطِيرُ السَّحَابِ • بِشِيمَتِهِ لَيْزُ الْجَنَابِ  
 يَرَوِي الْقَتَا مِنْ نَحْوِ الْعِدَا • وَيُزِيلُ فِي الْجُودِ كَلَامُ  
 إِلَيْكَ تَبَلَّتْ بِأَكْوَارِهَا • حِرَاجِيحُ فِي مَهْمَةٍ لَاحِبِ  
 كَأَنَّ نَعَامًا تَبَارَى بِنَا • بِوَابِلٍ مِنْ بَرْدٍ عَاصِبِ  
 يَرِدُّ نَدَى حَقِّكَ الْمُزْجَى • وَيَقْضِي مِنْ حَقِّكَ الْوَاجِبِ  
 وَقَدْ مَا أَنْتَ مِنْ غَابِرِ • بِسَجَلٍ لِقُورٍ وَمِنْ غَارِبِ  
 قَسْنَى الْعِدَا بِكُزُوسِ الرَّدَى • وَتَسْقِي مَسْطَلَةَ الطَّالِبِ  
 وَحُكْمَ رَاغِبٍ نَشَهُ بِالْعَطَا • وَكَمْ تَلَتْ بِالْمُطْلَفِ مِنْ هَارِبِ  
 وَتِلْكَ الْخِلَاقُ أُحْيِيَتْهَا • وَفَضْلُ مِنَ الْمَنَاعِ الْوَاجِبِ  
 كَتَبْتَ الثَّنَاءَ وَكَبُّ التَّنَا • أَفْضَلُ مَعْصِيَةِ الْكَاسِبِ  
 يَقِينُكَ يَحُلُو سِتُورَ الدُّجَى • وَطَنُكَ يُخَمِّرُ بِالْفَانِبِ

## رسائل الجاحظ

### رسائله في بني أمية

قال أبو عثان عمرو بن بحر الجاحظ : <sup>(١)</sup> أحال الله بقاءك ، وأتم نعمته عليك ، وكرامته لك . أعلم أرشد الله أمرك ، أن هذه الأمة قد صارت بعد إسلامها ، وانحروج من جاهليتها ، الى طبقات متفاوتة ، ومنازل مختلفة : فالطبقة الأولى عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، وست سنين من خلافة عثمان رضي الله عنه ، كانوا على التوحيد الصحيح ، والإخلاص المحض ، مع الألفة واجتماع الصلّة على الكتاب والسنة ، وليس هناك عمل قبيح ، ولا بدعة فاحشة ، ولا تزج يد من طاعة ، ولا حسد ولا غل ولا تآكل ، حتى كان الذي كان : من قتل عثمان ، رضي الله عنه ، وما أتتلك منه ، ومن خطبهم أيامه بالسلاح ، وبعج بطنه بالحرب ، وقرى أوداجه بالمشاقص ، وشذخ

(١) هو إمام الأدب أبو عثان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكوفي البصري صاحب الصانيف النعمة والرسائل المبينة . وقد تقدم الكلام عليه في المجلد الأول من هذا الكتاب (ص ٤٤١) .

وله حوالي سنة ١٦٠ هـ بمدينة البصرة وثناً بها تناول كل فن . ومارس كل علم عرف في زمانه مما وضع في الاسلام أو قل عن الأمم الأوائل فأصبح له مشاركة في كل ما يقع عليه الحس أو يختر بالبال فهو رارية . متكلم . فيلسوف . كاتب . مصنف . مترسل . شاعر . مؤرخ . عالم بالحيران والنبات والحوادث . ووصاف لأحوال الناس ووجوه سائهم واضطرابهم وأحلامهم وسيلهم إلا أنه غلب عليه أمران : الكلام على طريقة المعتزلة فهو بذلك إمام الطائفة الجاحظية من المعتزلة والأدب المزوج بالفلسفة والتكافة فهو أول من ألف الكتب الجاساة لقنونه كتأليف البيان والتبيين وتكباب الحيوان وغيرها .

وكان غاية في الفكاة ودفعة الحس وحسن القراءة إلى دعاية فائقة ، وقلة اعداداد بما يأخذ به الناس انقسم ويضطرونه من الرسوم والعادات وأقروا الصبية القديسة وعدم ميلاده بوقوع المتروكين فيه . وكان صمما جوادا كثير المواساة لإنشوانه وكان على دماثة خلقه وتناقض خلقه غفيف الروح ، فكه المجلس ، غاية في القوف وطلب التكافة وحلاوة الكلام وهو على الجملة أحد أفاضل العالم وأحد جميع اللسان العربي . توفي سنة ٢٥٥ هـ ببغداد بمقبرة الهيزران . ونجد ترجمته في سبعم الأدباء لياقوت (ج ٦ ص ٥٦ — ٨٠) وابن خلكان (ج ١ ص ٥٥٢) .

(٢) في الأصل : « المختص » .

حامته بالعمد، مع كفه عن البسط، ونفيه عن الامتناع، مع تعريفه لم قبل ذلك : من كم وجه يجوز قتل من شهد الشهادة، وصلى القبلة، وأكل الذبيحة، ومع ضرب نسائه بحضرة، وإلحاق الرجال على حرمة، مع انقاء آثله بنت الفرافصة عنه بيدها، حتى ألتوا<sup>(١)</sup> أصبيين من أصابعها، وقد كشفت عن قناعها، ورفضت عن ذيلها ليكون ذلك إذا ما لم، وكاسرا من غريهم ؛ مع وطئهم في أضلاعه بعد موته، وإلقائهم على المزيعة جسده جودا بعد صبه، وهي الجزرة التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفنا لبناته وأياماده وحقا له . بعد السب والتعطيش والحصر الشديد، والمنع من القوت، مع احتجابه طيهم وإلغائهم لم، ومع اجتماعهم على آفة دم الفاسق حرام، كدم المؤمن ، إلا من ارتد بعد إسلام ، أوزنى بعد إحصان ، أو قتل مؤمنا على محمد ، أو رجل منا على الناس بسيفه فكان في أمتناهم منه عطية، ومع اجتماعهم على ألا يقتل من هذه الأمة ، ولا يجهز منها على حريق ، ثم مع ذلك كله ذمروا عليه وعلى أزواجه وحريمه وهو جالس في محرابه ومصحفه يلوح في حجره، لن يرى أثا مؤحنا يقيم على قتل من كان في مثل صفته وساله .

لأجرهم لقد احتلوا به دما لا تطير رغوته، ولا تسكن فورته، ولا يموت تأثره، ولا يكمل طأله، وكيف يضيع الله دم وليه، والمتقم له، وما سمعنا بدم بعد دم يحيى بن زكريا عليهما السلام، فلا غناؤه، وقيل سلخه، وأدرك طائفته، وبلغ كل محبته، كدمه رحمة الله عليه .

ولقد كان لم في أخذه، وفي إقامته للناس، والاقتصاص منه، وفي بيع ما ظهر من رباعه، وحدائقه، وسائر أمواله، وفي حبه بما بقي عليه، وفي كمره حتى لا يحس، بذكره، ما يقتضيه عن قتله إن كان قد ركب كل ما فنفوه به، وأدعوه عليه، وهذا كله بحضرة جلالة المهاجرين والسلف المقربين، والأوصياء والتابعين .

(١) قال في شرح القاموس : كل ما في الحرب من هذا الاسم «فرافصة» فهو بضم الفاء، فرافصة (أ) فافعة فهو بالفتح لا بغير . (٢) ألتوا : قتلوا . (٣) حتى بعضهم بضمها طه متدين .

ولكن الناس كانوا على طبقات غفصة، ومراتب متباينة : من قاتل ومن شاذل عضده، ومن خائف عن نصرته، والهاجر ناصريارادته، ومطيع بحسن نيته، وأتم الشك متأفيه، وفي خائفه، ومن أراد عزله والاستبدال به؛ فأما قاتله، والمعين على دمه، والمريد لذلك منه، فضلال لاشك فيهم، ومراق لا استزاء في حكمهم؛ على أن هذا لم يعد منهم الفجور : أما على سوء تأويل، وإثنا على تعمد للشقاء، ثم ما زالت الفتن متصلة، والحروب مترادفة، كحرب الجبل، وكوقائع صفين، وكيوم النهروان، وقبل ذلك يوم الزابوقة<sup>(١)</sup>، وفيه أسرا بن حنيف، وقتل حكيم بن جبلة، إلى أن قتل أشقاها علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فأسعده الله بالشهادة، وأوجب لقاتله النار واللعة؛ إلى أن كان من اعتقال الحسن عليه السلام الحروب وتخلّيته الأمور، عند انتار أصحابه، وما رأى من انحلال في عسكره، وما عرف من اختلافهم على أبيه، وكثرة تلونهم عليه؛ فعندما استوى معاوية على الملك، واستبدت على بقية الثوري، وعلى جماعة المسلمين، من الأنصار والمهاجرين، في العام الذي ستموه عام الجماعة، وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الذي عمّلت فيه الإمامة ملكا كسرويا، والخلافة نصبا قيصريا، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق. ثم ما زالت معاصيه من جنس ماحكينا، وعلى منازل مارتنا، حتى رد قضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ردا مكشوبا، وحمد حكمة بجندا ظاهرا، في ولد الفيراش وما يجب للظاهر، مع اجتناع الأمة أن تسميه لم تكن لأبي سفيان فراشا، وأنه إنما كان بها عامرا. فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار، وليس قتل مجبر بن عدي، وإطعام عمرو بن العاص خراج مصر، وبيعة يزيد الخليل، والاستئثار بالقي، واختيار الأولاة على الهوى، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة، من جنس يحمد الأحكام المنصوصة، والشرائع المشهورة، والسّنن المنصوبة، وسواء في باب ما يستحق من الكفار يحمد الكتاب، ورد السنة إذا كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره، إلا أن أحدهما

(١) الزابوقة : موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجبل أول النهار .

أعظم، وعقاب الآخرة عليه أشد، فهذه أول كفرة، كانت من الأمة، ثم لم تكن إلا فمين  
يَدْعِي إمامتها، والخلافة عليها، على أن كثيرا من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره،  
وقد أَرَبَتْ عليهم نابتة عصرنا، ومبتدعة دهرنا، فقالت: لا تَسْبُوهُ، فإِنَّ لَهُ مَحَبَّةً، وَسَبَّ  
معاوية بدعة، وَمَنْ يَنْفِضْهُ فَقَدْ خَالَفَ السَّنةَ، فزعمت أن من السنة ترك البراءة، ممن  
جحد السنة؟ ثم الذي كان مِنْ يَزِيدَ آئِنَهُ، وَمِنْ عَمَّالِهِ، وَأَهْلِ نُصْرَتِهِ، ثُمَّ خَزَوْمَكَا، وَرَى  
الكعبة، واستباحة المدينة، وقتل الحسين عليه السلام، في أكثر أهل بيته، مصابيح  
الظلام، وأوتاد الإسلام، بعد الذي أعطى من نفسه، من خريق أتباعه، والرجوع إلى  
داره وسرته، أو اللُهاب في الأرض، حتى لا يُحَسَّ به أو المُلْقام حيث أُمِرَ به، فأبوا إلا  
قتله، والتمزق على حكمهم، وسواء قتل نفسه بيده، أو أسلمها إلى عدوه، وخير فيها مَنْ  
لا يَجِدُ ظِلَّهُ إِلَّا بِشَرْبِ دَمِهِ، فَاحْسُبُوا قَتْلَهُ لَيْسَ بِكُفْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْمَدِينَةِ، وَهَكَذَا الْحُرْمَةُ،  
لَيْسَ بِمَحَبَّةٍ، كَيْفَ يَقُولُونَ فِي رُمَى الْكُعبَةِ، وَهَدَمِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَقَبْلَةِ الْمَسْلَمِينَ؟ فَإِنْ قُتِمَ  
لَيْسَ ذَلِكَ أَرَادُوا بَلْ إِنَّمَا أَرَادُوا الْمُتَحَوِّزَ بِهِ، وَالْمُحَصَّنَ بِحِيطَانِهِ، أَفَأَكَانَ فِي حَقِّ الْبَيْتِ وَحُرْمَتِهِ  
أَنْ يَحْصُرُوهُ فِيهِ، إِلَى أَنْ يُعْلَى بِيَدِهِ! وَأَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ مِنْ رَجُلٍ، قَدْ أَخَذَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ  
إِلَّا مَوْضِعَ قَدَمِهِ! وَاحْسُبُوا مَا رَوَّاهُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَشْعَارِ، الَّتِي قَوْلُهَا شَرَكٌ، وَالتَّمَتُّلُ بِهَا كُفْرٌ،  
شَيْئًا مَصْنُوعًا، كَيْفَ تَصْنَعُ بِنَقَرِ الْفُضْيَبِ بَيْنَ شَيْئَتَيِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، وَحَمَلِ بَنَاتِ  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَوَاسِرَ عَلَى الْأَقْتَابِ الْعَارِيَةِ، وَالْإِزِيلِ الصَّمْبِ، وَالْكَشَفِ  
عَنْ عَوْرَةِ بَنِ الْحُسَيْنِ عِنْدَ الشُّكِّ فِي بُلُوغِهِ! عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ وَجَدُوهُ، وَقَدْ أَنْتَبَ قَتْلُوهُ  
وَأَنْ لَمْ يَكُنْ أَنْتَبَ حَمْلُوهُ، كَمَا يَصْنَعُ أَمِيرُ جَيْشِ الْمَسْلَمِينَ، بِزَارَى الْمَشْرِكِينَ، وَكَيْفَ  
تَقُولُ فِي قَوْلِ صَيِّدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ لِإِخْوَتِهِ وَخَاصَّتِهِ، دَعَوْنِي أَقْتُلْهُ، فَإِنَّهُ بَقِيَّةُ هَذَا الْفَسْلِ،  
فَأَحْسِبْ بِهِ هَذَا الْقَرْنَ، وَأَمِيتْ بِهِ هَذَا الدَّاءَ، وَأَقْطَعْ بِهِ هَذِهِ الْمَادَّةَ!

خبرونا علام تُمَلِّ هذه القسوة، وهذه النالطة! بعد أن شَفَوْا أَنْفُسَهُمْ بِقَتْلِهِمْ، وَآلَا  
مَا أَحْبَبُوا قَتْلَهُمْ، أَتَمَلَّ عَلَى نَصَبِ، وَسَوْءِ رَأْيٍ وَحَقْدٍ، وَبُغْضَاءٍ وَهَاقٍ، وَعَلَى بَقِيَّةٍ مَدْخُولِ

وإيمانٍ مخروج ! أم تدلّ على الإخلاص ، وعلى حبّ النبي صلى الله عليه وسلم ، والحفظ له ، وعلى برامة الساحة ومحبة السرية ! فإنّ كان على ما وصفنا لا يسدو التسبُّق والضلال ، وذلك أدنى منازل ، فالناسق ملعون ، ومن نهي عن نهى الملعون فلعون .

وزعمت ثابتة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا ، أنّ سبّ ولادة السوء قنينة ، ولعن الجورة بدعة ، وإنّ كانوا يأخذون السيّ السيّ ، والوليّ بالوليّ ، والقريب بالقريب ، وأخافوا الأولياء ، وأمنوا الأعداء ، وحكوا بالشفاعة والهوى ، وإظهار الفدوق التهاون بالأمة ، والقمع للزوجة ، وأنهم في غير مداراة ولا خيعة ، وإنّ عنا ذلك إلى الكفر ، وجاوز الضلال إلى الجحْد ، فذاك أضلّ ممن كفّ عن شتمهم ، والبرامة منهم ، على أنّه ليس من استحقّ اسم الكفر بالقتل كن استحقّه برّة السنة وهدم الكعبة ، وليس من استحقّ اسم الكفر بذلك كن شبه الله بخلقه ، وليس من استحقّ الكفر بالشبه كن استحقّه بالتجوير ، والثابتة في هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه ، وابن زياد وأبيه ، ولو ثبت أيضا على يزيد أنّه تمثل بقول بن الزبير :

لَيْتَ أَشْيَانِي بِيَدِ شَهِيدٍ • جَزَعَ الخُرَجُ مِنْ وَجْهِ الأَسَلِ  
لَا سِطَارُوا وَاسْتَهَلُّوا قَرَمًا • ثُمَّ قَالُوا يَا زَيْدُ لَا تَسَلْ  
قَدْ قَتَلْنَا النَّوَّ مِنْ سَادَاتِهِمْ • وَعَدَلْنَاهُ بِبَدْرِ فَاحْتَدَلْ

كان تجويز الباقي لربه ، وتشبيهه بخلقه ، أعظم من ذلك وأضلع ، على أنهم يجمعون على أنّه ملعون من قتل مؤمنا ، متعمدا أو متأولا ؛ فإذا كان القاتل سلطانا جائرا ، أو أميرا طامعا ، لم يستعملوا سبّه ، ولا خلمه ، ولا فیه ، ولا عيبه ، وإنّ أخاف الصلحاء ، وقتل الفقهاء ، وأباج الفقير ، وظلم الضعيف ، وعطل الحدود والتفويض ، وشرب الخمر ، وأظهر الفجور ، ثم ما زال الناس يتسكعون مرة ، ويداهنونهم مرة ، ويقاربونهم مرة ، ويشاركونهم مرة إلا بقية ممن عصمه الله تعالى ذكره ، حتى قام عبد الملك بن مروان ، وابنه الوليد ،



وطعنهما الجهاج بن يوسف ، ومولاه يزيد بن أبي مُسلمٍ ، فأعادوا على البيت بالهدم ، وعلى حرم المدينة بالقتل ، فهدموا الكعبة ، واستباحوا الحُرمة ، وحولوا قبلة واسطً ، وأتروا صلاة الجمعة ، إلى مُقَرَّبِ بَنِ الشَّمْسِ ، فإن قال رجل لأحدهم : اتق الله فقد أُنْزِلَتْ الصلاة عن وقتها ، قتلَه على هذا القول جهارا غير خَئِلٍ ، وعَلَانِيَةً غير سرٍّ ، ولا يَسْمُ القتل على ذلك إلَّا أَمَحَ من إنكاره ، فكيف يكفر العبد بئس ولا يكفر بأعظم منه !

وقد كان بعض الصالحين ربما وعظ الجبابة ، وخوفهم العواقب ، وأراهم أنَّ في الناس قَبِيَّةً يَهْتَوُونَ عن الفساد في الأرض ، حتى قام عبد الملك بن مروان ، والجهاج بن يوسف ، فزجرا عن ذلك ، وطافا عليه ، وقتلا فيه ، فصاروا لا يَتَقَاوُونَ عن منكر فعلوه ، فاحسب نحويل القبلة كان غلطا ، وهدم البيت كان تأويلا ، واحسب ما رَوَوْا من كُلِّ وجه ، أَنَّهُمْ كانوا يزعمون أنَّ خليفة المرء في أهله <sup>(١)</sup> أرفعُ عنده من رسوله إليهم ، باطلاً ومسموما مولداً ، واحسب وسَمَ أيدي المسلمين ونَقَشَ أيدي المسلمين ، وردَّهم بعد الهجرة إلى قُرَاهِم ، وقتل الفقهاء ، وسب أئمة الهدى ، والنَّصَبَ لِعِتْرَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يكون كفرا ، كيف تحول في جمع ثلاث صلوات فيهنَّ الجمعة ، ولا يُصَلُّونَ أَوْلَاهُنَّ ، حتى تصير الشمس على أعلى الجُدُرَانِ ، كَلَمَلَاءِ الْمُعْتَصِرِ ، فإن تطلق مسلمٌ خُيَطٌ بالسيف ، وأخذته العمد ، وشك بالزجاج ، وإن قال قائل : اتق الله أخذته العِزَّةُ بالإثم ، ثم لم يَرْضَ إلا بتر دِمَاعِهِ على صدره ، وبصلِّه حيث تراه عِيَالُهُ ، وبما يدلُّ على أنَّ القوم لم يكونوا إلا في طريق التمرُّد على الله عز وجل ، والاستخفاف بالدين ، والتهاون بالمسلمين ، والابتذال لأهل الحق ، أَكُلَّ أُمُرَائِهِمُ الْعُلَامَ ، وشربهم الشراب على منابرهم أَيَّامَ جُمُعِهِمْ وِجُوعِهِمْ ، فَمَلَّ ذلك حَيْشَ بن دُبَلَّةَ ، وطارق مولى عِيَانِ ، والجهاج بن يوسف ، وغيرهم ، وذلك إنَّ كان كفرا كله فلم يسلب كفر ثابتة

(١) يشير بذلك إلى ما ورد عن الجهاج أنه قال في كلام له : ويحكم أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله إليهم ، يريد بذلك تفضيل مقام الخلافة على مقام الرسالة ويمل هذا رأى الجهاج بالكفر وقد قصد ابن عبدويه في العقد الفريد تضليلا فزم أن الجهاج كان كافرا وأبجح العقد الفريد ج ٣ ص ٢٣

(٢) في الأصل : « حسن » وهو خطأ والصواب ما أتبعناه كما في شرح القاموس والطبري .

عصرنا، وروافض دهرنا، لأت جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك. كان اختلاف الناس في التقدير على أت طائفة تقول كل شيء بقضاء وقدر، وتقول طائفة أخرى كل شيء بقضاء وقدر إلا المسمى، ولم يكن أحد يقول إن الله يمتدب الأبناء ليبيظ الآباء، وإن الكفر والإيمان مخلوقان في الإنسان، مثل العمى والبصر، وكانت طائفة منهم تقول إن الله يرى، لا يزيد على ذلك، فإن خافت أن يُظن بها التشبيه قالت برى بلا كيف تتحرزا من التجسيم والتصوير، حتى نبئت هذه الثابتة، وتكلمت هذه الراضية، فقالت جسيما، وجعلت له صورة وحدا، وأكفرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير، ثم زعم أكثرهم أن كلام الله حسن وبين وحجة وبرهان، وأن التوراة غير الزبور، والزيور غير الانجيل، والانجيل غير القرآن، والبقرة غير آل عمران؛ وأن الله تولى تأليفه، وجعله برهانه على صدق رسوله، وأنه لو شاء أن يزيد فيه زاد، ولو شاء أن ينقص منه نقص، ولو شاء أن يبدله بقله، ولو شاء أن ينسخه كله بشيء نسخه؛ وأنه أنزله تنزيلا، وأنه فصله فصيلا، وأنه بالله كان دون غيره، ولا يقدر عليه إلا هو، غير أن الله مع ذلك كله لم يخلق به فأعطوا جميع صفات الخلق، ومنعوا اسم الخلق.

والمعجب أن الخلق عند العرب إنما هو التقدير نفسه، فلما قالوا: خلق كذا وكذا، ولذلك قال: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾. وقال: ﴿وَتَحْفُوتُونَ إِنْكَارًا﴾ وقال: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الْعِلَيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ فقالوا: صنعه وجعله وقدره، وأزله وفصله وأحدثه، ومنعوا خلقه، وليس ما قبل خلقه أكثر من قدره، ولو قالوا بدل قولهم: قدره ولم يخلق خلقه ولم يقدره ما كانت المسألة عليهم إلا من وجه واحد، والمعجب أن الذي منعه بزعمه أن يزعم أنه مخلوق، أنه لم يسمع ذلك من خلقه، وهو يعلم أنه لم يسمع أيضا من خلقه أنه ليس بمخلوق، وليس ذلك منهم، ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عنهم على مثل خروج الصوت من الحروف، وعلى جهة تقطيع الحروف، وإعمال اللسان والشفنتين، وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام، ولما كان عندهم على غير هذه الصفة،

وَكَلَامًا غَيْرَ خَالِقِينَ ، وَجِبَ أَنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِكَلَامِهِ غَيْرَ خَالِقٍ ، إِذْ كَلَّمَ غَيْرَ خَالِقِينَ  
لِكَلَامَتِهِ ، فَأَنَّى قَالُوا ذَلِكَ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَخْلُقُوا كَلَامَهُ وَكَلَامَهُ قَرَفًا ، وَإِنْ لَمْ يَقْرَأُوا بِذَلِكَ  
بِالْحَقِّ فَذَلِكَ مَتَاهُمْ وَقَصْدُهُمْ .

وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ لَا تَجَاوِزُ مَعَاصِيهَا الْإِيمَ وَالْفَضْلَ ، إِلَّا مَا حَكَيْتُ لَكَ عَنْ بَنِي أُحِيَّةَ ،  
وَبَنِي مَرْوَانَ ، وَعَمَّالَهُمْ ، وَمَنْ لَمْ يَدْنِ بِإِكْفَارِهِمْ حَتَّى تَحْتِ التَّوَابِ ، وَابْتَعَتْهَا هَذِهِ الْعَوَامُ ،  
فَصَارَ الْغَالِبُ عَلَى هَذَا التَّرْنِ الْكَفَرُ ، وَهُوَ التَّشْبِيهُ وَالْجَبَرُ ، فَصَارَ كُفْرُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ كُفْرِ مَنْ  
مَضَى فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ الْفُسْقُ ، وَشُرَكَاءُ مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بِتَوَلِّيهِمْ ، وَتَرَكُوا كُفْرَهُمْ ، قَالَ  
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ .

وَأَرَجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ أَغَاثَ الْمُحَقِّقِينَ ، وَرَحِمَهُمْ وَقَوَّى ضَمْعَهُمْ ، وَكَثَّرَ قَلْبَهُمْ ، حَتَّى  
صَارَ رُؤَاةُ أَمْرِنَا فِي هَذَا الدَّهْرِ الصَّعْبِ وَالزَّمَنِ الْفَاسِدِ أَشَدَّ اسْتِصْوَارًا فِي التَّشْبِيهِ مِنْ  
عَلَيَّتِنَا ، وَأَعْلَمَ بِمَا يَلْزَمُ فِيهِ مَنَّا ، وَأَكْشَفَ الْفِتْنَةَ مِنْ رُؤُسَانَا ، وَصَارَ قَرَفَا النَّاسِ وَقَدْ اسْتَظْلَمُوا  
مَعَانِ الْقِسَادِ أَجْمَعِ ، وَبَلَّغُوا غَايَاتِ الْبِدْعِ ، ثُمَّ قَرَفُوا بِذَلِكَ الْمَصِيبَةِ الَّتِي هَلَكَ بِهَا عَالَمٌ بَعْدَ  
عَالَمٍ ، وَالْجَلْبَةِ الَّتِي لَا تُشْفَى إِلَّا أَفْسَدَتْهُ ، وَلَا دُنْيَا إِلَّا أَهْلَكَتْهَا ، وَهُوَ مَا صَارَتْ إِلَيْهِ الْجَمْعُ  
مِنْ مَذْهَبِ الشُّعُوبِيَّةِ ، وَمَا قَدْ صَارَ إِلَيْهِ الْمَوَالِي مِنَ الْقَفْرِ عَلَى الْجَمْعِ وَالْعَرَبِ ، وَقَدْ نَبَتَتْ  
مِنْ الْمَوَالِي نَاجَةٌ ، وَنَبَتَتْ مِنْهُمْ نَابِتَةٌ ، تَزِيحُ أَنَّ الْمَوْلَى يُولَاهُ قَدْ صَارَ عَرَبِيًّا ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ » وَلِقَوْلِهِ : « الْوَلَاءُ لِحِمَّةٍ كَلْعَمَةِ النَّسَبِ لَا يُبَاعُ  
وَلَا يُوهَبُ » .

قُلْتُ : فَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الْجَمْعَ حِينَ كَانَ فِيهِمْ الْمُلْكُ وَالنِّيَّةُ كَانُوا أَشْرَفَ مِنَ الْعَرَبِ ،  
وَلَمَّا حَوَّلَ ذَلِكَ إِلَى الْعَرَبِ صَارَتْ الْعَرَبُ أَشْرَفَ مِنْهُمْ ، قَالُوا : فَتَمَّ مَعَاشَرَةُ الْمَوَالِي  
بَعْدِيَّتَنَا فِي الْجَمْعِ أَشْرَفَ مِنَ الْعَرَبِ ، وَبِالْحَالِثِ الَّذِي صَارَ لَنَا فِي الْعَرَبِ أَشْرَفَ مِنَ الْجَمْعِ ،  
وَالْعَرَبِ الْقَدِيمِ دُونَ الْحَالِثِ ، وَلَمَّا خَصَّيْنِي جَمِيعًا وَافْتَرَاكَ فِينَا ، وَصَاحِبَ الْخَصْلَتَيْنِ  
(١) نَكَحًا فِي الْأَصْلِ ، وَلَقَدْ : وَمَا رَأَى عَرَفَةَ ابْنَهُ . (٢) مَا نَ بَنَعَ الْمِ وَالْبَيْنِ : الْمَاءُ وَالْمَرْزَلُ .

أفضل من صاحب الخصلة ، وقد جعل الله المولى بعد أن كان عجمياً عربياً بولائه كما جعل حليف قُرَيْش من العرب قرشياً بخلقه ، وجعل اسماعيل بعد أن كان أعجمياً عربياً ولولا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن اسماعيل كان عربياً » ما كان عندنا آل أعجميا لآل الأعجمي لا يصير عربياً ، كما أن العربي لا يصير أعجمياً ، فإنما علينا أن اسماعيل صيره الله عربياً بعد أن كان أعجمياً ، بقول النبي صلى الله عليه وسلم ، فكذلك حكم قوله « مولى القوم منهم » وقوله : « والولاء لجمعة » . قالوا : وقد جعل الله إبراهيم عليه السلام أباً لمن لم يلد ، كما جعله أباً لمن ولد ، وجعل أزواج النبي أمهات المؤمنين ، ولم يلدن منهم أحدا ، وجعل الجار والله مرب لم يلد في قول غير هذا كثير قد أتينا عليه في موضعه ، وليس ادعى إلى الفساد ، ولا أجلب للشر من المفارقة ، وليس على ظهرها إلا غفور (الآليل) وأى شيء أعظم من أن يكون عبدك يزعم أنه أشرف منك ، وهو مؤثر أنه صار شرفاً يستحق إياه . وقد كتبت - مد الله في عمرك - كتاباً في مناقرة الخطان ، وفي تفضيل عدنان ، وفي رد الموالى إلى مكائهم من الفضل والنقص ، وإلى قدر ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من الشرف ، وأرجو أن يكون عدلاً بينهم ، وداعية إلى صلاحهم ، ومنتبهة عليهم ولهم ، وقد أردت أن أرسل بالجزء الأول إليك ثم رأيت ألا يكون إلا بعد استئذانك ، واستئذانك ، والانتباه في ذلك إلى رغبتك ، فأراك في موقف إن شاء الله عز وجل وبه الثقة .

وكتب إلى بعض إخوانه في ذم الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظك الله حفظ من وقته للفتاة ، واستعمله بالطاعة ؛ كتبت إليك وسألى حال من كنت غمومه ، وأشككت عليه أموره ، وأشتبه عليه حال دهره ، ومخرج أمره ، وقيل عنده من يتق بوقاته ، أو يمد مغبة إخوانه ، لاستحالة زميلنا ، وفساد إيماننا ، ودولة أئمتنا ؛ وقدما كان من قزم الحياة على نفسه ، وحكم الصدق في قوله ، وآثر الحق في أموره ، ونيز المشتبهات عليه من شؤونه ، تمت له السلامة ، وفاز بوقور حظ العافية ، وحصد مغبة مكروه

العاقبة ؛ فنظرت إذ حال عندنا حكمه ، ونحولت دولته ؛ فوجدنا الحياء متصلا بالحرمان  
والصدق آفة على المال ، والقصد في الطلب بترك استعمال النعمة ، وإخلاق المرض من  
طريق التوكل دليلا على عفاة الرأي ، إذ صارت الخطوة الباقية ، والنعمة السابقة ، في يوم  
المشيئة ، وساء الرزق من جهة عفاة الرضاء ، وملابسة معزة البار ؛ ثم نظرنا في تقب المتعقب  
لقولنا ، والكثير نجحتنا ؛ فائقنا له علما واحضا ، وشاهدنا قائما ، ومتارا بيننا ؛ إذ وجدنا من فيه  
السؤالية الواضحة ، والمتالب القاضية ، والكذب المبرج ، والتلف المصريح ، والجهالة المفرطة ،  
والركاكة المستحقة ، وضعف اليقين والاستبالت ، وسرعة الغضب والحرامه ، قد استكمل  
سروره ، وأعدت أموره ، وفاز بالسهم الأغلب ، والحظ الأوفر ، والقدر الرقيق ، والجواز  
الطامع ، والأمر النافذ ؛ إن زلَّ قيل حكم ، وإن أخطأ قيل أصاب ، وإن هذى في كلامه  
وهو يقظان قيل رؤيا صادقة من نسمة مباركة ؛ فهذه نجحتنا والله على من زَمَّ أن الجهول  
ينفِض ، وأن النوك يُردى ، وأن الكذب يضُر ، وأن الخلف يُزرى ؛ ثم نظرنا في الوفاء  
والأمانة والتبيل والبلاغة وحسن المذهب وكمال المروءة وسعة الصدر وقلة الغضب وكرم  
الطبيعة ، والفتاوى في سعة علمه ، والحكم على نفسه ، والتأليب لهواه ، فوجدنا فلان بن فلان ؛  
ثم وجدنا الزمان لم ينصفه من حقه ، ولا قام له بوطنانف قرضه ، ووجدنا فضائله القاعة له  
قاصدة به ؛ فهذا دليل أن السُّلَّاح أبدى من المصلح ، وأن الفضل قد مضى زمانه ،  
وعفت آثاره ، وصارت النائرة عليه كما كانت النائرة على ضربه ؛ ووجدنا العقل يشقى به  
قرينه ، كما أن الجهول والحق يحظى به خليفته ؛ ووجدنا الشعر ناطقا على الزمان ، ومُعربا عن  
الأيام حيث يقول :

تَمَاتَّقَ مع الحق إذا ما لَقِيتَهُم \* ولا قِيمَ بالجهل قبل أن يحلَّ الجهول  
وخلط إذا لاقيت يوما غلطًا \* يُخَلِّطُ في قول صحيح وفي هزل  
فإن رأيت المرء يشقى بقله \* كما كان قبل اليوم يسمد بالقل

فَقِيْتُ - إِبْرَاهِيمَ - مَثَلٌ مِنْ أَصْحَابِ عَلَى أَوْفَرَ، وَمِنْ الثَّغْلَةِ عَلَى جِهَازٍ، لَا يَسُوغُ لَهُ نَمَةٌ، وَلَا تَقْلَمُ عَنْهُ غَمَضَةٌ، فِي أَهْوَالٍ يَبْكُرُهُ مَكْرُوهُهَا، وَيُرَاحُهُ عَفَافُهَا، فَلَرَأَتْ الدَّمَاءَ أُجِيبَ، وَالتَّضَرُّعَ يُبْعِ، لَكَاتِ السَّيِّئَةِ الْعَظِيمِ، وَالرَّحْمَةَ الْكَبِيرِ؛ فَلَيْتَ أَيْ أَنَّى مَا اسْتَبَطَنَ مِنَ الثَّمَنَةِ، وَمِنْ بَحْأَةِ الصَّيْحَةِ، قُضِيَ خَلَّانٌ، وَأُذِّنَ بِهِ فَكَانَ؛ فَوَافَهُ مَا عُدَّتْ أُمَةٌ بِرَجْفَةٍ، وَلَا رِيحٍ وَلَا مَخْطَلَةٍ، عَذَابَ عَيْنِي بِرُؤْيَةِ الْمُتَابَعَةِ الْمُذْمَنَةِ، وَالْأَخْبَارِ الْمَهْلِكَةِ، كَانَتِ الزَّمَانُ بِوَكَلٍ بَسْطَايَ، أَوْ يُنْصَبُ بِأَيْمِي، فَمَا عَيْشُ مِنْ لَا يُسْرِبَاحَ شَفِيقٍ، وَلَا يَصْطَلِجُ فِي أَوَّلِ نَهَارِهِ، إِلَّا بِرُؤْيَةٍ مِنْ يَكْرَهُ، وَيُثَمُّهُ بَطْلَتُهُ؛ فَقَدْ طَالَتِ النَّمَةُ، وَوَاظَبَتِ الْكُرْبَةُ، وَادْلَمَّتِ الظُّلُمَةُ؛ وَتَمَدَّ السَّرَاجُ، وَتَبَاطَا الْأَصْرَاجُ .

### وصف الجاحظ لقريش وبني هاشم

قَدْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ كَرُمُ قُرَيْشٍ وَخَفَافُهَا، وَكَيْفَ عَقُولُهَا وَدَعَاؤُهَا؛ وَكَيْفَ رَأْيُهَا وَذِكَاؤُهَا، وَكَيْفَ سِيَاسَتُهَا وَتَدْبِيرُهَا؛ وَكَيْفَ لِمَازَاهَا وَتَحْسِيرُهَا، وَكَيْفَ رِجَاحَةُ أَحْلَامِهَا إِذَا خَفَّ الْحَلِيمُ، وَحِدَّةُ أَنْهَانِهَا إِذَا كَلَّ الْحَدِيدُ؛ وَكَيْفَ صَبْرُهَا عِنْدَ الْفَقَاءِ، وَثَبَاتُهَا فِي الْأَوْدَاءِ، وَكَيْفَ وَقَاؤُهَا إِذَا اسْتَحْصَنَ الْقَدَرُ؛ وَكَيْفَ جَوْدُهَا إِذَا حُبَّ الْمَالُ؛ وَكَيْفَ ذِكْرُهَا لِأَحَادِيثِ غَدٍ، وَقَلَّةُ صَدْرُهَا عَنْ جَهَةِ الْقَصْدِ؛ وَكَيْفَ إِقْرَارُهَا بِالْحَقِّ وَصَبْرُهَا عَلَيْهِ؛ وَكَيْفَ وَصْفُهَا لَهُ وَدُعَاؤُهَا إِلَيْهِ؛ وَكَيْفَ سَمَاحَةِ أَخْلَاقِهَا، وَصَوْنُهَا لِأَعْرَاقِهَا؛ وَكَيْفَ وَصُولُ قَدِيمَتِهِمْ بِمَجْدِهِمْ، وَطَرِيقَتِهِمْ بِتَلِيدِهِمْ؛ وَكَيْفَ أَشْبَهَ عِلَاقَتِهِمْ سُرْمَ، وَقَوْلَهُمْ قَسْلَهُمْ، وَهَلْ سَلَامَةُ صَدْرِ أَحَدِهِمْ إِلَّا عَلَى قَدْرِ جِدِّ غَدِيرِهِ، وَهَلْ غَفْلَتُهُ إِلَّا فِي وَزْنِ صِدْقِ ظَنِّهِ، وَهَلْ ظَنُّهُ إِلَّا كَيَقِينِ ضَمِيرِهِ .

## وكتب في الاعتذار :

أما بعد فبم البدل من الزلة الاعتذار، وبس العوض من التوبة الإصرار، وإن أحق من عطفك عليه بجلالك من لم يستشفع إليك بنورك، وإنى بمرقتى يبلغ حلمك وغاية صفوك، ضمنت لنفسى المغفر من زلتها عندك، وقد مسنى من الألم ما لم يشفيه غير مواسلتك .

وله في الاستعطاف :

ليس عندى أعزك الله سبب ولا أقدر على شفيع إلا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة والتأميل الذى لا يكون إلا من نتائج حسن الفطن وإثبات الفضل بحال المأمول وأرجو أن تكون من الشاكرين فتكون خير متب، وأكون أفضل شاكر، ولعل الله يجعل هذا الأمر سببا لهذا الإنعام، وهذا الإنعام سببا للإقضاع اليكم والكون تحت أجنتكم، فيكون لأعظم بركة، ولا أتى بقية من ذنب أصبحت فيه، وبمهلك — جعلت فداك — عاد الذنب وسيلة، والسيئة حسنة، ومهلك من أقلب به الشر خيرا والقوم غنا .

من عاقب فقد أخذ حظه، وإنما الأجر فى الآخرة، وطيب الذكر فى الدنيا، على قدر الاحتمال وتجمع المرائر وأرجو، ألا أضيع وأهلك فيما بين كرمك وعطفك، وما أكثر من يغفو عن صغر ذنبه وعظم حقه، وإنما الفضل والنماء المغفر عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة، وإن كان المغفر عظيما مستظرفا من غيركم فهو بلاذ فيكم، حتى ربما دما ذلك كثيرا من الناس إلى مخالفة أمركم، فلا أتم عن ذلك تتكلمون، ولا على سالف إحسانكم تتدبون، وما مثلكم إلا كمثل عيسى بن مريم عليه السلام حين كان لا يميز بلاء من بنى إسرائيل إلا أسموه شرا وأسمهم خيرا، فقال له تسمون الصفا : ما رأيت كاللوم كلما أسموكم شرا أسموهم خيرا فقال : كل أمرئ ينفق مما عنده وليس عندكم إلا الخير ولا فى أوسعكم إلا الرحمة " وكل إناء بالذى فيه ينضح " .

وله في دَم الحسد :

الحسد - أَيْلَهُ الله - دَاءٌ يَنْهَكُ الحسدَ ، علاجه عير وصاحبه عير وهو باب فامض ،  
وما ظهر منه فلا يُلَوَّى وما يَلَنُ منه قُدَاوِيهِ في عَنَاءٍ ، ولَقَدْ قال النبي صلى الله عليه وسلم  
« دَبَّ إِلَيْكَ دَاءُ الْأَمِّ مِنْ قَبْلِكَ : الحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ » . الحسد عَقِيدَةُ الكُفْرِ ، وحليف  
الباطل ، وضد الحق منه تُؤَلَّدُ المداوَةُ وهو سبب كُلِّ قُطِيعة ومُفَرِّق كلِّ جماعة ، وقاطع  
كل رِيح من الأَفْرِياء وتُحْلِلُ التَّفَرُّقَ بين القُرَآنِ ، ومُفْصِح الشَّرِّينَ الخُلَفاءِ .

دفاع الجاحظ عن مؤلفاته :

- وقد ذكر الجاحظ جُلَّ مؤلفاته في كتاب «الحيوان» ودافع عنها بعد أن وصفها فقال :  
جَنَّبَ الله الشَّبهة ، وعَصَمَكَ مِنَ الحِيَرَةِ وجعل بينك وبين المعرفة نَسْبا ، وبين الصدق  
سَبْبا ، وَجَبَّ إِلَيْكَ التَّنَبُّهُ ، وزَيْنٌ في عَيْتِكَ الإِنصاف ، وأَذَانُكَ حُلَاوةُ التَّقْوَى ، وأشعر  
قَلْبِكَ عِزَّ الحَقِّ ، وأودع صَدْرَكَ بَرْدَ اليقين ، وطرد عَنْكَ ذُلَّ الطمع ، وعَرَّفَكَ ما في الباطل  
من اللَّغْظَةِ ، وما في الجَهِلِ مِنَ التَّغْلِيَةِ ، وَلَعَمْرِي لقد كان غيرُ هذا الدماء أَصُوبَ في أَمْرِكَ ، وأدَلَّ  
على مِقْدَارِ وَزْنِكَ ، وعلى الحَالِ التي وَضَعْتَ فَمَكَ فيها ، ووسَّمتَ عِرْضَكَ بها ، ووَضِيَتْها  
لِدِينِكَ حَقًّا ، ولِرُؤُوسِكَ شُكْلا ؛ فقد اتَّهَى إِلَى مِلْكِكَ على أَيْدِي صَاحِقٍ ، وَحَمَلَكَ على « ، وطَمَعُكَ  
على مَعْبَدٍ ، وتَقَصَّبَكَ له في الَّذِي كان جَرَى بينهما في مَسَاوِي الدِيكِ ومَحاسِنِهِ ، وفي ذِكْرِ  
مَنَافِعِ الكَلْبِ وَمَضَاهِ ، وَالَّذِي خَرَجَا إِلَيْهِ مِنْ أَسْتِقْصَاءِ ذَلِكَ وَجَمْعِهِ ، وَمِنْ تَبَعِهِ وَنَظْمِهِ ،  
وَمِنْ المَوَازِنَةِ بينهما ، والحُكْمِ فَمَها .

ثم يَنْجُبِي بِكَلْبٍ حَيْسِلِ العَصُوصِ ، وَكَلْبٍ غَشَّ الصَّاعَاتِ ؛ وَعَبْتِي بِكَلْبٍ الْمَلْعِ  
وَالطُّسْرِفِ ، وما حَرَّ مِنَ النُّوادرِ وَبَرْدُ ، وعادَ بَارِدُهَا حَارًّا بِفِرطِ بَرْدِهِ ، حَتَّى أَمْتَعَ بِأَكْثَرِ مِنْ  
أَمْتَاعِ الْحَارِّ ؛ وَصَبْتِي بِكَلْبٍ أَجْتاجاتِ البُئْلاءِ ، وَمَنَاقِضَتِهِمُ لِلْمُصْطَهَةِ ، وَالْقَوْلِ مِنَ الْقُرُوقِينَ

(١) اعتدلت في تصحيح هذه الفصول على الأصل المتوفر في المخطوط بإدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٨٠  
آداب ، لأن النسخة المطبوعة من كتاب الحيوان بمطبعة السعادة بمصر في غاية التعريف وملاهي بالأحكام .



الصديق انما كان ضارا في العاجل ، والكذب انما كان نافعا في الآجل ، ولم جعلنا الصديق ابدا محمودا ، والكذب ابدا مذموما ، والفرق بين النيرة وإضاءة الحرمه ، وبين الإغتراف في الحية والأفعى ، وبين التقصير في حفظ حق الحرمه ، وقلة الأكرات بسوء العاقبة ؛ وهل النيرة أكسب وعادة ، وبعض ما يمرض من جهة الديانة وبعض التريث فيه والتحسن به ، أو يكون ذلك شيئا في طبع الحرية وحقيقة الجوهرية ، ما كانت العقول سليمة ، والأفكار متقية ، والأخلاق متبدلة ؛ وعينى بكلمة الصرخاء والمجتهاء ، ومفاتيح السودان والجمران ، والموازنة بين حق النور والعمومة ؛ وعينى بكلمة الزرع والنخل ، والزيتون والأعشاب ، وأقسام فضول الصناعات ، ومرايب التجارات ؛ وبكلمة فضل ما بين الرجال والنساء ، ومفروق ما بين الذكور والإناث ، وفي أى موضع يظن ويفضل ، وفي أى موضع يمكن المخلوقات والمفضولات ، ونصيب أيهما في الولد أوفر ، وفي أى موضع يكون حقهم أوجب ، وأى عمل هو بين الحق ، وأى صناعة من فيها ألمج ، وعينى بكلمة القحطانية وكلمة المغنانية في الرد على القحطانية ، وزعمت أني تجاوزت فيه حد الحية ، الى حد العصية ، وأنى لم أصل الى تفضيل المغنانية إلا بتقص القحطانية ؛ وعينى بكلمة العرب والموال ، وزعمت أني بحسب الموالى حقوقهم ، كما أنى أعطيت العرب ما ليس لهم ، وعينى بكلمة العرب والسجم ، وزعمت أن القول في فرق ما بين العرب والسجم هو القول في فرق ما بين الموالى والعرب ، ونسجت الى التكرار والترداد ، والى التكثير والجهل بما فى المعاد من التحلل ؛ وحمل الناس الموقن ؛ وعينى بكلمة الأصنام ، وبذكر احتمالات المحدثا ، وسهب عبادة العرب إلهها ، وكيف أخطأ في جهة الالهة مع اختطافها على حلة الديانة ، وكيف صار عبادة البهائم والمتسكون بعبادة الإلهة المنحوتة ، والأصنام المنجورة ، أشد الناس إلغا لما دللوا به ، وشعنا بما تبدوا له ، وأظهرهم جدا ، وأشدتهم على من ظالمهم خفنا ، وجعلنا حياة ونجيا ، وما الفرق بين البهائم والوثن ، وما الفرق بين الوثن والحسن ، وما الفرق

(١) البدة جمع بدة ، ويعرّف فيه الحسن أو الحسن قصة كاتال ابن حديد .

بين الدنية والبلقة ، ولم صُوروا في عماريهم وبيوت عباداتهم صُور عظامهم ورجال دعوتهم ، ولم تأقوا في التصوير ، وتجودوا في إقامة التركيب ، وبلغوا في التحسين والتفخيم ، وكيف كانت أولية تلك العبادات ، وكيف افرقت تلك النحل ، ومن أى شيء كانت خُذع تلك السدنة ، وكيف لم يزالوا أكثر الأصناف عددا ، وكيف شمل ذلك المذهب الأجناس المختلفة !

وعتق بكتاب المبادئ ، والقول في جواهر الأرض ، وفي اختلاف أجناس الفلز ، والإخبار عن ذائبا وجامدا ، وغلوها ومصنوعها ، وكيف يُسرع الانقلاب إلى بعضها ويُبطئ عن بعضها ، وكيف صار بعض الألوان يصبغ ولا ينصبغ ، وبعضها ينصبغ ولا يصبغ ، وبعضها يصبغ وينصبغ ، وما القول في الإكسير والتلطيف ، وعتق بكتاب فرق ما بين هاشم وعبد شمس ، وبكتاب فرق ما بين الجفر والإنس ، وفرق ما بين الملائكة والجن ، وكيف القول في معرفة المذهب وأستطاعة الفريت ، وفي الذي كان عنده علم من الكتاب ، وما ذلك العلم ، وما تأويل قولهم : كان عنده اسم الله الأعظم ، وعتق بكتاب الأوفاق والرباضات ، وما القول في الأرزاق والإنفاقات ، وكيف أسباب التثمين والترقيع وكيف تجتنب انتجار الحرقاء ، وكيف الاحتيال للودائع ، وكيف السبب إلى الوصايا ، وما الذي يوجب لهم التعديل ، ويصرف إليهم باب حسن الطن ، وكيف ذكرنا غش الصناعات والتجارات ، وكيف السبب إلى تصرف ما قد سرقوا ، وكشف ما موهوا ، وكيف باب الاحتراس منه والسلامة من أهله ! . وعتق رسائل ، وبكل ما كتبته إلى إخواني وخُطاتي من مترج وجدة ، ومن إفصاح وترريض ، ومن تنائيل وتوقيف ، ومن هجاء لا يزال وسمه بابقيا ، ومديح لا يزال أثره ناميا ، ومن ملح ، تُضحك ، ومواعظ تنكي ، وعتق رسائل الماشيات ، وأحجاسي فيها ، وأستقصاني معانيها ، وتصويري لها في أحسن صورة ، وإظهارى لها في أتم حلية ، وزعمت أني قد خرجت بذلك من حد المعتزلة إلى حد الزيدية ،

ومن حدّ الاعتدال في التشجّع والاقتصاد فيه الى حدّ الترف والإفراط فيه، وزعمت أن مقالة الزيدية خطبة مقالة الرفضية، ومقالة الرفضية خطبة مقالة النائية، وزعمت أن في أصل القضية، والذي جرت عليه المادة أنّ كلّ كبير فأوله صغير، وأن كلّ كبير فأولما هو قليل يجمع الى قليل، وأنشدت قول الرابع:

قد يلحق الصغير بالجيل • وإنما القرم من الأفيـل<sup>(١)</sup>  
• ويحقّ النمل من القـيل •

وأنشدت قول الشاعر:

رُبّ كبير ما به صغير • وفي البحور تفرق البحور  
وقلت وقال يزيد بن الحكم:

وأصلم بئى فاته • بالعلم يتقنع العليم  
إنّ الأمور دققها • مما يبيح له العظيم

وقلت وقال الآخر:

صار جئنا مأمّراً حتّ به • رُبّ جدّ ساقه اللـبّ

وأنشدت قول الآخر وهو عترة:

ما تنظرون ببق وردة فيكم • تُنقى الأمور ورفعه وردة عُيب  
قد يمتّ الأمر الكبير صغيره • حتى تقلّل له الدماء تصبّ

وقالت كهنّة بنت مديكرب:

جدّهم يبداه أنّف قومه • بئى ما زين أنّ سب راعي الخنزير

وقال الآخر:

أبّه فارقح القاصح • رأى جدّ بلغ المازح

(١) الأفيـل : صفر الإبل .

(٢) والصواب أن الجين لفظة دحمان جنة آيات في ديوانه .

وتقول العرب : « الصَّيَّ من الصَّيَّة ولا تَد الحَيَّة لِأَحْيَةٍ » ؛ وعبت كتابي في خَلْق القرآن ، كما عبت كتابي في الرِّد على المُشَبِّهة ؛ وعبت كتابي في أصول الفُتيا والأحكام ، كما عبت كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن ، وقريب تأليفه ، وبدع تركيبه ؛ وعبت مُعارضة الزُّيدية ، ونفضيل الاعتدال على كُلِّ بَحْلة ، كما عبت كتابي في الوعد والوعد ، وكتابي على النصارى واليهود ؛ ثم عبت بِحُلة كُتبي في المعرفة ، واقتست تهجينها بكلِّ جيلة ، وصغرت من شأنها ، وحطَّطت من قدرها ، واعتزضت على ناصيتها والمتعصين بها .

وعبت كتاب الجوابات وكتاب الرسائل ، وكتاب الرِّد على أصحاب الإلهام ، وكتاب النجاة في تثبيت بُيُوتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكتاب الأخبار ؛ ثم عبت كتابي إنكارى بِصِيَرَةِ غَنَائِمِ الْمُرْتَدِّ ، وبصيرة كُلِّ جاحد ومُلحد ، وغريق بين أمتام الفمور وبين استبصار الحق ؛ وعبت كتاب الرِّد على الجَهْمِيَّة في الإدراك ، وفي قولهم في الجهالات ، وكتاب الفرق ما بين النبي والمُتَّبِعِي ، والفرق بين الحليل والمُخَارِق ، وبين الحقائق الظاهرة والأعلام القاهرة ؛ ثم قصصت الى كتابي هذا بالتصغير لقدره ، والنهجين لنظمه ، والاعتراض على لفظه ، والتحقير لعمانيه <sup>(١)</sup> زَرَّيْتُ على نَحْسه وسبكه ، كما زَرَّيْتُ على معناه ولفظه ، ثم طعنت في النُرض الذي اليه تَزَعَا ، والغاية التي اليها أَجَرْنَا ، وهنا كتاب معناه أَنبه من أسمه ، وحقيقته أَنَّى من لفظه ، هو كتاب يحتاج اليه المتوسِّط العاني ، كما يحتاج اليه العالم الخامس ، ويحتاج اليه الرِّض ، كما يحتاج اليه الخلاق .

أما الرِّض فلنَعْلَم والأدربة ، وللترتيب والرياضة ، وللتمرين وتمكين العادة ، اذ كان جليله يتقدَّم بقيقه ، واذا كانت مُقَدِّماته حُرَّتية ، وطبقت معانيه مُتَرَلَّة ؛ وأما الخلاق فللكفاية المؤونة ، ولأنَّ كُلَّ مَنْ التفت كتابا جامعا ، وبابا من أمهات العلم مجموعا كان له غنمه ، وصل مُؤَلَّفَه غُرْمُه ، وكان له نغمه ، وعلى صاحبه كَنَمُه ، مع قُرْضِه لمطاعن البُعاة ، ولاعتراض

(١) الترمذية اللتين : من لم يجرب الأمور ، وبالجاهل الأبله .

(٢) أجرينا : تصدنا .

الماضين، ومع عرضة عقله المكشود على العقول الفارغة، وممانته على الجهاذة، وتحكيمه فيه المتأولين والحسنة، وبني ظفر بمنله صاحب علم، أو هيّم عليه طالب فقه، وهو وادغ وأفه، ونشيط جام، ومؤلفه مُتَعَب، مكشود، فقد كُفِيَ مؤونة جمعه، ونزته وتبعه، وطلبه، وأغناه ذلك عن طول التفكير، واستنفاد العمر، وقُلّ الحَذَر، وأدرك أقصى حاجته، وهو مُجْتَمِع القوة، وعلى أنه له عند ذلك أن يجعل هُيومه عليه ضرباً من التوفيق، وظفّره به باباً من التسديد .

(وهذا كتاب) تستوى فيه رغبة الأمم، ونشابه فيه العرب والعجم، لأنه وإن كان عربياً أصرياً، وإسلامياً جمعياً، فقد أخذ من طُرف الفلسفة، وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة، وأشرك بين علم الكتاب والسنة، وبين وجدان الحاسة وإحساس الضميرة، ويشبهه الفتيان كما يشبهه الشيوخ، ويشبهه الفاتك كما يشبهه الناسك، ويشبهه اللاعب ذو اللهو كما يشبهه الجدّى ذو الحزم، ويشبهه النُقل كما يشبهه الأديب، ويشبهه النهي كما يشبهه القطن، وعبّتي بحكاية قول العثمانية والضرارية وأنت تسمعتني أقول في أقل كتابي: وقالت العثمانية والضرارية، وكما سمعتني أقول: وقالت الراضية والزُّيدية، حكمت على بالنسب لحكايتي قول العثمانية، فهلاً حكمت على بالشيع لحكايتي قول الراضية، وهلاً كنتُ عندك من الغالية لحكايتي مُجِج الغالية، كما كنتُ عندك من الناصبة لحكايتي قول الناصبة، وقد حكيتنا في كتابنا قول الإباضية والشميرية، كما حكيتنا أقاويل الأزارقة والنجدية، وعلى هذه الأركان الأربعة بُنيت الخارجية، وكل أسم سواها فأنما هو فرع ونتيجة وأشفاق منها، وعمول عليها، فهلاً كما عندك من المحكّة الخارجية، كما صرنا عندك من الشرارية، والناصبة! وكيف رضيت بأن تكون الشيعة إلى أمراض الناس أسرع من المارقة! ألههم إلا أن تكون وجدت حكايتي عن العثمانية والضرارية أشجع وأجمع، وأتم وأحكم وأجود حسنة، وأبعد غاية، ورأيتني قد وَهَنْتُ حقّ أولائك بقدر ما قويتُ باطل أعدائك، ولو كان ذلك كذلك لكن شاهدك من الكتاب حاضراً، وبرهانك على ما أدعيت واضحاً .

وعبني بكتاب العباسية فهلا عيتي بحكاية مقالة من ادعى وجوب الإمامة ، ومن يرى  
الامتناع من طاعة الائمة الذين زعموا أن ترك الناس مدى بلا قيم أرد عليهم ، وهؤلاء بلا  
راج أريج لهم ، وأجدر أن يجمع لهم ذلك بين سلامة العاجل ، وغنيمة الآجل ، وأن تركهم  
تسرا لا نظام لهم أبداً لهم من المفاصد ، وأجمع لهم على المرشد! بل ليس ذلك بك ، ولكنه  
لما يترك ما سميت ، وملا صدرك الذي قرأت ، وأهلك وأبطرك فلم يبقه الحجة وهي  
لك معرضة ، ولم تعرف المقاتل وهي لك بادية ، ولم تعرف باب المخرج إذ جهلت باب  
المدخل ، ولم تعرف المصادر إذ جهلت الموارد ؛ ورأيت أن سب الأولياء أشقى لذلك ،  
وأبلغ في شفاء قفلك ؛ ورأيت أن إرسال اللسان أحضر لثة ، وأبعد من النصب ، ومن  
إطالة الفكرة ، ومن الاختلاف الى أرباب هذه الصناعة ؛ ولو كنت حين فطنت لمجزك  
وصلت قصبك بتمام غيرك ، وأستكفيت من هو موقوف على كفاية مثلك ، وحيس على  
تقويم أشباهك ، كان ذلك أزين في العاجل ، وأحق بالثبوت في الآجل ، وكنت إن  
أخطأتك النعمة لم تحطبك السلامة ، ولقد سلم عليك الخائف ، بقدر ما أبطل به منك  
الوافي ، وعلى أنه لم يثقل منك إلا بقدر ما أزمته من مؤونة تنيفك ، والتشاغل بتقويمك ؛  
وهل كنت في ذلك إلا كما قال العربي : • وهل يضر السحاب نبح الكلاب • ؟ وإلا  
كما قال الشاعر :

هل يضر البحر أمسى زائرا • أنب دمي فيه غلامٌ بمجر

وهل حالنا في ذلك إلا كما قال الأول :

ما ضر قنيلٍ وإبل أجهوتها • أم بليت حيث تتأطع البهران

وقال حسان :

ما أبلى أنب بالحزن تيس • أم لحاني بظهر غيب لئيم

وما أشك أنك قد جعلت طول إعراضنا عنك مطية لك ، ووجهت حيلنا عنك الى  
انطوف منك ، وقد قال زفر بن الحارث لبعض من لم يرحق الصفع بفصل المغو سببا  
الى سوء القول :

فَإِنْ مَدَّتْ وَاقَهُ الَّذِي فَوْقَ عَرْشِهِ • مَتَحْتُكَ مَسْئُونَ الْفَرَارِينَ أَرْزُقَا  
فَإِنَّ دَوَاءَ الْجَهْلِ أَنْ تُضْرَبَ الْعُلَى<sup>(١)</sup> • وَأَنْ يُمَسَّ الْمَرِيضُ حَتَّى يَمُوتَا

وقال الأول :

وَمَا نَحَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَافَهُمْ • كَكَيْلٍ وَلَيْسَ جَهْلًا يَجْهَلُ  
فَاقْسِ إِذَا حِيدُوا وَأَحْدَبْ إِذَا قَسُوا • وَوَارِزِ الشَّرِّ مِثْلًا يَمْتَلِ

وقال الآخر :

وَضَافَتِي دَوَائِيًا بِضَافَتِي • حَتَّى يَمُتَّ بِالْخُسُوفِ خُسُودًا  
وَأَيُّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي سِتَانٌ زُفَرَيْنِ الْحَارِثِ، وَلَا مُعَارَضَةٌ هَؤُلَاءِ : الشَّرُّ بِالْشَّرِّ،  
وَالْجَهْلُ بِالْجَهْلِ، وَلِلْقَدِّ بِالْقَدِّ، فَإِنْ عِنْدِي مَا قَالَ الْمَسْعُودِيُّ :

فَتَسَا تَرَابَ الْأَرْضِ مِنْهَا خُفَّتَا • وَفِيهَا الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْحَشِيرِ  
وَلَا تَسْجَا أَنْ تَزِيحَا قَسَلَا • فَمَا حُشِيَ الْأَقْوَامُ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ  
فَلَوْ شِئْتُ أَتَى فَيَكَا غَيْرُ وَاحِدٍ • طَلَانِي أَوْ قَالَ حَنْدِي فِي يَغْرِ  
فَلَنْ أَنَا لَمْ أَمْرٌ وَلَمْ أَنَا عَنْكَ • صَحِكَتْ لَهُ حَتَّى يَلِجَ وَيَسْتَشْرِى

وقال القمير بن توكب :

جَزَى اللَّهُ عَنِّي حَمَزَةً بَنَةً نَوْفَلٍ • جَزَاءَ مُفِيلٍ بِالْأَمَانَةِ كَاذِبٍ  
بِمَا خَبَرْتُ عَنِّي الْوُشَاةَ لِيَكْتُبُوا • عَلَى وَقَدْ أَوَّلَيْتُهَا فِي النَّوَائِبِ

يقول : أخرجت خبري ال من يشئى أن أطب عندها .

ولو شئت لأرضناك من القول بما هو أفتح أثرا، وأبقى وثما، وأصدق قولا، وأعدل  
شلهاء، وليس كل من ترك المعارضة فقد ضيع، كما أنه ليس كل من عارض فقد انتصر،

(١) العلى : الأمان .

(٢) المريض : الذى يمرض الناس بالشر .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى اللسان فى مادة يلج : تخاضعت حتى يلج ويستشري .

وقد قال الشاعر قولاً إن قيمته كقيمتنا مؤونة الحاضرة ، وكفيت نفسك أروم العار ، وهو قوله :

إِنْ كُنْتَ لَا تَرْهَبُ ذِمِّي لِمَا • تَتَرَفَّعُ مِنْ صَفْحِي عَنِ الْجَاهِلِ  
فَاخْشَ سَكُونِي إِذَا مُنِصَّتَا • فَبِكَ لِمَسْمُوعِ خَنَا الْقَائِلِ  
فَالسَامِعُ الذَّمُّ مُقَرَّرٌ بِهِ • كُلُّهُمْ الْمَاصِكُولُ لِلْأَكْلِ  
مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا • أَسْرَعُ مِنْ مُتَعَدِّ سَائِلِ  
وَمَنْ دَعَى النَّاسَ إِلَى ذَنْبِهِ • ذَنَبُوهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ  
فَلَا تَنْجُ إِنْ كُنْتَ ذَا إِذِيَةِ • حَرَّبَ أَيْ التَّجَرِبَةِ الْعَاقِلِ  
إِنَّ ذَا الْعَقْلِ إِذَا هَجَّتْ • هَجَّتْ بِهِ ذَا خَيْلِ خَابِلِ  
يُصْرَفُ فِي طَائِلِ شِدَائِهِ • عَلَيْكَ غِبُّ الضَّرْرِ الْآجِلِ

وقد يقال : إن العفو يُفسدُ من التَّيَمُّنِ بقدر إصلاحه من الكريم ، وقد قال الشاعر :

وَالْعَفْوُ عِنْدَ كَيْبِ الْقَتْلِ مَوْعِظَةٌ • وَبَعْضُهُ لِنَفْسِهِ الْقَوْمِ تَدْرِيبُ

فإن كآفة أسانا في هذا التمرجج والتوقيف ، فالذي لم يأخذ فينا بحكم القرآن ، ولا بأدب الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يفرغ إلى ما في الفطن الصحيحة ، أو إلى ما توجبُه المعاييسُ المطردة ، والأمثالُ المضروبة ، والأشعارُ السائرة ، أو إلى الإساءة ، وأحق باللائمة ، قال الله جلَّ شأؤه : ﴿ وَإِذْ أَرْسَلْنَا إِلَى آلِ ثَارٍ أَنْ يَكْفُرُوا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِمْ ﴾ وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : " لا تجني يمينك على شمالك " وهذا حكم الله جلَّ وعزَّ ، وآدابُ رسوله ، والذي أنزل به الكتاب ، ودلَّ عليه في صحيح القول .

أَخَذَ الْبَرِيءَ بِذَنْبِ الْمُنْتَبِ

ثم قال في أخذ البريء بذنب المنتب : فأما ما قالوا في المثل المضروب ، " زمتني بطيئاً وانسلت " . وأما قولُ الشعراء وذمُّ الخطباء لمن أخذ إنساناً بذنب غيره ، وما ضربوا في ذلك من الأمثال ، كقول النابغة حيث يقول في شعره :

وَكَلَّفَتْنِي ذَنْبَ أَمْرِئٍ وَتَرَكَهُ • كَلَّفَتْنِي الْعَرِيضُ غَيْرُهُ وَهُوَ رَاحُ



وكانوا إذا أصاب إليهم العُزُكُورُ السليم لينحب العُزُعُ من السقم فاسقموا الصحيح من غير أن يبرئوا السقم، وكانوا إذا كثرت إبلُ أحدهم فلبست الألف فقتلوا عينَ الفحل، فإن زادت الإبلُ على الألف قتلوا عينَ الأخرى، فذلك المُفَقُّ والمُعَمَّى اللذان سميتَ بهما قال الفرزدق :

غلبْتُكَ بالمفَقِّ والمُعَمَّى • وبيتَ المجتبي<sup>(١)</sup> والخالقاتِ

وكانوا يزعمون أن المُفَقَّ يطرُدُ عنها العينَ والسَّوْفَ والغارة فقال الأول :

فَقَاتُ مَا عَيْنَ الصَّحِيلِ تَمِيقًا • وفيهِ رَعْلَةُ المَسَامِيعِ والحَلَامِ  
الرَّعْلَةُ : التي تُسَقُّ أذنها وتتركُ مَدْلَةً لِكُرْمِهَا .

وكانوا يقولون في موضع الكفارة والأُمنية، كقول الرجل إذا بلغت إبلُ كذا وكذا، وكذلك غنمى ذبخت عند الأوثان كذا وكذا عتيرة، والعتيرة : من تُسَكِّ الرَّحِييَّةِ، والجمع حنائر، والعتائر من الشاة، فإذا بلغت إبلُ أحدهم أو غنمهُ ذلك العدد استعمل التأويلَ وقال : إنما قلتُ : إني أذبح كذا وكذا شاة، والقطباء : شاة، كما أتلفتم شاة، بفعل ذلك الغُربان كله بما يصيد من القطباء، فذلك يقول الحارث بن حِزَّةَ البَشَكْرِيُّ :

عَتَا بِأُحْلَا شَدُوخًا كَمَا تُمُ • تَرَعُنْ مَجْمَرَةَ الرِّيَاضِ الطَّبَاءِ

بعد أن قال :

أَمْ عَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةٍ أَنْ يَدُ • نَمُ غَازِيَسِمَ وَمَنَا الْجِسْرَةُ

وكانوا إذا أوردوا البقرَ ظم تشرب، إما لكثرة الماء وإما لقلة العطش، ضربوا الثَّوَرُ ليقضم الماء لأنَّ البقرَ تبعه كما تبع الثَّوَرُ الفحل، وكما تبع أثْنُ الوحشِ الجِسْرَ، فقال في ذلك عوف بن الحريرع :

تَمَّتْ طَيْفٌ جُهْلًا وَجُبْنَا • وَقَدْ خَالَيْتُهُمْ فَأَيُّوا خَلَايَ

يَهْوَى أَنْ هَجُوتُ جِبَالَ سَلَمَى • كَضْرِبِ الثَّوَرِ لِلْبَقْرِ الظَّيَا

(١) في اللسان مادة « قات » المعنى • (٢) كما في الأصل وفي السان « المجتبي »

بالحاء المهملة • (٣) السراف : مرض الإبل • (٤) كما في الأصل وفي اللسان مادة « تر » و« ظلا » .

وقال في ذلك أمس بن مُدْرِكَة في قتله سُلَيْك بن السُّلَكَة :

إني وقتلي سُلَيْكاً ثم أعفاهُ \* كالثور يضربُ لما عافيت البقرُ  
أعيت لمرءٍ إذ تُمتنى حيلتهُ \* وإذ يُسدُّ على وجعائها الثَّغْرُ<sup>(١)</sup>

وقال الهيثبان الفهمي :

كما ضُربَ اليسوبُ أن عاف باقرُ \* وما ذنبه أن عافت الماء باقرُ

ولما كان الثور أمير البقر، وهي تطعمه كطاعة إناث النمل لليسوب سماه بأمير

النمل .

وكانوا يزعمون أن الجن هي التي تصد التياران عن الماء حتى تُمتك البقر عن الشرب

حتى تهلك ؛ وقال في ذلك الأحمسي :

وإني وإن كلفتموني وريكم \* لأعلم من أمسى أحق وأحوباً

للكثور والجنى يضربُ ظهره \* وما ذنبه أن عافت الماء مشرباً

وما ذنبه أن عافت الماء باقرُ \* وما إن تعافى الماء إلا يُضرباً

كأنه قال : إذ كان يضربُ أبداً لأنها عافت الماء، فكانها إنما عافت الماء ليضربَ؛

وقال يحيى بن منصور النخل في ذلك :

للكثور والجنى يضرب وجهه \* وما ذنبه إن كانت الجن ظالمة

وقال نهشل بن جَرِي :

أنتزكُ عارضٌ وبنو عدي \* وتفسرُم دارمٌ وهم بُراءُ

كدأب الثور يضربُ بالمرأى \* إذا ما عافت البقر الظلَّ

وكيف تكلفُ الشعرى سبيلاً \* وبينهما الكواكبُ والسماءُ

(١) في اللسان : « غنبت » . (٢) في الأصل « وإن » والتصويب عن اللسان .

(٢) الغر : السرايق في مؤخر السرج .

وقال أبو ثورية بن حصين حين أخذ الحكم بن أيوب بذنب المطروق :

أبا يوسف لو كنت تعلم طاعتي • ونصحي إذا ما بعثني بالمحق

ولا ساق سراق المرافة صالح • نبي ولا كلفت ذنب المطروق

وقال خدش بن زهير حين أخذ بدماء بني عمار :

أكلف قتل معشر لست منهم • ولا دارهم دارى ولا نصرهم نصري

أكلف قتل العيص عيص شواحيط • وذلك امر لم تُشف له قلدري

وقال الآخر :

إذا عركت عجل بنا ذنب طيهر • عركنا بقم اللات ذنب بن عجل

ولما وجد اليهودي أبا حنيس الضبابي في منزله نخصاه قات، وأخذ حنيس بن عيس بجنابة اليهودي قال قيس بن زهير : أناخذنا بذنب غيرا، وتسالنا العقل، والقاتل يهودي من أهل يثما ؟ قال : والله لو قتله هيف الريح لودتجوه، فقال قيس لبي عيس : الموت في بني ديبان خير لكم من الحياة في بني عامر، ثم أمنا يقول :

أكلف ذا الخصىين إن كان ظالما • وإن كنت مظلوما وإن كنت شاطنا

خصاه أمرؤ من أهل يثما طالين • ولا يسدم الإنس والجن طابنا

فهللا بني ديبان أمك هابل • رهن يثف الريح إن كنت راهنا

إذا قلت قد أظت من شر حنيس • أثنى بأخرى شره متباطنا

فقد جلت أبادنا مجتوبكم • كما تجتوي سوقي العضاء الكرازنا

ولما قتل لقمان بن عاد أبته وهى محررة بنت لقمان قال حين قتلها : ألسيت أمراة ؟

وذلك أنه تزوج عدة نساء وكلهن خته في أنفسهن، فلما قتل أنراهن ونزل من الجبل كان

أقل من ثقلها محررة أبته، فوثب عليها فقتلها، وقال وأنت أيضا أمراة، وكان قد ابتلى أيضا

بأنه اخته كانت محقة، وكذلك كان زوجها، فقالت لإحدى نساء لقمان : هذه ليلة طهرى

وهي ليك، فدعني أم في مضجك، فإن لقمان رجلٌ مُنِجِبٌ، فسي أن يقع على فائِجِبٍ،  
فوقع على أخته فمُلت بِقِيمٍ وفي ذلك قول الأبرين تَوَلَّبَ :

لَقِمَ بِنُ لِقْمَانَ مِنْ أَخِيهِ • فَكَانَ ابْنُ أَخِي لَهُ وَاجِبًا  
لَيْلَى حَقٌّ فَاسْتَحَصَنَتْ • عَلَيْهِ قُفْرِيًّا مُطْلَبًا  
فَأَحْبَلَهَا رَجُلٌ مَحْكَمٌ<sup>(١)</sup> • بِحَقَاتٍ بِهِ رَجُلًا مُحْكَمًا

فَضَرَبَتِ الْعَرَبُ فِي ذَلِكَ الْمَثَلِ بَقْتُلَ لِقْمَانَ بَنَهُ مُحْمَرًا فَقَالَ خُفَافُ بْنُ نَدْبَةَ فِي ذَلِكَ :  
وَعِبَاسٌ يُدَبُّ لِي الْمَنَاسِيَا • وَمَا أَذْنَبْتُ إِلَّا ذَنْبَ مُحْمَرٍ

وَقَالَ فِي ذَلِكَ ابْنُ أَثَنَةَ :

أَتَجَمُّعُ تَيْسَامَا بِلَيْلٍ إِذَا نَأَتْ • وَهِيَ رَأَتْهَا غُلَامًا كَمَا عَلِمَتْ مُحْمَرٌ

وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ عُبَادٍ :

قَرَّبَا مَرْطَطَ الْعَصَامَةِ مَنَى • لَقِيعَتِ حَرْبٌ وَائِلٌ عَنِ جِيَالٍ  
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلْمُ اللَّهِ • وَوَاقَى بِحَرَمِهَا الْيَوْمَ صَالِي

وَقَالَ الشَّاعِرُ وَأَخَذَهُ ابْنُ الْمُفَقَّعِ :

فَلَا تِلْمُ الْمَرْءَ فِي شَأْنِهِ • فَرَبٌّ مَعْرُومٌ وَلَمْ يُذْنِبِ

وَقَالَ آخَرُ :

لَعَلَّ لَهُ عَذْرَا وَأَنْتَ تَلُومُ • وَكَمْ لَاتَمُّ قَدْلَامٌ وَهُوَ مُلِيمٌ

وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ فِي قَتْلِ بَعْضِ الْمُلُوكِ سِتْمَارَ الرَّوْمِيِّ : فَإِنَّهُ لَمَّا عَلَا الْخَوَرَقُ، وَرَأَى  
بُنْيَانًا لَمْ يَرْمَتْهُ، وَرَأَى ذَلِكَ الْمُسْتَشْرِفَ، وَخَافَ أَنْ هُوَ أَسْتَبْقَاهُ أَنْ يَمُوتَ فَيَقْبَلَ مِثْلَ ذَلِكَ  
الْبُنْيَانِ لِمَلِكٍ آخَرَ، فَأَمَرَ بِهِ فُرِيَ مِنْ فَوْقِ الْقَصْرِ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْكَلْبِيُّ فِي شَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
بَعْضِ الْمُلُوكِ :

جزائي جزاه الله شرَّ جزائه • جزاء سيماروما كان فانبي  
 سوى رصه البنيان سبعين حجة • يوصل عليه بالقراميد والسكبي  
 فلما رأى البنيان تم محووه • وأض كمثل الطود ذي الباذخ الصمبي  
 فظن سمنار به كل حبة • وفاز لديه بالمسوة والقرب  
 فقال اقدنوا بالغنج من رأس شاعبي • فذلك لمرآه من أعظم الخطب

وجاء المسلمون يروى خلف عن سلف، وتابع عن سابق، وأتبع عن أفل، أنهم  
 لم يختلفوا في عيب قول الجحاج : لآخذت، السي بالسي والولي بالولي، والجار بالجار،  
 ولم يختلفوا عن لمن شاعرهم حيث يقول :

إذا أخذ البري بغير جرم • تجنب ما يحاذره السقيم

قال : وقيل لعمرو بن عبيد إن فلانا لما قتل رجلاً يضرب عنقه قيل له : إنه  
 مجنون، قال : لولا أن المجنون يلد عاقلاً نليت سبيله، قل فقال عمرو : وما خلق الله النار  
 إلا بالحق .

ولما قالت التثنية الجعاف بن حكيم في قصة البئر: فصر الله عمادك، وأطال سعادك،  
 وأفل رعادك، فوافقه إن قلت إلا نساء أسافهن دمي، وأطالين تدي، فقال لمن حوله : لولا  
 أن تلد هذه مثلاً نليت سبيلها، فبلغ ذلك الحسن فقال : إن الجعاف جفوة من تارجهن .  
 قال وذم رجل عند الأحنف بن قيس الكفاة بالسمن، فقال عند ذلك الأحنف : رب  
 معلوم لا ذنب له ، فهذه السيرة سرت فينا ، وما أحسن ما قال سعيد بن عبد الرحمن  
 ابن حسان :

وإذا أمرأ عيسى ويصبح سالما • من الناس إلا ما جنى لعميد

وقلت : وما بأهل العلم والنظر، وأصحاب الفكر والمير، وأرباب التحل، والعلماء  
 بخارج الملل، وورثة الأنبياء، وأعوان الخلفاء، يكتبون كتب الطرقات والمطامير، وكتب  
 القراع والخلفاء، وكتب الملاهي والتكلمات، وكتب أصحاب الخصومات والمراة، وكتب

أصحاب المصيبة، وحجة الجاهلية، حتى كأنهم لا يحاسبون أنفسهم، ولا يوازنون بين ما عليهم ولهم، ولا يخافون تصفح العلماء، ولا لائمة الأدياء وشقف الأكفاء، وساعة الجلساء؛ فهلاً أمسكت وحك الله عن عينا، والعلمن عليها، وعن المشورة والموعظة، وعن تحويف ما فيه سوء العاقبة الى أن تبلغ حال العلماء، ومراتب الأكفاء .

### أقسام البيان

وبعد أن تكلم في تقسيم العالم الى ثلاثة أقسام، وذكر أقسام الحيوان، قال في أقسام البيان :

ووجدت الحكمة على ضربين : شئ جعل حكمة وهو لا يفضل الحكمة ولا عاقبة الحكمة، وشئ جعل حكمة وهو يفضل الحكمة وعاقبة الحكمة، فاستوى بين الشئ العاقل وغير العاقل في جهة الدلالة على أنه حكمة، واختلفا من جهة أن أحدهما دليل لا يستدل، والآخر دليل يستدل، فكل مستدل دليل، وليس كل دليل مستدل، فشارك كل الحيوان سوى الإنسان جميع الجساد في الدلالة وفي عدم الاستدلال، واجتمع للانسان بأن كان دليلاً مستدلاً، ثم جعل للمستدل سبب يدل به على وجوه استدلاله، ووجوه ما نتج له الاستدلال، وسموا ذلك بسانا، وجعل ذلك البيان على أربعة أقسام : لفظ وخط وعقد وإشارة، وجعل بيان الدليل الذي لا يستدل تمكنه المستدل من نفسه واقتياده كل من فكر فيه الى معرفة ما استخزن من البرهان، وحشنى من الدلالة، وأودع من غيب الحكمة؛ فالأجسام الخرس الصامتة ناطقة من جهة الدلالة، ومعرفة من جهة صحة الشهادة، على أن الذى فيها من التدبير والحكمة تلوحان لمن استنبرها، وينطقان لمن استنطقهما كما ينحدر المزال وكبود اللون عن سوء الحال، وكما ينطق السمن والنظرة عن حسن الحال، وقد قال الشاعر :

فاجوا فاثروا بالذى أنت أهله • ولوسكنوا أمنت عليك الحفائب

وقال آخر :

متى لك في عدو أوصديقي • تحبرك البيوت عن القلوب

وقد قال المُكَلِّ في صدق شبه الذئب، وفي شدة حسه وأسترواحه :

يَسْتَعْرِدُ الرِّيحُ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ • يَمُتِلُ بِقِرَاعِ الصِّفَا المَوْقِعِ

وقال عترة وهو يصف نقيب غراب :

حَرِقَ الجَنَاحُ كَانَ لَحْيِي رَأْسِي • جَلَدَانِ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلَّعٌ

وقال الفضل بن عيسى بن أبان في قصصه : سل الأرض قتل : مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ ،  
وَعَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى مَآرَكَ ؛ فَإِنْ لَمْ تَجِبْكَ جَوَارًا ، أَجَانَبَكَ اعْتِبَارًا ، فَوَضُوعَ الْجِسْمِ  
وَضَبْطَهُ دَلِيلٌ عَلَى مَا فِيهِ ، وَدَاعِيَةٌ إِلَيْهِ وَمَنْبَهَةٌ عَلَيْهِ ، فَالْجَلَادُ الْأَبْكَمُ الْأَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ  
قَدْ شَارَكَ فِي الْبَيَانِ الْإِنْسَانُ الْحَيَّ النَّاطِقَ ؛ فَمَنْ جَلَّ أَقْسَامُ الْبَيَانِ نَحْمَةً قَدْ ذَهَبَ أَيْضًا  
مِنْهَا لَهُ جَوَازٌ فِي النَّفْسِ ، وَشَاهِدٌ فِي الْعَقْلِ ، فَهَذَا أَحَدُ قَسَمِي الْحِكْمَةِ ، وَاحِدُ مَعْنَيَّ  
مَا أَسْتَخْزَنُهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْوَدِيعَةِ .

القسمَةُ الأُخْرَى مَا أَوْدَعَ صُدُورُ صُنُوفِ سَائِرِ الْحَيَوَانِ مِنْ ضُرُوبِ الْمَعَارِفِ ، وَفَطَّرَهَا  
عَلَى غَرِيبِ الْمِثْلِيَّاتِ ، وَتَحَفَّرَ حَتَّاجُهَا لَهُ بِضَرْبِ النِّعَمِ الْمَوْزُونَةِ ، وَالْأَصْوَاتِ الْمَلْحَنَةِ ،  
وَالْمَخَارِجِ الشَّجِيئَةِ ، وَالْأَغَانِي الْمُطْبِئَةِ ، فَقَدْ يُقَالُ : إِنْ جَمَعَ أَصْوَاتُهَا مَعْلُومَةٌ ، وَمَوْزُونَةٌ  
مَوْفُوعَةٌ ، ثُمَّ الَّذِي سَهَّلَ لَهَا مِنَ الرِّفْقِ الْعَجِيبِ فِي الصَّنْعَةِ مَا ذَلَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِمُنَاقِحِهَا وَأَكْفَفَهَا ،  
وَكَيْفَ فَتَحَ لَهَا مِنْ بَابِ الْمَعْرِفَةِ عَلَى قَدَرِ مَا هِيَ لَهَا مِنَ الْآلَةِ ، وَكَيْفَ أَعْطَى كَثِيرًا مِنْهَا مِنْ  
الْحِسِّ الطَّيِّفِ ، وَالصَّنْعَةِ الْبَدِيعَةِ عَنْ غَيْرِ تَأْدِيبٍ وَتَقْلِيدٍ ، وَعَنْ غَيْرِ تَهْوِيمٍ وَتَقْلِيدٍ ، وَعَنْ  
غَيْرِ تَمَرِجٍ وَتَمَرِينٍ ، قَبِلْتَ بِفَوْهٍ وَمِقْدَارٍ قَوِيٍّ فِطَرْتَهَا مِنَ الْبَدِيهِ وَالْإِتِّجَالِ ، وَمِنْ  
الْإِسْتِدَاءِ وَالْإِقْتَضَابِ ، مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ حَدَاتُ رِجَالِ الرَّأْيِ ، وَفَلَسَفَةُ عُلَمَاءِ الْبَشَرِ يَبِيدُ  
وَلَا آلَةَ ، بَلْ لَا يَبْلُغُ ذَلِكَ مِنَ النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ خِصَالًا ، وَأَتَمُّهُمْ خِلَالًا ، مِنْ جِهَةِ الْإِتِّجَالِ  
وَالْإِقْتَضَابِ وَلَا مِنْ جِهَةِ التَّعَسُّفِ وَالْإِقْتِدَارِ ، وَلَا مِنْ جِهَةِ التَّقْدِيمِ فِيهِ ، وَالتَّاتِي لَهْ ،  
وَالْتَرْتِيبِ لِقُدَمَاتِهِ ، وَتَمَكِّنِ الْأَسْبَابِ الْمُعِينَةِ عَلَيْهِ فَصَارَ جَهْدُ الْإِنْسَانِ الْتَأَقُّبِ الْحِسِّ ،  
الْجَالِجِ الْقَوِيِّ ، الْمُتَصَرِّفِ فِي الْوُجُوهِ الْمُتَقَدِّمِ فِي الْأُمُورِ يَسْجَرُ عَنْ عَفْوِ كَثِيرٍ مِنْهَا ، وَيَنْظُرُ إِذَا نَظَرَ

الى ضروب ما يحى، منها كما أُعْطِيَت العنكبوت، وكما أُعْطِيَت السُرَّةُ، وكما مُلِّمُ النمل، بل عرِفَ التَّوْتُوتُ من بديع المعرفة، ومن غريب الصنعة في غير ذلك من أصناف الخلق ثم لم يوجد لهم العجز في أنفسهم في أكثر ذلك إلا عما قَوَّى عليه الممَّجَّ والختَّاش وصغار الحشرات، ثمَّ جعل الإنسان ذا العقل والتمكين، والاستطاعة والتصرف، وذا التكلف والتجربة، وذا التأقُّ والمناصاة، وصاحب الادخار والمتفقد لثأن الماقية متى أحسن شيئا كان كُلُّ شَيْءٍ دونه في النמוש عليه أسهل، وجعل سائر الحيوان وإن كان يُحْسِنُ أحدها ما لا يُحْسِنُ أحدهُ الناس متى أحسن شيئا نجحيا لم يمكنه أن يُحْسِنَ ما هو أقرب منه في الطلق، وأسهل منه في الرأى، بل لا يحسن ما هو أقرب منه في الحقيقة، فلا الإنسان جعل نفسه كذلك، ولا شَيْءٌ من الحيوان اختار ذلك، فأَحَسَّتْ هذه الأجناس بلا تملُّ ما ينتج على الإنسان، وإن تملَّ فصار لا يحاوله اذ كان لا يطعم فيه، ولا يحسدها اذ كان لا يأمل المُلاقى بها، ثم جعل تعالى وعزَّ هاتين الحِجَّتَيْنِ إِزاءَ عيون الناظرين، ونجَّاه اسماعِ المعتبرين، ثم حَثَّ على التفكير والاعتبار، وعلى الاتصاف والأزديجار، وعلى التوفُّ والتبَيُّن، وعلى التوقُّف والتذكُّر، فجعلها مُذَكِّرةً منبهةً، وجعل الفطر تنشئ الخواطر، وتجول بأهلها في المناهب، ذلك ربُّ المالمين، سبحانه الله ربُّ المالمين .

وهذا كتاب موعظة وتعرِيف، وتفقُّه وتبَيُّه، وأراك قد عَيَّته قبل أن تنف على حدوده، وتنفكَّ في فصوله، وتندكر آخره بأوله، ومصادره بموارده، وقد غلطك فيه بعض ما رأيت في أشانه من مزيج لم تعرف معانيه، ومن بطلالة لم تدرك غورها، ولم تدبر لم أجليت ولائى علة تكلَّفت، وأى معنى أربع بها، ولاى جدَّ أحتمل ذلك المزل، ولاى رابضة تُحْشِمَت تلك البطلالة، ولم تدرك أن المزاج جدَّ اذا اجتلب لأن يكون علة لغيره، وأن البطلالة وقارُ وزمانه اذا تكلَّفت تلك الماقية، ولما قلَّ الخليل بن أحمد: لا يصل أحدٌ من علم النحو الى ما يحتاج اليه حتى يتعلَّم ما لا يحتاج اليه؛ قال أبو شمر: اذا كان لا يصل الى ما يحتاج اليه إلا بما لا يحتاج اليه فقد صار ما لا يحتاج اليه يحتاج اليه؛ وذلك



مثل كتابنا هذا، لأننا إن حملنا جميع من يتكلف قراءة هذا الكتاب على مر الحق، وصعوبة الجهد، ونقل المؤونة وحقيقة الوقاء، لم يصبر عليه مع طوله إلا من قد تجرد للعلم وفهم معناه، وفاق من ثمرته، واستشعر من عزه، ونال من سروره على حسب ما يورث الطول من الكد، والكثرة من السامة، وما أكثر من يقاد إلى حظه بالسواجير، والسوق العنيف، وبالإخافة الشديدة .

### مدح الكتّيب

ثم ذكر فقرات حساناً في مدح الكتب فقال :

ثم لم أرك رضىً بالطن على كل كتاب لي بينه، حتى تجاوزت ذلك، إلى أن عيئت وضع الكتب كيفما دارت بها الحال، وكيف تصرفت بها الوجوه؛ وقد كنت أعجب من عيبك البعض بلا علم، حتى عييت الكل بلا علم، ثم تجاوزت ذلك إلى التشجيع، ثم تجاوزت التشجيع إلى نصب الحرب، فعبت الكتاب ونعم الذخر والمعدة، ونعم الجلوس والمعدة، ونعم النقوشة والنزعة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأئیس ساعة الوحدة، ونعم المصرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والذخيل، ونعم الوزير والتزويل، والكتاب وعاء مليّ علماً، وظرف حثي ظرفاً، وإناء شجن مزاحاً وجلاً؛ إن شئت كان أبين من سبحان وإله، وإن شئت كان أعيان باقل، وإن شئت صبحت من بواده، وإن شئت عجيبت من غرائب فوائده، وإن شئت ألتصق بنباطك، وبناطق أخرس، وبيارد حار، وفي البارد الحار يقول الحسن بن هاني :

قلّ زهير إذا أتى شدا • أقبل أو أكثر فانت مهتار  
مخنت من شدة البرودة حتى صرت عندي ككانك النار  
لا يجيب السامعون من صفتي • كذلك الطح بارد حار

وَمَنْ لَكَ طَبِيبٌ أَعْرَابِيٌّ ، وَبُرُوجِيٌّ هِنْدِيٌّ ، وَبِقَارِسِيٌّ يُونَانِيٌّ ، وَبِقَدِيمٍ مَوْلَدٌ ،  
وَبِمَيْتٍ نَتِجٌ ، وَمَنْ لَكَ بَنِيٌّ ، يَجْعَلُ لَكَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ ، وَالنَّقْصَ وَالْوَافِرَ ، وَالْخَفَى وَالظَّاهِرَ ،  
وَالشَّاهِدَ وَالغَائِبَ ، وَالرَّقِيعَ وَالْوَضِيعَ ، وَالْعَتَّ وَالسَّمِينَ ، وَالشَّكْلَ وَخِلَافَهُ ، وَالْجَنَسَ وَضِدَّهُ .  
وبعد ، فإني رأيت بستاناً يحلُّ في رُذْنٍ ، أَوْ رَوْضَةً تَتَقَلَّبُ فِي حِجْرٍ ، وَأَطْلَقًا يَنْطَلِقُ عَنِ  
الْمَوْتِ ، وَيُجْرِمُ كَلَامَ الْأَحْيَاءِ ، وَمَنْ لَكَ بِمُؤْنِسٍ لَا يَنَامُ إِلَّا بِتَوَكُّمٍ ، وَلَا يَنْطَلِقُ إِلَّا بِمَآ  
تَهْوَى ، آمِنٌ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَكْمَلُ لِلسَّرِّ مِنْ صَاحِبِ السَّرِّ ، وَأَضْبَطُ لِلوَدِيعَةِ مِنْ أَرْبَابِ  
الْوَدِيعَةِ ، وَأَحْفَظُ لِمَا أَسْتَحْفَظُ مِنَ الْأَعْيُنِ ، وَمِنَ الْأَعْرَابِ الْمَعْرُوفِينَ ، بَلْ مِنْ الصَّبِيَّانِ  
قَبْلَ اعْتِرَاضِ الْأَشْغَالِ ، وَمِنَ الْمُعْبَانِ قَبْلَ التَّمَتُّعِ بِتَمَيِّزِ الْأَشْخَاصِ ، حِينَ الْمَنَاءُ تَامَةً لَمْ تَقْصُصْ ،  
وَالْإِذْهَانُ قَارِضَةً لَمْ تَقْتَسِمْ ، وَالْإِرَادَةُ وَافِرَةٌ لَمْ تَسْتَمِبْ ، وَالطَّبِيبَةُ لَيْتَةً فَهِيَ أَقْبَلُ مَا تَكُونُ لِلطَّاعِ ،  
وَالْقَضِيبُ رَطْبٌ فَهُوَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَلُوقِ ، حِينَ هَذِهِ الْخِلَاصُ لَمْ يَسَلِّ جَدِيدُهَا .  
وَلَمْ يَحُلْ غَرِبُهَا ، وَلَمْ يَتَفَرَّقْ قَوَاهَا ، وَكَانَتْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

أَنَا نِيْ هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى • فَصَادَفَ قَلْبًا قَارِضًا ضَمَعْنَا  
وَقَالَ عَجَمَةٌ بِنُ الطَّبِيبِ :

لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَنْسِبُ صِهْيَهُمْ • بَيْنَ الْقَوَائِلِ بِالْمَدَاوَةِ يَنْشَعُ  
هَذَا مَعَ قَوْلِهِ : التَّعَلُّمُ فِي الصَّمْرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ ، وَقَالَ جِرَانُ الْعَوْدِ :  
تُرْكِي رِيحَ خَلَّةِ الرُّوحَاءِ حَتَّى • تَتَكَرَّرَ الدِّيَارُ عَلَى الْبَصِيرِ  
كَوْحِي فِي الْحِجَارَةِ أَوْ وَشُومٍ • بِأَيْدِي التُّرُومِ بَاقِيَةَ التُّورِ  
النُّورُ : شَيْءٌ كَانَ يُسَلُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِثْلَ الْخُفْرَةِ الْيَوْمِ .

وَقَالَ آخَرُ وَهُوَ صَالِحُ بْنُ عَيْدِ الْقُدُّوسِ :

وَإِنِّي مِنْ أَقْبَتِهِ فِي الصَّبَا • كَالْمُدِّ يُسْقِي الْمَاءَ فِي غَرَمِهِ  
حَتَّى تَرَاهُ مُوَرِّقًا أَخْضَرًا • بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُسِهِ

(١) كَذَا فِي الْأَسْلَمِ ، وَلَعَلَّهَا : «بَطْلَى» .

(٢) فِي الْأَسْلَمِ : «نَمِرَةٌ» وَهِيَ غَطَا سَوَابِغَ مَا أَتْبَعَهُ مِنَ الثَّمَرِ وَالشَّجَرِ لِأَنَّهُ نَمِيَّةٌ .

وقال آخر :

يَقُومُ مِنْ مِيلِ النَّلامِ الْمُؤَدَّبُ • وَلَا يَنْفَعُ التَّادِيْبُ وَالرَّاسُ أَشْيَبُ

وقال آخر :

أَدَبْتُ عَرَبِيَّ يَدِ مَا هَرَمْتُ • وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْحَرَمِ

وقد قال ذو الرمة ليمى بن عمر : اَكْتُبْ شِعْرِي فَالْكَأْبُ أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنَ الْخَفْظِ ،  
إن الأعرابي ينفى الكلمة قد سهرت في طلبها ليلة ، فيضع في موضعها كلمة في وزنها  
ثم يُنْشِدها النَّاسَ ، وَالْكَأْبُ لَا يَنْفَى ، وَلَا يُبْدِلُ كَلَامًا بِكَلَامٍ ؛

وعبت الْكَأْبَ وَلَا أَعْلَمُ جَارًا أَبْرَ ، وَلَا خَلِيطًا أَنْصَفَ ، وَلَا رَفِيقًا أَطْوَعَ ، وَلَا مَعْلَمًا  
أَخْضَعَ ، وَلَا صَاحِبًا أَظْهَرَ كَفَايَةَ ، وَلَا أَقْلَ جِنَايَةَ ، وَلَا أَقْلَ إِمْلَالًا وَإِهْرَاقًا ، وَلَا أَقْلَ  
خِلَافًا وَإِهْرَاقًا ، وَلَا أَقْلَ غِيَّةً ، وَلَا أَبَدَ مِنْ عَصِيَّةٍ ، وَلَا أَكْثَرَ عَجُوبَةً وَتَعَرُّفًا ، وَلَا أَقْلَ  
صَلَفًا وَتَكَلُّفًا ، وَلَا أَبَدَ مِنْ مِرَاءٍ ، وَلَا أَتْرَكَ شَفِيبَ ، وَلَا أَزْهَدَ فِي جِدَالٍ ، وَلَا أَكْثَرَ  
عَنْ قِتَالٍ ، مِنْ كَلْبٍ ؛ وَلَا أَعْلَمُ قَرِينًا أَحْسَنَ مَوَانَاةً ، وَلَا أَجْمَلَ مَكَافَاةً ، وَلَا أَحْضَرَ  
مَعُونَةً ، وَلَا أَخْفَ مَوْثِقَةً ، وَلَا شَجِيرَةً أَطْوَلَ عُثْمُرًا ، وَلَا أَجْمَعَ أَمْرًا ، وَلَا أَطْيَبَ ثَمَرَةً ،  
وَلَا أَقْرَبَ نُجَى ، وَلَا أَسْرَعَ إِدْرَاكًا ، وَلَا أَوْجَدَ فِي كُلِّ إِثْنٍ مِنْ كَلْبٍ ؛ وَلَا أَعْلَمُ نِتَاجًا  
فِي حَدَاثَةِ سَنَةٍ ، وَقُرْبَ مِيلَادِهِ ، وَرَخِيصَ ثَمَنِهِ ، وَإِمْكَانَ مَوْجُودِهِ ، يَجْمَعُ مِنَ التَّنَادِيرِ  
الْمُعْجِيَةِ ، وَالْمَعْلُومِ النَّزِيَّةِ ، وَمِنْ آثَارِ الْقَوْلِ الصَّحِيحَةِ ، وَمَعْمُودِ الْإِتِّدَاعِ الْطَلِيفَةِ ، وَمِنْ  
الْحَكْمِ الرَّفِيعَةِ ، وَالْمَذَاهِبِ الْقَدِيمَةِ ، وَالتَّجَارِبِ الْحَكِيمَةِ ، وَمِنْ الْأَخْبَارِ عَنِ الْقُرُونِ  
الْمَاضِيَةِ ، وَالْبِلَادِ الْمَقْرَاخَةِ ، وَالْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ ، وَالْأَثْمِ الْبَائِدَةِ مَا يَجْمَعُ لِكَ الْكَأْبِ .

وقد قال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ  
بِالْقَلَمِ ﴾ وصف نفسه تبارك وتعالى جده بأن علم بالقلم ، كما وصف نفسه بالكرم ، وأخذت  
ذلك في نعمة العظام ، وفي أياديه الحسام ، وقد قالت : القلم أحد اللسانين ،  
وقالوا : كل من عرف فضل النعمة في بيان اللسان كان بفضل النعمة في بيان القلم

أعرف ؛ ثم جعل هذا الأمر قرآنا ، ثم جعله في أول التوريل ، ومُسْتَفْتَحِ الكتاب ، ثم أعلم - يرحمك الله تبارك - أن حاجة بعض الناس إلى بعض صفة لازمة لطبائعهم ، وحلقة قائمة في جواهرهم ، وثابتة لا تزال لهم ، ومحيطة بمجامعتهم ، مشتملة على أذانيهم وأقاصيصهم ، وحاجتهم إلى ما غاب عنهم ، مما يُعِيشهم ويُحْيِيهم ، ويأخذ بأرماقهم ، ويصلح باهم ، ويجمع شملهم ، وإلى التعاون على ذلك ذلك ، والتوازر عليه كحاجتهم إلى التعاون على معرفة ما يحضرهم ، والتوازر على ما يحتاجون من الارتفاق في أمورهم التي لم تغب عنهم ، لحاجة الغائب موصولة بحاجة الشاهد ، لاحتياج الأدنى إلى معرفة الأقصى ، واختلال الأدنى إلى معونة الأقصى ، معانٍ متضمنة ، وأسباب متصلة ، وحبال متينة ، وجعل حاجتنا إلى معرفة أخبار من كان قبلنا كحاجة من كان قبلنا إلى أخبار من كان قبلهم ، وحاجة من يكون بعدنا إلى أخبارنا ، ولذلك تهذمت في الكتب البشارات بالرسول ، ولم يُسخر لهم جميع خلقه إلا وهم يحتاجون إلى الارتفاق بجميع خلقه ، وجعل الحاجة حاجتين : إحداها قوام وقوت ، والأخرى لذة وإمتاع ، وازدياد في الآلة ، وفي كل ما أجْدَلُ النفوس ، وجمع لهم التآد ، وذلك المقدار من جميع الصنفين وفق لكثرة حاجتهم وشهواتهم ، وعلى قدر اتساع ممرقتهم ، وبعيد غورهم ، وعلى قدر احتمال طبع البشرية ، وفطرة الإنسانية ، ثم لم يقطع الزيادة عنهم إلا لمعجز خلقهم عن احتياها ، ولم يُعْزَ أن يفرق بينهم وبين المعجز إلا بعدم الأمان ، إذا كان المعجز صفة من صفات الخلق ، وثنا من نُفُوت العبيد ، ولم يَحَقِّقْ الله تعالى أحدا يستطيع بلوغ حاجته بنفسه دون الاستعانة ببعض من يُعَفِّرْهُ ، فادناهم مُسَخَّرٌ لأقسامهم ، وأجلهم مُبَسَّرٌ لأنفُسهم ، وعلى ذلك أحوَجُ الملوك إلى السوق في باب ، وأحوَجُ السوق إلى الملوك في باب ، وكذلك الفتي والفقي ، والعبد وسيد .

ثم جعل الله تعالى كل شيء للإنسان خولا وفي يده مُدَالًا مُبَسَّرًا ، إما بالاحتيال له ، والتلطيف في إراغته وأسمائه ، إما بالصولة عليه والفتك به ، وإما أن يأتيه سهواً ورحواً ، وعلى أن الإنسان لولا حاجته إليها لاحتال لها ، ولما صال عليها ، إلا أن الحاجة تُفَرِّقُ

في الجنس والجهة، وفي الخط والتقدير، ثم تعبد الإنسان بالفكر فيها، والنظر في أمورها،  
وإلا اعتبار بما يرى، ووصل بين عقولهم، وبين معرفة تلك الحكم الشريفة، وتلك الحاجات  
اللازمة بالنظر والتفكير، والتعقب والتتبع، والتوقف، ووصل معارفهم بتوافع  
حاجاتهم اليها، وتشاعرهم بمواضع الحكم فيها بالبيان عنها، وهو البيان الذي جعله الله تعالى  
سببا فيما بينهم، ومُعَبِّا عن حقائق حاجاتهم، ومُعَرِّفا لمواضع سَدِّ الخَلَّةِ، ودفع الشبهة،  
ومُدَاوَةِ الخِطَةِ، ولأن أكثر الناس عن الناس أفهم منهم عن الأشياخ المسألة، والأجسام  
الجامدة، والأجرام الساكنة التي لا يتعرف ما فيها من دقات الحكم وكنوز الأدب،  
وينابيع العلم، ألا بالعقل اللطيف الناقب، وبالنظر الدام النافذ، وبالأداة الكاملة،  
وبالأسباب الوافرة، والصبر على مكروه الفكر، والاحتراز من وجوه الخُدْع، والتحفيز من  
دواعي المورث، ولأن الشكل أفهم عن شكله وأسكن إليه وأصعب به، وذلك موجود  
في أجسام البهائم وضروب السباع، والصبي عن الصبي أفهم وله آلف، وإليه أنزع،  
وكذلك العالم والعالم، والجاهل والجاهل، وقال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام :  
﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَلَّ سَعَاءُ رَجُلًا﴾ لأن الإنسان عن الإنسان أفهم، وطبائع بطباعه آفئ،  
وعلى قدر ذلك يكون موقع ما يسمع منه؛ ثم لم يرض من البيان لم يصنف واحد، بل جمع  
ذلك ولم يفرق، وكثر ولم يقل، وأظهر ولم يُخْفِ، فجعل أصناف البيان التي بها يتمازفون  
معانيهم، والتربحان الذي اليه يرجعون عند اختلافهم في أربعة أشياء وفي خمسة خاتمة،  
وإن قصصت عن بلوغ هذه الأربعة في جهاتها، فقد تكلم بيمينه الذي وضع له،  
وصرف إليه .

وهذه الخصال الأربع : هي اللفظ والخط والإشارة والتعبد، والخاتمة الخامسة :  
ما أوجده من جهة الدلالة، وصدق الشهادة، ووضح البرهان في الأجرام الجامدة الصامتة،  
والساكنة الثابتة، التي لا تيس ولا تفهم، ولا تحس وتضرك إلا بداخل دخل عليها، أو عند  
مسك خفي عنها بعد تهيلم كان لها؛ ثم قسم الأقسام، ورتب المحسوسات، وحصل

الموجودات، فجعل التفظ للسامع، وجعل الإشارة للناظر، وأشرك بين الناظر واللامس، في معرفة المقدّر إلا بما فضل الله به نصيب الناظر في ذلك على نصيب اللامس، وجعل الخط دليل لامل ما غاب من حوائجه عنه، وسببا موصولا بينه وبين أعوانه، وجعله خازنا لما لا يأمن نسيانه مما قد أحصاه وحفظه، وأتمهه وجمعه، وتكلف الإحاطة به، ولم يعمل للشام والذائق في ذلك نصيبا .

ولولا خلوط الهند لصاع من الحساب الكثير البسيط، ولَبَطَلَت معرفة التضاعيف، ولمَيَدُوا الإحاطة بالباورات، وباورات الباورات، ولو أدركوا ذلك لما أدركوه ألا بعد أن تَلَطَّطُ المؤونة، وتنقص المنة، ولصاروا الى حال معجزة وحُصور، والى حال مضبغة وكلال حدّ، مع التشاغل بامور لولا قَدَّ هذه الآلة لكلّك أَرْجَحَ لَمْ، وأردّ طيهم أن يصيرُوا ذلك الشغل في أبواب منافع الدّين والدنيا، وضع الحساب معلوم، والمَلَطَّة في موضع فَعَدَهُ مَعْرُوفَةٌ، قال الله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَيْهِ آيَاتٌ﴾ ثم قال : ﴿الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ والبيان عَرَفَ النَّاسَ الْقُرْآنَ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّ وَالْحِسَابِ﴾ فاجرى الحساب بحرى البيان وألحق البيان بالقرآن، ومُحْسَبَانِ منازل القمر عرفنا حالات المَدَّة والجَزَر، وكيف تكون الزيادة في الأهلّة وأنصاف الشهور، وكيف يكون النقصان في خلال ذلك، وكيف تلك المراتب وتلك الأعداد .

ولولا الكُتُب المدونة، والاخبار المُخَلَّدَة، والحِكَم المخطوطة التي تَحْصُرُ الحساب وغير الحساب، لَبَطَلُ أَكْثَرُ الْعِلْمِ، ولَغَلَبَ سُلْطَانُ النِّسْيَانِ سُلْطَانُ الذِّكْرِ، ولما كان للناس مَفَرُّعٌ الى موضع أَسْتَذْكَرَ، ولو تم ذلك لَحُرِمْنَا أَكْثَرَ النِّعَمِ، اذ تخافنا قد علمنا ان مقدار حِفْظِ النَّاسِ لِمَوَاجِلِ حَاجَتِهِمْ وَأَوَاجِلُهَا لا يَبْلُغُ مِنْ ذَلِكَ مِثْلًا مَذْكَورًا، ولا يَفِي فِيهِ غَنَاءٌ مَحْمُودًا، ولو كُتِفَ عَاقِبَةُ مَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ، وَيَصْعَلِنِجِ الْكِتَابِ، أَلَّا يَزَالَ حَافِظًا لِفَهْرِسِ كُتُبِهِ لِأَعْجَازِ ذَلِكَ، وَلِكُتِفَ شَطْلَطًا، وَلَشَغْلَهُ ذَلِكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا هُوَ أَوْلَى بِهِ، فَهَمَكُم

لمعانى كلام الناس يتقطع قبل انقطاع فهم عين الصوت مجزءا ، وأبعد فهمك لصوت صاحبك ومعايك ، والمعاون لك ما كان صياحا صرغا ، وصوتا مُصَمِّتا ، وبغاء خالسا ، ولا يكون مع ذلك ألا وهو بعيد من المفاهمة ، وعطل من الدلالة ، بفعل الله جل وعزّ اللفظ لأقرب الحاجات ، والصوت لأفقس من ذلك قليلا ، والكتاب للنازع من الحاجات .

فأما الإشارة فأقرب المفهوم منها رفع الحواجب ، وكسر الأجفان ، ولئى الشفاه ، وتحريك الأعناق ، وقبض جلدة الوجه ، وأبعدها أن تلوى بثوب على مقطع جبل مُجَاهٍ عين الناظر ، ثم ينقطع عملها ، ويدرس أثرها ، ويموت ذكرها ، وتصير بعد كل شئ ففصل عن انتهاء مدة الصوت ، وتنتهى الطرف فى الحاجة ، الى التناهم بالخلوط والكُتُب ؛ فأى شئ أعظم ، وأى مَرِّقٍ أعون من الخط ، والحال فيه كما ذكرنا !

وليس المقَدَّ حظ الإشارة فى بعد الغاية ، ولا للاشارة حظ الخط فى بعد الغاية ، فذلك وضع الله عز وجل القلم فى المكان الرفيع ، وقوه بذكره فى المنصب الشريف حين قال : **(رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)** فأقسم بالقلم كما أقسم بما يُحِطُّ بالقلم إذ كان اللسان لا يتعاطى شأوه ، ولا يَسْقُ غيابه ، ولا يحيرى فى حليته ، ولا يتكلف بسد غايته ، ولكن لما كانت حاجات الناس بالحضرة أكثر من حاجتهم فى سائر الأماكن ، وكانت الحاجة الى بيان اللسان حاجة دائمة رابكة ، وراينة ثابتة ؛ وكانت الحاجة الى بيان القلم أمرا يكون فى النية وعند النائية ، ألا ما خُصَّت به المواوين ، فإن لسان القلم هناك أبسط ، وأثره أعم ، فذلك قدموا اللسان على القلم ، فاللسان الآن إنما هو فى منافع البد والمراقب التى فيها ، والحاجات التى تبلغها ؛ فن ذلك حفظها وقسطها من منافع الإشارة ، ثم نصيبها فى تهويم القلم ، ثم حفظها فى التصوير ، ثم حفظها فى الصناعات ، ثم حفظها فى المقَد ، ثم حفظها فى الدفع عن النفس ، ثم حفظها فى إيصال الطعام والشراب الى القم ، ثم التوضؤ والامتناع ، ثم انتقاد الدناير والدرام ، ثم لئس الثياب ، وفى الدفع عن النفس أصناف الرعى ، وأصناف الضرب ، وأصناف الطعن ، ثم الضرب التقن بالمود وتحريك الوتر ، ولولا ذلك لبطل الطرب كله أو عامته ؛ وكيف

لا تكون كذلك ولما ضرب الطبل والنفّ وتحريك الصفاقين، وتحريك خارق حروق الزامير، وما في ذلك من الإطلاق والحبس؛ ولو لم يكن في اليد إلا إمساك النِتان والزام والخطام، لكان ذلك من أعظم المخطوط .

وقد اضطربوا في الحكم بين التقدّم والإشارة، ولولا أنّ مَفْزَنا في هذا الكتاب سوى هذا الباب لقد كان هذا مما أحبّ أن يَعرِّفه إخواننا وخطاطونا، ولا ينبغي لنا أيضا أن نأخذ في هذا الباب من الكلام ألا بعد الفراغ مما هو أوّلَى بنا منه، إذ كنتُ لم تنازني، ولم تعب عُني من طريق فضل ما بين التقدّم والإشارة، ولا في تمييز ما بين اللفظ وبينهما؛ وإنما قصّدتا بكلامنا إلى الإخبار عن فضل الكتب .

والكتاب هو الذي قيّد على الناس كُتُبَ عِلْمِ الدين، وحساب المَوَازين، مع خِفة ثقله، وصغر حجمه، صامت ما أسكته، وبلغ إذا استنطقته، ومن لك بمُسامح لا يتدنّك في حال شُفك، ويدعوك في أوقات نشاطك، ولا يحوّجك إلى التجميل له، والتذم منه، ومن لك بزاثر أن شئت جعل زيارته غيّبا، ووروده تمسّا؛ وإن شئت لزمت ظلك، فكان منك مكان بفضلك .

والقلم مكثّف بنفسه ولا يحتاج إلى ما عند غيره، ولا بد ليان اللسان من أمور، منها: إشارة اليد، ولولا الإشارة لما فهموا عنك الخاص، إذا كان أخصّ الخاص قد يدخل في باب العام، إلّا أنّه أدنى طباقه، وليس يكفي خاص الخاص باللفظ عمّا آذاه، كالكفاء عام العام، والطبقات التي بينه وبين أخصّ الخاص .

والكتاب هو المجلس الذي لا يُطْرِك، والمصدق الذي لا يُفْرِك، والرفيق الذي لا يَمْلِك، والمتسمع الذي لا يَسْتَرِيك، والجار الذي لا يَسْتَبْطِك، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يملك بالكر، ولا يندمك بالتلق، ولا يمتثل لك بالكتب .



والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك، وتخذ طبايعك، وبسط لسانك،  
وجود بلسانك، ونغم أفاضلك، ويصح نفسك، وعمر صدرك، ومنحك تعظيم العوام،  
وصداقة الملوك؛ وعرفت به في شهر ما لا تعرفه من أنواء الرجال في دهر، مع السلامة  
من الضرم، ومن كد الطلب، ومن الوقوف بباب المكتب بالتعليم؛ وبالجلوس بين يدي من  
أنت أفضل منه خلقا، وأكرم عرفا، ومع السلامة من مجالسة البُغضاء، ومقارنة  
الأغبياء .

والكتاب هو الذي يُطيلك بالليل كطاعته بالنهار، ويُطيلك في السفر كطاعته في الحضر،  
ولا يتسل بنوم، ولا يتغيره كلال السهر؛ وهو المعلم الذي إن اقتربت لم يبتورك، وإن  
قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة، وإن عُرِلت لم يدع طاعتك، وإن هبت ريح  
أعدائك لم يتقلب عليك؛ ومتى كنت منه متعلقا بسبب، أو مُتصفا بأدق حب، لم تضطرك  
معه وحشة الوحدة إلى جليس السوء، ولو لم يكن من فضله عليك، وإحسانه إليك،  
إلا أنه لك من الجلوس على بابك، والنظر إلى المسألة بك، مع ما في ذلك من التروض  
لحقائق التي تلم، ومن فضول النظر، ومن عادة الخوض فيما لا يعينك، ومن ملازمة  
صغار الناس، ومن حضور أفاضلهم الساقطة، وممانيتهم الفاسدة، وأخلاقهم الرديئة،  
وجها لاتهم المذمومة، لكان في ذلك السلامة ثم القنينة، وإحراز الأصل مع استفادة الفرع،  
ولو لم يكن في ذلك إلا أن يتسلطك عن تخلف المني، وعن اعتياد الراحة، وعن اللعب،  
وكل ما أشبه اللعب، لقد كان في ذلك على صاحبه أسخ النعمة، وأعظم المنة؛ وقد علمنا  
أن أمثل ما تقطع به الفزاع نهارهم، وأصحابُ السكاهات ساعات ليلهم، هو الشيء الذي  
لا تَرى له فيهم مع النيل أثرًا في آزدادياد في تجربة ولا في عقل، ولا في مروءة ولا في صوت  
عرش، ولا في إصلاح دين، ولا في تغيير مال، ولا في تربية صنعة، ولا في ابتداء بإنعام .

قال أبو عبيدة قال المهلب لبينه في وصيته : يا بني لا تحقوا في الأسواق إلا على

زاد أو وزاق .

وحديثي صديق لي قال : قرأت على شيخ شامي كتابا فيه ما أثر غطفان ، فقال لي : ذهبت المتكلم إلا من الكتب ؛ وسمعت الحسن التلوي يقول : عبرت أربعين علما ما قلت ولايت الكتاب إلا والكتاب موضوع على صدري ؛ وقال ابن الجهم : اذا غشيت الناس في ضروقت نوم وبس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة ، تناولت كتابا من كتب الحكم فاجد أمترازي للفوائد ، والأزجيصة التي تمرقني عند الظفر ببعض الحاجة ، والذي يفتي قلبي من سرور الأسبابة ، وعمر التين ، أشد إيقاظا من نيق الحير ، وهذه المسلم .

وقال ابن الجهم : اذا استحسنيت الكتاب واستجذته ، وجئت منه الفائدة ، ورأيت ذلك فيه ، طورتوني وأنا ساعة بعد ساعة أبصر كم بقي من ورقه غافة استغفاه ، وأقطع الساعة من قبله ، وإن كان المصحف في عظيم الحجم ، وكان الورق كثير العدد ، رأيت كيف تم عيشي ، وكل سروري .

وذكر القتيبي كتابا لبعض القدماء فقال : لولا طوله ، وكثرة ورقه ، لفسخته ، قال ابن الجهم : لكنني ما رغيت في إلا الشيء الذي زهدك فيه ، وما قرأت كتابا قد كيرا فأخلاني من فائدة ، وما أحصى كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كلما دخلت .

وقال القتيبي ذات يوم لأبن الجهم : ألا تتعجب من فلان ! نظر في كتاب الإقليدس مع جارية سلموية في يوم واحد وساعة واحدة ، فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة ، على أنه حر مخير وتلك أمة مقصورة ، وهو أحرص على قراءة الكتب من سلموية على تعليم جاريته ، قال ابن الجهم : قد كنت أظن أنه لا يفهم منه شكلا واحدا ، وارك زعم أنه قد فرغ من مقالة ؛ قال القتيبي : وكيف ظننت به هذا الظن كله وهو رجل ذو لسان وأدب ؟ قال : لأني سمعته يقول لأبيه : كم أغفقت على كتاب كذا وكذا ؟ قال : أغفقت كذا وكذا ، قال : إنما رغيت في العلم أتى ظننت أتى أغفقت قليلا وأكسبت كثيرا ، فاما اذ صرت أغفقت الكثير وليس في يدي منه إلا المواعيد فأتى لا أريد

العلم بشيء . والإنسان لا يعلم حتى يَكْتُمُ سماعه ، ولا بُدَّ من أن تصير كُتُبُه أَكْثَر من سماعه ، ولا يعلم ولا يسمع ولا يخلف حتى يكون الإخفاق عليه من ماله الله عنده من الإخفاق من مال عدوه ؛ ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكُتُبِ الله عنده من عشاق البيان ، والمستعترين بالبيان ، لم يبلغ في العلم مبلغاً رَضِيّاً . وليس ينضج برياضته حتى يؤثر لذة أخذ الكُتُبِ إيثار الأعرابي فرسه بالبين على عياله ، وحتى يؤمِّل في العلم مالا يؤمِّل الأعرابي في فرسه .

وقال إبراهيم بن السدئى مرة : وجدت أن الزيادة لم يكونوا حُرصاء على المغالاة بالورق النقي الأبيض ، ولا على تخيير الحبر الأسود البراق ، ولا على استجداء الخط والإرغاب لمن يخط ، فإن لم أر كورق كتبهم ورقاً ، ولا كالخطوط التي فيها خطأ . وإنني غرمت مالا عظيماً مع حبي لال وفضي للفرم ، لأت سماء النفس بالإخفاق على الكُتُبِ دليل على تعظيم العلم ، وتعظيم العلم دليل على شرف النفس وعلى السلامة من سُوء الآفات . وقلت لإبراهيم : إن إفساق الزادقة على الكُتُبِ كإفساق النصراني على البيع ، ولو كانت كتب الزادقة كُتُبَ حِكْمَةٍ ، وكتبَ فلسفة ، وكانت مقاييس تبيين ، أو لو كانت كتبهم كتباً تعرف الناس أبواب الصناعات ، أو سبل التكبُّب والتجارات ، أو كتب إرفاق ورياضات ، أو بعض ما يتعاطاه الناس من الفطن والأدب ، أو كان ذلك لا يُقَرَّب من غنى ، ولا يبعد من مأم ، لكانوا ممن قد يجوز أن يُنطق بهم تعظيم البيان والرغبة في التبيين ، ولكنهم ذهبوا فيها مذهب الديانة على طريق تعظيم الله ؛ فأتوا إفساقهم في ذلك كإفساق الجوس على بيت النار ، وكإفساق النصراني على صلبان الذهب ، أو كإفساق المهندس على سدة البدن ؛ ولو كانوا العلم أرادوا لكن العلم لم معرضاً ؛ وكتب الحكمة لم مبدولة ، والطرق الياسهلة معروفة ؛ فما بالهم لا يصنعون ذلك إلا بكتب ديانتهم كما يُتَرَفَّع النصراني بيوت عبادتهم ؛ ولو كان هذا المعنى مُستحسناً عند المسلمين ، وكانوا يرون أن ذلك داعية إلى العبادة وإحشة على الخشوع ، لآلنوا في ذلك بقوهم ما لا يلفنه النصراني بنائية الجُهد .

وقد رأيتُ مسجدَ دِمَشقَ حينَ استعَازَ هَذه السبيلَ مَلِكٌ مِن مَلوكِنا ، وَمِن رَأه فَقَد عَلِمَ أَن أَحَدًا لَا يَروِهُ ، وَأَنَّ الرُّومَ لَا تَسخَرُ أَفْئِئِمَّهُم بِهِ ؛ فَلَمَّا قَامَ عَمْرِيْنُ عِبدَ العَزيزِ جَلَّه بِالْجَلالِ ، وَغَطَّاهُ بِالْكَرايِسِ<sup>(١)</sup> ، وَطَبَخَ سِلَاسِلَ القَناديلِ حَتَّى ذَهَبَ عَنا ذَلكَ التَلَافُوفُ وَالْبَرِيقُ ، وَذَهَبَ إِلى أَنَّ ذَلكَ الصَنِيعَ بِجَانِبِ لِسَةِ الاسْلامِ ، وَأَنَّ ذَلكَ الحُسْنَ الرَّائِعَ وَالْجَمالَ النَّدَقَ مَدْحَلَةً لِلْقُلُوبِ ، مَشْغَلَةً دُونَ الخُشُوعِ ، وَأَنَّ البالَ لَا يَكُونُ مُجْتَمِعًا وَهناكَ شَيْءٌ يُفَرِّقُهُ وَيَتَرَضُّ عَلَيْهِ .

والذي يدلُّنا على ما قلنا أَنَّهُ لَيسَ في كُتُبِهِم مَثَلُ سائرِ ، وَلَا خَبرِ طَريفٍ ، وَلَا صَنعَةٍ أَدبٍ ، وَلَا حِجَّةٍ غَرزِيَّةٍ وَلَا فِلسَفيَّةٍ ، وَلَا مَسْئَلَةٍ كَلَامِيَّةٍ ، وَلَا تَعْرِيفِ صِناعَةٍ ، وَلَا اسْتِخْراجِ آلَةٍ ، وَلَا تَعليمِ فِلاحةٍ ، وَلَا تَدييرِ حَرْبٍ ، وَلَا مُقارَعةٍ عَنِ دِينٍ ، وَلَا مُناضَلَةٍ عَنِ نِجَلَةٍ ؛ وَجِلَّةُ ذِكرِ النورِ وَالظُلُمَةِ ، وَتَنابُحُ الشياطينِ ، وَتَسافُدُ العَفاريتِ ، وَذِكرُ الصَّنيدِ وَالتَهويلِ بِعمودِ السِّنخِ ، وَالْاخبارِ عَنِ شَقْلونَ وَعَنِ المِمامَةِ والمِلمَةِ ، وَهَذَرُ وَيَعِي دَعْوَى وَتُرافَةِ وَخُفِّ وَتَكْثُفٍ ، لَا تَرى فِيهِ مَوْعِظَةً حَسَنَةً ، وَلَا حَدِيثًا مُوَفَّقًا ، وَلَا تَدييرَ مَعاشٍ وَلَا سِياسَةَ عامَّةٍ ، وَلَا تَريبَ خاصَّةٍ ؛ فَإِنَّ كُتُوبَ أَجْهَلٍ ، وَأَيَّ تَدييرِ أَفْسادٍ مِنَ كُتُوبِ يُوجِبُ على النَاسِ الطاعَةَ والبُخُوعَ بِالدِّيانَةِ على جِهَةِ الاستِنبصارِ والمُحبَةِ ، وَلَيسَ فِيهِ صِلَاحٌ مَعاشٍ ، وَلَا تَصحيحُ دِينٍ ، وَالنَاسُ لَا يَبيحُونَ إِلَّا دُنياً أَوْ دُنياً .

فَإِنما الدُنيا فاقامة سُوقِها وإحضارُ نَفيها . وَأما الدِّينُ فاقْلُ ما يُطعَمُ في استِجابَةِ العامَةِ واسْتِمالَةِ الخاصَّةِ ، أَن يَصوِّرَ في صِورةٍ مُطْلَعةٍ ، وَيُؤوِّهَ تَموِيهِ الدِّينارِ البَهِرجِ والدَهرِ الزائِفِ الَّذي يَنطَلِقُ فِيهِ الكَثيرُ وَيَبرِفُ حَقيقَتُهُ القَليلُ . فَلَيسَ اِعتَاقُهُم طَليماً مِنَ حَيتِ ظَننَت . وَكُلَّ دِينٍ يَكُونُ أَظْهَرَ أَخْضالاً وَأَكْثَرَ فساداً يَحتاجُ مِنَ التَرقِيحِ والتَموِيهِ وَمِنَ الاحتِشادِ والتَنظِيطِ فِيهِ إِلى أَكْثَرِ مِنَ غَيرِهِ .

(١) الكرايس جمع كرايس : ثوب من القطن الأبيض وقيل : الثوب الحسن ، فارسي مؤنث .

وقد علمت أن النصرانية أشد انتشاراً من اليهودية قديماً ، فعلى حسب ذلك يكون  
ترديهم في توكيده ، واحتفالهم في إظهار تنظيمه .

وقال بعضهم : كنتُ عند بعض العلماء فكنتُ أكتبُ عنه بعضاً وأدع بعضاً ، فقال  
لى : اكتبْ كل ما تسمع ، فإن أخس ما سمع خير من مكانه أبيض . وقال الخليل بنُ  
أحمد : تكثُر من العلمُ لِعِرف ، وتقلُّ منه لِحِفْظ . وقال أبو إسحاق : القليلُ والكثيرُ  
لِلكُتُب ، والقليلُ وحده للصدر ، وأنشد قول ابنِ سِير :

أَمَا لَوْ أَرَى كُلَّ مَا أَسْمَعُ • وَأَحْفَظُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَجْمَعُ  
وَلَمْ أَتَقَدَّرْ مَا قَدْ جُمِعْتُ لِقِيلِ هُوَ الْعَالِمُ الْمُتَقِنُ  
وَلَكِنْ قَبِي إِلَى كُلِّ نَوْ • عٍ مِنَ الْعِلْمِ تَسْمَعُهُ تَرِيعُ  
أَشَاهِدُ بِاللَّيِّ فِي عَجَلِي • وَعِلْمِي فِي الْبَيْتِ مُسْتَوِدِعُ  
فَلَا أَنَا أَحْفَظُ مَا قَدْ جُمِعْتُ وَلَا أَنَا مِنْ جَمِيعِهِ أَشِيعُ  
وَمَنْ يَكُ فِي عِلْمِهِ هَكَذَا • يُكُنْ دَمَرَهُ الْقَهْقَرَى يَرِيعُ  
إِنَّا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَإِيَّا • بِحِمْمِكَ لِلْعِلْمِ لَا يَنْفَعُ

قال أبو إسحاق : كلف ابن سِير الكتب ما ليس عليها ، إن الكتب لا تُنْجِي الموتى ،  
ولا تُنْجِي الأحياء عاقلاً ، ولا البليد ذكياً ، وذلك أن الطبيعة إذا كان فيها أدنى قبول فالكتبُ  
تَسْجَدُ وَتَحْتَقُ وَتُزْهِفُ وَتَسْفِي ، ومن أراد أن يعلم كل شيء فليَتَنى لأهله أن يداووه ، فإن  
ذلك إنما تصوِّره لشيء اعتراه . فَنَ كَانَ عَاقِلًا ذَكِيًّا حَافِظًا فَلْيَقْصِدْ إِلَى شَيْئَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ  
أَشْيَاءَ : فَلَا يَتَرَعَّعْ عَنِ الدَّرْسِ وَالْمُطَارَعَةِ ، وَلَا يَدَّعِ أَنْ يَتَرَعَّعَ عَلَى سَمْعِهِ وَعَلَى بَصَرِهِ وَعَلَى ذَهْنِهِ  
مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ مِنْ سَائِرِ الْأَصْنَافِ فَيَكُونَ طَالِبًا بِتَوَاضُعٍ وَيَكُونَ فَرِحًا غَفْلًا مِنْ سَائِرِ مَا يَجْرِي  
فِيهِ النَّاسُ وَيَتَوَضَّعُونَ فِيهِ ؛ وَمَنْ كَانَ مَعَ الدَّرْسِ لَا يَحْفَظُ شَيْئًا إِلَّا نَسِيَ أَكْثَرَهُ مِنْهُ فَهُوَ  
مِنَ الْحَفَظِ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ أَبْعَدُ .

وحديثي موسى بن يحيى قال : ما كان في خزانة كتب يحيى وفي بيت مدرسه كتاب  
إِلَّا وَلَهُ فِيهِ ثَلَاثُ نُسَخٍ .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببابه فرأيتَه ينظر في دفتر وجليسه فارغ اليد إلا اعتقدت أنه أفل مني وأفضل .

قال أبو عمرو وقيل لنا يوماً : إن في دار فلان ناساً قد اشتملوا على سومة ، وهم جلوس على نعمة لم وعندهم طنبور ، قال : فذمّرنا عليهم في جماعة من رجال الحى ، فلذا تقي جالس في وسط الدار وإذا أصحابه حوله ، وإذا هم بيضُ الحى ، وإذا هو يقرأ عليهم كتاب شعر ، فقال الذى كان سعى بهم : السومة في ذلك البيت ، وإن دخلتموه عثرتُم بها ، قال قلت : والله لا أكشف تقي أصحابه شيوخ وفي يده دفتر علم ولو كان في ثوبه دمٌ يحى بـ زكرياء . قال وأنشد رجل يونس النوى قوله :

أُسَوِّدَعُ الْعِلْمُ قَرطاساً فَضِيحَةً • فَيْئِسَ مُسَوِّدَعُ الْعِلْمِ الْفَرَاتِينُ

قال فقال يونس : فانه الله ، ما أشدَّ صبايئة العلم وأحسن صبايئة له ! إن علمك من رُوحك ، ومالك من بدئك ، فضمه منك بمكان الروح ، وضِعْ مالك بمكان البدن .

وقيل لابن دأمة وأخرج كتاب أبي الشَّعْمَقِ وإذا هو في جلود كوفية ودققت طائفتين وبخط عجيب ، فقيل له : لقد ضيعَ درهمه من تجوّد لشعر أبي الشَّعْمَقِ ، قال : لا جرم والله إن العلم ليُعطيكم على حساب ما تُعطونه ، ولو استطعتُ أن أودعه سُوداء قلبي وأجعلُه مخطوطاً على ناظرى لعلت .

ولقد دخلت على إصحاق بن سليمان في امرته ، فرأيت الساعطين بين يديه والرجال منوّلًا كأن على رؤوسهم الطير ، ورأيت فرشته <sup>(١)</sup> ورزته ، ثم دخلت عليه وهو معزول ، وإذا هو في بيت كتبه وحواليه الأنشباط والزفوف والفخار والنظار والمساطير والمحابر ، فما رأيته قط أنخم ولا أنبل ولا أهيب ولا أبزل منه في ذلك اليوم ، إلا أنه جمع مع المهابة الحية ، ومع الصّخامة الحلاوة ، ومع السُّودد الحكمة .

(١) كما في الأصل ، ولعلها زائفة . (٢) القرفة : الحية .

وقال ابن داحية : كلف عبد الله بن عبد العزيز عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يُحَالِسَ الناس ، وتزل مقبرة من المقابر ، وكان لا يكاد يرى إلا وفي يده كتاب يقرؤه ، فُسِّلَ عن ذلك وعن نزوله المقبرة ، فقال : لم أر أوعظ من قبر ، ولا أمتع من كتاب ، ولا أسلم من الوحدة ؛ ف قيل له : فقد جاء في الوحدة ما قد جاء ، قال : ما أسدّها لجهل وأصلحها للمافل !

وضروب من الخطوط بعد ذلك تُدَلَّى على قدر منقعة الخط ، قال الله تبارك وتعالى : (كَرَامًا كَاتِبِينَ يَلُكِّنُونَ مَا مَقُولُونَ) وقال الله عز وجل : (فِي مِصْرٍ مُكْرِمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ يَأْتِيهِمْ سَفَرَةٌ) وقال : (فَأَمَّا مَنْ أُوثِيَ كِتَابَهُ بِرَحْمَةٍ) وقال : (وَأَمَّا مَنْ أُوثِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ) وقال : (إِذَا قَرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيرًا) .

### الترغيب في اصطلاح الكتب

(وبعد أن تكلم عن الخط في الأرض عند التفكير وما قيل في ذلك من الأشعار، وذكر الخط ومقدار الحاجة إليه ، وتاريخ الشر قبل الإسلام، وبيان أن فضيلته مقصورة على العرب ، استورد القول بالترغيب في اصطلاح الكتب) فقال :

« إِنْ عَلِمَ مَنْ شَكَرَ الْمَعْرِفَةَ بِمَا فِي النَّاسِ وَصَرَاحِهِمْ وَمَضَارِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ ، أَنْ يَحْتَمِلَ قِلَّ مَوْتِهِمْ فِي مَعْرِفَتِهِمْ ، وَأَنْ يَتَوَسَّى إِرْشَادَهُمْ وَإِنْ جَهِلُوا فَضْلَ مَا يُسَدِّي لِيهِمْ . وَلَنْ يُصَانَ الْعِلْمُ بِمِثْلِ بَذْلِهِ ، وَلَنْ تُسَقَّى النِّعْمَةُ فِيهِ بِمِثْلِ نَشْرِهِ . عَلَى أَنَّ قِرَاءَةَ الْكُتُبِ الْجَمْعُ فِي إِرْشَادِهِمْ مِنْ تِلَاقِهِمْ ، إِذْ كَانَ مَعَ التَّلَاقِ يَشْتَدُّ النَّصِغُ ، وَيَكْثُرُ النِّظَامُ ، وَتُحَرِّطُ الْمَصْرِفَةُ ، وَتَقْوَى الْحَيَّةُ ؛ وَعِنْدَ الْمَوَاجَهَةِ وَالْمُقَابَلَةِ يَشْتَدُّ حُبُّ التَّلَبُّ ، وَشَهْوَةُ الْمُبَاهَاةِ وَالرَّاسَةِ مَعَ الْأَسْتِعْيَاءِ مِنَ الرَّجُوعِ ، وَالْأَقَمَةِ مِنَ الْخُضُوعِ ، وَعَنِ جَمِيعِ ذَلِكَ تَحْدُثُ الضَّمَانُ وَيُظْهِرُ التَّبَايُنُ ، فَإِذَا كَانَتْ الْقُلُوبُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ وَعَلَى هَذِهِ الْحَيَّةِ ، أَسْتَمْتَمَ مِنَ التَّعْرِفِ ، وَغَمِيتَ عَنْ مَوْضِعِ الدَّلَالَةِ ؛ وَلَيْسَتْ لِلْكِتَابِ عِلَّةٌ تَمْنَعُ مِنْ دَرَكِ الْبُيُوتَةِ ، وَاصَابَةِ الْحِجَّةِ ، لِأَنَّ التَّوَحُّدَ يَدْرُسُهُ وَالْمُتَوَرَّدَ

بِقَهْم معانيها ، لا يُبَيِّن نفسه ، ولا يُثَابِت عقله ، وقد عدم من له يباهى ، ومن أجله يثاب ؛ والكتاب قد يفضل صاحبه ويتقدم مؤلفه ، ويرجع قلبه على لسانه بأمر :

منها ، أن الكتاب يُقرأ بكل مكان ، ويظهر ما فيه على كل لسان ، ويوجد مع كل زمان على تفاوت ما بين الأعصار ، وتباعد ما بين الأمصار ؛ وذلك أمر يستحيل في واضح الكتاب ، والمنازع بالمسألة والجواب ؛ ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان مجلس صاحبه ، ومبلغ صنوته ؛ وقد ذهب الحكيم وتيق كُتِبُهُ ، وبقِيَ العقل وبقِيَ أثره . ولولا ما تَسَمَّت لنا الأول في كتبها ، وخلدت من عجيب حِكْمَتِها ، ودَوَّنَت من أنواع سِيرَتِها ، حتى شاهدنا بها ما غاب عنا ، وفتحنا بها كل مُسْتَفْتٍ كان علينا ، بجمعنا الى قليلنا كثيرهم ، وأدرنا ما لم تكن تُدرُّه إلا بهم ، لقد خَسَّ حفظنا من الحكمة ، وضعف سبيلنا الى المعرفة ؛ ولو أُلْهِمْنَا الى قدر قوتنا ، ومبلغ خواطرتنا ، ومنتهى تَجَرُّبَتِنَا لما تَدْرُكه حواسُنَا وتشاهده نفوسُنَا ، لقد قَلَّت المعرفة ، وقُصُرَت الهمة ، وانتَقَصَت المنَّة ، وماد الرأي عقيا ، وانطاطر فاسدا ، ولكَلَّ الخلدُ ، وتَبَلَّدَ العقل . وأكثُر من كتبهم قهْمًا ، وأشرف منها خطرا ، وأحسن موقعها ، كُتِبَ الله تعالى التي فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كل عيرة ، وتعرُّف كل سيئة وحسنة . وما زالت كتب الله تعالى في الأكرام والصحف والمهايق والمصاحف ، فقد قال الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ وقال : ﴿ مَا قَرَأْتَ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ويقال لأهل التوراة والإنجيل : أهل الكتاب . وينبغي أن يكون سبيلنا لمن بعدنا كبيل مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فِينَا . على أننا قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا ، كما أن مَنْ بَعْدَنَا يَحِدُّ مِنَ الْعِبْرَةِ أَكْثَرُ مِمَّا وَجَدْنَا ، فَمَا يَنْظُرُ الْعَالِمُ بِإِظْهَارِ مَا عِنْدَهُ ، وَمَا يَنْجِ النَّاصِرَ لِقَى مِنَ الْقِيَامِ بِمَا يَزِرُهُ ، وَقَدْ أَمَكَّنَ الْقَوْلُ ، وَصَلَحَ الدَّهْرُ ، وَهَوَى نِجَمُ التَّقْيَةِ ، وَهَيْتَ رِجْعُ الْعِلْمَاءِ ، وَكَسَدَ الْبَيِّنَاتِ وَالْجَهْلُ ، وَقَامَتِ سَوَاقُ الْبَيَانِ وَالْعِلْمِ . وَالْإِنْسَانُ لَيْسَ يَحِدُّ فِي كُلِّ حَالٍ إِنْشَانًا

(١) المائدة جمع مهراق ، وهو ثوب حرير أبيض يصبغ بالصمغ ويصقل ثم يكتب فيه ، فارسي معرب .



يُدْرَسُهُ وَمُقَوِّمًا يَتَّقُهُ، والصبر على إفهام الرِّضِّ شديدٌ، وصرف النفس عن مُخَالَبة العالم أشدُّ منه هما .

والمُتَعَلِّمُ يَجِدُ فِي كُلِّ مَكَانٍ الْكُتُبَ عَيْنًا، وَبِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ قَائِمًا . وما أَكْثَرَ مَنْ فُوتَ فِي التَّعَلُّمِ أَيَّامَ نَحْوِ ذِكْرِهَ وَأَيَّامَ حُدَاثَةِ سِنِّهِ . ولو لَا جِيَادَ الْكُتُبِ وَحَسَنَاتُهَا ، وَمُبَيَّنَاتُهَا وَتَحْصُرُهَا ، لَمْ تَحْزَنْهُمْ هَؤُلَاءُ لِطَلَبِ الْعِلْمِ ، وَتَازَعَتْ إِلَى حُبِّ الْأَدَبِ ، وَأَغْتَمَتْ مِنْ حَالِ الْجَهْلِ وَأَنْ تَكُونَ فِي غَمَارِ الْحَشْوِ لَدَخَلَ عَلَى هَؤُلَاءِ مِنَ الضَّرْرِ وَالْمَضَرَّةِ وَالْجَهْلِ وَسُوءِ الْحَالِ مَا عَصَى إِلَّا يُمْكِنُ الْإِنْخِبَارُ مِنْ مِقْدَارِهِ إِلَّا بِالْكَلَامِ الْكَثِيرِ .

وَلِهَذَا قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ : تَعَفَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا . وقد تَجَسَّدَ الرَّجُلُ بِطَلَبِ الْأَثَارِ وَتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ وَيَحْتَالِسُ الْفُقَهَاءَ حَسِينَ سَنَةٍ ، وَلَا يَمُدُّ نَفْسَهُ وَلَا يَجْعَلُ قَاضِيًا ؛ وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابٍ أَيْ حَنِيفَةٍ وَأَشْيَاءَ أَيْ حَنِيفَةٍ ، وَيَحْفَظُ كِتَابَ الشَّرْطِ فِي مِقْدَارِ سَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ حَتَّى تَوْبِيحِيَّاهُ تَقْلُبَ أَنَّهُ بَابُ بَعْضِ الْعَالِ ؛ وَبِالْحَرَى أَيْ يُوَافِقُهُ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَّا الْيَسِيرَ حَتَّى يَصِيرَ حَاكِمًا عَلَى مَعِيرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ ، أَوْ بَلَدَةٍ مِنَ الْبُلْدَانِ .

وَيُنَبِّئُ لِمَنْ كَتَبَ كِتَابًا إِلَّا يَكْتَبُهُ إِلَّا عَلَى أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَهُ أَعْدَاءُ ، وَكُلُّهُمْ نَظَائِمُ بِالْأُمُورِ ، وَكُلُّهُمْ مُتَفَرِّغٌ لَهُ ؛ ثُمَّ لَا يَرْضَى بِذَلِكَ حَتَّى يَدَعَ كِتَابَهُ يَنْسِبُ وَيَنْتَقِرُ ، وَلَا يَبْقَى بِالرَّأْيِ الْبَاطِلِ ، فَإِنَّ لِبَسْدِهِ الْكُتَابَ قِتْنَةً وَعُجْبًا ، فَلَمَّا سَكَنَتِ الطَّبِيعَةُ وَهَدَأَتِ الْحَرَكَةُ ، وَتَرَجَسَتْ الْأَخْلَاطُ ، وَطَلَبَتِ النَّفْسُ وَافِرَةً ، أَعَادَ النَّظَرَ فِيهِ وَتَوَقَّفَ عِنْدَ قُصُولِهِ وَتَوَقَّفَ مَنْ يَكُونُ وَزْنُ طَمَعِهِ فِي السَّلَامَةِ أَحْصَى مِنْ وَزْنِ خَوْفِهِ مِنَ الْعَيْبِ ، وَيَتَفَهَّمُ مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ :

إِنَّ الْحَدِيثَ تَنْزُّ الْقُرُومَ خَلُوهُ • حَتَّى يَكُونَ لِمَنْ عَنَى وَإِنْ تَكُنْ .

وَيَقِفُ عِنْدَ قَوْلِهِ فِي الْمَثَلِ : «كُلُّ نَجْوَى فِي الْخَلَاءِ يُسَرُّ» ، فَيَخْلَفُ أَنْ يَتَرَبَّعَ مَا يَتَوَرَّى مِنْ أَجَرِ فَرَسِهِ وَحَدِّهِ ، أَوْ خَلَا بَقْلُهُ عِنْدَ فَقْدِ خُصُومِهِ وَأَهْلِ الْمَزِيَّةِ مِنْ أَهْلِ صِنَاعَتِهِ ، وَلَيْسَ أَنْ صَاحِبَ الْقَلَمِ يَتَرَبَّعَ مَا يَتَرَى الْمُؤَدَّبُ عِنْدَ ضَرْبِهِ وَعِقَابِهِ ؛ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَتَرَبَّعُ عَلَى

عشرة أسواط فيضرب مائة، لأنه ابتداء الضرب وهو ما كنُّ الطباع فأراه السكون أن الصواب في الإقلال، فلما ضرب تحرك دمه فأشاع فيه الحرارة وزاد في غضبه، فأراه الغضب أن الرأي في الإكثار، وكذلك صاحب القلم، فما أكثر من يتدنى الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة. والحفظ مع الإقلال أمكن، وهو مع الإكثار أبعد.

وأعلم أن العاقل إن لم يكن بالمشيع فكثيراً ما يتر من ولده ويحس في عينه منه التبع في عين غيره، فيعلم أن لفظه أقرب إليه نسباً من ابنه، وحركته أفس به رجاً من ولده، لأن حركته شيء أحدثه من نفسه وبذاته، ومن عين جوهرة فصالت، ومن نفسه كانت، وأتم الولد كالخطئة بخطها، وكالثمامة يقذفها، ولا سواء إنجارك من نفسك شيئاً لم يكن منك، وانظرك حركة لم تكن حتى كانت منك؛ ولذلك نجد فتنة الرجل بشعره وقتلته بكلامه وكتبه، فوق فتنة جميع نعمته.

وليس الكتاب إلى شيء أحوج منه إلى إتمام معانيه حتى لا يحتاج السامع بما فيه إلى الروية فيه. ويحتاج من اللفظ إلى مقدار يرتفع به عن الفاظ السفلة والحشو، ويحمله عن غريب الأعراب، ووحشي الكلام. وليس له أن يهذب به جداً ويثقله ويصفيه ويؤرقه حتى لا ينطق إلا باللب والسر، وباللفظ الذي قد حنف قُضوله وتعرق زوائده، حتى عاد خالصاً لا شوب فيه؛ فإنه إن فعل ذلك لم يفهم عنه إلا بأن يتحد لهم إتماماً وتذكراً، لأن الناس كلهم قد تمودوا المبسوط من الكلام، وصارت أنفهامهم لا تريد على عاداتهم إلا بأن تغطس عليها وتؤخذ بها؛ ألا ترى أن كتاب المتعلق الذي قد وسم بهذا الاسم لو قرأته على جميع خطباء الأمصار وبلغاء الأعراب لما فهموا أكثره؛ وفي كتاب إقليدس، كلام يدور وهو عربي وقد صُنِّي، ولو سمع بعض الخطباء لما فهمه، إلا بأن يفهمه من يريد تعليمه؛ لأنه يحتاج إلى أن يكون قد عرّف جهة الأمر، وتمود اللفظ المتعلق الذي استخرج من جميع الكلام.

وقد قال معاوية بن أبي سفيان رضى الله تعالى عنهما لمصالحى العبدى : ما الإيجاز ؟ قال أن تجيب فلا تخطئ ، وتقول فلا تخطئ ؛ قال معاوية : أو كذلك تقول . قال مصالح : أفتي يا أمير المؤمنين ، لا تخطئ ولا تخطئ . فلو أن سألتك عن الإيجاز قللت : لا تخطئ ولا تخطئ وبحضرتك خالد بن صفوان لما عرفت بالبسطة وعند أول وهلة أرت قولك لا تخطئ مضمّن بالقول ، وقولك لا تخطئ مضمّن بالجواب . وهذا حديث — كما ترى — قد ارتضوه ورووه ؛ ولو أن قالوا قال لبعضنا : ما الإيجاز ؟ لظننت أنه كان سيقول الاختصار والإيجاز ، ليس يعني به قلّة عدد الحروف واللفظ . وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما ينع بطن طومار<sup>(١)</sup> فقد أوجز ، وكذلك الإطالة . وإنما ينبغي أن يختلف بقدر مالا يكون سببا لإغلاقه ولا يردّد وهو يحكى في الإفهام بشرطه ، فما فضل من المقدار فهو الخطل .

وقلت لأبى الحسن الأفش : أنت أعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلّها ؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ، وما بالك تخدم بعض الموىس وتؤثر بعض المفهوم ؟ قال : أنا رجل لم أضع كتبى هذه لله ، وليست هى من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذى سمعنى إليه قلت حاجتهم إلى فيه ، وأما غايى المئالة ، فإذا أضع بعضها هذا الوضع المفهوم لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا ، وأنا قد كتبت فى هذا التدبير إذ كنت إلى التكبش تهبّ ، ولكن ما بال إبراهيم النظام وغلان وفلان يكتبون الكتب لله برعهم ، ثم يأخذها مثل فى موافقته وحسن نظره وشدة عنايته ، فلا يفهم أكثرها ؟

وأقول لو أن يوسف السمعى كتب هذه الشروط أيام جلس سلمان بن ربيعة شهرين للقضاء فلم يتقدم إليه رجلان والقلوب سليمة والحقوق على أهلها مؤقّرة ، لكان ذلك خطلا وقبوا ، ولو كتب فى دهرنا شروط دهر سلمان لكان ذلك شرارة وقبسا ،

وجَهلاً بالسياسة وما يَصْلُحُ لكلِّ دهرٍ ، ووجدنا الناس اذا خَطَبُوا في صُلح بين العشارِ  
أطالوا ، ولذا أَشْعَدُوا الشرعَينَ السَّامِطَينِ في مدح الملوك أطالوا ؛ فلاإطالة موضعٌ وليس  
ذلك بِجَملٍ ، ولاإقلال موضعٌ وليس ذلك من عجز .

ولو لا أتى أتكلم على أنك لا تَمَلُّ باب القول في البعير حتى تخرجُ الى الفيل ، وفي القِرة  
حتى تخرجُ الى البُوضة ، وفي المقرب حتى تخرجُ الى الحية ، وفي الرجل حتى تخرجُ الى  
المرأة ، وفي الذِّبَانِ والنَّمَلِ حتى تخرجُ الى الفِرْيَانِ والعِقبانِ ، وفي الكَلْبِ حتى تخرجُ الى  
الدبِّ ، وفي الذَّبِّ حتى تخرجُ الى الضَّبِّ ، وفي الطُّفْلِ حتى تخرجُ الى الحافرِ ، وفي الحافرِ  
حتى تخرجُ الى الخُفِّ ، وفي الخُفِّ حتى تخرجُ الى البُرْثِ ، وفي البُرْثِ حتى تخرجُ  
الى الخُفِّ ، وكذلك القولُ في الطير وعامة الأصناف ، رأيتُ أن ذلك يُوجبُ اللالَ ،  
ويُغيبُ القِرةَ المسامةَ من البلوغِ في الفهم ، وتُعرفُ ما يُحتاجُ منه الى التَّعرفِ ، فرايتُ أن  
جُلهُ الكتابِ وإن كثر عدد ورقه ، أن ذلك ليس بما تَمَلُّ من كثرة قراءته أبداً وتَمَدُّ على  
فيه بالإطالة ، لانه وإن كان كتاباً واحداً فانه كُتِبَ كثيرة ، وكلُّ مصحفٍ منها أم على  
جِدة . فإن أراد قراءة الجميع لم يَطُلْ عليه الباب الأولُ حتى يهجمُ على الثاني ، ولا الثاني  
حتى يهجمُ على الثالث ، فهو أبداً مُستفيد ومُستطِيف ، وبعضه يَكُونُ جَماعاً لبعض ،  
ولا يزال نشاطه زائداً ، ومتى خرجَ من أى القرآن صار الى أثر ، ومتى خرجَ من أثر  
صار الى خبر ، ثم يخرجُ من الخبر الى شعر ، ومن الشعر الى نوادر ، ومن النوادر الى حِكَمٍ  
عقيلةٍ ومقاييسٍ مِدادٍ ، ثم لا يترك هذا البابَ فلعله أن يكون أهلاً ، ولللالِ اليه أسرعُ ،  
حتى يُقَعِّبَ به الى مَنَحٍ وفكاهةٍ وإلى مُخَفِّفٍ وخُرَافَةٍ . ولست أراه مَحْفَافاً لِذِكْرِكَ إِيَّاماً  
استعملت سِيرةَ الحكماءِ ومأذبةَ العلماءِ ، ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطبَ العربَ  
والأعرابَ أخرجَ الكلامَ مُخرجَ الإشارةِ والوَحْيِ والحِشْفِ ، وإذا خاطبَ بنى إسرائيلَ  
أو حَكَّى عنهم جعله مهسوفاً وزاد في الكلم . فأصوب العملُ اتِّباعُ آثار العلماءِ والاحتذاءُ

على مثال أفعلاء ، والأخذ بما عليه الجماعة . وقال ابن سير في صفة الكتب في كلمة له :

أَقْبَلْتُ أَهْرُبُ لَا أَلُو مُبَاعَدَةً • فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ فَلَمْ يُجِئْنِي الْهَرْبُ  
يَقْصُرُ أَرِيسُ فَا وَلَّتْ خَنَادِقُهُ • إِلَى التَّوَابِيسِ فَلَمَّا خُورُ فَانْهَرِبُ  
فَأَيْمًا مَوْئِلٍ مِنْهَا أَحْصَمْتُ بِهِ • فِرْنٍ وَرَأَيْ حَيْثَا مِنْهُمْ الطَّلَبُ  
لَمَّا رَأَيْتُ بَأْثَى غَيْرِ مُجْزِئِهِمْ • قُوَّةً وَلَا هَرَبًا فَزَيْتُ أَحْتَجِبُ  
وَصِرْتُ فِي الْبَيْتِ مَمْرُورًا بِهِ جِدَلًا • جَارًا لِيَوْمَةٍ لَا مَشْكُورَى وَلَا شَقَبُ  
فَرَدًّا تُحْدِثُنِي الْمَوْتُ وَيَتَطَلَّقُ لِي • عَنْ عِلْمٍ مَا غَلَبَ عَنِّي مِنْهُمْ الْكُتُبُ  
هُمْ مُؤَسَّسُونَ وَالْأَلْفُ غَيْثُ يَوْمٍ • فَلَيْسَ لِي فِي أَرِيسٍ غَيْرِهِمْ أَرَبُ  
يَهْ مِنْ جُلَسَاءٍ لَا جِلْسُهُمْ • وَلَا عَشِيرُهُمْ لِلْسُّوءِ مُرْتَجِبُ  
لَا بَادِرَاتٍ الْأَدَى يَخْشَى رَفِيقَهُمْ • وَلَا بِلَاقِيهِ مِنْهُمْ مَتَلَقُ ذَرِبُ  
أَقْبُوا لَنَا حِكَا تَبَقَى مَنَافِعُهَا • أُتْرَى الْقِيَالِ عَلَى الْأَيَّامِ وَأَتَشَبَّهُوا  
فَأَيْمًا آدِبٍ مِنْهُمْ مَلَدَتْ يَدِي • يَوْمًا إِلَيْهِ فُلَانٌ مِنْ يَدِي كُتُبُ  
إِنْ شِئْتُ مِنْ مُحْكَمِ الْأَثَارِ يَفْعُلُهَا • إِلَى النَّسِيَةِ يَفْعَلُ بِسَرَّةٍ مُجِبُ  
أَوْ شِئْتُ مِنْ عَرَبٍ عَلَمًا بِأَوَّلِهَا • فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَتْبَعْنِي بِهِ السَّرِبُ  
أَوْ شِئْتُ مِنْ سَيْرِ الْأَمْثَلِكِ مِنْ عَجَمٍ • تُجْنِي وَتُخْرِجُ صَكِيفَ الرَّأْيِ وَالْأَدَبُ  
حَتَّى كَأَنِّي قَدْ شَاهَدْتُ عَصْرَهُمْ • وَقَدْ مَضَتْ دَوْنَهُ مِنْ دَهْرِهِمْ حَقَبُ  
يَا قَاتِلًا قَصُرْتُ فِي السِّلْمِ تُبَيِّتُهُ • أَمْسَى إِلَى الْجَهْلِ فَيَا قَالِ يَتَيْبُ  
إِنَّ الْأَوَائِلَ قَدْ بَانُوا بِجِلْسِهِمْ • خِلَافَ قَوْلِكَ قَدْ مَاتُوا وَقَدْ ذَهَبُوا  
مَا مَاتَ مِنْهَا أَهْرُؤُ أَيْ لَنَا آدِبًا • يَكُونُ مِنْهُ لَظْمًا مَا تُمْكِنُ كَسَبُ

وقال أبو وجرة وهو يصف صحيفة كُتِبَ له فيها بستان وسقا :  
 راحت بستان وسقا في حقيقتها • ما حلت حملها الأدنى ولا السدنا  
 ولا رأيت قلوبا قبلها حلت • سمين وسقا ولا جابت بها بلدا  
 وقال الرايز :

تَمَلَّنْ إِذْ الدَّوَاةَ وَالْقَلَمَ • تَتَقَى وَيُفْنِي حَدِيثَ النَّهْرِ الْقَتَمَ

يقول كُتِبَ الذي تَكْتَبُهُ عَلَى يَدَيَّ فَتَأْخُذُنِي بِهِ وَتَذْهَبُ غَنِيَّ فَمَا يَذْهَبُ • ومما يدل على  
 نفع الكلب أنه لولا الكلب لم يُمِزَّ أَنْ يَلْمَ أَهْلَ الرِّقَّةِ وَالْمَوْصِلِ وَبَقْدَادَ وَوَاسَطَ مَا كَانَ  
 بالبصرة وحديث بالكوفة في بياض يوم، فتكون الحادثة بالكوفة غُدُوَّةً فَعِلْمُهَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ  
 قبل المساء •

وفلك مشهور في الحسام المحدثي : اذَا جُمِلَتْ بُرْدًا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ، وَذَكَرَ سُلَيْمَانَ  
 وَمَلِكَهُ الَّذِي لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنْهُ ، فَقَالَ : ( وَتَقَعْدَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْمُتَعَدَّ ) إِلَى  
 قَوْلِهِ : ( أَوْ لَا تَبْجَهْهُ أَوْ لِيَأْتِنِي سُلْطَانُ مِينَ ) • فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَالَ الْمُتَعَدُّ : ( وَجِئْتُكَ مِنْ  
 سَبِيلِ بَنِي يَهُودٍ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَبْلُكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَّا عَرَّشْتُ عَظِيمٌ ) •  
 قَالَ سُلَيْمَانُ : ( أَتَهَبُ يَكْغَبِي هَذَا فَأَلْفَقَهُ الْيَوْمَ ) وَقَدْ كَانَ عَنْده مِنْ يُبَلِّغُ الرِّسَالَةَ عَلَى غَامِهَا مِنْ  
 يَغْرِتٍ وَمِنْ بَعْضِ مَنْ عَنْدهُ عَلِمَ مِنَ الْكَلْبِ فَرَأَى أَنَّ الْكَلْبَ أَبْهَى وَأَنْبَلُ وَأَكْرَمُ وَأَنْفَعُ  
 مِنَ الرِّسَالَةِ عَنْ ظَهْرِ لِسَانٍ وَإِنْ أَحَاطَ بِجَمِيعِ مَا فِي الْكَلْبِ • وَقَالَتْ مَلِكَةُ سَبَا : ( يَا أَبَا  
 الْمَلَأِ إِنِّي أَتَى إِلَى كَلْبٍ كَرِيمٍ ) فَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى قَدْرِ اخْتِيَارِ الْكُتُبِ وَقَدْ يَرِيدُ بَعْضُ  
 الْجُلَّةِ الْكِبَارِ وَبَعْضُ الْأَدْيَاءِ وَالْحُكَّامِ أَنْ يَدْعُو بَعْضَ مَنْ يَجْرِي عِجْرَاهُ فِي سُلْطَانٍ أَوْ أَدَبٍ إِلَى  
 مَادِيَةٍ أَوْ نِدَامٍ أَوْ خُرُوجٍ إِلَى مُتَنَزَّهٍ أَوْ بَعْضِ مَا يُشْبِهُ ذَلِكَ ، فَوَلَّاهُ أَنْ يُبَلِّغَهُ الرِّسَالَاتِ إِرَادَتِهِ  
 وَمَعْنَاهُ لِأَصْحَابِ مَنْ يَحْسُنُ الْأَدَاءَ وَيَصْدُقُ فِي الْإِبْلَاحِ فَرَى أَنَّ الْكَلْبَ فِي ذَلِكَ أَسْرَى  
 وَأَنْبَى وَأَبْلَغُ وَلَوْ شَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَّا يَكْتُبَ الْكُتُبُ إِلَى كِسْرَى وَقَيْسَرٍ وَنَجَاشِيٍّ

والمقوقس وإلى بني الحننلى وإلى الباهلة من حمير وإلى هوثة بن على وإلى الملوك العظام  
والسادة التجلاء لقمل ولوجده المبلغ المصوم من الخطأ والتبديل، ولكنه عليه السلام علم  
أن الكتاب أشبه بتلك الحال، وأليق بتلك المراتب، وألحق في تعظيم ما حواه الكتاب،  
ولو شاء الله أن يعمل البشارات على الأليسة بالمسلمين ولم يودعها الكتب لقمل ولكنه  
تعالى وعزّ علم أن ذلك أتم وأكمل، وأجمع وأنبأ، وقد يكتب بعض من له مرتبة  
في سلطان أو ديانة إلى بعض من يشاكله أو يخفى مجراه فلا يرضى بالكتاب حتى يتزمره  
ويخضمه، وربما لم يرض بذلك حتى يستونه ويظلمه.

قال الله جل وعز: ﴿أَمْ لَمْ يَلْبِسْ بَيْنَا فِي مُحْصِفٍ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ فخذ كـمـحـف  
موسى الموجودة ومُحْصِف إبراهيم البائدة المدسومة يُعرف الناس مقدار الضع والمصلحة  
في الكتب. قالوا: وكانت فلاسفة اليونانية تَوَرَّثَ لِبَنَاتِ الْعَيْنِ وَتَوَرَّثَ الْبَيْنِ الدِّينَ،  
وكانت تصل العجز بالكفاية والمؤونة بالكلفة وكانت تقول: لا توزنوا الآين من المال  
إلا ما يكون عوناً له على طلب المال، وأغذوه بحلاوة العلم وأطعموه على تعظيم الحكمة ليصير  
جمع العلم أغلب عليه من جمع المال، وليرى أنه العدة والعتاد، وأنه أكرم مُستفاد، وكانوا  
يقولون: لا تَوَرَّثُوا الْآين من المال إلا ما يَسُدُّ الخلة، ويكون له عوناً على درك الفضول  
إن كان لا بد من الفضول، فإنه إن كان فاسداً زادت تلك الفضول في فسادها، وإن كان  
صالحاً كان فيها أورثوه من العلم، ويقيم له من الكفاية ما يَكْتَسِبُه الحال، فإن الحال أنضل  
من المال، ولأن المال لم يزل تاجاً للحال، وقد لا يتبع الحال المال، وصاحب الفضول  
بمرض فساد وعلى شفا إضاعة مع تمام الحكمة واجتماع القوة؛ فما ظنكم بها مع غرارة  
الحداثة وسوء الاعتبار وقلة التجربة! وكانوا يقولون: خير ميراث ما كسب الأركان  
الأربعة، وأحاط بأصول المنفعة وعجل لك حلاوة المحبة، وفق لك الأعدوة الحسنة،  
وأعطاك عاجل الخير وأجله، وظهره وباطنه، وليس يجمع ذلك إلا كرام الكتب النفيسة  
المشتغلة على يتابع العلم، والجامعة لكنوز الأدب ومعرفة الصناعات وفوائد الإرفاق؛

وحجج الدين الذي بصحته وعند وضوح برهانه تسكن النفوس وتتج الصلور، ويسود القلب معمورا، والمز راسخا، والأصل فسيحا، وهذه الكتب هي التي تزيد في العقل وتُسَخِّدُه، وتُدَاوِيه وتُصَلِّحُه، وتَهْدِيه وتنشِئ الخبيث عنه، وتُعِيدُ العلم وتُصَادِقُ بَيْنَكَ وبين الخبيثة، وتُمَوِّدُكَ الأخذ بالثقة وتُعَلِّبُ الحلال وتُكْسِبُ المال. ووراثه الكتب الشريفة والأبواب الرقيقة منبهة للورث وكثر عند الوارث، إلا أنه كثر لا يُعِيبُ فيه الزكاة ولا حقُ السلطان، وإذا كانت الكنوز جامعة يتقصها ما أخذ منها كان ذلك الكثر مانعا يزيده ما أخذ منه، ولا يزال بها المورث مذكورا في الحكاء ومُتَوَّها باسمه في الأسماء، وإماما متبوعا، وعلميا متصوبا، ولا يزال الوارث محفوظا، ومن أجله محبوبا ممنوعا، ولا تزال تلك المحبة نامية ما كانت تلك الفوائد قائمة ولن تزال فوائدها موجودة ما كانت الدار دار حاجة، ولن يزال من تعظيمها في القلوب أثر ما كان من فوائدها على الناس أثر.

وقالوا: متى ورثته كتابا وأودعته علما فقد ورثته ما يُبَيِّلُ ولا يَسْتَفِيلُ، وقد ورثته الضيعة التي لا تحتاج إلى إغارة، ولا إلى سقي، ولا إلى إسمال بإيثار، ولا إلى شرط ولا تحتاج إلى أكار ولا إلى أن يثار، وليس عليها عُشْر ولا للسلطان عليها نَحْرَج، وسواء أفدته علما أو ورثته آلة علم، وسواء دفعتك إليه الكفاية أو ما يجلب الكفاية، وإنما تجرى الأمور ونصيرف الأفعال على قدر الإمكان، فمن لم يقدر إلا على دفع السب لم يجب عليه إحضار المسبب، فكتب الآباء تحييب للأحياء، ونحيا لذكر الموتى.

وقالوا: ومتى كان الأب جامعا بارعا وكانت موارثه كتباً بارعة، وآدابا جامعة، كان الولد أجدر أن يرى العلم خطأ وأجدر أن يُسْرِعَ التعلم إليه ويرى تركه خطأ، وأجدر أن يمرى من الأدب على طريق قد أنجح له، ومنهاج قد وطق له، وأجدر أن ينسرى إليه عزق من تعلمه وصق من خرسه، وأجدر أن يحصل بدل الطلب للكتب النظر في الكتب، فلا يأتي طيله من الأيام مقدار الشغل يجمع العسكب، والاختلاف في سماع السلم، إلا وقد بلغ بالكفاية غاية الحاجة وإنما تُفَسِّدُ الكفاية من تمت آدابه، وتوافقت إليه أسبابه، فأثا



الحلّت الثرى، والمنقوص الفقير. غير موارثه الكفاية الى أن يبلغ التام، ويكمل الطلب. غير ميراث وُورث كتب وعلم، وخير المورثين من أوْرث ما يجمع ولا يُفْرَق، ويُعْمَر ولا يُعْمَى، ويُعطى ولا يأخذ، ويصود بالكل دون البعض، ويدع لك الكثر الذى ليس للسلطان فيه حق، والركاز الذى ليس للفقراء فيه نصيب، والنعمة التى ليس للماسد فيها حيلة، ولا للصوص فيها رغبة، وليس تحمض عليك فيه حجة، ولا حل الجوار فيه مؤونة .

وأعاديمقراط فإنه قال: ينبغي أن يعرف أنه لا بد من أن يكون لكل كتاب علم وضعه أحد من الحكمة ثمانية أوجه، منها الهمة والمنفعة، والنسبة والصحة، والمُسْتَف والمُتَلَف، والإسناد والتدبير، فأولها أن تكون لصاحبه همة، وأن يكون فيها وضع منفعة، وأن يكون له نسبة ينسب إليها، وأن يكون صحيحا، وأن يكون على صنف من أصناف الكتب معروفاته، وأن يكون مؤثقا من أجزاء خمسة، وأن يكون مُسندا الى وجه من وجوه الحكمة، وأن يكون له تدبير موصوف . فذكر أن أقراط قد جمع هذه الثمانية الأوجه في هذا الكتاب وهو كتابه الذى يُسمى «أَلُورِ يَسْمُوا» تفسيره: كتاب الفصول. واولئك وما بلغ من قدر الكلب مع لوم أصله، ونخب طبعه، وسقوط قدره، ومهانة نفسه، ومع قلة خيره وكثرة شره، واجتياح الأمم كلها على استسقاطه واستسفالها، ومع ضربهم المثل في ذلك كله به، ومع حاله التى يعرف بها من العجز عن صولة السباع، واقتسارها، ومن تمنعها وتشرها وتوشحها، وقلة إسماعها، وعن مسألة البهائم وموادعتها، واتحكين من إقامة مصانعها، والانتفاع بها، إذ لم يكن في طبعها دفع السباع عن أنفسها، ولا الاحتيا لملعاشها، ولا المعرفة بالمواضع الحريزة من المواضع المخوفة . ولأن الكلب ليس يسبح تائم ولا يجمعة قائم حتى كأنه من الخلق المركب، والطباع الملققة، والأخلاق المخلجة، كالبلبل المتنون في أخلاقه الكثير العيوب المتولدة من مزاجه، وشر الطباع ما تجاذبته الأعراق المتضادة والأخلاق المتضادة، والعناصر المتباعدة، كالراعي من الحنّام الذى ذهبت عنه هداية الحنّام، وشكل هديره وسرعة طيرانه، وبطل عنه عمر الورشان، وقوة جناحه، وشدة عصبه، وحسن

صوته، وشجا حلقه، وشكل لحونه وشدة إطرابه، وأحتماله لوقع البنادق، وجرح الخنايب.  
وفي الراعي أنه مُسرول مُنقل، وسدّت له عظم بدن وتقل وزن لم يكن لأبيه ولا لأخيه.  
وكذلك البغل نخرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ويمش تناجها ويبقى بقاها،  
وهو لا يمش له ولد وليس يقيم، ولا يبقى للبغلة ولد وليس باقر؛ فلو كان البغل عقيما  
والبغلة أفرا لكان ذلك أزيد في قوتها وأتم لشتمها، فع البغل من الشبق والنمط ما ليس  
مع أبيه، ومع البغلة من الشوس وطلب السقاد ما ليس مع أمها؛ وذلك كله قدح في القوة  
وقص في اليئة، ونخرج غُرمولة أعظم من غراميل أعمامه وأحواله، قترك شهبها ونزع  
الى شيء ليس له في الأرض أصل، ونخرج أطول عمرا من أبيه وأصبر على الأهتال من  
أبيه؛ أو كابن المذكرة من النساء، والمؤث من الرجال، فإنه يكون أخيب نتاجا من البغل  
وأفسد أعراقا من السمع، وأكثر عيوباً من العسبار،<sup>(١)</sup> ومن كل خلق خُلِي إذا تركب من  
ضد، ومن كل شجرة مُطعمه بخلاف؛ وليس يستري مثل ذلك الخلائق من الدجاج،<sup>(٢)</sup>  
ولا الورداني من الحمام، وكل صنف دخل على الخلفة، وكل رقة عارضت للحيوان، فلي  
قدر جنسه وعل وزن مقداره وتمكنه يظهر العجز والعيب . وزعم الأحمسي أنه لم يسبق  
الحلبة فرس أهضم قط . وقال محمد بن سلام لم يسبق الحلبة أبقى قط ولا بقاء .

والهداية في الحمام والقوة على بعد الناية إنما هي للصمة من الخضر . وزعموا أن  
الشيات كلها ضعف وقص، والشيء : كل لون دخل على لون . وقال الله جل وعز : (قَالَ إِنَّهُ  
يَقُولُ إِنَّمَا بِقَرَّةٍ لَا ذَلُولُ تُبِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تُنْسِقُ الْخَرْثَ مُسَلِّمَةً لِأَشْيَةٍ فِيهَا) . وزعم عثمان  
أبن الحكم أن ابن المذكرة من المؤث يأخذ أسوأ خصال أبيه وأردأ خصال أمه فتجتمع

(١) السبع بكسر السين وإسكان الميم والياء المهملة : ولد القتب من الضبع وهو سبع مركب فيه ثلثة الضبع  
وتحتها وجراة القتب ونخته (راجع حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ٢٢) . (٢) العسبار بكسر السين والياء  
الساكنة والألف صيغة : ولد الضبع من القتب ووجهه صابر (راجع حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ١٣٩) .  
(٣) الخلاص : الولد بين أبيض وأسود، والهديك بين دجاجةين هدية وعارسية . (٤) الورداني  
بالراء المهملة طائر منقود بين الوردان والحمام وله غرابة لون وطراقة فذ .

فيه عظام الدواهي وأعيان المساوي، وأنه اذا خرج كذلك لم يُنجح فيه أدب ولا يطمح في علاجه طيب، وأنه رأى في دور جيف قتي أجشمت فيه هذه الخصال، فسا كان في الأرض يوم ألا وهم يتحدّثون عنه بشيء، يصغر في جنبه أكبر ذنب كان ينسب إليه .

وزعمت أن الكلب في ذلك كان الخنثى الذي هو لا ذكر ولا أنثى، أو كان الخصى الذي لما أُقِيل منه ما صار به الذكر فلا خرج من حدّ كمال الذكر فيقدان الذكر، ولم يكمل لأن يصير أنثى للفرزة الأصلية وبغية الجورمية، وزعمت أنه يصير كالنبيذ الذي يفسده إفراط الخمر، فيخرجه من حدّ الخمر، ولا يدخله في حدّ النبيذ . وقال مرداس بن خنم :

سَقَيْنَا عِفَالًا بِالنُّوْبَةِ شُرْبَةً • فَالَتْ بَلْبُ الْكَاهِلَةِ عِصَالِ

قَلْتُ اصْطَحِجْهَا بِإِعْقَالٍ فَإِنَّمَا • هِيَ الْخَمْرُ خَيْلُنَا لَهَا بِجِيَالِ

رَمَيْتُ بِأَمِّ الْخَلِّ حَبَّةَ قَلْبِهِ • فَلَمْ يَتَمِشْ مِنْهَا عِلَاتٌ لَيْسَالِ

بجعل الخمر أم الخلل قد يتولد عنها، وقد يتولد عن الخلل اذا كان خمرًا مرةً الخمر .

وقال سعيد بن وهب

هَلَّا وَأَنْتَ بِمَاءٍ وَجْهَكَ تُشْنَبِي • رُوْدُ الشَّبَابِ قَلِيلُ شَعْرِ الْعَارِضِ •

فَالْآنَ حِينَ بَدَتْ بِجَنْدِكَ لِحْيَةٌ • نَهَبَتْ بِمِثْلِكَ مَلْءَ كَفِّ الْقَارِضِ •

مِثْلُ السُّلَافَةِ مَا دَخَرَ عَصِيرَهَا • بَعْدَ الْأَلَذَّةِ خَلٌّ تَحْسَرُ حَامِضِ •

ويصير أيضا كالشعر الوسط والفاء الوسط، والنادرة الفائرة التي لم تخرج من الخمر الى البرد فتضجك السنّ ولم تخرج من البرد الى الخمر فتضجك السنّ .

## باب الرسائل

### ١ - الفصول المستخبة من الرسائل المختارة في كل فن<sup>(١)</sup>

#### كتب رجل الى صديق له :

إن أبائك شادوا أكارمهم بالفضائل التي كانت فيهم ، وإني قد كنت أخذت في مدرجتهم فأوفيت على غايتهم ، ثم أختلجك الهوى ببعض جديتك وجودك ، من لباس فضلك الذي كنت تطول به على أكفائك ، وتعلك به أعتة كافة جنك ، وألقيت مالك على شر عواقبه عليك لآ لك إن زلت مكاره بواجره منك .

فصل - قيل : إن مروءة الرجل في نفسه تسب لقوم آخرين ، فإنه إذا فعل الخير عرف له ، وبقي في الأقطاب والأنصحاب ، ولقي يوم الحساب .

فصل - إن حق الله على المسلمين أن ينظروا في دينهم بالنصيحة لأئمتهم ، فإن الأئمة إذا صلحوا بذل الهوى بالقوى في قلوبهم ، وماتت سورة الغضب فيهم لأحلامهم ، وسكنت العائمة الى علم وذات لإنصافهم . وإذا كان للحسن من الحق ما يقنه ، وللظالم من التكبر ما يقمعه ، بذل المحسن الحق عليه رغبة ، وذلل المسئء بالحق عليه رغبة . فأقول ما أمرك به رباه الله وهواه . فأما رجاءه فإن تحسن به في الصنع إذا أطلعت ، ويكون لك وقاية إذا آثرته مطمئنا . وأما هواه فإن تكون له فيما أمرك به ونهاك عنه مراقبا ، فإن نية المؤمن تزيد في أنشراح صدره ، وإن شدة خوفه تزد هواه على عقله .

(١) قولا عن اختيار المنظوم والمثور لأن طيفور .

(٢) الجديفة : الناسبة والحالة والطريقة .

**فصل —** تَبَّه اِذَا بُنِيتْ، وَأَذْكُر اِذَا ذُكِّرَتْ، وَأَسْتَفْعُ قَدْ وُعِطْتُ، وَأَسْمِعُ قَدْ نُؤِيْتُ، تَبَّه الْوَعِيدُ، وَحَذَّرَكِ الزَّاجِرُ، وَأَمَرَكِ وَنَهَاكَ الْكَلْبُ، وَقَتَّكَ آثَارُ الْمَوْتِ، وَدَعَاكَ إِلَى الْجَنَّةِ مَلِيٌّ جَوَادٌ، فَالْجِدْ الْجِدَّةَ، قَبْلَ الْمَهْجَةِ بِرِيحِ الْمَذْلَجِ .

**فصل —** مَا نَظَرْتُ فِي مَعْرُوفٍ عِنْدَ أَحَدٍ، فَوَجَدْتُهُ قَصُرَ عَنْ أَمَلِهِ وَكَانَ يُمْكِنُنِي أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُ مِنْهُ، إِلَّا عِدَّتُهُ سِبْقَةً لِي عِنْدَهُ، لِأَنِّي ذَوَّقْتُهُ مَا أَحَبُّ، ثُمَّ مَنَعْتُهُ إِيَّاهُ، وَكَأَنِّي قَصِدْتُ لِإِشْتِيَائِي قَلْبَهُ . وَلَا نَظَرْتُ فِي مَعْرُوفٍ عِنْدَ أَحَدٍ فَوَجَدْتُهُ قَدْ تَنَاهَى عِنْدَ تَنَاهِي أَمَلِهِ وَكَانَ يُمْكِنُنِي أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُ مِنْهُ، إِلَّا رَأَيْتُنِي فِي ذَلِكَ وَائْتَرَأَى لِي، لِأَنَّهُ كَفَى عِيَا لَهَا، وَإِزْرَاءَ بِهَا، أَنْ أَقْنَعُ ... فَضِلْ تَقْضِهِ بِمَثَلِ مَا أَقْنَعُ رَجُلًا مِنْ فَضْلِ يَتَقْضِهِ عَلَيْهِ .

**فصل —** مَا أَنْتَ مَنْ يَلْمُ مِنْ جَهْلٍ بِهِ، وَلَا يُحَسِّنُ مِنْهُ بِادْرَةِ زَلَّةٍ، وَلَا يُقَابِلُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا عَرَفَ خَيْرَهُمَا فَأَتَرَهُ، وَشَرُّهُمَا فَاجْتَنَبَهُ. وَقَدْ رَأَيْتُ مَا سَأَلْتُ إِلَيْكَ الطَّاعَةَ مِنْ حَقِّ الْمَاجِلَةِ، فَلَا تُتَمَرَّضُ لِرُؤَالِ مَا أَنْتَ فِيهِ، فَتُخْضِرُ الْخَطِيئِينَ، وَتُسَدِّمُ فِي الْقَارِنِ، فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ عَائِدِ الْحَقِّ كَيْفَ صَرَعَهُ اللَّهُ وَبَسَطَ يَدَ وَلِيِّهِ عَلَى سَفْكِ دَمِهِ، وَاجْتَلَالَ النِّقْمَةَ بِهِ، فَصَارَ بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي الْأَمْنَةِ مَتَلًا، وَجَمِيعِ الْخَلْقِ غَايَةً وَأَمَلًا، فَفِكْرَةً فِي الْإِخْتِبَارِ، وَعِظَةً لِلْأَبْصَارِ . فَلَا يُبْعَدُ اللَّهُ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَخَتَرَ، وَذَهَبَ عَنِ الْحَقِّ وَأَذْبَرَ . وَأَنْتَ الْيَوْمَ مُحْكَمٌ فِي أَمْرِكَ، مُخَيَّرٌ رَأْيُكَ، تُدْعَى إِلَى حَقِّكَ بِالْخَطِّ الْجَزِيلِ بِتَدَلُّلٍ . فَاعْتَمِلْ مَا قَدْ هَدَفَ لَكَ وَهُوَ يُمَكِّنُ لِيَدِكَ، فَإِنَّكَ إِنْ أَهْمَكَ وَتَرَاخَيْتَ، لَمْ يَكُنْ بِالْحَقِّ وَوَلِيَّهُ وَحِشَةً إِلَيْكَ، وَمَضَتْ أَحْكَامُ اللَّهِ فِي نَصَرِهَا وَتَأْيِيدِهَا عَلَى أَذْلَالِهَا<sup>(١)</sup>، وَصَفَرَتْ يَدُكَ بِمَا لَا يُشْرَفُ لَكَ بِمَثَلِهِ، وَأَخْطَرْتَ بِدَمِكَ وَأَسَفَّتْهُ أَخْبَتْ مَسِيلَ وَأَضَلَّ سَبِيلَ، حَيْثُ لَا تَبْكِي طَلِكَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ .

(١) يُمَاضِي فِي الْأَسْلِ . وَلَهُ : أَنْ أَقْنَعُ قَسِيٍّ فَضِلْ أَخْبَهُ بِمَثَلِ مَا أَقْنَعُ رَجُلًا الْخ .

(٢) عَلِ أَذْلَالًا : عَلِ وَجْهًا وَطَرَفًا .

**فصل —** الناس رجالات : عالم لا يخفى به عن الازدياد، وجاهل به أعظم الحاجة الى العلم ، وليس في كل حال يكون العالم لما يبتغيه من الأمور مُعَدًّا ، ولا المتعلم على ما يستفيد منه قَلْدِرًا وِقِيًّا .

**فصل —** إنا أنت عطشنا من أمورك ، وأعقبت ظهورنا من أفعالك ومؤامرتك ، وتركنا أَعْقَالًا في ولايتك من تنبيهك وتحريكك ، فقد أنزلتنا منزلة من لا خير عنده، وجعلت نفسك أسوة من لا مُعين له ، وكفى بذلك ظلمًا .

**فصل —** إن إعلاني إياك ... غير محمد شينا ، ولكنه أقرب من الجليل في معرفة من المعتبر، وأجل للأمة على المصير<sup>(١)</sup> .

**فصل —** الذي آخذنا عليه من رأيك ، وبقى به من جميل نظرك ، قد خلقني بأهل صناعتك ، وإتلاصنا من ههناك ، وبسط أمل فيك الى غاية خير يُرجى ، أو جزيل حظ يؤمل .

**فصل —** ليس يسوغ لأحد في الأمير آمل ، ولا يتوجه اليه منه رغبة ، ولا يلزمه في قضاء حقه ، ودانة مؤمنته إلا وفصله مستغرق لها<sup>(٢)</sup> .

**فصل —** من أحسد الأمور وأجل المذاهب ، ما كان آخره موصولاً بأوله ، ومؤداه بلؤه الى حد طاقته ؛ فحافظ على الأمور التي حسن فيها عند أمير المؤمنين أثرك ، مستغلًا فيها لكثير ما يكون منك ، مُتَمَكِّنًا بها في التمسك عندك ، والإحسان الواصل اليك ، فإيا يوفقك الله له منها ويخصك به من الفضل في اختيارها ، وأمير المؤمنين يستحفظه الله لك ، ويستمتع به في النعمة فيك .

**فصل —** قد كان يجب أن تجعلنا بتأبئة التمسك علينا في خاصة الشاكرين لفضلك ، ولا تجعلنا بتواتر الإساءات اليها في عامة الشاكرين لك .

(١) يياض في الأصل . ولعل الكلمة المروكة «بحاجتي» . والتأثير أن كلمة «عقده» عروة من كلمة «عجده» .

(٢) كما بالأصل .

**فصل -** عِليُّ بما بنى الله عليه أخلاقَ الأميرِ أكرمه الله، وجعل طيه رأيه في بسط العدل على رعيته، وبَتَّ الفضل على مُتَمِسِّبِ فضله، يعني على الكتاب في مثل ما كُتِبَتْ إليه فيه، من ظُلامة مظلوم يستعِذ فيها بـِالله، وحاجة ملهوف يرجع فيها إلى فضله، فأُجِيعَ إلى ما أتمس من الثواب في ذلك مُوافقةً رأي الأمير، وإذا كاره ما يجب أن يذكَّره، فزاد الله الأمير من نعمه، وأوزعه من الشكر طبعاً ما يُوجب له نتائجها عنده، وترادفها له .

**فصل -** أنت والحمد لله من أحسن الصليحة، وقيل الأدب، وصديق الفيلة وتخلص على الجنة وحسن الظن؛ فاستقامت طريقته وقدمه جميل مذهبه وآثاره، وجرى على قصد السبيل طاعته، وأشدت على السرية والملاينة متابعته؛ فأصبح أمير المؤمنين لا يفتأ في برك وتكرمتك، إلا رآك مستحقاً لها وليس فوقها، ولا يرقعك إلى درجة ألا رآك أهلاً لأشرف منها، صنما من الله لك بما وفَّقك له من طاعته، ووهب لك من جميل صرايته، والمكان منه والآخرة عنده .

**فصل -** فضلُ مشاركتنا إياك في محبوب الأمور ومكروها يجلبنا في السرور بالنعمة عندك - بفقدنا الله لك - ويوجب الشكر بما يكون لحقها قاضياً، ولا يزيد فيها موجبا .

**سعيد بن حميد -** شُفِّك يقطعنا عن مطالبك بالحق في جوابات كُتِبَتْ إليك، وصدق مودتنا لك بمتنا من التقصى في المجبة عليك، ومن يكلك إلى رأيك فإنه لا ينبغي بك إلا لك، صلة إخوانك والتماعد لهم من برك، بما يُنبه فضلك والنعمة عليهم فيك .

وفلان بنى وينسه مودة أقلمه بها على الأخوة؛ لأنك تسلم قرب ما بين المودة والقرابة، وقد بَلَّوْته على الحالات كلها، فلم يزدني اختباراً إلا اختياراً له؛ ولا أعلم بالسرور جليلاً إلا وهو لي صديق، يُشكرُ شكره ويُوجب على نفسه المنة فيما آتى إليه؛ فأنا من بين إخوانه ظلت أبعد عن قضاء حقّه، ولا ألتزم من معروف أسدى إليه؛ فإن رأيت أن

يُحِلُّه بِالْحِلِّ الَّذِي يَسْتَحِقُّه بِنَفْسِهِ وَسَلَفِهِ، فَوَاقِهِ مَا رَأَيْتُ سُوقَ الْأَحْرَارِ أَتَقَى مِنْهَا عِنْدَكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ؛ أَيْنِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَهْلِكُمْ وَرَحِمَ مَاضِيَكُمْ .

**فصل** — إِنَّ أَحَدًا لَيْسَ بِمُسْتَخْلَصٍ شَيْئًا مِنْ غَضَارَةِ عَيْشٍ إِلَّا مِنْ بَيْنِ خِلَالِ مَكَارِهِ، فَمَنْ أَسْتَنْظَرَ بِعَاجِلِ الدَّرَكِ أَجَلَ الْأَسْتِقْمَاءِ سَلَبَتْهُ الْأَيَّامُ فُرْصَتَهُ، لِأَنَّهُ مِنْ صِنَاعَتِهَا السَّلْبُ، وَمَنْ تَشَرَّطَ الزَّمَانُ الْإِفَاقَةَ .

**فصل** — إِنَّ الْأَمِيرَ قَدْ جَلَّ فَضْلُهُ عَنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ وَصْفٌ، أَوْ يَأْتِيَ عَلَى تَعْدَادِهِ اجْتِهَادٌ، فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَكْثَرَ مِنَ الشُّكْرِ لَكَانَ الْأَمِيرُ يُسْتَحَقُّهُ عَلَيْنَا، وَيَسْتَوْجِبُهُ مِنَّا .

**فصل** — قَدْ أَصْبَحَ الْمُخْتَلِفُونَ بِمَجْتَمِعِينَ عَلَى تَحْرِيطِهِ وَمُدْحِهِ، حَتَّى إِنَّ الْعَدُوَّ يَقُولُ اضْطَرَارًّا مَا يَقُولُهُ الْوَلِيُّ اخْتِيَارًا؛ وَالْبَعِيدُ يَتَّقِي مِنْ إِنْجَامِهِ عَلَيْنَا بِمَا يَتَّقِي بِهِ الْقَرِيبُ خَافًا .

**فصل** — الْمَالُونَ إِلَيْهِ يَنْفَمُ مُكْتَنِفَةٌ مِنْ تَأَلُّدٍ بِهِ يَسْتَدِيمُونَهُ، وَطَارِفٌ مِنْهُ يَسْتَعِيدُونَهُ، وَمَوَاهِبٌ مُتَجَدِّدَةٌ، وَفَوَائِدُ مُتَرَادِفَةٌ، هِيَ مَبْسُوطَةٌ بِهِ إِلَى بَرَكَةِ أَيَّامِهِ، وَطَوْ حَظُّ<sup>(١)</sup> مَنْ أَتَصَلَ بِهِ، فَزَادَهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَزَادَ أَوْلِيَائِهِ بِهِ وَبِرَكَّةِ دَوْلَتِهِ .

**فصل** — أَعْمَدَتُ أَحَدًا لَا يَنْتَمِ إِخَاؤُهُ، وَلَا تُشْكِرُ أَحْوَالُهُ، عَلَى بَعْدِ الدَّارِ وَقُرْبِهَا، وَأَنْصَالَ الْمَكْتَبَةِ وَأَقْطَاعِهَا؛ تَحْمَدُهُ مُتَصَرِّفًا مِمَّا فِي الْخَطُوبِ الَّتِي يَطْرُقُ بِهَا الزَّمَانُ، وَيَدَّكُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي يُجْتَنَنُ فِيهَا الْإِخْوَانُ .

**فصل** — أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْصِلَ مَا تَقُولُ بِهِ فِيهِ مِنَ الْجَلَالَةِ فِي الْقُلُوبِ وَالْعَيْنِ عِنْدَ الْوَلِيِّ وَالْعَدُوِّ مَوْصُولًا بِالْإِنْسَاءِ فِي مُدَّتِهِ، وَالْإِدَامَةِ لِعَزِّهِ وَسَلَامَتِهِ، وَالْأَعْلَاءِ لِيَدِهِ وَكَلَمَتِهِ .

أحمد بن يوسف — عِنْدِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَإِنْ كُنَّا مِنْ شَأْنِكَ فَقَدْ آذَنَّاكَ .

فِي صِفَةِ حَرْبٍ — كَانَتْ لَكُمْ الْكَرَّةُ وَعَلَيْهِمُ الدَّبْرَةُ، فَعَمَلُوا حَمْلَةً كَاذِبَةً، أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى صَادِقَةً .

(١) فِي الْأَسْلِ : «حَقٌّ» وَالْبَيَاقُ يَحْتَضِرُ مَا أَتْبَعَهُ .



فصل في هدية — قد أهديتُ اليك من فنون كلامي وعبودِ مقالِي، دقرا ظريف المعاني، شريف المباني، صحيح الألفاظ، يلدُّ بأفواه الناطقين، ويلين على أسماع الصامعين.

فصل في شفاعَة — لفلان قبلك حاجة، ليس يحتاج فيها الى مَعْدَتِكَ وَنَصِيحَتِكَ المبسوطتين لمن لا يتوسل بِحُطَّتِكَ وسمرتِكَ، ولكنّه يريد ما في ذلك المعدل والإعصاف من الرفق والإحسان المُنْخُورَيْنِ لخاصّة والإخوان .

فصل لرجل تميمي — ضَعَفَ حالي يدعوني الى كثرة الطلب، ومُزِقَتْ عيالي رايك تجزئي عن الإلحاح عليك، خوفاً أن أكون جاهلا بساتيتك، وحسن نظرك، والكرم يستحي بضه لبعض، ويبحث بضه بعضاً، ودين حيلته التبر على المقود، فبعت كرمه للنهوض، أو دعاه هواه الى المنع، بخافه عقله على البذل، وحالي جائعة لدى فضلك ونعمة الله عليك من سدّ خلَّتْها، ومداواة عِلَّتْها بجاهك الواسع، ورفدك النافع .

أحمد بن يوسف — قد بذلت لنا من نفسك امرئ مَبْنُولاً وأنفسه، والمودة التي كلما يُحمَد من صاحبها، فهو لها نافع . وثقتنا بك واستنامتنا الى ناحيتك، على أحسن ما أكد الله بيننا وبينك . وإن كان مدى اللقاء بيننا لم يطُلْ فأثقل منه ما يرعاه أهل الوفاء والمخالصة، ويَصْغُرُ في المحافظة عليه وعلى أكثر منه، من دُخِلَتْ نيتُهُ، وَضَعِفَتْ خُلَّتُهُ .

فصل — قد أصبحت لخاصّة عُدّة، وللمائة عصمة، وللأمان ثقة في مناصحتك.

فصل في الصفيح لأبي علي — إنَّ الذي قرط منك، وإن تجاوزَ مني ما أَرْضاه لك، لم يبلغ ما يُنْضِئُني عليك؛ وحيث انتهى ما يخالفني من قولك وضلك، فإن ورامه قسماً مني لإساءتك وصفاً عن زلتك؛ فإن تأمناً لا تخنك، وإن يدنو ظنك فأنا محتاج الى إصلاحه منك .

أحمد بن يوسف — الى ابراهيم بن المهدي في هدية استقلها :  
بلني استقلأك لما أطفئتُك، والذي نحن عليه من الأتس سهل علينا قلة الحشد لك في البر، فأهدينا هدية من لا يتخيم الى من لا يتخيم .

كتب عَقَّال بن شَبَّة — الى خالد بن عبد الله في شفاعته :

إِنَّ اللهَ اتَّجَبَكَ مِنْ جَوْهَرَةٍ كَرَمَ وَمَنِّتْ شَرَفَ، وَقَسَمَ لَكَ خَطَرًا شَهَرَتْهُ الْعَرَبُ وَتَجَلَّتْ  
بِهِ الْحَاضِرَةُ وَالْبَادِيَةُ، وَأَمَّا نَ خَطَرُكَ بِقُدْرَةِ مَبْسُوطَةٍ، وَمَثَلُهُ مَلْحُوظَةٌ بِجَمِيعِ أَكْثَانِكَ  
مِنْ جَاهِلِيَةِ الْعَرَبِ، يَعْرِفُ فَضْلَكَ، وَيَسْرَهُ مَا خَارَافَهُ لَكَ، وَلَيْسَ كُلُّهُمْ أَدَالَةُ الزَّمَانِ  
وَلَا سَاعِدَةُ الْخَطِّ؛ وَأَنْتَ أَحَقُّ مِنْ تَعَلُّفِ عَلَى أَهْلِ الْيَبُوتَاتِ، وَتَادِلُهُمْ بِمَا يُبْقِي لَهُ ذِكْرَهُ وَيُحَسِّنُ  
بِهِ نَشْرَهُ، مِثْلُكَ . وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ فُلَانًا، وَهُوَ مِنْ دِينَةِ قِبْرَاقِي، وَذَوِي الْهَيْئَةِ مِنْ أَسْرَقِي،  
وَعَرَفَ مَعْرُوفًا، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تُكَلِّمَهُ نِعْمَتَكَ وَتَصْرِفَهُ إِلَيَّ وَقَدْ أَوْدَعْنِي وَإِيَّاهُ مَا تَجِدُهُ بَاقِيًا  
عَلَى النَّشْرِ، جَمِيلًا فِي الْغَيْبِ .

### فصل في التوديع

أَسْتَوْدِعُ اللهَ الْأَمِيرَ بِأَحْسَنِ وَدَّاعِهِ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلَهُ فِي كَنْفِهِ وَحِزْزِهِ، فَقَدْ أَكْرَمَ  
الْمَثْوَى، وَأَحْسَنَ الْإِسْتِغْنَاءَ؛ فَأَطَالَ اللهُ لَهُ الْبَقَاءَ، وَأَدَامَ عَلَيْهِ النِّعَمَاءَ .

### في الصفح

بَلِّغْنِي كِتَابَكَ، تَذَكَّرْتُكَ إِلَيْكَ بِوَضْعِي عَنْكَ مُوجِدَتِي، وَرَدَّيْتُ لَكَ إِلَى أَحْسَنِ  
مَا عَهَدْتُ مِنْ مِثْلِكَ عِنْدِي؛ وَقَدْ حَلَّتْ مِنِّي الْفَحْلُ الَّذِي خَطَطَاكَ فِيهِ بِأَفْسَاسٍ، وَأَدْخَلَاكَ  
مِنْهُ مَدْخَلَ أَهْلِ هَيْئَتِنَا؛ وَلَسْتُ تُؤَيُّ مِنْ جِهَالَةٍ بِمَا أَنْتَ فِيهِ، وَلِبَعْضِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ  
الْجَبَارِبِ تُسْتَفَادُ بِمِثْلِهَا الْبَيْرُ، وَيُخْفَقُ بِهَا فِي عَطْفِ الْأُمُورِ .

### جواب في فتح

كتب سالم بن هشام الى يوسف بن عمر حين قَتَلَ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ :  
قَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابُكَ بِمَا أَيْلَى اللهُ فِي مِثْرِهِ السُّوءَ، وَأَنَّهُ لَمَّا عَصَيْتَهُمُ الْحَرْبَ،  
وَأَلْهَمَهُمُ الْحَدِيدَ، عَادُوا بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، قَدْ أَكْذَبَ اللهُ طَلُوبَهُمْ، وَخَذَلَ عَزْمَهُمْ، وَقَتَلَ  
إِمَامَ ضَلَاتِهِمْ؛ وَحَفِظَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا ضَيَعُوا مِنْ حَقِّهِ، وَحَاطَ لَهُ مَا أَبَاحُوا مِنَ الْقُدْرَةِ  
فِيهِ؛ وَقَدْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يَجْعَلَ مِنْ شُكْرِ اللهِ عَلَى نِعَمِهِ، الصَّفْحَ عَنْهُمْ، وَتَقْدِمَ حَرَمِهِمْ

وأن يسمهم من عدله، بما يرد به الجاهل عن جهله، والنوى عن غوايته، ويسلمون مكانه من الله، واستجابته لزمه وتصره؛ وأنه الخليفة المتقى، والإمام المثلث؛ وأنه يُقنم المغر في الطاعة، على المجبة في الثبوت، والحسبة في الاستصلاح، على القوة في التأييد؛ فامسك منهم بيدك؛ فإن أمير المؤمنين قد وهب ذلك كله لله، ورجا به ما ليس ضائعا عنده من ثوابه .

### في الصفح عن الخفاء

لو كان من نازع الى النذر، قلناه عتار الحبر، لم يكن أقرب منا الى الذنب، ونحن نرد عليك من نفسك، وتأخذ لنفسك منك، حتى يكون تركنا إياك، وعدونا فيه وافرا .

فصل — الحمد لله على البلية التي طال أمدها، وبعد ما بين طرقها .

آخر — آخفرت في التبت آفة ذوى الجنى، وقدمت المقدم من الأناة على السبلة، وأعلمت في أمرك النظرة، واتبعت الى السدرة والمعرفة، فلكت ما ملكك، وحكت على الذي حكم عليك، فأخذت مثل الذي أعطيت .

فصل — بدء أسباب الآء ورد دليل على عواقب الأمل فيها، وإنخيرة بصد الله عز وجل .

### فصل اعتذار

لو كان الناس يعضون الحقوق التي يجب عليهم، ويحافظون على الأمور التي تترتبهم، لقلت اللائمة، وخلعت المودة، وارفعت أسباب التاب؛ ولكنهم مجرمة مقصودون، يعضون عن العلم، يكثر ما تدركه عقولهم، وتوقهم عن ذلك أشغال لا يجب بها المذر، ولا تستحق الإيثار؛ ولم أزل عتبا على نفسي فيما ضيعت من مكاتبتك، مع معرق بفضلك، وموقع ذلك عندك؛ وما اعتذارى اليك، سوء ظن بك، ولا غافاة للأمتك؛ ولئن فعلت ما ظننت، غير أني أحببت أن أكفيك المؤونة، فيما عسيت أن تنقبض عنه من مقايستي ومعاتبي؛ وأنا أحب أن تغبل العنبر، وتعين على مستقبل البر .

**فصل -** أنت في زمان إن لم تقاطع أهله، وتختلمهم على ما في أيديهم، وتصبر على مكاره الأمور بعد المطالبة، لم تصل إلى شيء، ولم تجد أحدا ما على فضل منك وإن عرفه فيك، ولم يقنع من محاسنك شيء، إلا رأى في مساوئ فيرك عَوْضا منه؛ فكان بذلك أفلح، وإليه أسكن؛ فليكن بالصبر، فإت غايته إلى خير، وأقل ما فيه أن صاحبه لا يلوم نفسه، ولا يلومه أحد، ولما يظفر أو يدلل .

### إلى المأمون من عامل

قل من يسارع إلى بذل الحق من نفسه، إذا كانت الحق مضرا به، وقل من يدع الاستانة بالباطل، إذا كان فيه صلاح معاشه، وسبب مكتسبه؛ وإذا تفوق الحق في أيدي جماعة فطولبت به، تشابهت في الكثرة لبثله، وتماوتت على دفعه ومنعه، بالجيل وبالثبة قولاً وفعلاً؛ واحتاج المبتلى باستخراج ذلك الحق من أيديها، إلى استعمال مجاهدتها ومصابرتها على الحيلة في مداومتها .

### ابن الكلبي

كان خبر ما أبلاك الله في فلان بعد أمانه ما عزمت عليه من الأمان، خبراً عظم مكانته من أمير المؤمنين، وحسن موقعه من الدين؛ ثم ردف خبرك بإذعانه عند ما عضه من بأسك، ومسه من مؤلم إقاعك للاستسلام، وطلب عقد الأمان؛ وإنك بذلت له ما طلب لا لرغبة بقيت في ناحيتك، إلا الاحتذاء على مثال أمير المؤمنين وأدبه؛ فكان إياؤه ما عرضت عليه في أول أمره ذخيرة حظ فيما كشفت عنه البلوى من محمود أثرك، واجتمع لك في ذلك حفظان : الظفر آخراً، والدرك لما حاولته أولاً، فلا زلت على نصيبك من الخط، مؤيداً بالنصر والمؤنة، والحمد لله على ما حقق من التظن<sup>(١)</sup> من هذه النعمة على يديك وبسمي .

(١) يياض في الأصل . ولعل الكلمة المزوكة «مراق» .

## ابراهيم بن اسماعيل بن داود الى ذى الرياستين

وصل الى كتابك بخط يدك المباركة، فلم أرق قليلاً أجمع، ولا إجازاً أكتفا من إطناب، ولا اختصاراً أبلغ في معرفة وفهم منه؛ وما رأيت كتاباً على وجازته، أحاط بما أحاط، وضربت غلى في فنان فضّل ذلك سرورى، وقد يستعطف الظالم، ويستعجب المتجنى؛ وفي رفقك وعلمك بالأمور ما يصلح الفاسد، ويدلّل الصعب، ويقيّل المدبر؛ ولا يمنعك جور من جار عليك، من الاعتقاد في الحق عليه، والأخذ بالحق في أمره، فإن الله عز وجل لم يجعل عليك في ذلك مقصّة ولا قضاضة، بل فيه الإغثار والإنتار والاستبصار، وقضاء حاجة النفس، مع التادية الى السلامة، والأمن من التدامة.

فصل - أنا في حال عافية، تتجاوز الى حال نعمة، والحمد لله حتى يرضى، فقد أَرْضَى؛ فاقما ما أشرت به، وغيّرت من إرضاء رأيك فيه، والإسكاه عنه، فثلك جعل لمن نصحه شركاء في كلّ أمره، ولم يجعل رأيه قرصاً لبعضه أن يتعدى،<sup>(١)</sup> وذكرت أدب فلائحة، وعندنا لفلاحة الطمع المستقبل مع الإنعام المتقنم، مع أنه لا شيء لنا عندنا قل ولا جل، ولو كان ما استطلنا حبه صفقة كلف، ولا تضيض طرف؛ وذكرت أنه لا يستغني مثلاً عن مثله، وأبدال الله كثيرة عديدة، وما بان علينا فقد أحد ممن كان قبلها في دارنا، خال بيننا وبينه حائل، ولا اختلا له مع نظر الله تبارك وتعالى وأخلاقه؛ وبعد هذا فأحسن الله جرائمك، وحاط لي فيك ما أحب منك، وكفك المهم وكفاني بك، فما تقوم نفس لو كانت لي أخرى مقامك في نصيحتي ويزى، والاهتمام لي، بما أنا عنه ساهية لاهية من أمرى، لا أقدمنيك الله ولا النصيحة منك.

فصل - قال أبو جعفر الزكّمانى الحسن بن سهل ووعده شيئاً فأبطل عليه :  
أنا أعترف تكمل الثقة فيك، ورجاحة الفضل بك؛ وأعلم أنّ فضلك يربّي على قولك،  
وأنّ إيجازك أكثر من وعذك؛ فقد تم لي من كرمك، ما أتممه إلى أن يلحقه المتأثر

(١) يائس في الأصل - وما رضاه، يناسب المقام.

عنه، وإلا فقلت على ما أقول إذا سألني من يمتعه على شركك، عما يلته من الحظ على نيك .  
فقال الحسن : يقول ما يبغي . فقال : فاقبل ما يبغي أفعه .

### عمرو بن مسعدة

وصل الى كابل ، على ظلم متى اليه ، وتطلع شديد ، وبعد عهد بيد ، ولوم متى على  
ما مستقي به ، من جفاك ، على كثرة ما تابعت من الكعب ، وعدمت من الجواب ،  
فكان أول ما سبق الى من كابل السرور بالنظر اليه أنسا بما تجدد لي من رأيك ، في المواصله  
بالمكثبه ، ثم تضاعف المسره ، بنجر السلامة ، وعلم الحال في الهيئه ، ورأيتك بما تظاهرت  
من الاحتجاج ، في ترك الكلب ، سالكا سبيل التخلص عما أنا مُحطَّص منه ، بالإغضاء عن  
إلزامك المجبه ، في ترك الابتداء والإيجابه ، وذكرت شغلك بوجوه من الأشغال كثيره  
متظاهره ممكنه ، لأجشحك متابعة الكعب ، ولا أحمل عليك المشاكلة بالجواب ، ويقتضى  
منك في كل شهر كلب ، ولن [تُزَم] <sup>(١)</sup> من نفسك في البر قليلا ، إلا ألزمت نفسي عنه  
كثيرا ، وإن كنت لا أذكر شيئا منك ، أدام الله مودتك وثبت إعطاك ، وأستراح لي  
منك ، فأريك في متابعة الكعب وعادتي فيها بنجرك موقفا إن شاء الله .

### عيسى بن واضح الى الفضل بن الربيع

قد أذكاه من حرمي بك ، ووصل من الشعب بيني وبينك ماجعله ذخيره ليوم الحاجة ،  
وعلة عند ملي النازله .

### جبل بن يزيد

أما بعد فإن من محب الدنيا لم يخل من تصرف أحوالها ، وكثرة معاويض جفائها ،  
في احترام الأفس في خواصها ، ومواقع البلايا بين ذلك فيما يهدأها ، ويفر من الأشياء عليها ،  
وكان ذلك لا سبيل الى دفعه ، ولا حيلة يستعان بها عند نزوله ، إلا الرضا عن الله عز وجل  
فيما قضى ، والتسليم لأمره في كل ما أتى ، والسكون الى الأسوة التي تنهج الله سبلها ، وخفف

(١) السياق يقتضى وضع هذه الكلمة ، وهي متروكة في الأصل .

بها مواعظ المصيات على أهلها، ثم الرجاء بعد ذلك لحسن ثواب الله، [وقد] جعله الله لمن لزم أمره وأجشم نفسه مكرهها في مواطن الصبر على المصيبة، والشكر في حال العافية .

### وله في المطر

قد كنتُ كُتِبْتُ إلى أمير المؤمنين أمله المطرة التي أصابتنا، وما أنزل الله بها من رحمته ثم عادت لنا بعدها من الله عائدة رحمة، بوليّ مطر أنزله الله بأحسن ما رأينا من المطر وبالآجودا، لا يفتقر غزيره ولا يرعى جوده، إلا إلى ديمة عن ديمة، يترامى إليها يسيرا ويكثا تعود، فأقامت طينا سماؤه مُتَهَلِّةً بذلك وكذلك إلى غروب الشمس، ثم أقطع مطرها بسكون من الريح، ومُخَوَّر من القفر، وفضل من الله عظيم، ينشر به رحمته، ويسبط به رزقه، فأصبح النعمة، وأوسع البركة، وأوبق بحمد الله معارف الغضب والحي. والله محمود على الآثمة ومشكور على بلائه، وما أنزل الله من سُقياه ورحمته، بعد الذي أقبلت به السنة البرية والقصير وعدم الإبطار، وشدة ما بلغ الناس من القنوط وسوء الظنون .

### وله إلى بعض إخوانه

أما بعد، فإن أعظم الأمور نيا بين الناس حقا أمران: منهما الإخاء في الدين، فهو سبب وصية الله بين عباده بالآلفة والمحبة التي أعطت بها قرائن القلوب من بعضهم إلى بعض، فأقصت بمجالتهم مرائر جملها، وتخطت نيا بينهم عاطفات وصلها، ومنهما مجاملة جمل الأعداء، وحفظ ما يحق لأهل حسن البلاء، ثم الصانع بعد ذلك في مواقعها فضائل بقدر ما جرت به أسبابها ولطفت مدخلها .

: فصل — الصناعة ليست يزيدنا الأخلاق الجيلة، ويزيد في أسبابها أو أضر الموقفة؛ وقد جعلك الله في صناعتك مُقَدِّمًا، وفي مودتك مُتَّضِعًا؛ فلا زالت منك نعم الله، ولا يرحت سكا لإخوانك، وأنسا وموضعا لما تستيجون من معروفك، ويستميرون من يدبرك .

فصل - إنَّ لك من قلمي لموضعا معمورا بالموقة والثقة ، والاسترسال  
والأمانة ، فلا تُخرج فلانا من سعة جيل برك ، الى عُنِّي استحقاقه .

### آخر

قد طالَّت الصباية اليك ، وللهمر عُنِّي عائدة بالضع والصنع ، ولا سبما لمن كان على  
مثل شاكتك في أدبك وفضلك وإنصافك إخوانك وبرك بهم ، وما توجهه على نفسك  
لم يحصِّهرون عن شأوك فيه .

### الكلي

كان أسلافنا تمارضوا دونا من الصفاء يستلذها كلَّ عَقِب من صاحبه ؛ وقد أوردونا  
موقة لا تبيحُ عن اكتساب مثلها .

### ابن أعين كاتب الخيزران

ليس يكون منك شيء ، وإنَّ حسن ، إلا وحسن ظني بك بيلغه ، فاستم أحسن ما كان  
منك ، يتم لك أحسن ما تُحب مني . ولا يمنعك الاكتفاء بملك اليوم من طلب الزيادة  
في غد ، فإنه لقل شيء لا يزيد إلا حصص ، والزمان يعمق الكثير ، كما يربو على الزيادة القليل ما

### ابن الكلبي

أنت من أطول بمكانه وأبقى بهيم رأيه ، وأعتمد على رفته ، وأرجو ذرك كلَّ فضيلة  
به ؛ وبما أحب علمه مقرر نعم الله عز وجل لديك ما

### علي بن عبيدة الى ابن الكلبي

وصل الله أيام عمرى بإتباع موافقتك ؛ ولولا موعد أخذ علي ، لأطمئنت فيما أمرت به ،  
متبعا مع إجاباتك سرور نفسي برؤيتك في السلامة .

أما بعد ، فإني أصبحت وقد استفرغ الأمير مني كلَّ موقة ونصيحة ، ومبلغ جهد  
وطاقة فيما عرفت له فيه موافقة .



**فصل —** فإن الذي شَعَبَ الله بيننا من التواصل والتكاتب، يدعو إلى متابعة الكتب اليك في تمهيد حَقِّكَ ، وإن كان الخبر عن ظاهر الحال قلبي يُقْنِي ، فإنَّ له من الأُنس والموقع في الكتب ما ليس لِمُسْتَرْضَاتِ الأخبار .

**فصل —** قد كنتُ أعلمتُ الأمير انقطاع بني فلان إلى فلان ، بأهوائهم وبصائرهم وشراء ما قبَّله بغيره ، وما كان وصل إلينا في ذلك من الأمور التي حملوا إصرها ، وبقي لنا إجرها وذكرها وتلفتها وسابقتها ؛ فنحن عند الأمير وخباياه وذخائره ، ومن يأمل يومه وفده ، ولا متخلى له عنه ولا مقتصر دونه .

### عُجْرَة

بلغني كتابك بصف كذا . فإن رأيتَ ألا تعتمد على ما لصقت [ به ] من عذرك ، وأعلمتَ فيه الهوى من قبول عفوكم ، وتحملي أحد من يُسر بسروركم ، وتُشرِك في مُهمات أموركم ، فإني أهدم وأوسطهم عناية بما عتلك وتوسطا لما عراك ، فلت .

**فصل —** والدتر من دارك إذ الدار جامعةٌ والمجلب مُتَّصِلٌ ، إذ نحن في الاستيفاء بالخبر والعلم بدخلة الحال ، بمنزلة من كآته يُعانِي من يشاقق إليه ويصبوبه في كل يوم ، حتى نأت النوى ، وأنت في اللقاء والإنظار في كل أمر وعلى كل حال من لا يُشَكُّ في صفاء غيبه ، وصدق إخائه .

**فصل —** مشاركتنا إياك في محبوب الأمور ومكروها يعلنا عملك في السرور بالنعمة يخلدنا الله لك ، ويُوجب من الشكر علينا مثل الذي يُوجب عليك . فوصل الله كل نعمة يهبها لك من الشكر بما يكون لحقها قاضيا ، ولقز يد فيها موجبا .

### سعيد بن عبد الملك

كتبته على سُفل في قطع من القِرطاس ، ولم يقطع بي حسنُ الظن بك في قبولك العذر ، وتحسينك ما أنت أهلٌ لتحسينه ؛ فإنك تعجل دون حَقِّكَ ، وتَهَبُ الذنب فيه ، فيكون شكرُكَ (١) في الأصل : « ... سره منته ... » : (٢) في الأصل « طبا ... » وهو لا يرقى الفرض المراد .

جاريا على سبيلين، كلاهما يُبين لك عن فضلك، ويوجب لك مالا يَقصرُ معه إلا مغبونُ  
الحظ خيسُ النصيب .

**فصل** — وقد ظهر من أمير المؤمنين في فلان بعد وفاته، ما هو أعدل شاهد على  
حسن مُنْقَلَبِهِ ، ورَدِّ اليك من رايه وتفقد ما أرجو أن يكون فيه أعظمُ البُوض . والله  
أسأل أن يتولى لك أمورك في السراء والضراء، والثبته والرخاء، والشكر وحسن العزاء .

### جليل بن يزيد الى بعض إخوانه

تَمَّ الله علينا وعليك النعم ، وأَجَزَلْ لنا ولك محاسن صالح القِسم . إن الله تبارك وتعالى  
أجرى بيننا وبينك لطيف مودة، وخاص أخوة ، غير أن المعرفة قد تُجحد بعد الخبرة ،  
والثقة إنما تعرف بعد التجربة ، وقد أحبت أن أعلم من قبلك الذي أحدث الله لك من  
حال دولتك ، وأن أعلم هل أبقت لنا منك النعمة سعة ، أم تركت لنا منك صفة تُعرف  
بها عهدك وتأمل بها وصلك ؟ فإن أصحاب السلطان ، يخال بكوى في التثني والانتقال ،  
إلا من نالته من الله تبارك وتعالى عصمة . فإن كنت على ما رجونا من الوفاء، وحسن  
الحفظ للمودة والإخاء ، فتلك لم يرض نفسه إلا بأجل الأخلاق وأوقها للسداد . وإن  
هجرتك عن ذلك ما أتى به الإقدارُ في مُتَصَرِّف الليل والنهار ، نَمُرُّكَ بما نَمُرُّ به أهل  
السلطان، اذا غيَرتهم الحال ، وتكرت شمائهم بين الإخوان .

وله الى بعض إخوانه أيضا :

إعلم أني اليك مشوق، وأتَّ صِلَةَ الإخوان كَرَمً ، وخير الصلات ما لم يكن لها وجه  
إلا الرجاء والحفظ وتجديد المودة وتصحيح الإخاء ؛ فإن الذي يكتب إخوانه على حال  
الرغبة يكنى القائل كتابه حيث شاء ، إن أحب مال به الى الصصة ، وإن شاء وضعه  
لرغبة، والرغبة أملكهما به . والذي يكتب إخوانه على حال الضرورة ، فقد يستقطع الصلة  
(١) في الأصل : وأجرتنا ... .  
(٢) في الأصل : « وأملكها ... » .  
(٣) في الأصل : « ما عليك » .

عند المحدث غفلة الملامة من الناس على القطيعة الشنء المشهورة لإخوانه ، فإذ الذي لا موقفة له قد يصل ذلك في تلك القطيعة بأهل البلاء .

والكتاب على مثل حالنا وحالكم اليوم شاهد على أن ذلك ليس إلا حجة الإخاء والشوق إلى المحادثة بالكتاب ، حين لا يلومك اللاعنون لمقرلة البلاء تلك الائمة على التخصير ، ولا يوضع منك الرغبة في الإطعام . إياك أن تمتل بالأشغال أن كنت في خاصة نفسك ، فإن أداء الحق وصلة الإخوان أعظم الخاصة بك خاصة . وإنما أمرنا في كل هذا كأمرنا في الذي يستغني من خاصتك تلك التي لنا ، فإن لنا ما لك ، وهذه التي لنا لك ، وأليس ما أمرنا بمرك وما سلبناه خطاك ، فهذه كذلك وذلك كهذي . والله يوفقنا وإياك . وأنت أبا يوسف . هكذا حال ما بيننا وبينك ما وصفت لأبي سعيد ، غير أنه سألنا أمرا لم يسألناه قط ، فله فضل سبق علينا في المسألة ، ولنا فضل المترلة عليك في الائمة . ولن أدعك والفضل ، دون أن تشفعه بالعمل الذي هو صلة القول . وسلام عليك ورحمة الله ، وقضى الله من وجب بالحسن لنا ولك .

فصل — أثنى كتابك ، فأعمت أن يسنى بسلامتك ، وما حاق فيه كرم ترك ، ولطيف عيانتك ، ما لم أفقد في حالة من حالاتك ، فكان الكتاب مصبغا لما سلف ، مبشرا بما يستأنف ، مدكرا منك عهدا موصو<sup>(١٧)</sup> مثاله طريق وقلبي ، ملصقا ذكره لباني وقلبي . فلا عيبك ، بل امتنى الله بك فأطال ، وكثرتي يقاتك .

فصل — أثنى كتابك فطامن قلبي وطرفي ، بعد ما كان شاخصا إليه ، مشتوقا إلى رؤيته ، ثم ما ملأني سرورا ما رأيت فيه من آثار ترك وكرم تحقك . وأفضل ما عندي منك قبلي ، مما إن ذكرته ، فلا سراحة إلى الذكر ، وإن أسكت ، فلمجز عن الشكر . فأنا الضمير لئني على الإقرار بفضلك ، والنية خالصة بشكرك . وقليل ذلك لك ، فأعطاك الله فأطاب ، ووهب فأجزل .

(١) في الأصل : « غفلة الملامة من الناس ... » . (٢) في الأصل : « ياخذ » . (٣) في الأصل : « فلا سراحة ... » .

**فصل —** وصل إلى كتابك نُقِلَ لي حين نظرت إلى أثر يدك تجرى فلكك في بطن صحيفتك، أنك مائل بين عيني: أنظر إلى شخصك وأسمع من لفظك، فابتست ذلك مني طربا شاقا، وصباية هيبت الأحران وذكرت الإخوان. وكنت من إخواني الذين أنخر بسلامتهم للود الذي أجرى الله بيننا وبينك، فتواصلنا بجرمته، وتماطلنا بوصله.

**فصل —** إن الله جعل عاقبة كل نعمة وإن عظمت، تبعا لأولها، وجعل الشكر عليها سببا لتمامها وموجبا لأحسن الزيادة منها.

**فصل في شكر —** إن الله جعلك لغير متعدينا، وللفضل موضعا، فيها حملته نفسك من ثقل أعباء المروءة، وحملتها عليه من عظام المكارم، حتى صرت بما أنعم الله به عليك، مُنتهى كل أمل وغاية كل رغبة. ثم ألبست النعمة لباس التواضع، وناسبت في الأخلاق من سبقت به عليك الأمور، حتى كأنهم في النعمة لك شركاء. وتغنيت على الأمورين والمتغربين من الإخوان والأكفاء. حتى كأنهم لك ولد، وأجبرت نفسك حين ساعدك المهر، على طيبة التقرب إلى العامة؛ فكلمهم يُدلي إليك بدلو رغبته، ويمتدح منك متاحة فضل؛ فلا عذمت ألا تزال تُعيش سقطة، وتُجمل عثرة، وتُسَد خللا، وتُزيل أملا؛ ولا صدم من شهد ذلك منك، أن يستتم هذه النعمة عليك وعلى نفسه؛ فإن من سعادة العامة أن يعمل سائرها عند خيارها. ومن البلاء العظيم عليها الموجد لها، أن يخص شرورها بموضع رغباتها.

فاسلم كلاك الله بهذه النعمة، غير متفص بها، ولا مُكدر عليك صفوها، حتى تُسألك النعمة الماجلة إلى النعمة الباقية؛ فإننا وإن علينا أتم من شأن الدهر النيران في الوقاب فقد علينا أنك فيما أهدى الله إليك من النعمة، قد أدت حق الله عز وجل ثم حق إخوانك فيها، فكنت أنرم من نال فضلك، كرما في السناء، ورضا في الآخرة، غير متناول لما نامل، ولا متقصص لما نتحذر؛ فإنما تجزي شكر الماضي منك، ورجاء الباقي،

(١) في الأصل: "ولا مكدر عليها صفوها ...".

فترى تضييعا منا في عقد الرأى، وإذراء بنا في وثائق الأمور، ألا نتمتع من أنفسنا مَوَدَّةَ الوالد وودقة الوالد . وإذا أعطاك أمرؤ ثمرة فواده، قد فرغ اليك من جميع حَقِّك ، لأن ذات يد امرئ في البذل أهون عليه من ذات نفسه في الشكر . وكفى لامرئ من أمرئ أن يستولى عليه حتى لا يدع لغيره فيه فضلا . وكفى بك لنا من ضحك . وكثير منا أن نقوى على أداء أدنى صنوف حَقِّك ، غير أن أوصى أمورنا فيك عند أنفسنا ألا نسأَمَ النظر إلى فائتك يبيح بك إن برزت، وعاذرين لك إن شُفِلت .

فصل — إن الهدى والضلالة يقتضيان دُولَ الأزمنة، لغير كرامة للباطل ، ولا هوان للحق . وأهل الحق كيف تصرفت أحوالهم في كرامة من الله عز وجل، ونعمة بين دولة تكون لهم، يقيمون لله فيها بحقه ويظهرون هداه ودينه، ودولة تكون للباطل، يكونون فيها كهُونا للغيرات، ومَعْدِنَا للسنات، يستكن الحق في صدورهم، ويأوي البر والصديق اليهم؛ فهم بين يومئ صبر وشكر، ليس أحدهما دون صاحبه في الفضل .

وأهل الباطل كيف تصرفت أمورهم بين تُخَطُّ الله وعقوبته، لأن الله تعالى لم يجعل في الباطل فرجا لأهله، وإن كانت لهم دولة كانت إملاءً واستدرابا، وكانوا فيها على مَدْرَجَةِ هَلَكَةٍ وسبيلِ رِقْمَةٍ؛ وإن كانت الدولة لأهل الحق، كانوا فيها بين ذل وضيم، وخوف وجزع، وقد سدت عليهم المطالع، وضافت عليهم الأرض بما رَحَّبَتْ . ففى أى يومئهم مستراحهم : أيوم دولتهم، وهم لا يشكرون النعمة ولا يقطنون أسباب النعمة؟ أم يوم علو الحق عليهم، وهم لا يصبرون على الحنة ولا يتصبرون من العسى؟ وأهل الحق بين حَالٍ غِيْطَةٍ وحسبة، وأهل الباطل بين حَالٍ إمْلَاءٍ ورقمة .

فصل في صفة الجند — إن الثالب على أهواء جماعة من فِظَم أولياء الأمير وجنده إعظام الأمير ومعرفة فضله، والتغزب الى الله بحبته ومناصحته وطلاعه، ومُعَادَاة مدوه، وتلك نعمة يَسْتَلُونَهَا ويتزبون الى الله بها، ويتوسلون الى الأمير بخزى قوم خالفوا.

**فصل —** حل بين فلان وبين التشريد بهم والاجتياح لهم ، فاذك ذلك أرضى  
 لربك ، وأجمع للألفة ، وأقوم لعمود الخلافة الذى سدد الله دعائم الإسلام وأمن الدين به .  
 وأعلم أنه من حاط الله دينه ، وروى عن فوّه الجماعة ، وعادى أهل النقص لها ، ابتغى الله  
 آمنا من هول الحساب وضيق المحشر ، والله بنصره أحق وأولى . وكان لله بحيث اقترض  
 عليك ، فإنه قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : **( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ )** .

كتب جعفر بن محمد بن الأشعث الى رجل لم يكاتبه  
 . لست بما صرفت الى من معروفك بأمر منى ، بما أهديت الى من قضاء الحق عنك ،  
 وقلة ذوى الحرمة بك ، لأنك قد فصل من لا يثق ولا يأنس إلا بمن يتعهد طيه .

كتب الفضل بن يحيى الى رجل يشاوره فى أمر حدث  
 ليس كل امرئ وإن كان ذا عزيمة فى رأيه ، وأصالة فى عقله ، بمستغنى عن مكاشفة  
 أهل الراى ، لتوزيع الله عز وجل ، أنصام الفضل فى خلقه ، وإشراكه إياهم ، فى عطاياه ،  
 فرائك فى كذا .

ركب ابراهيم بن المهدي الى أحمد بن يوسف ، فكتب أحمد  
 الى إسحاق بن ابراهيم الموصلى  
 عندى من أنا عبده ، ومجتبى عليك ، إعلامنا إياك .

### توسل

توسل رجل الى رجل بمحمد بن عبد الملك وأدعى قرابته منه ، وبلغ ذلك تمدا فكتب  
 الى المتوسل اليه :

بلغنى أنك رجلا ادعى قرابتي ، وأورد عليك كتابا ذكر أنه منى ، وما أنكر أن ينفع بى  
 من توسل بنسبى ، إلا أنه من ادعى قرابة ، ولا قرابة له ، كان استعمال الشفاعة فى أمره أولى .

كتب طلحة بن الحسين الى الفضل بن سهل  
أسعدك الله بخاربتك، التي بَلَّتَ فيها مُهْجَتَكَ، ومُهْجَ مَنْ هو موصول بك مِنَّا .

محمد بن أبيهم

وليس في جميع الناس أعدى لك : من صديق مؤمل، أو حم راج، إن منعتهما شتاك  
وبهتاك، وإن أعتبهما الباهة اختلاك .

محمد بن مسعر

قال : كنتُ أنا ويمحي بنُ أُنْثَم عند سُفْيَان، فبكى سُفْيَان، فقال له يمحي : ما يُبْكِيكَ  
يا أبا محمد؟ قال :

بعد مجالستي مَنْ جالس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبْتَلَيْتُ بِمِجَالِسَتِكُمْ ،  
فقال له يمحي : مُصِيبَةٌ مَنْ جَالَسَتْ مِنْهُمْ بِمِجَالِسَتِهِمْ إِذْكَ بَعْدَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمُ مِنْ مُصِيبَتِكَ بَنَاءً، فقال : يا غلام، أخلق السلطان سيحتاج اليك .

دخل ميمون بن مهران على بعض خلفاء بني أمية - وأحسبه عمر بن عبد العزيز - فقال  
له وقد قصد في أنشريات مجلسه : عظمي، فقال له : إني لك من خير أهلِكَ إِنْ وَقِيتَ ثَلَاثًا، قال :  
ما هن؟ قال : السلطان وقدرته، والشباب وقوته، والمال وقوته، فقال : أنت أولى بمكان  
مَنْ قَارَعَكَ إِلَى؛ فأجلسه معه على سريره .

ابن وهب في الاعتذار

لو لم تَمْرُكْ لم نَعِزْنَا بَقَطِيعَتِكَ، فكن لنا في لائمة نفسك، كما تَأْكُلُ في مَمْرُكِ .

وفي مثله

ليس في الإساءة فضلٌ عن الاعتذار، وفي عائدتك فضل عن إسامتنا، فمن أين يسقط  
بين فضلك والاعتذار !

(١) هكذا وردت في الأصل .

## آخر

فلان من حلة المعروف، يكثر عند: هم ظيله في شكرهم، ويقل لهم كثيره في عظيم حقوقهم .

فصل - لن عميت عن الرأى فيك، لقد أبصرته بك .

فصل - تيب فاشتاق، وثق فلا أشتى .

## ٢ - فصول من رسائل مختارة في كل فن

وهي مثل مما كتب به الكتاب في أبواب لا نظير لها

فن ذلك ما كتبت به في التحميد لله عز وجل في أوائل الفتوح وأواخرها وأوائل الكتب التي فيها بحمد الله عز وجل .

## التحميد الأول

الحمد لله القادر القاهر، المتوحد بالسلطان والربوبية، والمتفرد بالبقاء والقدرة، والمتجبر بالكبرياء والمظلمة، ذي الجلال والإكرام، والإفضال والإمام، والعز والبرهان، والأسماء الحسنى، والمتسل الأمل، الأول بلا غاية، والآخر بلا نهاية، الذي لا يحيط به وصف الوافين، ولا تبلغ مدى عظمته أوهام المتوهمين، ولا تتركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير؛ لا يؤوده حفظ كبير، ولا يترتب عنه علم صغير، يعلم خائفة الأعين وما تحفى الصدور، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حية في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين .

## التحميد الثاني

الحمد لله الذي خلق الأشياء على غير مثال ولا رسوم، وأنشأها على غير حدود، ودبر الأمور بلا مشير، وقضى في الدهور بلا ظهير، وملك السماء بقدرة، وبنها على إرادته، وأسكنها ملائكته الذين أصطفاهم لمجاورته، وجعلهم على طاعته، وزعمهم عن معصيته،



وجعلهم حلة عرشه، وسكن سماواته، ووسله إلى أنبيائه، يُسبحون الليل والنهار لا يفترون؛ ودحا الأرض وبسطها لكافة خلقه، وقسم بينهم الأرزاق، وقدر لهم الأثوات، فهم في قبضته يَتَلَبَّثُونَ وعلى أفضيته يَجْرُونَ، حتى ريث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

#### وصدر محمد مفرد

الحمد لله الملى مكانه، المير برهانه، التامة كلمائه، الشافية آياته، والحمد لله ولى أوليائه وصلى أعدائه .

#### وصدر محمد

الحمد لله الغالب الذى لا يُغْلَب، والمُقْتَدِر الذى لا يُمان، والمُنْجِز ومدّه، والمُؤَيَّد أوليائه، وانلأتهم بالفلج والظهور لم، والمُدِيل من أعدائه، ومحيط دائرة السوء بهم .

#### ولكاتب نُزَيْمَة بن خازم فى فتح الصَّابِرِيَّة محمد مختار

أما بعد، فالحمد لله ذى الْمَلَكُوتِ والقُدْرَةِ، والجَبَرُوتِ والعِزَّةِ، والسلطان والقوة؛ أهلِي المحامد كلها، ومدبر الأمور ووليها، وخالق الخلائق وبارئها، وميتها وحيتها، وباعثها ووارثها؛ الذى أوجب على نفسه بما نَفَذَ من مشيئته، وسبق من علمه، وثبت فى اللوح المصفوظ عنده إعزاز دينه، وإظهار حقه، وإعلاء كلمته، وإبلاج حجتِه، وإزهاق باطل أعدائه؛ الصَّابِرِينَ عن طاعته، وإلحاحِينَ لربوبِيَّةِ الْمُكْتَبِينَ بكتبه ورُسُلِهِ، بلغ بذلك أمرُهُ، ونطق به كتابُهُ؛ فإنه يقول تبارك اسمه فى المُتَرَلِّ من فرقائه: **قَبْلَ تَقْدِفِ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ قَدِمَتْهُ فَإِنَّا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ يَٰمُصِّفُونَ** .

#### ومحمد لأحمد بن يوسف الى الولاية عن الخليفة

أما بعد، فالحمد لله ذى الْمِنَّةِ الظَّاهِرَةِ، والمُجِجِ الظَّاهِرَةِ؛ الذى قَطَعَ بينه وبين عباده - الْمُتَعَدِّةِ، ورادف عليهم اليقينة، ومُهَلِّةِ النَّظَرَةِ؛ وجعل ما أتاهم من حظوظ الدنيا بالقسم

(١) الفلج: القتب، والظفر، يقال طلع فلان على خصمه، أى طلب ويقرر .

المكتوب، وما دَّخَر لم من ثواب الآخرة بالتَّجَمُّع المطلوب؛ فهم في العاجلة شركاء في النعمة، وفي الآجلة شقَّى في الرحمة؛ يَخْص بها أهلها المتضيقين بما ضرب لهم من الأمثال، وتضرب الخلال بعد الخلال؛ المبادرين بأعمالهم الى اقضاء مَدَدِ أجالهم، قبل حلول ما يُتَوَقَّع، وفوت ما لا يَرْتَجِع .

وتحميد لآبراهيم بن العباس في فتح اسحاق بن اسماعيل الحمد لله مُعَزِّ الحَقِّ ومُذِلِّه، وقَامِعِ الباطل ومُزِيلِهِ، الطالب فلا يفوته من طلب، والغالب فلا يَحْجِزُهُ من غلب؛ مُؤَيِّدِ خليفته وعبدِهِ، وناصِرِ أوليائه وحزبه؛ الذين أقام بهم دعوته، وأصل بهم كلمته، وأظهر بهم دينه، وأدال بهم حقه، وجاهد بهم أعداءه، وأثار بهم سيئه؛ حمداً يَتَقَبَّلُهُ ويرضاه، ويُوجِبُ أَفْضَلَ عواقب نصره، وسواجِ قَتَائِهِ .

### التحميد الثاني

الحمد لله الغالب ذي القُدْرَةِ، والظاهر ذي العِزَّة؛ الذي لم يقابل بالحق باطلا في موطن من مواطن التماكم بين عباده، إلَّا جعل أولياء الحق منهم حُرْبه وجنَّده، وجعل الباطل بهم فلا منكوب، ودَحِضًا زُهوقًا؛ إنْ نَهَضَ به أوليائُه كانت مراصدُ عواقبه مُفَرِّقَةً ما جُمِعَ، ومُثَبِّتَةً ما أُعِدَّ، وقائمةً بأشباعه الى مُصرِّعِ الظالمين، حتَّى يكون الحقُّ الطالبَ الأعزَّ، والباطلُ المطلوبَ الأذلَّ، وأولياءُ الحقِّ الأُمَينَ بذا وأيدا، وأشباعُ الضلالِ الأَخْسِرِينَ أَعْمالا وكيدا؛ قضاءً الله وسُنته، وعادةً الله وإرادته، في الفِئَةِ المنصورة أن تَمُزَّ فلا تُرام، وأن يُمْكِنَ لها في الأرض كما مَكُنَ للذين من قبلها؛ وفي الفِئَةِ الناكِين عنه، أن تَرَلَّ فتكون كَلِيبًا السُّفلى، وكلمة الله هي العليا، والله عزيز حكيمٌ .

### وتحميد له مبتدأ مقام بين يدي خليفة

أما بعد، فالحمد لله الأول بلا أُنْدٍ يَحْصِي، والآخِر بلا أُنْدٍ يَقْنِي؛ الظاهر لخلقة عِزَّتِهِ، العزيز في سلطانه بعظمته، القَرْد في وحدانيته بقدرته، المدبِّر في ملكه ببحرته، الذي نأى عن الأشياء أن يكون فيها تَحْوِيًا، واتصل بها فلم يَكُ من مَحْمُها خَلِيًا، وهو فيها غير مُسْتَكِرٍّ،

ومعها غيرُ مئتمسٍ بلج البحار، ومفاوز القفار، وشواخ الجبال، وكُتبان الرمال؛ مع كلِّ خلق، وفي كلِّ أُنق، وعلى كلِّ شرف ومكان، وفي كلِّ وقت وأوان؛ موجود إذا طُلب، وقريبٌ حيثُ نُدب؛ عالمٌ خفياتِ القيوب، وخطراتِ القلوب، وما في السموات وما في الأرض، ما يكون من نَجوى علامةِ الإله وأبهم، ولا نعمةِ الإله سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثرُ الآله هو معهم؛ وما تسقط من ورقة ألا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين .

### ومحمد ثالث يتلو الأول

الحمد لله المتعالي عن تشبيه الجاهلين، وتحديد الواصفين، وتكيف الناجين؛ يُوصفُ لا بالعرض والبطول، ويُنعتُ بنير الشبح الممتلئ، ويُعدُّ لا بالخلق المملود، والجسم الموجود؛ بل يُنتهى من وصفه، إلى ما دلَّ عليه من صنعه، ويُوقَفُ عليه من نفعه، على ما أخبر به عن نفسه؛ وكيف يُوصفُ من لم يرَ أحد، ويُحدُّ من لم يحط به؛ أو يُشبَّه غيرُ ذي أعضاء، أو يُكَيَّفُ غيرُ ذي أجزاء؛ أو رُئيَ لوُصِفَ، ولو وُصِفَ لمثل، ولو مُثِّلَ لكان له نظير؛ سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، لا تُجَنِّه الأقطار، ولا يحويه قرار، ولا تُدرِّكه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير؛ لا يوصفُ أولاه، ولا يدركُ آخراه، ولا يُعرفُ مُتناه؛ عَظُمَ أن يُحصَره وهم، وجَلَّ أن يُدرِّكه فهم، وامتنع من أن يحاطَ به علم، ولا يُغيَّره ليل ولا يوم؛ ولا تأخذه سنةٌ ولا نوم، له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يَشْفَعُ عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يُحيطون بشيءٍ من علمه إلا بما شاء، وسِعَ كرسيه السموات والأرض ولا يُؤوده حفظهما، وهو العلي العظيم .

### ومحمد ثالث

الحمد لله الذي ألهتنا من الإقرار برؤيته، والإيمان بوحديته، وأنه غيرُ ذي صاحبة يسكنُ إليها من وَحْشة، ولا ولدَ يتكبر به من ضعفِ قلة، ولا شريك يساونه من عجزِ قُدرة، ولا ظهر يكافئه لللال قُدرة؛ ما جعل لنا به أوتق الأسباب لقيته، وأرجى الوسائل

اليه ؛ إذ كان من أنكر ما دللنا الإقرار به بصير يحمّد ما أختنا الاعتراف فيه ، الى أليم عقوبته بالمعصية التي استحكمت السخطة على أهلها ، وحلت النّعمة بمن فارقتها ؛ ثم جعلنا تبع إشراف كثير على أنفسنا في مشيئة منه ، بسط اليها آمالنا وأحسن عليها أطعامنا بكرم غفوه ، وعظيم حلمه ، وسعة رحمته ، التي وعد أهل الإيمان بها ؛ إذ صار من فارقههم في ذلك بما استهوت طبعهم ، بترينه لم شياطينهم ، ورائت على أفتدثهم ... وما ظنكته فربّاهم الى الناس من كل طمع يئدى وخبر ينجى ؛ جزاء بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، إنا الله لا ينفر أن يشرك به ، وينفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشكك بالله فقد جحد عمله ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

### ونحميد يتلو الثالث في هذا المقام

الحمد لله الذي ابتدع لا من شيء ما أنشأ ، وابتدأ على غير مثال ما ابتدأ ؛ فجعل كثيرا من لطائف تقديره ، وصنوف تدبيره ، وتصاريف أموره ؛ حُجبا واضحة ، وآيات بينة ، وعبرا شافية ؛ تشهد له بعزة القُدرة ، وعَظاُ الحول والقُوّة ؛ فخلق مدبرا بلا مشورة أحد ، سبعا دحلق على الماء على غير سُنْد ؛ مهسولات في تكاثف اجزائهن ، على ميعين ماء مسخر من تحتهن ، بقر خلاهن أنهارا ، وقدر فيهن من المعاش أقواتا ، وجعل لهن من الجبال أوتادا ، ثم استوى الى السماء وهي دُخان ، فقال لها ولأرض آتينا طوبا أو كرها قائلا آتينا طائمين . ففطر من الدخان في خفته على الهواء سبعا ، جعل بينهن من الجو مُسعا ، سبع سموات طباقا مَرْتَفعات ، بلا دعائم قبلها ولا علاقات ، يُمكنهن بقدرة أن يرتفعن فوق ما حبسن عليه ، وأن يتوين الى قرار دون ما رصفهن اليه ؛ فألقن صغما ، وأوحى في كلّ سماء أمرها ، وزين السماء الدنيا بالمصابيح النيرة ، والشهب الثاقبة ، والنجوم الواضحة ؛ وحفر الشمس والقمر على اللهدين ، وسراجا للبعيرين ، ورجوما للشياطين ، وأوقانا لا اختلاف البينين ، ومعرفة لكل حين ؛ لا الشمس ينبغي لها أن تمرك القمر ولا الليل

سابق النهار وكلّ في فلك يسبحون ؛ فضاء من سبع سموات في يومين ، ولو شاء خلقها في أسرع من طرف العين ؛ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ؛ بلا معاناة لقول ، ولا ضعف من حول ؛ ثم أسكنهم من خلقه ملائكة اصطفاهم لعبادته ، واجتنبهم لتبليغ رسالته ، معصومين من أن يُشركوا بالله ، ما لم ينزل به سلطانا ، وأن يقولوا على الله إفكا وبهتان ؛ يُسبحونه بالليل والنهار لا يفترّون ولا يسأمون من عبادته ، ولا يستعصرون عن طاعته ؛ يخافون ربهم من فوقهم ويملكون ما يؤمرّون .

### ونحميد في فتح لابن العباس

أما بعد ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا ، وفرض حمده على خلقه ، وأمر دينه وأكرم بطاعته وأولياءه ، وأكرم طاعته بأوليائه ، بفعل جنته منهم المنصورين ، وحزبه منهم الغالبيين ؛ نتج بهم سبيله ، وأقام بهم مجته ، واجاهد بهم أعداءه ، وأظهر بهم حقه ، وألحق بهم الباطل وأهلكه ؛ وأعل كاستهم ، وأبد نصرهم ، وألق لهم وبهم ، ومكن لهم في الأرض ، بفعلهم أئمة وجعلهم الوارثين .

والحمد لله المزلزلة ، المظهر لخلق ، الناصر لخلقائه ، المكن لحزبه ؛ المقيم بهم من صدف عنه ، مؤبدا دينه بالنصر ، يُظهره على الأديان ، وحقه بالمر ، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ وجنوده بالقبح فهم الأعلون إن استنصرهم ، والأعزّون إن كادهم ؛ والأقربون منه إخلاصا وعملا ؛ حمدا يؤازر نعمه ، وعقري بمنزلة فواضله ومزيده .

### وله في فتح ابن البَيْهت لما ظفر به

أما بعد ، فالحمد لله ناصر أنبيائه وخلقائه ، وهادي أوليائه ، وأولياء الحق وحزب المهدي ؛ الذين أقام بهم سبل الرشاد ، ونصب بهم نتائج الدين ، فأظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

## وله صدر كتاب الخبيص في تحميد الله وتمجيده

أما بعد ، فالحمد لله الذي جلت نعمه ، وتظاهرت منته ، وتتابعت أياديه ، وعم إحسانه ، إليه كل شيء وخالفه ، وبارئ ومصوره ، والكلان قبله ، والباقي بعده ، كما قال في كتابه : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ . العالی فی مشیتہ والقادر فوق عباده ، المتعالي عن شبه خلقه ، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ، خالق العباد بقدرته ، وهنّام رحته ، وأوضح لهم السبيل الى معرفته بما نصب لهم من دلائله ، وأراهم من عيره ، وصرفهم فيه من صنعه ، كما قال جل جلاله : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ .

وذلك كله من خلقه إياهم بختيله ما مثل لهم من الدلائل التي نصبها لهم ، والأعلام التي جعلها إزاء قلوبهم ، وأسماعهم وأبصارهم ، ويسر لهم خواطرمهم وفكرهم ، والهيئة التي هيأهم لها ليقيم الأمر والنهي عليهم ، فلا يحكمهم فوق طاقتهم ، ولا يحشمهم ما يقصر عنه وسعهم ، نظرا منه تبارك وتعالى إليهم ورحمة بهم ، ليؤمنوا به ويعبدوه ، فيستحيقوا به رحمته ورضوانه ، والخلود في النعيم المقيم ، والظلل المديد ، والعيش الدائم ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ إِلَّا مَنْ رِجِمَ رَبُّكَ وَلِئَلَّكَ خَلْقَهُمْ ﴾ . وكان من نظره ورائه بهم أن يستقيم أنبياءه ورسله ، يدعوهم الى طاعته ، ويبينون لهم هُداه ، ويؤمنون لهم سبيله ، ويهدونهم الى رحمته ، ويسألونهم ثوابه ، ويثيرونهم عقابه ، ويسألونهم لم توبته ، ويحذرونهم خطئه ، ويبينون لهم سخطه وشرائعه ، ويكشفون لهم مواعظه ، ويسألونهم كتابه وحكمته ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ لِيَبْلُوكَ مِنْ هَلَاكٍ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مِنْ حَيٍّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . وكان من رآته بهم ، ونظره لهم ، أن يستقيم اليهم بالهتج الظاهرة ، والأعلام البينة ، والشواهد الناطقة ، التي أظهر بها صدقهم ، وأقام بها برهانهم ، وأوضح

بها دليلهم ، وأطيعهم عمل سواهم ، ليكون أدعى لهم إلى تصديقهم ، والقبول عنهم ، وأؤكد  
الحجة على من أبى ذلك منهم .

ومحمد أحمد بن يوسف في صدر رسالة الخميس التي كانت تقرأ بجراسان  
أما بعد ، فالحمد لله القادر القاهر ، الباعث الوارث ، ذى العز والسلطان ، والنور  
والبرهان ، فاطر السماء والأرض وما بينهما ، والمتقن بالمرتب والطول على أهلها ؛ قبل  
استحقاقهم لمثوبته ، بالمحافظة على شرائع طاعته ، الذى جعل ما أودع عباده من نعمته ،  
ديلا هاديا لهم إلى معرفته ، بما أنادهم من الأبواب ، التى يفتحون بها فصل الخطاب ، حتى  
أقتنوا علم موارد الاختيار ، ويفقهوا مصادر الاعتبار ، وحكوا على ما بطن بما ظهر ، وعلم  
ما غلب بما حضر ، واستدلوا بما أراهم من بالغ حكمته ، ومُتَقَن صناعته ، وحاجة مُتَرَايل  
خلقه ومتواصله ، إلى القوام بما يُلْهُم ويُصلِّحه ، على أنه بارئاً هو أنشاء وإبتداء ، وبسر  
بعضه لبعض ، فكان من أقرب وجودهم ، ما يباشرون به من أنفسهم ؛ فى تصرف أحوالهم ،  
وفنون انتقالها ، وما يُظْهِرون عليه من السجى عن التأتى لِما تكلمت به قواهم ، وتمت به  
أدواتهم ، مع أثر التدبير والتقدير فيهم ، حتى صاروا إلى الخلقة المحككة ، والصورة المنحبة ،  
ليس لهم فى شئ منها تطفُّف يقيمونه ، ولا مقصد يتمدونه من أنفسهم ؛ فإنه قال تعالى  
ذِكْرُهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبُّكَ أَكَرِّمُ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ  
مَا شَاءَ رَجَّبَكَ ﴾ . وما يتفكرون فيه من خلق السماء ، وما يجري فيها من الشمس والقمر ، والنجوم  
مُسَخَّرَات على سبيل لا يشئ العالم إلا به ، من تصاريف الأزمنة ، التى بها صلاح الحُرث  
والنَّسْل ، وإحياء الأرض ، وإفراح النبات والأشجار ، وتجاوز الليل والنهار ، وتوَجُّر الشعوب  
والأطام ؛ والسبب التى تُحصى بها الأوقات ؛ ثم ما يوجد من دليل التركيب ، فى طبقات  
السقف المرفوع ، وللهاد الموضوع ، باختلاف أجزائه وانظامها ، وتَرَقُّق الانهار ، وإرساء  
الجبال ، ومن التام الشاهد على ما أخبراه به من إنشائه انطلاق وسدوده بعد أن لم يكن ،  
مُتَرَقِّياً فى النشاء ، وشبابه إلى أجله فى البقاء ، ثم عماره مُتَقَضِياً إلى آخر القناء ؛ ولم يكن له

مُنْتَحَ عدد ، ولا مُقَطَّعُ أمد ، وما ازداد بنشوء ، ولا تَحَقِّقُهُ تَصْصَان ، ولا تَخَاوَتْ عل  
الأزمان ؛ لأَنّ ما لا حد له ولا نِهَاة ، غير مُمَكِّنِ الاحْتِمالِ لِلْقَصِّ وَالزِّيَادَةِ ؛ ثم أَجْرَى فيما ذكر  
من خَلَقَ الله وخلق الإنسان الى ذكر ما تَهَضَّلَ الله به عل عبادِه الْأَنْبِيَاء ، وما اختصم  
بهم مَبَثَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الى ذكر انْتِقَاءِ أَوَّلَا ، ثم الى ذكر المأمون ودولته .

### ومجيد للعباس في مقام له بين يَدَيِ المأمون

الحمد لله على نعمه علينا ، وإحسانِهِ إلينا ، بِالْأَرْضِ الْمَسْطُورَةِ ، وَالسَّمَاءِ الْمَرْقُوعَةِ ،  
وَالرَّيَّاحِ الْمُسَخَّرَةِ ، وَالْأَمْطَارِ النَّازِلَةِ ، وَالْأَرْقَاقِ الْقَائِمَةِ ، وَالْمَنَافِعِ الدَّامَةِ ؛ وَالدِّينِ الْمَيِّنِ ،  
وَالْأَدَبِ الْقَوِيمِ ؛ حَمْدًا يَكُونُ إِلَيْهِ صَاعِدًا ، وَلَدَيْهِ نَازِلًا ، وَلِلْمَكُونَةِ مَالًا ؛ وَالحمد لله  
حمدا يُثَبِّتُ رِضْوَانَهُ ، وَيُورِثُ إِحْسَانَهُ ، وَيُوجِبُ مَزِيدَهُ ؛ فَهُوَ الْمَنِّمُ الْمَحْمُودُ ، وَالْمُتَطَوِّلُ  
الشُّكُورِ ؛ لِإِلَهِ إِلَّا هُوَ لَا شَرِيكَ لَهُ ، كَمَا شَهِدَ اللهُ وَمَلَائِكَتُهُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

### ومجيد لعبد الحميد في أبي العلاء الْحُرُورِيَّ

الحمد لله الناصر لدينه ، وأوليائِهِ وَخُفَّائِهِ ، الْمُظْهَرِ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ ، وَالْمُنْدِلِ لِأَعْدَائِهِ وَأَهْلِهِ  
الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ ؛ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَ حَقِّ وَبَاطِلٍ ، وَأَهْلِ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ ، إِلَّا جَمَلَ النُّصْرَةِ  
وَالْقَوِّعِ وَالْعَاقِبَةِ لِأَهْلِ حَقِّهِ وَطَاعَتِهِ ، وَجَمَلَ الْخِزْيِ وَالذِّلَّةِ وَالصَّنَارِ ، عل أَهْلِ الْبَاطِلِ  
وَالْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ ؛ حَمْدًا يَتَقَبَّلُهُ وَيَرْضَاهُ ، وَيُوجِبُ بِهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ  
الزِّيَادَةَ إِلَى وَدَدٍ مَن شَكَرَهُ ؛ وَالحمد لله على مَا يَتَسَوَّلُ مِنْ إِعْزَازِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَصْرِهِ  
وَإِفْلَاحِهِ وَإِظْهَارِ حَقِّهِ ، عل مَا وَقَعَ بِأَعْدَائِهِ وَأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ وَالْخِلَافِ عَلَيْهِ مِنْ سَطَوَاتِهِ  
وَقَهَاتِهِ وَبَاسِهِ ، فِيمَا وَلَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَوْلَاةٍ مِّنْ وَالَاهُ ، وَعِدَاوَةٍ مِّنْ بَنَى عَلَيْهِ وَعَدَاهُ ؛  
لَا يَحْكُمُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ إِلَى نَفْسِهِ ، وَلَا إِلَى حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَمَكِيدَتِهِ ، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ  
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِهِ .



## ومحمد في آخر فتح

الحمد لله المُرسلين ، المظهر لحقه ، الناصر لأوليائه ، المنتقم من أعدائه أهل الكفر ،  
المتقل بهم من بأسه ، وقمته وجوامحه ؛ الذي لم يجمع بين أهل حقه ، وباطل عدوه ، في موطن  
من مواطني التحاكم ، إلّا جعل فيه لأوليائه الظفر ، وأفرغ عليهم الصبر ، ومنحهم النصر ؛  
وجعل البائرة وسوء العاقبة على عدوه ، وأهل الكفر ؛ حمدا كثيرا يرضاه من الشكر ،  
ويتحسن به المزيد .

## ومحمد في فتح الى أمير لقمامة

الحمد لله الفاتح العليم ، الذي خص الأمير بأفضل الكرامة وأتمّ النعمة ، وأحسن الولاية ،  
وأعظم الكفاية ؛ وحفظ ما استراحه ، وأعنّ أوليائه ، وقلع بالمذلة أعداءه ، وجعل حسن  
العاقبة له ولأهل طاعته ، ودائرة سوءه على أهل معاندته ؛ حمدا يحسن به القضاء ،  
وتزيد به الثناء .

## وصدر محمد لغسان بن عبد الحميد في خطبة موجزة

الحمد لله الذي لا يدرك خيراً إلّا برحمته ، ولا يُنال الفضل إلّا بنعمته ؛ وليّ التسديد  
للحسنات ، والعصمة من السيئات .

## محمد لعبد الحميد في فتح

الحمد لله المولى ملكه ، المتبر برهائه ، العزيز سلطانه ، الثابت كلمائه ، الشافية آياته ، النافذ  
قضاؤه ، الصادق وعده ؛ الذي قدر على خلقه ملكه ، وعزّ في سماواته بملكته ، ودبر الأمور  
بملكه ، وقدرها بملكه ، على ما يشاء من عزّزه ؛ مُتبدعا لها بإنشائه إياها ، وقدرته عليها ،  
واستخاره عظيمها ، نافذة إرادته فيها ، لا تجزى إلّا على تقديره ، ولا تنهى إلّا إلى تأجيله ،  
ولا تقع إلّا على سبق من حكمه ، على كلّ ذلك بلطفه وقدرته ، وتصريف وخيه ؛ لا سئل  
لها عنه ، ولا سئل لها غيره ، ولا علم أحدٌ بخفاياها ومعالجها إلّا هو ؛ فإنه يقول في كتابة  
الصادق : ﴿ وَعَدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ ... ﴾ إلى آخر الآية .

## وتجويد ثلاث

الحمد لله الذى علا بالجُبِّ التى استترى بها عن جميع خلقه، واستغنى بها عنهم لما تَوَحَّد به دونهم من عبادة الذين فطروهم على المعرفة، رعوفا عليهم بِنَهْ وَمُتَعَوِّلَا وهو فيها يُعْضِي من أقداره، مفصلا لهم بابتدائه خلقهم فى أحسن تقويم، وإعطائهم إياهم طابِل كل خير مقسوم، وتقسيمه لهم جميع ما فى السموات والأرض، وبَسْطَه لهم فى مما يشتمل أوسع الرزق، وإسباغه عليهم فيها أفضل النعم التى لَطَفَت فبطنت، وعظمت فظهرت، وليست نعمت، وانتشرت بجللت، وكثرت فلا يحصيا عاد، وجرئت فلا يؤذى حق ما أقرض منها شاكرا، فإنه يقول : ( وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ) .

والحمد لله الذى لم يَتَّصِرْ بهم فى إكرامه وتفضيله إياهم على عاجل، فإنه مُضْمَلٌ زائل مما أعانهم إياه ولم يكلفهم فى معرفة خالقهم تبارك وتعالى، ومُتَوَلَّى النعم عليهم، والأحسان إليهم، والارتياش لهم، ولا فى مُبْتَنَى سبيل طاعته، وأداء حقه، وشكر نعمته، واستيجاب غبطة العباد إليه أن يَمُوتُوا ذلك بقولهم، والنظر فيه بألباهم، والتصرف له على أهوائهم، فإنه لو أُلْجَأَ ذلك إليهم، وأُفْرِدَهم فيه لى أنفسهم، ووكَّلهم فيما أمرهم به لى مقدرتهم، لحارت عنه منهم الألبصار، ولتاهت فيه منهم العقول، ولأضلَّهم عن قصده المعنى، ولسال بهم لى غيره المعنى، ولاستحكم عليهم شرك الردى، ولكنه بحث فيها أنبياء المهادين، يدعونهم لى الصراط المستقيم، بنوره المعنى، ودينه القويم، وآياته البينة، وكُتِبَ التارقة التى بين فيها عناية ومكرهه، وطاعته ومعصيته، وثواب الفريقين فى ذلك من عباده ليحذروا ما حذرهم فيه من تحطه، وتزل بهم فيه من يقمته، وليساروا فيها جعل لأهله به لى أفضل المثوبة، وأحسنى العاقبة فى الدنيا والآخرة، وكَتَفَ لهم الجهالة، وهَدَى من الضلالة، وبَصَّرَهم سبيل الحق، وبين لهم معالم الإسلام، ليرجع جائز، ويقصد زائع، ويعرف جاهل، ويعبد الرب بما وسد به نفسه، وليستغنى العلم، وليستغنى الحق، وليستغنى من الله الثواب بلزوم دينه الذى شرع، وأداء فرائضه التى قرض، وإثبات طاعته التى أوجب، ويكون لله

الحجة البالغة على عباده فيما تركوا من ذلك وسفوها بسد استبانه لهم ، واستغاضته فيهم  
واعذاره اليهم ، فانه يقول : ( لَيْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْتِهِ وَيَمَيُّ مَنْ حَى عَنْ بَيْتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ  
تَسْمِيعٌ عَلَيْهِ ) ويقول ( لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ ) .

### لأبي بن أبي شيخ

الحمد لله الذى بالقلوب معرفته ، وبالقول مجتته ، الذى بعث عبدا صلى الله عليه وسلم  
امينا فوق له ، ومبلغا فأتى عنه فخرج به المنكر ، وثألف به المذكر ، وثبت به المستبصر ، الى  
أن توفاه على منهاج طاعته ، وشرعية دينه ، ثم أوردكم عهدَه وخصمكم بكلمة التقوى ، وجعلكم  
الأمة الوسطى .

### ولعبد الحميد فى فتح

يُعَظَّمُ فِيهِ أَمْرُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أما بعد ، فالحمد لله الذى أعطى الإسلام ديناً رضى شرائعه ، وبين أحكامه ونور هدايته ،  
ثم كَفَّهَ بِالْعَزْمِ الْمُؤَيَّدِ ، وَأَيَّدَهُ بِالظَّفَرِ الْقَاهِرِ ، وَأَزْرَهُ بِالسَّادَةِ الْمُتَجَبَّةِ ، وَجَسَلَ مَنْ قَامَ بِهِ  
دَاعِيَا إِلَيْهِ مِنْ جُنْدِهِ الْغَالِبِينَ ، وَأَنْصَارِهِ الْمُسْلِمِينَ ، كُلَّمَا قَهَرَهُمْ مَنَاوَا أَوْرَثَهُمْ رِبَاعَتَهُمْ  
لِلْمَامُولَةِ ، وَأَمَوَالِهِمُ الْمُتَرْتِبَةَ ، وَدَارَهُمُ الْقَسِيحَةَ ، وَدَوْلَتَهُمُ الْمَطُولَةَ ، أَسْرَأَ حَتَمَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، ثُمَّ  
جَعَلَ مَنْ عَانَدَهُمْ وَأَبْغَى غَيْرَ سَبِيلِهِمْ مُسْلِمًا قَدْ أَسْتَهْوَتْهُ ذِلَّةُ الْكُفْرِ بِظُلُمِهَا ، وَسَحَرَةُ الْهَوَالَةِ  
بِحَوَارِهَا ، وَتَبِهَ الشَّقَاءُ بِغَاوِيهِ ، وَكُلَّمَا أَزْدَادُوا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ إِبَاءً ، أَزْدَادَ الْحَقُّ إِلَيْهِمْ أَزْدِلَافًا ،  
وَعَلِيمُهُمْ عُكُوفًا ، وَفِيهِمْ إِقَامَةٌ ، إِلَى أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ عِزُّ الْعَلِيَّةِ ، وَنَجَاةُ التَّجَاوُزِ ، وَرَاقِبِينَ فِيهَا شَوْقَهُمْ  
إِلَيْهِ . مُخَافَتِينَ عَلَى مَا نَدَبَهُمْ لَهُ ، قَدْ يَذَلُّوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ دِمَاعَهُمْ ، وَقِيلُوا الْمَرْضُ عَلَيْهِمْ فِي مَبَازَةِ  
رَبِّهِمْ لَمْ يَنْفُسْهُمْ الْخِئْنَةُ . مَحْمُودٌ صَبْرُهُمْ ، مُسْتَهْلِكٌ بِهِمْ عِزُّهُمْ ، إِلَى خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

والحمد لله الذى أكرم عبدا صلى الله عليه وسلم بما حفظ له من أمور أمته ، أن اختار  
لوارث نبيته ما أسار إلى أمير المؤمنين من تطويقه ما حل بحسن نُهوض به وفتح عليه ،  
ومُنَاسَمة فيه ، أن فعل وفعل . والحمد لله الذى تم وعده لرسوله وخليفته فى أمة نبيه مسددا

له فإيا أعظم عليه . والحمد لله المزلزلة ، التوتى نصرأته بنبيه المتخلى من عا دام وتادام ،  
حمدا يزيد به من رضى شكره ، وحدا يكلو حد الحامدين من أولياته الذين تكاملت عليهم  
بمنه فلا توصف ، وبلت إباديه فلا تحصى ، الذى حملنا ما لا قوة بنا على شكره إلا بونه ،  
وباقه يستعين أمير المؤمنين على ذلك ، وإليه يرض ، إنه على كل شئ قدير .

### ولعبد الحميد أيضا

أما بعد ، فالحمد لله الذى أصطفى الإسلام لنفسه ، وأرضاه ديناً للملائكة ، وأهل طاعته  
من عباده ، وجعله رحمة وكرامة ونجاة وسعادة لمن هدى به من خلقه ، وأكرمهم وفضلهم  
وجعلهم بما أنعم عليهم منه أوليائه المقربين ، وحزبه الغالين ، وجنته المنصورين ، وتوكل  
لهم بالظهور والفتوح ، وقضى لهم بالعلو والتمكين ، وجعل من خالفه وعزب عنه وابتنى  
سبيل غيره أعداءه الأتقين ، وأولياء الشيطان الأفسرين ، وأهل الضلالة الأسفلين ، مع  
ما عليهم فى دنياهم من الأذل والصغار ، وما عجل لهم فيها من الخذلان والانتقام ، إلى ما أعد  
لهم فى آخرتهم من الخزي والهوان المقيم ، والعذاب الأليم ، إنه عزيز ذو انتقام .

### وفى ذكر الإسلام وأهله وما فضلهم الله تعالى به

أما بعد ، فالحمد لله الذى عظم الإسلام تعظيماً ، وفضله تفضيلاً ، فلم يبق ملك مقرب ،  
ولا نبي مرسل ، ولا إمام لأهل حق مهتد إلا دان به ، واتصل إلى ولاية الله بما هداه له  
منه ، وليس فى دين الله الذى ارتضى ، وخيرته من أهل الإسلام الذين اصطفى ، تنافس  
ولا تقاليم ، ولا تحاسد ، ولا تقاطع ولا تباكر ، ولكنهم كما وصفهم الله عز وجل بالتباز  
والتراحم ، والتواد والتناصر ، قلوبهم متفقة ، وأهوائهم مؤلفة ، وأيديهم على أهل مصيئته  
مبسوطة ، أعوانا على الحق ، وإخوانا فى الدين ، آلف الله بينهم ، وجعل الإسلام نسبهم ،  
فقال فى كتابه : ﴿ عُدُّ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ إلى آخر الآية . فهذه صفة الله أهل دينه  
فيا بينهم ، وكذلك كان أسلاف الحق قبلهم ، فى تواد وتبازم ، وتواصلهم وتواضعهم ،  
وبذلك دان أهل السماء ، فلم يختلفوا فيه ، ولم يرغبوا عنه ، ولم يختلفوا مثالا غيره ، وبه يدبر

فه الباقيون من خلقه، المتمسكون بحقه الى يوم القيامة، سنة مسنونة، وشريعة متبوعة، لا يتفنون بها بدلاً، ولا يريدون عنها حولا، فأهل طاعة الله أهل سلامة في دنياهم، وإخوان كما قال الله عز وجل في آخرتهم، لم تقطع الولاية فيما بينهم، لاقطاع الدنيا عنهم، ولكن الله وصلها بالآخرة لهم، بغمهم في داره وجواره، كما آلف في الدنيا بين قلوبهم، وعصم بالإسلام ألقمتهم .

### تحميد

الحمد لله المُنِيب على حده وهو ابتداءؤه، والمُنِيم بشكره وعليه جزاؤه، والمُنِى بالإيمان وهو عطاؤه .

### ولقائه

الحمد لله الذى أكرم الإسلام وفضله، وشرقه وعظمه، وأعلى منزلته، وجعل أهله القائمين به، والحامدين عليه، أوليائه وحزبه الذين قضى لهم بالحقين، والظهور على الذين كله ولو كره المشركون .

### ولزيد بن علي رحمة الله عليه خطبة

الحمد لله الواصل التَّم بالشكر، والشكر باليزيد، حمد من يعلم أن الحمد فريضة واجبة، وإن تركه خطيئة مهلكة، وأؤمن بالله إيماناً نفي إخلاصه الشرك، وبقيته الشك، وأتوكل عليه توكل الواقى به همة أهل الرجاء، ومفزع أهل التوكل .

### تحميد في الإسلام

الحمد لله الذى اختار الإسلام ديناً لنفسه، وأتباعه ورسله، وشرقه وعظمه، وأثاره، وأظهره، وتزه وأعززه ومنه، ولم يقبل غيره، ولم يحصل حسن الجزاء إلا لأهلِهِ، الذين كتب لمن أسعده بالوليعة فيه منهم الرضوان والغفرة والرافة، وعلى من خلقه وابتنى غير سبيله الحسرة والندامة، والقلة والصغار في الآخرة والأولى، والمئات والمئات، إذ يقول الله عز وجل ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

والحمد لله الذي اجبى عنها صلى الله عليه وسلم بما اصطفاه من نبوته، واختاره له من رسالته،  
وحبّه بفضيلته، وأجابه من أفضل عمائر العرب، وأشرفها منصباً، وأعرقها حساباً،  
وأكرمها نسباً، وأورأها زياداً، وأرضها عماداً، فيمته بالنور ساطعاً، وبالخلق صادقاً، وبالهدى  
أمراً، وعن الكفر زاجراً، وعلى النبين مهيمناً، وإلى سبيل ربّه داعياً، وبالكتاب عاملاً،  
فبلغ عن الله الرسالة، وهدى من الضلالة، وانتاش من الملكة، وأتبع معالم الدين وأدى  
فرائضه، وبين شرائعه، وأوضح سنته، ونصح لأمته، وجاهد في سبيل الله حتى جهاده  
حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وسلم .

### تحميد لأبي عبيد الله

الحمد لله الذي شرع لإظهار حقّه وإنفاذ سابق قضائه فيمن ذرأ وبراً من عباده،  
بإدخال من أراد أن يدخل في رحمته، وإنجاز ما حق له من العبادة على خلقه، بابتدائه  
خلقهم، ومظاهرة الآلاء عليهم، وإحسانه البلاء عندهم، وإبلاغه في الحجج إلى عامتهم،  
ديناً رضيّه لنفسه وملائكته الذين أسكن سماواته ورسله، فآمن على وجه من لم يرهن  
إلا به، ولم يقبل إلا إياه، ثم كان ما أعز به نفسه، وأظهر به نوره، وأراد أن يسلو به  
عباده، تحقيقاً لما سبق به علمه، وإنفاذاً لما جرت به مقاديره، أن يبعث لهما شرعاً من  
دينه، وأصطفى لتسيحه وتهديسه من ملائكته المقربين، من ارتضى واختار من أنبيائه  
ورسله المحبوبين، لتبليغ رسالته وإظهار حقّه، وأسْتَشْلَأَ<sup>(١)</sup> من أراد سعادته من خلقه بالرحمة  
التي أطلعت عليهم وطمّنتهم، ليعبد مخلصاً له، محمداً بما استحمد به إلى خلقه، مشهوداً له  
بما أشهد به من كلمة الحق، فكان منهم التبليغ لهما أرسلوا به، والتصيحة لمن أرسلوا إليه،  
غير غتظين فيما بعثوا له، ولا متفرقين فيما استعملوا فيه، يدعوهم آخر إلى ما دعاهم إليه  
أول، فيصدق بذلك بعضهم بعضاً، ويؤمنون إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فضت  
رسل الله وأنبيأؤه على ذلك سالكين منهاج الحق وسيله، والدعاء إلى الله عز وجل وإلى

(١) الاستئلاء : الاغواء .

طاعته، هادين مهدين غير مبغضين شيئا مما كانوا أهل في المرتبة عند الله، والقربة منه،  
والوسيلة إليه، هم ومن آمن بهم وعززهم، وأتبع النور الذي أنزل معهم، حتى تفضت  
بهم الأنهار، وتطعت بهم الآثار، وتخرمتهم الأجال .

### وكذا لأبي عبيد الله

الحمد لله الذي جعل الإسلام رحمة قمتها لبلاده قبل خلقه إياهم، واستجابهم إياها  
منه، فاصطفاه لنفسه وشرعه لهم ديناً يدينون به، ثم جعل تعديده وحيه ومتابعة رسله رحمة  
تلاطم بها بعد تقديمها، ومنة ظاهرة عليهم قبل استجابتهم لها، تطولاً على العباد بالثناء،  
وإعذاراً إليهم بالحجج، وتقدمة بالوعد، وإنذاراً إليهم عواقب معطلة في المعاد .

والحمد لله الذي ابنت محمداً صل الله عليه وسلم بهداه وشرائع حقه على قربة من الرسل،  
وطموس من معالم الحق، ودروس من سبل الهدى، عند الوقت الذي بلغ في سابق عليه  
ومقاديره، أن يجتبي لنفسه الأصفياء، ويختار له الأولياء، الظاهرين بحقه، القاهرين لمن  
ابتغى سبيلاً غير سبيله، فغظم حرمة، ووسع حوزته، وصدع بأمره، وبجاهد عن حقه  
في حومات الضلالة وظلمات الكفر، بالحق المبين، والسراج المنير، ثم جعله مصدقاً لمن  
سبقه من الرسل ومجداً لما بشئوا له وهدى ورحمة، ثم جعل لبينه وظائف وظفها على  
أهله، وشرائع شرعها لهم لا يكمل دينهم إلا بها، وجعل أدامها إليه، واعتصامهم بها إماما  
لبينه، ونظاماً لنوره، وقواماً لحقه، واستجاباً لما وعد عليه من ثوابه، وأتمماً لما أوعده من  
عاقبه من عقابه، فليس يسع أهل الإيمان بافه الذين أكرمهم به وأجزل لهم فضله وأجره،  
وجعل لهم عزه وعلمه، واختار لهم الغلبة والعاقبة على من فارقه فيه إلا معرقتاً، وأداؤها  
بما يستكمل به حدودها، وما لها من كذا وكذا .

### إبراهيم بن المهدي — صدر رسالة له في الخميس

الحمد لله الذي اختار الإسلام ديناً لنفسه، ورضى أن يبعثه من سمواته من الملائكة  
المقرين، ومن في أرضه من النبيين والمرسلين، ومن آمن بالنور الذي هداهم له من الضلالتين،

واختار لرسالته في سابق عهده ، والذكر الحكيم عنده ، محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه كتابه وجعل طاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم موصولةً بكنا فقال : ( أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ) .

### تحميد

الحمد لله المتكبر في جبروته المتعزّز بسلطانه ، المتعالى في سمواته ، المحتجب عن خلقه ، فلا تُدرّكه في الدنيا أبصارُ الناظرين ، ولا تحيط به أوهامُ المتوهمين ، ولا تبلغه صفاتُ الواصفين ، الذى لا يؤوده عظيم ، ولا يفوته مطلوب ، ولا يسجّده شيءٌ في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم .

### تحميد آخر

الحمد لله الحكيم العدل ، الذى فصل بين الحق والباطل ، ففقد قضاؤه في خلقه ، وحكم فيهم بغرى حكمه على إرادته ، يقضى بالنصر والتأييد ، والعزّ والقليج ، والتمكين الحق وأهله ، وبالنيل والوقم والخزى والصغار للباطل وأهله ، وجعل ذلك من فضله وحُكمه عادةً جاريةً باقيةً ، وسنةً ماضيةً ، لا رادَ فيها قضى منه لقضائه .

والحمد لله الذى اختص محمداً صلى الله عليه بكراماته ، واصطفاه لرسالته ، وأنزل عليه كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد ، بما أحلّ وحرم ، ورعى ومخط ، وأمر به ونهى عنه ، وجعله حاتم التبين والمُهيمن عليهم ، وكتابه الذى أنزل ، آخر الكتب المصدق بها النبي صلى الله عليه وسلم .

تحميد في الإسلام وما آمنن به على أهلنا من مبعث النبي

صلى الله عليه وسلم ، وهو في صدر الجهاد

أما بعد ، فإنّ لدين الله الذى ارتضاه لنفسه ، ولين اصطفاه من خلقه ، واجتباه من عباده وجعله معلماً بين الهدى والضلالة ، وفرقاً بين الحق والباطل ، وحاجزاً بين الكفر والإيمان ، وظائفاً وطفها على أهلها ، وشرائع شرعها لهم ، فجعل أدامها إليه ومعرفتها له ، وعفافهم عليها ،



واحتصاصهم بها قواما لبنيته ، وظلما لنوره وثباتا لحقه ، واستحيابا لما وعد من ثوابه ، وأما لما أوعده من عقابه ؛ فليس يسع أهل الإيمان بالله والإقامة على حقه من المسلمين الذين ستأثم المسلمين بالإسلام ، وأحرز لهم فضله وعزّه ، وأصاب لهم القلبة على من خالفهم وفارغهم بما ركنوا إليه من الصدود عن سبيله ، والتكذيب بكتبه ورسوله ، ودلتهم فيه قريائهم ، وقادتهم إليه أهواؤهم ، من اللال الضلالة ، والأديان المجموعة ، التي لم يقل بها من الله سلطان ، ولا تمب ولا برهان ، إلا مرقئها وأداؤها بما يستكمل من حدودها ومعلمها .

تحميد في الجهاد وما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم  
أما بعد ، فإن الله خلق الخلائق بقدرته ، وقدر الأمور بعلمه ، وأخذ على ما مضى من مشيئته ، من غير أن يكون له ظهير في ملكه ، أو معين على ما يرى من عجائب خلقه ، واحتذاء منه على سابي من صنعة غيره ، فوحده نفسه بما تجرد به دون غيره من خلقه ، ليُبدى مُخلصا مبرا من الانداد ، إماما لنوره ، وتميزا لتوحيده ، وتأييدا لبنيته ، وإعلاءا لمن أخضع به ، وإفلالا لمن خالفه . وعند عنه وعبد غيره ، وإحقاقا لكل شئ ، فإنه يقول : ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ فِي الْآيَةِ ؛ بِذَلِكَ أَنْزَلَ نُكْبَهُ ، وَأُرْسِلَ رُسُلُهُ ، وَأُحْتَجَّ بِهِمْ ، وَبِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ عَلَى مَنْ مَضَى مِنَ الْقُرُونِ السَّالِمَةِ ، وَالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ ، يَدْعُو آخَرِهِمْ إِلَى مَا سَبَقَ إِلَيْهِ أَوَّلُهُمْ ، مِنْ عِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ ، لَا يَسْتَوْحِشُونَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَلَا يُؤْتُونَ مِنْ صَكْفَتِهِ ؛ يُعَزِّمُ اللَّهُ بِقُوَّتِهِ ، وَيُؤَيِّدُهُمْ بِمَعْنَاهِ ، وَيَنْصُرُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ إِلَى أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ تَعَالَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا خَصَّصَهُمْ بِهِ ، وَجَهْلَهُ مُصَدِّقًا لَهُمْ ، وَنَهْيَتَنَا عَلَيْهِمْ ، وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ بِعَدَمِهِ ؛ يَعْصِي لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَيُعَاهِدُ مَنْ لَمْ يُجِبه إِلَى الْبُخُولِ فِي دِينِ اللَّهِ ، فَظَاهِرَهُ اللَّهُ وَأَثَارَ حَقِّهِ ، وَأَرْحَمَ عَدُوَّهُ ، وَأَعَزَّهُ لِمَا وَعَدَهُ وَأَتَمَّ بِذَلِكَ النِّعْمَةَ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ اتَّبَعَهُ ، فَانْهَ يَقُولُ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ﴾ .

### تحميد في فضح

الحمد لله الفتح العظيم ، الرحمن الرحيم ، العزيز الحكيم ، الذي أعز الإسلام بقدرته ، وأيده بنصره ، فلم يُلحِد فيه مُلحدٌ ، ويسع في تشييت الكلمة وبقى المصباح ، ويوضع

في الكفر والمعصية موضح، ويمتنع من قضائه وإرادته مُمتنعٌ إلا أنَّهُ الله وقصمه، وأضرَحَ خَلقه، وأقصى جدته، وضلل سعيه، وعجل بواره واستنصاه به، حمدا دائما لا انقطاع له، ولا فساد لذته .

### تمجيد ثالث

والحمد لله الذي اختار الإسلام وشرفه، وكرمه وطهره، وأظهره وأعزّه، وفطر عليه ملائكته، وبعث به أنبياءه ورُسُلَه، واختار له خيرته من خلقه عبدا صلى الله عليه، قيمته برسائله، وأكرمهُ بوجيه، وأصطفاه على خلقه، يُبشِّرُ بالجنة من أطاعه، ويُنذِرُ بالنار من عصاه، وجعله دينه القيم الذي لا يقبل دينا غيره ولا يُثيب أحدا إلا عليه .

### تمجيد في فتح

الحمد لله العزيز في ملكوته القاهر فوق بريته، الذي خلق الخلق بقدرته، وأخذ فيهم إرادته ومشيئته، وقدر كل شيء وأتقنه وأحكمه، وأحاط علما به؛ فلا يمزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين .

### صدر تمجيد في فتح

الحمد لله الذي ابتدع الخلق لا من شيء، وجعل الليل والنهار كهفاً وسُجُناً لكل حي؛ بقدرته تجرت البحار، وجرت لمواقيتها الأنهار؛ فدار وتطارد الليل والنهار، لا إله إلا هو رب البرزخ العظيم .

والحمد لله الذي فات بعظمته أبصار المرتئين، وعلا بمجده عن خطرات الحاسين، واحتجب بأستار جبروته عن مواقع فكر المحصلين المتعقبن؛ فلم تنموه الكيئة، ولم يقع عليه أدوات التحصيل والكيئية، ولا أدركه حاجس تبعيض ولا كُلية، ولم يُنسب إلى زيادة في حين، ولا إلى تحصيل في شهور ولا سنين، فكل أمره — عز وجله — تمام ودوام، وكل صفات صنمه اعتدال وكُلٌّ؛ وكل ما دونه يحتمل فيه القضاء والزلزال، ليس كشيء شيء وهو السميع البصير .

والحمد لله الذى عرفنا ربيجة إماما ، ونهيج لنا سبل طاعته منا وإكراما ، وتعبدا  
بفرضه خمويما وتعلينا وأمتانا ، فقامت علينا وعلى الخلق حجتة ، بالصادع بأمره ، والمُتَّبِعِ  
لرأيه ، والمُجَالِدِ فيه حق جهاده ، محمد صلى الله عليه وسلم . والحمد لله الذى أعز دينه ، وأظهر  
ثمكته ، ونصر وليه ، وخذل عدوه ، وأوقع بأسه وقمته بجل القرية ، وجرثومة الضلالة ،  
ومناخ الشرك ، ومركز الكفر ، بسد طول الإملاء ، والاعتداء فى سَفَك الدماء ، والمُتَلَفَةِ  
بالأسرى ، وقلة المراقبة والأرغواء .

### تمجيد

الحمد لله حمدا يكون رضاه منتهاه ، والمزِيدُ من فضله جزاءه . والحمد لله حمدا اليه ينتهى  
حمد الحمدنين ، وشكر الشاكرين . والحمد لله الذى لا تُغْنِي تَعَاوُهُ ، ولا تُجْزَى آلاؤُهُ ، ولا  
يُكَافَأُ بِلَاؤُهُ ، ولا يُنْقَضُ شُكْرُهُ إِلَّا بِمَنِّهِ وتوفيقه ، حمدا يرضاه ويتقبله ، ويرزق ألقه ، ويوجب  
ما تأذن الشاكرين من يده .

### تمجيد على فتح

أما بعد ، فالحمد لله الواحد القهار ، العزيز الجبار ، ذى المنن والإِنصاف ، والجلال والإكرام ،  
الذى أصفى الإسلام ديننا ، وأصفى له من عباده أملا هداما له ، وأكرمهم به ورتب  
لمم ما ياتون ، ولم يتركهم فى ريب من أمرهم ، ولا شُبُهَةٍ من دينهم ، فله المجد الباقية ليهلك  
من هلك عن بينة ، ويحيى من حق عن بينة ، وإن الله لسميع عليم .

والحمد لله الذى ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم النبوة ، وأتقبه لبليغ الرسالة ، وبعثه إلى  
خلفه كافة ، فبلغ رسالته ، وصدع بأمره ، وقام فيما بعثه له بحقه ، ثم أنجز له وصدده ، وأتم له  
كلته ، وأظهر دين الإسلام به على الدين كله ولو كره المشركون .

### تمجيد فى فتح

أما بعد ، فالحمد لله الأزل الآثر ، الظاهر الباطن ، الولي الحميد ، القوي العزيز ،  
الذى لا يقدر العباد قدره ، ولا يحصون ريمه ، ولا يلفنون شكره ، المحيط بكل شيء علما ،

واللهي كل شيء عدداً ؛ فلا يحجزه كبير ، ولا يمزب عنه صغير ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون .

### تمجيد

الحمد لله المتوحد بالخلق والأمر ، قادراً قاهراً ساحطاً بكل شيء طاماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، وملائة عظيمة ، ووسمه عدلاً ، وأهنته صنماً ، والحمد لله الذي أعزّ بالحق من أطاعه ، وأذلّ بالباطل من عصاه ، وجعل الطاعة والجماعة جزاء حريزاً ، وموتلاً منيفاً ؛ فلم يجمع بين أهل كفر وإيمان ، وطاعة وعصيان ، إلا توحد بالصنع لأهل طاعته ، وأمنح سعيهم ، وأعلّ كسبهم ، وأفلح مجتهدهم ، وأزل أهل الكفر المماندين عنه ، الرادين لأمره النلة والصغار في عاجلهم وآجلهم ؛ حمداً يكون يزيد موجبا ، ولحفاً مؤذيا .

### تمجيد في فتح سعيد بن حميد عن وصيف

أما بعد ، فالحمد لله الحميد الحميد ، الفاعل لما يريد ، الذي خلق الخلق بقدرته ، وأمضاه على مشيئته ، ودبره بسلطانه ، وأظهر فيه آثار حكته التي تدعو العقول إلى معرفته ، وتشهد لذوى الأكباب بروبيته ، وتكفل على وحدانيته ؛ لم يكن له شريك في ملكه فينازعه ، ولا معين على ما خلق فنزله الحاجة إليه ؛ فليس يتصرف عباده في حال إلا كانت دليلاً عليه ، ولا تقع الأبصار على شيء إلا كان شاهداً له ، بما رسم فيه من آثار صنعه ، وأبان فيه من دلائل تدبره ، إصاراً بحجته ، وتقولاً بنعمته ، وهداية إلى حقه ، وإرشاداً إلى سبيل طاعته ، وهو الذي يبدأ الخلق ثم يُعيدهم ، وهو أهدون عليه ؛ وله المثل الأعلى في السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم .

والحمد لله العزيز القهار ، الملك الجبار ، الذي أصطفى الإسلام وأختره ، وآرضاه وطهره ، وأعلاه وأظهره ؛ بفعله محبة أهله على من شاقهم ، ووسيلتهم إلى النصر على [من] عَدُوِّهم ، وأبشئ غير سيئهم ؛ وبعث به رُسُلَهُ يدعو إلى حقه ، ويهدون إلى سبيله ،

بِالآيَاتِ الَّتِي يَدِينُونَ بِهَا عَنِ الْخَالِقِينَ ، وَيُوجِبُونَ بِهَا الْحُجَّةَ عَلَى الْخَافِقِينَ ؛ حَتَّى أَتَتْ كَرَامَةُ  
 اللَّهُ إِلَى خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ ، وَحَامِلِ كِتَابِهِ ، وَبِفَتْحِ رَحْمَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ عَلَى حِينِ قَرَّةٍ مِنْ  
 الرُّسُلِ ، وَأَخْلَافٍ مِنَ الْمَلَلِ ، وَدُفُورٍ مِنْ أَعْلَامِ الْحَقِّ ، وَاسْتِعْلَاءٍ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَالنَّاسُ غَائِبُونَ  
 عَنْ سَبِيلِ رَبِّهِمْ ، يَتَسَافَكُونَ دِمَائِهِمْ ، وَيَحْلُونَ مَحَرَّمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
 مَا لَا يَضُرُّهُمْ لَا يَنْفَعُهُمْ ؛ وَأَيَّدَهُ بِالْبُرْهَانِ الْوَاضِحِ ، وَالْحُجَجِ الْقَوَاطِعِ ، وَالْآيَاتِ الشَّوَاهِدِ ؛ وَأَنْزَلَ  
 عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْمُسَرِّزَ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَدْرِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ؛  
 وَجَعَلَ فِيهِ أَوْضَحَ الدَّلِيلِ عَلَى رِسَالَتِهِ ، وَأَعَدَّ الشَّوَاهِدَ عَلَى نُبُوَّتِهِ ؛ إِذْ عَجَزَ الْخَالِقُونَ عَنْ أَنْ  
 يَأْتُوا بِمِثْلِهِ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ ، وَكَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ وَالْمَنَازِعِينَ ، يَتَصَلَّاهُمْ بِهِ فِي الْمَوَاسِمِ ، وَيَقْصِدُهُمْ  
 بِحُجَّتِهِ فِي الْخُفَافِ ، وَلَا يَزِدَادُونَ عَنْهُ إِلَّا حُسُورًا وَعِجْزًا ، وَلَا تَزِدَادُ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِلَّا تَظَاهِيرًا  
 وَعُلُوًّا ؛ فَمَّا أَيَّدَهُ بِالنَّصْرِ بِأَنْصَارٍ أَتَفَّ بِبَيْنِهِمْ بِطَاعَتِهِ ، وَجَمَعَهُمْ عَلَى حَقِّهِ ، وَلَمْ شَقِّمْهُمْ بِضُرَّةٍ  
 دِينِهِ ، بَعْدَ الشَّقَاقِ الْمُتَّصِلِ بَيْنِهِمْ ، وَالْحَرْبِ الْمُفَرِّقَةِ بِلِجَاعَتِهِمْ ؛ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ( هُوَ الَّذِي  
 أَيْدَاكَ بِنُصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ) . وَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَعَدَّهُ بِالنَّصْرِ وَالْتِمَكِينِ ، بِفِعْلِهِ بُسْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَحُجَّةً  
 عَلَى الْكَافِرِينَ ، وَدَلِيلًا عَلَى مَا بَعَثَهُ بِهِ مِنَ الدِّينِ ؛ فَهَزَمَ بِالْقَلِيلِ مِنْ مَدَدِهِمُ الْكَثِيرَ مِنْ مَدَدِ  
 أَعْدَائِهِمْ ، وَغَلَبَ بِضَعْفَانِهِمْ أَهْلَ الْقُوَّةِ تَمَنُّ نَافِوَاهُمْ ؛ فَقَلَّ بِهِ حُدُومُ ، وَفُضَّ جَمْعُهُمْ ، وَأَفْتَحَ  
 حَصُونَهُمْ ، وَتَرَرَّزَ مَعَاقِلَهُمْ ؛ وَأَظْهَرَ بِحُجَّتِهِ وَنُصْرِهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْجِزَ سَابِقَ وَعْدِهِ لِمَنْ وَفَّيَهُمْ ،  
 وَاللَّهُ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ .

### تحميد لابن المقفع

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْعَظَمَةِ الْقَاهِرَةِ ، وَالْأَكْلَافِ الظَّاهِرَةِ ؛ الَّذِي لَا يُسْجَرُهُ شَيْءٌ وَلَا يَتَمَتَّعُ مِنْهُ ،  
 وَلَا يَدْفَعُ قَضَائِهِ وَلَا أَمْرُهُ ؛ ( وَأَوَّلُ أَمْرِهِ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ  
 الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ بِفِعْلِهِ ، وَدَبَّرَ الْأُمُورَ بِحُكْمِهِ ، وَأَخَذَ فَيَا أَخْتَارَ وَأَصْطَفَى مِنْهَا عَزَمَتَهُ ؛ بِقُدْرَةِ  
 مَنْهُ عَلَيْهِ ، وَمَلَكَتَهُ مِنْهَا ، لَا مُنْقَبِحَ لِحُكْمِهِ ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ ، يَخْلُقُ  
 مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ؛ مَا كَانَ لِلنَّاسِ الْخِلَافَةُ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِهِمْ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

والحمد لله الذى جعل صَفْوَةَ ما أختار من الأمور دِينَهُ الذى أرتضى لنفسه ولئن أراد كرامته مِن عبادِهِ، فقام بِهِ ملائِكَتُهُ المقربون، يُعْظَمُونَ جلالَهُ، وَيُقَدِّسُونَ أَسْمَاءَهُ، وَيَذْكُرُونَ أَلَمَهُ، لَا يَسْتَحْسِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ، وَقَامَ بِهِ مَن أختار من أنبيائه وَخُلَفَائِهِ وَأُولِيائِهِ فِي أَرْضِهِ، يُطِيعُونَ أَمْرَهُ، وَيُؤْتُونَ عَنْ عَمَارِهِ، وَيُصَدِّقُونَ بَرْقَهُ، وَيُؤْفُونَ بِهَدْيِهِ، وَيَأْخُذُونَ بِحَقِّهِ، وَيُجَاهِدُونَ عَدُوَّهُ، وَكَانَ لَهُمْ عِندَ مَا وَعَدَهُمْ مِنْ تَصْدِيقِهِ قَوْلُهُمْ وَإِفْلَاحِهِ حُجَّتُهُمْ، وَإِعْزَازُهُ دِينَهُمْ، وَإِظْهَارُهُ حَقَّهُمْ، وَتَحْكِيمُهُ لَهُمْ، وَكَانَ لَعْدُوهُ وَعَدُوُّهُمْ خِشْدَ مَا أَوْعَدَهُمْ مِنْ نَجْزِيهِ، وَإِحْلَالِهِ بِأَسْمِهِمْ، وَأَنْتِقَامَهُ مِنْهُمْ، وَغَضَبِهِ عَلَيْهِمْ، مَضَى عَلَى ذَلِكَ أَمْرُهُ، وَفُذِّقَ فِيهِ قَضَاؤُهُ فَيَا مَضَى، وَهُوَ مُضِيهِ وَمُتَقَدِّمُهُ عَلَى ذَلِكَ فَيَا بَقَى، لَيْتَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، وَلِيُحَقِّقَ الْحَقُّ وَيُظِلَّ الْبَاطِلُ وَلَوْ كَرِهَ الْجَاهِلُونَ .

والحمد لله الذى لَا يَقْضِي فِي الْأُمُورِ وَلَا يُدَبِّرُهَا غَيْرُهُ، ابْتَدَأَهَا بِعِلْمِهِ، وَأَمْسَاهَا بِقُدْرَتِهِ، وَهُوَ وَلِيُّهَا وَمُنْتَهَاهَا، وَوَلَّى الْخَلْقَ فِيهَا، وَالْإِمْضَاءَ لَهَا أَحَبُّ أَنْ يُمِخِّيَ مِنْهَا، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخَلْقَةُ سَبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

والحمد لله الفتح العليم، العزير الحكيم، ذى الْمَنِّ وَالْعُطُولِ، وَالْقُدْرَةِ وَالْحَوْلِ، الذى لَا تُمَسَّكُ لَهَا فَتْحُ الْأُولِيَاءِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَا دَافِعُ لَهَا أَنْزِلُ بِأَعْدَائِهِ مِنْ قَهْرِهِ، وَلَا رَادُّ لَأَمْرِهِ فِي ذَلِكَ وَقَضَائِهِ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ .

والحمد لله المُنِيبُ بِحَمْدِهِ وَمِنْهُ ابْتَدَأَؤُهُ، وَالْمُنْتِمِ بِشُكْرِهِ وَعَلَيْهِ جَزَآؤُهُ، وَالْمُنْتَى بِالْإِيمَانِ وَهُوَ عِظَاؤُهُ .

### لَاخِر

الحمد لله الذى يَتَعَطَّلُ بِالنِّمِّ مُبْتَدِئًا، وَيُطْعَى الْخَيْرَ مِنْ شِئَاءٍ وَيُشْتَبُّ عَلَيْهِ .

## توحيد لقمان بن عبد الحميد

كاتب جعفر بن سليمان في المطر :

الحمد لله الذي نشر رحمته في بلاده ، وبسط ستمته على عبادته ، الذي لا يزال العباد منه في رزق يتقسمونه ، وفضل يتظفرونه ، لا يتقضه ما قبله ، ولا يتقضى ما بعده .

## لأحمد بن يوسف في فتح السند

الحمد لله وليّ الحمد ، وأهل الثناء والمجد ، خالق الخلق ، ومُدرّ الأُمم ، المسيح على عبادته والمُوجب عليهم حُجته ؛ فليسوا يرجون إلا سعة فضله ، ولا يتحذرون إلا ما أجترحوا من ممصيته ؛ لما سبق من جَزَلِ إحسانه ، وتظاهر من آثانه ، وتعلم به الإغفار والإغفار ، اللذان لا يستخف بما عظم منهما إلا من استحوذ عليه الشيطان ، وأستولى عليه الخذلان ، وقاده الحُب إلى موارد الهلكة .

## التحميد الثاني

الحمد لله الذي أعطى الإسلام ديناً فطهره وأسنه ، وأظهره وأعلاه ؛ وزينه بكلّ حسنة ، وفقى عنه كلّ سيئة ، وجعله إلى مدّخور كرامته سبباً واصلاً ، وسبيلاً نهجاً ، وبعث به محمداً صلى الله عليه وسلم ليهدى من كان حياً ، ويحقّ القول على الكافرين .

## تقريره في الخطيفة

الحمد لله الذي أعطى أمير المؤمنين خلافة ، وتلاقى الأمة بسُلطانه ، بجعله القائم فيهم بقسطه ، والمُستغنى في أكتاف مصلحتهم همه .

## لأحمد بن يوسف

عن ذى الرياستين إلى إبراهيم بن إسماعيل بن داود صدر فتح :

أما بعد ، فالحمد لله الذي حفظ من دينه ما ضيّع للمسلمون ، ورأب منه ما أفرقه<sup>(١)</sup> الصدقة ؛ وأعاد من حبله ما حاولوا تقضه ، حتى أعاد لعباده أحسن ألتهم ، ورد إليهم أجمع<sup>(٢)</sup> .  
(١) يخاض في الأصل . وما أبتناه يناسب المقام .

عَوْدِهِمْ، مِنْ الْإِسْتِثْلَاءِ بَعْدَ التَّرَدُّى فِي حَقِّهِ الْمَطْلَبِ، وَالْإِسْتِغْنَاءِ بَعْدَ التَّوْرِيْطِ فِي الْمُهَالِكِ؛ وَيُلَاحِظُ خَلِيفَتُهُ الْقَائِمُ بِحَقِّهِ، الْمُؤْتَمِّمُ بِكَتَابِهِ، النَّائِدُ عَنْ حَرَمِ الدِّينِ، وَمِيرَاتِ النَّبِيِّينَ، أَجْرَلْ مَا يُلَاحِظُ تَحْقِيقُهُ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، مِنْ إِعْلَاءِ الْكَلِمَةِ، وَقَابَةِ الْأَعْدَاءِ، وَالْفَوْزِ بِالْعَاقِبَةِ الَّتِي وَعَدَهَا الْمُتَّقِينَ؛ وَفَرَضَهُ لَهَا أَشْرَقَ قَلْبِهِ، وَشَرَحَ لَهُ صِدْرَهُ، مِنْ إِمْضَاءِ حُكْمِ الْفَرَاغِ الْمَوْجِبَةِ، وَاقْتِفَاءِ السَّنَنِ الْمُهَادِيَةِ، حَيْثُ سَلَكَ بِهِ مِنْ الْمُنَاجَى؛ حَمْدًا يُوَازِي نِعْمَهُ، وَيَبْلُغُ أَدَاءَ شُكْرِهِ، وَيُوجِبُ مَزِيدَهُ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ إِعْلَاءِ الدَّرَجَةِ، وَإِسَاءَةِ الرِّبَةِ، فِي مَشَاطِعِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
— أَيَّدَهُ اللَّهُ — وَالْمُجَاهِدَةِ عَنْ حَقِّهِ، وَالْوَفَاءِ لَهُ بِمَا عَقَدَهُ لَهُ؛ لَا تَزِيدُ بَمَا كَانَ مَتَا إِلَّا وَجْهَهُ، وَلَا تَنْسِي فِيهِ إِلَّا لِرِضَاهُ؛ حَمْدًا لَا يُحْصَى عَدْدُهُ، وَلَا يَنْقَطِعُ أَمْدُهُ .

### تَحْمِيدُ الْأَبِيِّ عُبَيْدِ اللَّهِ

أَمَّا بَعْدُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْأَلَاءِ وَالْقُدْرَةِ، وَالْعَالَوْنَ وَالْعَزَّةِ، الَّذِي أَصْطَلَقَ الْإِسْلَامَ دِينًا لِنَفْسِهِ، وَمَلَائِكَتَهُ وَأَنْبِيََاءَهُ وَمَنْ كَرَّمَ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ؛ فَبَسَّطَ بِهِ عَهْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِخْتِصَاصًا لَهُ فِي ذَلِكَ بِكَرَامَاتِهِ، وَأَصْطَفَاهُ لَهُ بِهَلِ عِبَادَتِهِ فَاعَزَّهُ وَمَنْعَهُ، وَكَفَاهُ وَحَاطَهُ، وَتَوَكَّلَ لِأَهْلِهِ بِالْعِلْمِ وَالْتِمَاسِ، وَالظُّهُورِ وَالْإِثْبَاتِ؛ فَلَمْ يُطْعِدْ فِيهِ طَعْدَ، وَلَمْ يَزِغْ عَنْ قَبُولِ حَقِّهِ زَائِفَ، بَعْدَ إِعْزَازِ اللَّهِ إِلَيْهِ، وَإِعَادَةِ الْمَجْدِ لَهُ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْزَلَ بِهِ مِنَ الْفَتْلِ وَالْصَّغَارِ وَالْإِجْتِيَاحِ وَالْإِسْتِغْصَالِ مَا يَحْمِلُ لَهُ فِيهِ قِمَامًا حَمْدًا كَثِيرًا دَائِمًا مُرَضِيًا لَهُ، مُؤْمِنًا مِنْ غَيْرِهِ، مُوَجِبًا لَأَفْضَلِ مَزِيدِ تَوَابِهِ .

### تَحْمِيدُ لِسَعِيدِ بْنِ حُمَيْدٍ فِي فَتْحِ

أَمَّا بَعْدُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّتِي فَلَا يَبْلُغُ أَحَدٌ شُكْرَ نِعْمَتِهِ، وَالْقَادِرِ فَلَا يَمَازِي فِي قُدْرَتِهِ، وَالْمُزَيَّزِ فَلَا يُقَالِبُ فِي أَمْرِهِ، وَالْحَكَمِ الْمُدِلِ فَلَا يَرُدُّ حُكْمَهُ، وَالنَّاصِرِ فَلَا يَكُونُ نَصْرُهُ إِلَّا لِحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَالْمُسَالِكِ لِكُلِّ شَيْءٍ فَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ عَنْ مَسْطَرَّتِهِ، وَالْمُهَادِي إِلَى سَبِيلِ رَحْمَتِهِ فَلَا يَصِلُ مِنْ أَتْقَانِ طَاعَتِهِ، وَالْمُقَدَّمِ إِسْمَافَرِهِ لِيُظَاهِرَ بِهِ حُجَّتَهُ؛ الَّذِي جَمَلَ دِينَهُ لِعِبَادِهِ رَحْمَةً، وَخَلَقَتْهُ عَصَمَةً، وَطَاعَةَ خُلَفَائِهِ فَرَضًا وَاجِبًا عَلَى كُلِّ كَائِفَةِ الْأَعْمَامِ؛ فَهَمَّ الْمُسْتَعِظُونَ فِي أَرْضِهِ



على ما نبئت به رُسله ، وأماؤه على خلقه فيما دخلهم إليه من دينه ، والخالصون لهم على منافع حقّه ، فلا تُشعَب بهم الطرق المخالفة لسيولهِ ، والمهادون لهم إلى صراطهِ ليجمعهم على الهداية التي تدب إليها عباده ؛ بهم يحيى الدين من البُخاء الطاغين ، وحُفِظَت معالم الحق من الفلوات المخالفين ، محتجين على الأمم بكتاب الله عز وجل الذي أسعاهم به ، ورعاة للأمر بحق الله الذي اختارهم له ؛ إن جادلوا كانت مُجبةُ الله معهم ، وإن حاربوا فالنصر لهم ، وإن جاهدوا كان في طاعة الله نصرهم ، وإن بضام عدو كانت نيكية الله حائلة دونهم ، ومقلاهم ، وإن كادهم كادته فاقه في عونهم ؛ نصيبهم الله لإعزاز دينه ، فمن عاداهم فأثمّ عادى الذين عزّهم وحرس بهم حقّه ، ومن ناوهم فأثمّ طعن على الحق الذي تكلّفه حراسُهم ، جيوّشهم بالرعب منصورة ، وكأبّهم بسلطان الله من عدوهم محوطة ، وأيديهم بلبثها عن دين الله عالية ، وأشياهم بتناصرهم غالبة ، وأحزاب أعدائهم بينهم مقموعة ، ومُجتَهم عند الله وخلفه داحضة ، ووسائلهم إلى النصر مردودة ، وأحكام الله بجزلائهم واقعة ، وأقداره بإسلامهم إلى أوليائه جارية ، وعادته فيهم وفي الأمم السالفة والقرون الخالصة ماضية ، ليكون أهل الحق على يقّة من إنجاز سابق الوعد ، وأعداؤه محجوجين بما قدّم إليهم من الإنذار ، مُجَبلة لهم بقمة الله بأيدى أوليائه ، مُعْتدا لهم العذاب عند ردهم إليه بخزياً موصولاً بنواصيرهم في دنياهم ؛ وعذاب الآخرة من ورائهم وما الله بظلام للعبيد .

وصلى الله على محمد أمينه المصطفى ، ورسوله المرتضى ، والمُنقذ من الضلالة والعمى ، صلاته نامية بركتها ، داعماً أتصالحها ، وسلّم تسلياً .

والحمد لله تواضعا لعظمته ، والحمد لله إقراراً بربوبيته ، والحمد لله اعترافاً بقصور أفعى منازل الشكر عن أدنى منزلة من منازل كرامته .

### فِيما يَحْرَظُ بِهِ اخْلَيفَةُ

والحمد لله الذي حاز لأمر المؤمنين وراثته ، وساق إليه خلافتَه ، بالحاجة منها إليه ، والرغبة منه عنها ، واستخلص من خلقه من جعله ظهيراً للوحد ، وعدةً للنوازل ؛ فلما

أَفَضْتُ خِلَافَةَ إِلِهِ حَبِيرِ أَمَامِهِ أَحَاجَتُهُ، وَكَشَفَ قِنَاعَهُ مُخَاطَبَتِهِ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَصَّ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخِلَافَتِهِ، وَأَرْتَضَاهُ لَوْلَايَةِ أَمْرِ أُمَّةٍ نَبِيَّهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْقِيَامُ بِمَقْعَدِهِ،  
وَالذَّبُّ عَنْ حُرْمَاتِهِ؛ وَحَاطَ لَهُ مَا أَسْرَعَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَلَّدَهُ بِمَحْسَنِ الْوَلَايَةِ وَالْكَفَايَةِ، وَتَوَكَّلَ  
لَهُ بِالْحِفْظِ وَالْتِمَادِ، وَالتَّصَرُّفِ وَالْغَلْبَةِ وَالظُّهُورِ عَلَى مَنْ عَدَدَ عَنْ طَاعَتِهِ، وَصَدَفَ عَنْ حَقِّهِ،  
وَأَبْتَنَى غَيْرَ سَبِيلِهِ؛ كَرَامَةً مِنَ اللَّهِ تَطُولُ بِهَا عَلَيْهِ، وَمِنَّةً مِنْهُ تَوْحِدُ بِهَا لَهُ .

والحمد لله الذي جعل نية أمير المؤمنين عزيمته، وفكره ورويته، منذ أفضى الله  
بالخِلافة إليه، وجعله القائم بإرث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأستحفظه من عباده وبلاده  
فيا فيه عز الدين، ونظام أمر المسلمين وترهين الشكر، وإذلال الأعداء، وإشباعهم  
ووقئهم، وتحصين اليقظة، وإشمان الثغور، ولم المتشتر، وضمت الأطراف؛ لا يفتأ عن  
ذلك فائق، ولا يتحمله عن تحقد كبير أمره وصغيره ومقابلته ذاهل؛ يستقل كثير ما يفتق  
من الأموال في سد الثغور، وتحصينها وحراستها، لما يرجو فيه من جسم الخط، وبزيل  
الذئب، وكثير الأبر؛ تهزبا إلى الله وأحسانا له في جنب ثوابه، وكرم ما به؛ حتى رآه  
به الصدع، ورتق به الفتق، وأمن به السبل، وأقام به الموج، وأفجج به المنجج، وأعل  
به الدرج، وأزحق به الباطل، وأحيا به الحق، وأشام به سيوف أهل الضلالة والفتنة؛  
لا تأخذ في القيام بحق الله والانتصار لدينه، والانتصاح لأمة نبيه محمد صلى الله عليه  
وسلم، واللبث عن حوزتهم، والربى من ورائهم، ودفع بأهله أهل الشقاق والنفاق  
والخلاف والمصيبة عنهم فقرة ولا سامة؛ توفيقا من الله، وتسليدا لحرمته، وتأييدا لعزمه،  
إذ كان الله شاكرا، وليسته نصرا، وبحقه قائما؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله وحده،  
عليه يتوكل وعليه يتوكل المتوكلون .

والحمد لله الذي لم يزل منذ أفضى إلى أمير المؤمنين بخِلافته، وحياء بكرامته، يختصه  
بالخير في كل ما أمض، من أمره، ويتولاه بالتوفيق في كل ما أبرم من تديره، ويعجل عنه

أُعياء ما حمله ، وُعيته بتأييده على ما قلده ، ويحمله بحمل الصنيع فيما ولاه ، وأستغفله ، وُطَّهه جهاد عدوه ، ويحبه بنصره ؛ حمدا قاضيا لحق نعمته ، مُوجبا أفضل منزيده .

والحمد لله الذي أورث أمير المؤمنين موارث نبوته ، وصير إليه مقاليد خلافة ، وأوجب ذلك له بالقرابة برسوله صلى الله عليه وسلم ، والوراثة لوراثته من عصبة وأولى الناس به ؛ ثم أعز نصره ، وأعل كنيته ، وأظج حُجته ، وأظهر حل المشركين والمنافقين ، ومن حادته وعادته من الناكثين والمارقين ، والباضين والملعدين ، فاقس جدودهم وفعل وفعل .

والحمد لله الذي عرّف أمير المؤمنين منذ استخلفه في أرضه ، وأتقنه حل حقه ، من عظيم نعمه ، ولطيف صنعه ، وجعل بلاكه ، وأعزّاز نصره ، وأعلاء يده وكنيته ، وإفلاج حُجته على من ضاده وحادته ، إن الله بعظيم طوِّله ومته أرتضى أمير المؤمنين لدينه ، وأصطنعه لخلافته ، بخلافه سربالها ، ورداه بهامها وجمالها ، فاستعمله بالكتاب والسنة والحق والعدل فيها ؛ فأيد بقوته ، وأعزّه بنصره ، وحاطه بكفائته ، وتوقى الصنيع له في جميع أموره ؛ فلم يَكبه كائد ، ومُمانده مُماند ، ويمسّق عن طاعته الواجبة مارق ؛ ويُلمد في إمامته مُلمد ، تمنّ بمالين بمصيبة وشقاق ، أو يتطوى على غلّ ويفاق ، إلا أوهن الله كيده ، وأتمسّ بجمده ، وطاجل المُبدئ بدلاوته ، الشاهر على الدين والمسلمين سيفه ، باصطلام وبوار ، وأمكن منه بِلته وصناره ، وقتل المسرّضه ، المُتطوى على غلّه بِنِظله ونغمه ، وأمانته بدائه وحسرتة ؛ إنجازا منه جلّ ثناؤه لوعده ، وإتماما لكتلته فيما وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من استغلافهم في أرضه ، والتحكين في دينه ؛ وله الحمد دائما ، والشكرُ خالصا ، كما هو أهله وكما ينبغي أن يُحمد ويُشكر ، لا إله إلا هو الواحد القهار .

والحمد لله الذي لم يُبق لأمر المؤمنين عدوا من الناكثين والباطلين ، والمشركين والمنافقين ، حاول نقضا لإمامته التي صيرها الله إليه ، وقلده إياها ؛ أو صاول جيشا من جيوشه التي أعدها لحماة عِزِّ دين الله وعِماره ، وإقامة سنته ومعاله ، إلا أحلّ به النعمة ، وأصاره إلى الصغار والقلّة ، والبرابر والمملّكة ، وعجّله إلى ناره وعذابه .

والحمد لله الذي لم يزل يتولى أمير المؤمنين بحمايته ، ويتوحد له من إعرزاز نصره وإعلاء كلمته ، وإفلاج مجته ، وتأييد أوليائه وأنصار حقه ؛ وأنزل البأس والثقة والمثلثات والسطوة بمن عانده ، وألّغ عن حريم المسلمين وأهل بيته ؛ بما بين به عن مكانه منه ، ومتركة عنده ؛ حمدا ربنا بذلك كما هو أهله ومستحقه ، مشكورا بعظيم منته فيه وطوله ، مسؤولا لتقام أحسن عائلته وماضى سنته ؛ فإن الله المحمود على نعمه ، المشكور بالآله ، لم يزل ما يتوحد به لأمير المؤمنين بسلطانه من التعزيز ، وفي أوليائه من التأييد بنصره ، عادة يقين بها برهانه ، ويُفلج بها مجته ، ويذل بها على كرامته عليه ، ويُخبر بها عن منزلته عنده ، ويعمل ما نزل بأعدائه المتولين عنه ، الراغبين إلى ضيقه ، للحمدين في حقه ، عظة لمن قسا قلبه ، وران عليه سوء عمله ، ليكون ما يطميه من البسط في ملكه ، والتمهيد فيما خوله له ، ويؤفقه من السطوة بصدقه ، والتبكيل بمن خالفه ، مجته متظاهرين ، وصبرين صبر ، فيعتصم<sup>(١)</sup> مُعتم ، ويخون ناصح ، وليشجب<sup>(٢)</sup> [شاجب] ويهلك هالك ، وقد مضت من الله المشيئة ، ووضح منه الإصدار ، وكان الله بعباده عليا ، وبأعمالهم خيرا .

والحمد لله الذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته : وجعله وارث وحيه ، وقيمه بكتابته في عبادته ، وأكرم هذه الأمة التي جعلها خيرا أمة أخرجت للناس به ؛ فهو الميمون في تديره المنصوح حيوله ، الميمون النقية ، الموفق الرأي والسياسة ؛ فإن الله عز وجل خلق الخلق بقدرته ، وأختارهم بعلمه ، فاختر أمير المؤمنين لخلافته ، وأصطنعه للقيام في العباد والبلاد بأمره وقسطه ، وألهمه إقامة أحكامه وفرائضه ، والعمل بحقه وعدله ، وألهم أهل الشرك به ، وأتمرها إلى أيام دولته ، وحفظها عن كان قبله ، حتى حازله أبحرها ، وأبقى له سلطانها وذكرها ، ونشر عنه أسدوتها وسماعها ؛ وقص عليه البلدان القاصية ، والمدائن الثنائية ، التي لم تكن تُرام من أهلها ، ولا يُطمع في زوالها ؛ وذلت له الملوك القديم عتوها وعنادها ، والأثم المستعصب مراسها وجهادها ، الحامية في آباد البهور جماعها ؛ فأنفذ فيهم مكيدته ، وأنجح

(١) كما في الأصل ، ولها بالتين . (٢) كما في الأصل ، ولها ولشجب .

سَمِيَّةَ، ورملم بالتخويف، وملاً قلوبهم رُعباً منه ؛ فاذعن مُدْعِيهِمْ بطاعته ، وأتقادوا لأمره، وصاروا يداً وأعواناً لأوليائه على أعدائه .

أما بعد، فإنَّ أعظم النعم قدرها، وأجلها أمراً، وأسرّها موقفاً، وأوجبها شكراً، ما عَمَّ الإسلام والمسلمين نَعْمُهَا، وعلدت عليهم عافيتها، وجعل الله فيه عزّ الدين، وكُذِّلَ المشركين ؛ وقد جعل الله ذلك في خلافة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه بيمينه وبركاته، وما أخلص الله من نيّته وطاعته، وتأييده حقّه فيما استحقّفه من أمر دينه وعباده، وفرغ له نفسه، وأنصب فيه بدنه، وأسهر فيه ليله، من حياة حريم الإسلام، والزيادة في حدودها مُتَّعِلاً مُتَّعِلاً، والنعم متظاهرة ومُتَوَافِرَةٌ، فسَهِّلَ الصَّعب، وذَلَّلَ له العَزيز، وقصم كُتَاتِ الأعداء ومُتَكَبِّرِيهِمْ، والمستعصين والمستعصين منهم، في آباد الدهور على من رامهم، وفتح عليهم حصون مدائنهم ؛ ومنع قلاعهم، وأغذ ميكيدته فيهم ؛ فبين مقتول ومأسور، وشريد طريد عن محبته، وموضع عزّه ومنعته، مُسْتَعْلِمٌ مُعْطِ قِيَادَهُ بائع بطاعته، وكذا فإنَّ الله بِنِعْمَةِ وطوله قد أوصل لأمر المؤمنين من صنعه له فيما قلده من خلافة، وحِياطته إِيَّاهَا فيما يحوطه من دينه، وعرفه من كفايته فيما قام به من حقّه، وأيّده من نصّره فيما جاهد عنه في سبيله، ما قد جعل النعمة به طامة، والشكر به لازماً، وإِيتَ به واجبة، والصنع عظيم؛ فالحمد لله على نعمه في ذلك كثيراً .

والحمد لله الذي جعل اجتهد أمير المؤمنين ومقام أمره وتديره، في آتاء الليل ونهاره، فيما فيه صلاح عباده، وإعزاز دينه وإقامة حقّه .

### محمّد

الحمد لله الذي لَمَّا أقرض من الطاعة لولاء الأُمَر من خلفائه جعل أوائلها ناطقة عن فضل أوامرهم، وبرادتها مخيرة عن حيد عواقبها، ومواردها مبشرة بالملق في مصادرها، بما يَتَّبِعُ أهلها من السعادة في الماضي من أولياتها القائمين بحقها؛ وعاد من الشقوة على مُقَارَفِي المصيبة المُلمِّعين بها ؛ حين أقبلت بهم هوائى الفتن، وكشفت لهم قوايلها عن البوار

والمَلَكة ؛ مُتَنَزِّين حين لا عنز ولا مُجَبَّة ، طالِبِينَ لِلهَارِبِ بعد أن كانت منازلُ السلامة بهم مُطَمِّئَةً ، وخائفِينَ وقد كانت سُبُلُ الأَمْنِ لهم واضحة ؛ قد جعلتهم القُتْمَةُ الواضِعَةُ بهم أمثالا سائرة ، وفوقت بينهم وبين النِّعمِ الشاملة ، وحصلت السعادة لمن أعطاهم بهم باقية ، سَنة من الله فيهم ماضية ، وعادة جارية ، ولن تجد لِسنة الله تَبْدِيلًا ولن تجد لِسنة الله تحويلاً .

والحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لخلافته غُرس به دينه من البُناة الناكثين عنه ، وأخصه بأعلاء رُتب كرامته ، وأقرض طاعته على عبادته ، وجعلها بمواقفها في دينه نظاماً لسائر أفعاله ، فتركها مُفَارِقَ لِمُصْمة حقّه ، خارجٌ من جملة الأئمة التي سبقت لما رحمته ؛ يستنصر أشياخ الباطل والله خائفه ، ويُنالِبُ الحقَّ والله غائبه ، ويطلب مالا سبيل له إليه والله طالبه ؛ حتَّى يَحْلِجَه أَجلُه عن أمَلِه ، وأقنارُ الله فيه عن تقديره ، وتغوّذ قضاء الله فيه عن نفوذ حيله ؛ فضلاً من الله على أوليائه وقضاء منه عدلاً في أعدائه ، والله ذو الفضل العظيم .

والحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لِرِاية عبادته ، وحفظ بلاده ، وتنفيذ أحكامه ، وإقامة حدوده ؛ بجمع به الألفه ، وكف به بوائق الفتنة ، وأصلح به أمور الأئمة ، وسكن به الدماء ، ودفع به عظيم البلاء ، وأخذ به من الجُهد والآراء ؛ وجند لرعيته العبر الشافية ، والسيطة النامية ، وحصل همه السعى إليه ، وطلب الحق الذي أوجبه له من خلافته ؛ لِيُؤدِّيَ فرضه في الأمانة التي حملها ؛ فَيُوجِبَ له بذلك مالا يزول ولا ينقطع من ثوابه ، فأعمل رأيه في الرأفة بمن ولّاه أمره ، والحياطة له ، والنيابة بصلاحهم ، فأعطاه لين الموعظة في وقت الثاني ، والغدوّ لإقامة الحجّة والبيّنة ، وشنة السطوة على من غمط النعمة وعذّب به الإضرار عن الشرّوع والفتنة ؛ ممّا من الله ونفعلاً ، وإحساناً وتطوّلاً ، والله ذو فضل عظيم .

وبسأل الله أمير المؤمنين مُبْتَدِئاً ومُعَقِّباً ، وأولاً وآخراً ، وقبل كلّ مسألة ، وأمام كلّ رغبة ، ومُقدِّمة كلّ طلبية ؛ أن يُصَلِّيَ على صفوته من عبادته ، وخيرته وخاتم أنبيائه ورُسُلِه ، عَهدَ عبده ورسوله ، أفضل صلواته ، ويبارك أكثر بركاته ، وأن يُؤمِّمَ له كرامته ، ويُجرِّمَ عنه أجل ملذاته ، ويحمِّمَ له ما أختص به من إحسانه ؛ حتَّى يعلّا الأرض عدلاً وقسطاً ؛

والإسلام تأييدا وعِزا، والشُّرك ذُلا وقُعا؛ إته ولى كلِّ نعمة، ومتمهى كلِّ رغبة، وغاية كلِّ حاجة .

ولم يزل أمير المؤمنين منذ الوقت الذى أفضى الله إليه بخلّاته ، وأكرمه برّد حقه من إرث نُبوته ، يتلقى عظيم النعمة فى ذلك بالإخلاص للنيسة والطّوية فى الصّبح عن كلِّ زلّة ، والإقالة لكلِّ عثرة ، والعمد للهقوة وقبول الفتيّة ، والإجابة بمن عظم جرمه ، وجلّ ذنبه ، وظنّ أنّ لا توبة له ؛ وعلما جدد الله له نعمة ، جدد له فى ذلك نية حسنة ، شكر الله عزّ وجلّ على ما ابتدأه به ، وارتهاق لنعمة عنده ، واستردّة من جميل مواهبه ، وتقديم الإهتمام بما فيه صلاح رعيته ، وأستقامة أمورها ، وحياطتها والدّب عنها ، وكفّ الأذى والمكره عن البانى والقاصى منها ؛ ويختصّ إلى ذلك بكلّ ما ييسد إليه السبيل ويصعّد فيه ، ويسدّ لكثرة أوقات دهره فى كلّ ما بلّغه محبته نظرا لها ، وحسبا على كائناتها ، وإشفاقا من سوء حالها ؛ إذ كان لها والدنا برآ ، وراعيا كالنّاز ، وناظرا لطيفا ، ويستعمل كلّ ما يريجو انتلافها ، والإبقاء على أحوالها ، والسلامة لها فى دينها ودنياها ؛ ويتصّب لذلك إليه ونهاره ، ويذيب فيه نفسه ، ويصله شغلّه دون غيره .

والحمد لله الذى أعطى أمير المؤمنين بخلّاته ، وأكرمه بإرث نُبوته ، وجعل خلائفه خلافة يمين وبركة ، ولطف وسعادة ؛ انتاش بها أوليائه من موارد المملكة فرفع منزلتهم ، وشرف درجاتهم ، وأعلى كُتبتهم ، وأذلّ بها أعلّانهم ، وجدد دوايرهم ، وردّ دائرة السوء عليهم ؛ وجاء مزية نصره وتمكينه ، وإعزازة وتأيدته ، وإظهاره على من نأواه وعُتد من حقه ، وصنّف عن طاعته ؛ فإت الله لما اختار أمير المؤمنين لخلائفه فأيد به ، جعل الحقّ نيته ، وإعزاز الدّين بغيره ، ومجاهدة أعداء الله شرقا وغربا وبرا وبجرا نهته وإرادته ؛ ثم يسره فى ذلك لما أحسن به عونه ، على من أستحفظه وقّله ، فضلا من الله ونعمة ، والله عالم حكيم .

والحمد لله الذي كان لسابق عليه وسالف قضائه، الذي لا يستطيع الناس رده، ولا منعه ولا صرفه، ما ولى أمير المؤمنين من خلافته، وما آتته له من النصر لدينه، والطلب لحقه، والجهاد لأعدائه؛ وأحسن في ذلك عونه فيه وبلاءه، وأيده في نفسه، لم ينقصه خذلان خاذل، ولا مخالفة من خالف، ولم يزد أمره في شيء من ذلك إلا تآمرا وإحكاما؛ حتى أظهر حقه، وأطبع حجتَه، وحقى باطل أعدائه، وأدحض حججهم؛ وجعل أهل طاعته حربه الغالين، وجنّته المنصورين؛ وجعل عدوه وعدوك حزب الشيطان الخاسرين، وأوليائه الأذنين؛ بغير حول من أمير المؤمنين في شيء مما ولّاه وأبلاه، ولا قوة إلا بالله الملك العظيم .

### لأبي عبيد الله

والحمد لله الذي أكرم أمير المؤمنين بما أثار إليه من الخلافة وإرث النبوة، وجعله القائم بأمر عباده وبإلهه، والمنجي لسننه، والذّاب عن دينه وحقه، والمُنَاصِبُ لأهل الشرك واليُجُودُ به، ثم نصره وأظهر فضل أيامه ودولته، ومكّن له في بلاد عدوه، وجعل كلمته العليا وأنصاره الغالين، ومن ثأواه من أهل الخلاف الأذنين المقهورين؛ وعرفه من نعمته في ذلك ومنته وجعل صنمه وعادته، أحسن ما عود أحدا من أوليائه التائبين عن الإسلام وأهله، حمدا متابعا لا أقطاع له ولا أنصرام، دون بلوغ حقه، وقد كان كذا وكذا .

### ما يكتب به في المخالفين في وقت الهزيمة

نكسوا على أديبارهم منكوبين مهزومين، قد ضرب الله وجوههم، وقت في أعضائهم، ومنع الأولياء أكتفهم؛ فقتلهم في كل فج، وصل رأس كل قلعة ومهرب ومسلك؛ أباد الله خضرائهم وغضرائهم، وحصد شوكتهم، وفلّ حنهم، وأبلىخ نيران ضلالتهم وكفرهم، وشقى منهم الصدور، وأدرك منهم الإحش، وقَتَلَ المسلمين أموالهم وذرائعهم، وجعلهم لهم حولا وعيدا، وأورثهم أرضهم وديارهم، وأحلّ الله بهم من البأس والقمعة والبطاحة



والظهور والقبلة جزءاً من الله لمن أخذ إلى المعصية وأبغى غير سبيله المسلوكة . وكذلك يفعل الله بالقوم الظالمين ، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ، إن الله لا يخلف الميعاد . ثم أنزل الله عز وجل من صار إلى الأمصار منهم هرباً ، وأخضع بالحصون ، وتوخذ بالجلال ، ولأذ بالقلاع ، وبلغا إلى الأودية ، من صياصيمهم ، وأمكن من نواصيمهم ، وأستخرجهم من أوزارهم ومعاقلهم ومتوخذهم ، وأخذ أسيراً ذليلاً منكوباً خاطفاً قد نخب الوجل قلبه وملا الرعب صدره ، متوقفاً أن يقول الله به من الثقات والمثلاث مالا مرد له عن مثله من القوم الظالمين ، وفشت في الكفرة المجرحات ، وعصتهم السيوف ، وشرت فيهم القنا ، وهرتهم نار الحرب ، وغلم الزلزال ، ومارسهم الأبطال ، وأستخرج فيهم القتل ، فصبر لهم الأولياء أحسن صبر ، فلم يطبقوا بالمولوت مراماً ولا على الحرب مقاما .

#### في صفة الخاطئين

الناصبين لدين الله ، المكذبين بآياته ، الجاحدين رسله ، الجاهلين معه إلها ، لا إله إلا هو ، لطول مقتهم ، وشدة شوكتهم ، وصعوبة مرامهم ، وقطعهم السبل وأتباعهم المحارم وسفكهم الدماء التي أوجب الله على من سفكها بغير حلقها وأقرق وزرها ، أليم العذاب وشديد العقاب ، فأبوا إلا تمادياً في ضلالتهم ، وعتوا في طغيانهم ، وشبوا على عصيانهم ، ومقاما على كفرهم ، لأعدائهم السالفة . وغوائله المتقدمة ، وبوائقه المشجبة ، فوقف محلا بين ثكل التقدم وحقيقة الاضطلام في التأخر ، دعاهم إلى القبيحة والمرابطة والإتابة وقبول الأمان والدخول في الطاعة ، أستظهرها بالجملة عليهم ، ورجاء لصنع الله فيهم . فلما بلغهم نزول فيمن معى ، جمع أصحابه ، وضم جنده ، وتمرز في معسكره ، وخذلق على مقله ، وأحترس بجنده ، فأقلت مسكرى ، وأنا مع ذلك في كل يوم أوجه رسل وأدعوه إلى خطه ، من طاعة أمير المؤمنين والدخول في أمانيه ، وأعلمه أن له نظراء ممن غمط الطاعة ، وسيف الجماعة ، وقد ركضوا في الفتنة عمرهم وسعوا فيه دهرهم ، فانتشر خبرهم ، وكمثر تبهم ، وكبر وزرهم ، وتسل وقهرهم ، ثم أذعنوا ليطاعتهم ، وأجبوا

ناهضين من قسّتهم، ومتعشين من زلّتهم، ففُفِرَتْ ذنوبهم، وقُبِلَتْ توبتهم، ونُفِصَحَ لهم في أمانهم، وشُرُفَتْ مبرّتهم، واستبدلوا بالخوف أماناً وبالنّيل عزّاً، فأبى به ميل الحموى، وظلّة الشّقوة، ومستلّ التّوابة، والقدّر الحارِب، والقضاء المحتوم. وقد مُدَّتْ في موافقتهم وتريفيهم، والأخذ بالخلق منهم، من غير قتال، ولا تناول سلاح، ولا تناوش صيَال<sup>(١)</sup>، وعرضت عليهم التّوبة، ودعوتهم إلى الإِثابة، وأعطيتهم الأمان، وأعلمتهم أنّهم إن قَبِلُوا حِميتهم وأُخمدت نَارُ الحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، وإن أَبَوْا إلا تَعَادِيَا فِي غَيْبِهِمْ وَنُكُوصَا عَلَى شِقَائِهِمْ، وَلَيْتُ مَا تَجَرَّيْتُمْ وَعَرَفْتُ مِنْ اللَّهِ الْخِيَرَةَ فِي عَارِبَتِهِمْ، وَأَسْتَمْتُهُ عَلَيْهِمْ وَأَسْتَكْفَيْتُهُ أَمْرَهُمْ، وَرَجَوْتُ حَسَنَ عِلْدَتِهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْتَالِهِمْ. ثُمَّ وَجَّهْتُ الْأَوْلِيَاءَ فَغَضُوا مَحْوِ عَسْكَرِهِمْ لِيلاً وَهُمْ مُتَفَوِّقُونَ فِي رَحْلِهِمْ، مُتَقَرِّبُونَ فِي أَوْطَانِهِمْ، قَدْ أَمْنُوا خِدْعَ الْحَرْبِيِّ وَمَكْرَهَا وَمَكِيدَتَهَا، وَوَقَعَةَ الْبَيَاتِ وَهَوْلَهَا، إِلَّا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَهْلُ عِلْدٍ وَعُدَّةٌ، وَبِأَسْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَقُوَّةٌ، اتَّخَذُوا اللَّيْلَ جَلَا، وَسَرَّوْا نَحْوَنَا رِيحُونَ فَرَّتْنَا وَيَأْمُلُونَ غَفْلَتَنَا، فَوَقَفَ جُنْدُنَا بِمَكَانِهِمْ أَخَذِينَ أُنْهَبَتِهِمْ، مَتَمَسِّكِينَ بِالطَّاعَةِ فَيَا بِهِ إِمْرَتِهِمْ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ طَائِفَةٌ فَدَفَعُوهُمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَتَالَوْهُمْ بِبِرَاحَاتٍ مَعَ قَتْلِ مَنْهُمْ عِنْدَ تَنَاوُسِهِمْ، ثُمَّ نَكَصُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَرَجَعُوا الْقَهْقَرَى عَلَى أَعْقَابِهِمْ إِلَى الْبَاقِينَ مِنْ سَرِيَّتِهِمْ، فَاسْتَبَاشَوْهُمْ فَاجَاهَمَ بِالْمَكَافَةِ وَالْمُؤَاوِزَةِ، وَأَقْبَلُوا بِحِمِيَّتِهِمْ وَحَقَّقَهُمْ حَتَّى حَمَلُوا حِمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَضَاقَ الْقَضَاءُ وَطَارَتْ أَفْتَدَةُ جُنْدُنَا رُجْمًا مِنْ حِمْلَتِهِمْ، وَبَلَّتْ الْقُلُوبُ الْحَنَابِرَ مِنْهُمْ، إِلَّا طَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ مِنْ لَوَائِغِ الْحَرْبِ وَمَوَاضِي رَوَاحِضِهَا وَأَشْبَالِ لَيْدَتِهَا، تَرَبَّتُوا بِالطَّاعَةِ فَأَمَّاوَا حَسَنَ الْعَاقِبَةِ، وَنَصَرُوا الدِّينَ، فَفَرَّقُوا بِالْحَمَكَيْنِ، اسْتَبَدُّوا إِلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا لَهُمْ، وَأَزْدَادُوا بِصِيرَةٍ فِي أَمْرِهِمْ، وَغَاظُوا وَجْدًا فِي أَجْتِهَادِهِمْ وَمُجَاهَدَتِهِمْ، فَخَذُوا قَائِمِينَ بِالْقِسْطِ فِي أَحْوَالِهِمْ، قَائِمِينَ بِالْعَدْلِ فِي أَمْلَاحِهِمْ، يَسْأَلُونَهُمُ الْكَرَّةَ بَعْدَ الْكَرَّةِ، وَيَسْأَلُونَهُمُ الْقَلْبَةَ، وَيُتِمُّونَهُمُ السَّلَاحَةَ، وَبُضْمُونُونَ لَهُمُ النِّعْمَةَ، فَفَعَالُوا إِلَيْهِمْ، وَرَجَعُوا إِلَى الْحَقِّ قَهْ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ، فَشَاقُوا سَاعَةَ الْبَقَى

(١) الصيَال صدم سال على قرنه : سطا طيه -

بذل تلاميهم إرشافاً . بالسهم فلما رأى أعداء الله جيشهم ، وعرفوا صدقهم ، وخافوا حزمهم ،  
نكسوا على أعقابهم ، يريدون الاتفاق بمسكرهم ، وتحرك أصحابنا في طلبهم ، ورجعوا سنة  
الصباح لم ، فامعنوا في أثرهم ، فلما أحسوا الفساق أعطوهم الضمة ولوا إلى ديارهم  
لا يلاوى قريب على قريب ، ولا دورح على حبيب ، وألهم الثقي ففسرتهم ، وعضت  
حائمهم السيوف فكلفتهم ، وحيل بينهم وبين الدخول من باب عسكرهم ، فأخذوا في ضرب طريقه  
منزعين ، قد فل الله حزمهم ، وقيل كثرتهم ، وقتل عاقبتهم ، ورجع أصحابنا إلى مسكر أعدائهم  
بعد التشريد والتفريق بجماعتهم ، فأحاطوا بهم في آنرليتهم ، فلما رأوا غفقتهم ، وأمنوا  
غريبتهم ، وأتتروا مكان الفرصة منهم أحاطوا بهم وهم نائمون ، فازون غافلون متفرقون ،  
فوضفوا السلاح فيهم ، ضرباً بالسيوف ، وطعنا بالرمح ، وضرباً بالأعمدة ، وبجنا بالشفار ،  
لا يشعرون من جرحوا ، ولا يبقون من كلبوا ، غير مدفوعين ولا ممنوعين ، حتى أثنت  
السيوف ، وتحطمت الثقي وأندقت الأعمدة ، وكلت الشفار ، وبقيت منهم عدة يسيرة  
وشرمة قليلة ممن لم ينله القتل ، فأخذوا أسرى ، وأوثقوا حديدًا ، وكجوا قيودًا ، وكان  
أول رأس أتاني بخبره بشيرهم وأسرع به إلى ذو المعرفة منهم رأس<sup>(١)</sup> عدو الله المارق  
الباغي ، الشاق لعصا المسلمين ، ملائي رؤس ضلالتهم ، وقائد جهالتهم ، ومبتغوى  
جماعتهم ، فعرفته بحليته ونصته وصفته في عدد كثير من رموس قواده وأهل الفتنة وأمة  
البدعة ، فلم يلبثوا إلا ريثما تصدعوا في كل جبل ونجر ، منزعين هارين ، لا يستطيعون لما  
أتاهم من عذاب الله دفا ولا منأ بأيد ولا قوة ، ولا يلجئون إلى دكن وعصمة ، قد تشقت  
بهم نظامهم ، وفارقهم وجوههم وأعلامهم . فأخذهم أسرا قسراً قدمتهم النصب ، وملأ  
قلوبهم الرب وتخزنتهم الوقائع ، ونجبتهم المزايم ، ونجبتهم القتل ، وطلب الله عز وجل  
لأمير المؤمنين على حصنه الذي كان مئاف عزه ، وموضع مئاف نفسه ، وجمتمع عدته ،  
ومائة قوته ، ففوضوا عساكرهم ، وأقشعوا عن حصنهم يقع آثرهم أولهم ، متحيرين متلهدين ،

(١) في الأصل : «بشير» . (٢) في الأصل : «يرأس عدو الله» .

أذلة خسرين، فتفرقوا لا نظام لهم ولا جامع لشتاتهم . فلما استحوذ القتل فيهم، وقُتِلَت  
الجرّاحات في عامتهم، وطحتهم الحرب بكلكلها، والموا وقع حديد أنيابها ومساعرها،  
قذف الله الرعب في قلوبهم وزلزل بهم أقدامهم، فولّوا منهزمين مغلولين، وركب المسلمون  
أكتافهم، يقتلونهم في رموس جبالهم، وخلال غياضهم، ويطون أوديتهم، ومقاصي  
بلادهم، وفي كل ناحية من نواحيهم، حتى عجز الليل دونهم، وأعجزهم هربا في معاقلهم.

### وفي العصاة

حتى إذا ظن أن قد عثر بضلاله، وتعمّن بمعاقله، وأستكمل قواه، وكثفت كعبه،  
وبلأ إلى مانع منه ودافع عنه، عطفت عليه عواطف الحق بأوليائه الحق وأنصاره،  
نافذين ما أربم، ومتداولين ما سدد، ومتوغلين إلى غيّه بيسائرهم، وإلى باطله بحققهم، فاستقرّ  
عن موضع عثره قسرا، وأمكن الله أوليائه أسرا، سنة الله فيمن عتد عن سبيله، وألحد  
في دينه، وصرّق عن الطاعة وثاقها، وأستبدل بالحق ومنهاجه، ولن تجد لسنة الله تبديلا،  
ولن تجد لسنة الله تحويلا، ولن تجد من دونه ملتحدا ولا نصيرا، حتى إذا تراءى الجمعان  
تبرأ الشيطان من حربه، وأرهب الله باطلهم بحقه، وجعل الفلج والظفر لأدنى الحزبين به،  
بذلك جرت سنة الله في الماضين من خلقه، وذلك ما وعد من تمسك بأمره وطاعته .

### وفي مدح قوّاد الجيوش وصفة الأولياء في أحوالهم

لما بلا من طاعته، وأختبر من نصيحته، ويثّن ثقيته، وشئت شكيته، وصحة  
عزيمته، وصدق نيته، وثقل وطأته على أعداء الله وأعداء الدين والمسلمين، وعلمه بمراوضة  
الحرب ومارستها، ومكايده الأعداء ومواقفتهم فيها، فشمّر تسمير أهل الحسبة وحسن الظن  
بافق من غير وثية ولا قرة ولا بقاء جد ولا اجتداد، راجيا أن يجمع الله سعيه، ويخلف  
محنته، ويظهره على عدوّه من الاستقلال الذي حمله، والاضطلاع بما أسند إليه، والامتثال  
لسيرته، والانتهاز إلى أمره، والقبول لأدبه، والخوف بما يستهضه له من حروبه وأمويره مثل  
الذي جعل عند قلان : يفضّلهم بطوله، ويطوّلهم بمحاسنه، ويقتطعهم بمحسن بلائه، وغفاته،

ومواقفه ومسايعه، لم يختبره أمير المؤمنين في جميع خصاله إلا وجده عند الاختبار والتحصيل سالكا لما فيه، قابلا لأمره، متبعا لأثره، ساميا بهيمته إلى أقصى انفايات وأصل الدرجات، حتى صار عند أمير المؤمنين مقدسا في القدر والرتبة، مخصوصا بالمرتبة والرفعة، يرى ذلك قليلا في كثير ما وجب بطاعته ونصيحته، فبارك الله عليه وليا ظهيرا . فأقدموا متوكئين على الله مسلمين لأمره صابرين على ما نالهم من الآلاء والجهد والعب وكَلَبَ الشنَاء وحجارة القَيْظ، وصعوبة المَرَام من أعداء الله الكُفْرَة، يرجون نصر الله وتَحْجِزَ ما وعد الصابرين والمجاهدين في سبيله من الظُّفَر والنصر والغلبة على عدوهم، توحد به من نصرهم وإعزازهم أن كان الله عز وجل تكفل لأوليائه بالنصر والعز والحيطة، وجعل حسن العاقبة لهم، وكَبَت من حادهم وأخذ إلى المعصية والكفر والأمر، ليكونوا بذلك عظة ونكالا لمن أمهله الله منهم، ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، والله عزز حكيما، أعظمهم عِزًّا، وأحسنهم بلاء، وأشدَّهم صولة، وأضاهم نكاية، وأمنهم سريرة، وأضاهم عزيمَة، وأرابطهم جاشا، وأصدقهم بأسا، وأملأهم للأقران، وأرأعهم لوثائق الإيمان، وأشدَّهم تحديا على السلطان، فأزده بهم، وحصَّن أطراف خلافة بأيديهم، فكشفوه المههم وقاموا دونه بالملم، غير مستطيلين بقاء، ولا متعرضين لطالب جزاء، قد تبذروا الوفاء، وغنوا بقرية الولاء؛ فزلت الله جل آياه أعلاما في الطاعة يبدون إليها وأوليتُه قادة إلى ميل النصيحة يتسلك المناصرون بآثارهم فيها، باقيا على كز الأيام ذكر مساعيمهم، وزائفة على تصرف الأيام حقوقهم، ويأبوا للعيون حيد أفعالهم، لا تتصرف الأخبار عن سالف لهم إلا وصلوه بمحدث، ولا يتقدم لهم من بلاتهم أقل إلا أتبعه آخر. ففلان يجرى في أمره على منهاج قد أوضوه له، ويسلك في الطاعة طريقا قد سهلوا له مذهبها، ويتمسك بمرأ وثيقة قد رأى آثارها على من تهتمه، والله محمود . ولم يزل الله يعزف أمير المؤمنين في كل ما استند إلى فلان من أعماله وقَّده من أموره، للبالغة في قضاء الحق عليه وبين التقية نيا يتولاه، والاجتهاد في كل ما قرب من الله وخليفته . وأمير المؤمنين يحمّد الله على ما مضى

به من نعمته ، وإياه يستعين على قضاء حقّه ، إنه سميع قريب . ثلاث كتابك ورد على أمير المؤمنين بما لم يزل يتطلع اليه منك ويؤمله عندك ، ويرجو أن يوفقك الله فيه لرشدك ، ويؤثرك منه بحظك ، للذي كان يلفه وينتهى اليه من خبرك ، في أحوالك وتصرفك في خصال الخير ، وتثقل في درجتها ، مساميا لاهل الفضل في مراتبهم ، مترينا بصالح أفعال الملوك في قصد سيرتهم ، وحسن طريقتهم ، ولين أكتافهم . لحقق الله ظنه بك ، وأجاب دعاه لك ، وبلغ بك أمنيته ، وأعطاه فيك رغبته . وكنت فيما هديت له بأهليادك إليه راغبا ، ودخولك فيه محسبا ، مستوليا على أسنى الأمور مؤوية ، وأفضلها ذخيرة ، وأعلاها درجة ، وخيرها عاقبة ، وأتمها سلامة ، وأمنها كهفا ، وأبقاها شرفا ، وأعدلها حكما ، وأطولها سلما ، مستحقا بذلك على الله عز وجل زيادة الملك فيها ، وبهاء الثروة ، وأنبساط القدرة ، وأنساع المملكة ، وظهور الفلبة وعز التمكين ، والنصرة في الدار التي حُيت فيها بقليل ما ترجو أن تصير اليه من ثواب الله عز وجل وحسن مجازاته بالنعم المقيم في دار الأمد ، وعمل الأبد ، بما لا يلفه إحصاء ، ولا يكون له آتباء ، وملاء فرحا وأبتهاجا ، وسرورا وجذلا ، ورجاء لك من الله عز وجل حسن عونه وتوقيفه أن يغلب لك على حظك ، وأن يأخذ إلى تقواه بقلبك ويعمل فيما عنده ورغبتك ، وإلى ذلك سموك ومهنتك . وليس ينفك أمير المؤمنين مقتفرا فيك أثرا يحمد ، ومتصفا بخير يهجه ، ومستعدا نعمة من الله عز وجل يرجو اتصالها وأنساقها لديه بك ، حتى يتناهى إلى الدرجة العليا ، والغاية القصوى ، فيها <sup>(١)</sup> [يخفيه] من آجتات أرومة الفسقة وقطع دابرهم . وبالله الثقة والحول والقوة ، متحفا من الله قيا فارقه من جهاد عدوه أتم مصادق وعد القائين بحقه ، الصابرين في جنبه ، وأحسن ما أبل ، ذائكا عن حريم ، ومحسنا لبيضة ، ومدافعا عن ملّة ، فشمس شاربا لله نفسه ، ظارحا عنه لباس الفلفة ، متجانبا عن مهاد الوطاة ، وليس تدخله الخلة والوحشة على من كنت قريبا منه ، ولا يمنع لأمر المؤمنين طَرف أنت فيه ، ولا أمر يُعين عليه ويمسك بسبب من أسيابه .

(١) ياض في الأصل والياق يخفى ما أبتناه .

## وصف الأولياء في الكتب

وصار أهل السُّمُو إلى الدرجة العليا، والاعتصام بالبروة الوثقى، من أولياء أمير المؤمنين وشيعته، مُفْتَرِحَةً صدورهم بمكافئته، مُنْبَسِطَةً أيديهم بمعاونته؛ وقسم لأمر المؤمنين من أولياء دينه وأنصاره، قَوْمٌ آزروهم بالنصر، وَكَتَفَهُم بِالْيَقِينِ، وَأَلَّفَ بِصَانِهِمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَيَّدَهُمْ بِمُؤَيَّدَاتِ التَّقْوَى؛ فَلَمَّا أَمَرَهُم بِطَاعَةِ أَمْرِهِ، وَلَمَّا فَرَضُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ طَاعَتَهُ، فَرَضَ اللَّهُ نَصْرَهُمْ وَتَحْكِيمَهُمْ، بِفَاهِدِ مُجَاهَدَتِهِمْ مُسْتَبْصِرًا عَيْنِيًّا، وَقَامَ قَائِمُهُم بِالْحَقِّ عَلَيْهِ مُخْلِصًا مُجْتَبًى، وَقَادَتُهُمْ طَلَائِعُ الدِّينِ وَدَوَاعِيهِ أَرْسَالًا قُدُّمًا، فَاتَّبَعُوا سَبِيلَهُ لَا تَاكِلِينَ عَنْ إِقْدَامِ، وَلَا مُتَوَقِّعِينَ عَنْ أَرْتِيَابِ، وَلَا مُتَبَيِّنِينَ، مَعَ دَعَائِلِهِمْ وَبَصَائِرِهِمْ، عَدُوا وَلَا عُنَادًا، طَالِبِينَ بِثَارِ الدِّينِ بُنَاتِهِ، وَبَطَوَائِلِ الْإِسْلَامِ عِدَاتِهِ : مِنْ صَنُوفِ أُمَمِ الْكُفْرِ وَصَرْدَةِ الْفِتَنِ وَأُتَمَّةِ الْمُفْلَحِينَ؛ مُتَقَلِّدِينَ لِحَقِّ وَنُصْرَتِهِ، وَلَئِنْ تَمَّ الْحَقُّ بِهِمْ وَمَعَى، وَلَئِنْ مَعَ الْحَقِّ مَنِ نَكَّثَ عَنْهُ بِالسُّتُومِ وَأَيْدِيهِمْ، حَتَّى نَفَحَ اللَّهُ عَنْ وَجَلِّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا قَلَّ لِلشُّرْكِ وَأُتَمَّةً، وَأَنَاحَ الْبَاطِلِ وَأَرْكَانَهُ، وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ وَاتِّبَاعَهَا، فَضَّلَا مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ؛ إِنْ هَزَنَتْهُمْ قَطَعُوا قَطْعَ الْحَسَامِ، وَإِنْ أَجْرَيْتَهُمْ فِي عَظِيمَةٍ وَقَعُوا وَقَعَ الْجِيَادِ، وَإِنْ اسْتَفْنَيْتَ وَدَامَ الْفَنَاءُ لَكَ عَنْ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ، كَانُوا رَصْدًا لَكَ فَوْقَ أَحْزَاقِ الْحَاسِدِينَ .

## ما يُقَرِّظُ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَوَانِرِ الْكُتُبِ

لِيُحَرِّفُوا مَوْقِعَ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، بِحُوطِهِ بِهِ فِي أَوَالِيهِ، مِنْ النُّصْرَةِ وَالتَّحْكِيمِ، وَعَلَى أَعْدَائِهِ مِنَ الرُّقْمِ وَالتَّوْهِينِ؛ وَيُشْكِرُ اللَّهَ عَلَى النِّعْمَةِ فِي ذَلِكَ، إِنْ الشُّكْرُ مَحْصَنٌ لِلنِّعَمِ، وَأَمَانٌ مِنَ الْفِتَنِ، لِيَسْلُوَ مَوَاقِعَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِمْ، فَيَا جَمْعَ اللَّهِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَلْبَتِهِمْ، وَيَحُوطُ مِنْ حَرِيحِهِمْ، وَيُجِلُّ مِنْ بَأْسِهِ وَنِقْمَتِهِ بَيْنَ صَدَفٍ عَنْ سَبِيلِهِ وَحَاوَلِ تَسْنِيتِ جَمَاعَتِهِمْ وَتَوَهُينِ حَقِّهِمْ، وَيَقَابِلُونَ ذَلِكَ بِمَا تُثْبِتُ بِهِ نِعْمَهُ، وَيُسْتَدْرِكُ مَرْزُوقَهُ .

سعيد بن حميد

ليشكروا الله على ما منح خليفته من هؤلاء الأتراك الخارجين من جماعة المسلمين ، فإن الشكر أمان من الغير ومادة للزبد .

### ٣ - التهاميد في أواخر الكتب

محمد لسعيد بن نصر في آخر كتاب فتح له

الحمد لله العزيز الحكيم ، أظهر لحقه ، المؤيد لأوليائه ، الصانع للإسلام وأهله ، الناصر لخليفته ، الحافظ لما استخفظه ، المتوحد بالنعمة طيه فيما حله .

محمد لإبراهيم بن العباس في آخر كتاب فتح

فالحمد لله أنزل لما يمهّد البطالون ، ويمكّره الماكرون ، ويكيد به المفسدون ، يحميكم لبيده وخليفته ، وقبلاً عن دينه وحقه ، وإظهاراً لأوليائه وحزبه ، وإمضاءً لعزمته وقدرته ، منعماً قادراً ، ومُثَمِّلاً مَهْلاً ، عدلاً إذا استدرج ، متفضلاً إذا أنعم ، حمداً يُستترَلُّ به نصره ، ويُبلغ به رضوانه ، ويُتمَرَى بمثله فواضل مزیده .

محمد في فتح لإبراهيم بن العباس

والحمد لله بجميع حماده التي حمدها ، على جميع آلائه وجميل بلائه ، فيما ولي به خليفته ، ونصر به دينه ، وأقام به حقه ، وأعرّ به وليه ، وقع به من الحمد عن سبيله ، حمداً يؤدي حق نعمته ، ويوجب به أفضل مزیده بمنته وطوله .

محمد لأبي عبيد الله في آخر كتاب

فالحمد لله على ما يحدث لأشير المؤمنين في دولته وسلطانه ، ولطامة المسلمين من صنعه وكراماته ، في جميع الأمور ولطيفها ، وخاصها وعامها ، بما يحمله النعمة تماماً ، وعلى ما يحمل بدونه من بأسه وقوارعه ، ويوقع بهم من جوارحه واستنصاله ، ما يكون لموعوده إنجازاً ، حمداً يبلغ رضاه ويستوجب مزیده .



## تمجيد آخر

الحمد لله الذي تمّ لأمر المؤمنين نعمته، وأكمل دعوته، وجعل العاقبة فيه لمن اختاره لخلافته. وردّ إليه من شدّة عنه من رعيته، وأتى أمير المؤمنين بصنمه على حدّ نيته وقدر أمنيته، ولم يُضِلْ رأيه ولم يُخْلِفْ ظنه، حمدا كثيرا دائما بما يركو عنده فيقبله، ويرفع إليه فيبلغ رضاه، حمدا يكون لأسيغ نعمه جزاء، ولأفضل إحسانه كفاؤه، ولزيد من فضله وإحسانه موجبا، وإلى أعلى الدرجات عنده مؤديا، وللغود في جنته وسيلة وسببا .

آخر :

الحمد لله الذي جمع لأمر المؤمنين ما حباه بمزية نصره وتمكينه وإعزازة وتأيدته، وإظهاره على من ناواه وصدّ عن حقه، وصدف عن طاعته، ووقفه لأخصاص فلان بما وكّله إليه وعصيه به من أعباء أموره وجلال أعماله، وأجرى بفلان وعلى يديه وركته وسعادة جدّه ويُنمّ طائره، من نتائج الفتح، وتواتر النصر، وإقبال الصنع، وإعلاء الحق وإنارته، وإزالة الباطل وإبادته، حمدا يؤدي حقه، ويرى عزه، ويمير من أحسن منيعة، بكرمه وجوده .

آخر :

الحمد لله الذي أكرم أمير المؤمنين بالخلافة، وخصه بالإمامة، وقبّله من أمور عباده وبلادهم ما تولاه بكفائيته وكلامته وتأيدته وحياطته، حمدا يوجب المزيد من فضله .

## ولإبراهيم بن العباس

الحمد لله الذي أنجز وعده، ونصر عبده، وأيد جنده، وجعل فتوح أمير المؤمنين شرقا وغربا مشفوعة بين إقامة حق وإزالة باطل وإزالة طائد وإبادة غائد وإغالة مستقيل .  
ويسال الله أمير المؤمنين ، مسألة البعد سيده ومولاه رغبة إليه متفلاّله أن يصلّي أفضل صلواته عنده على أكرم أنبيائه .

(١) سقطت في الأصل كلمات قاتنتها ما يحرم منها .

## دعاء أمير المؤمنين في الكتب والدعاء له

وأمير المؤمنين يسأل الله ربه ووليه ، أن يكفنه فيما حياه وأستحفظه عليه بأفضل تأييده وأعز نصره ، وأن يب له مع كل نعمة يحققها له حارسا من شكرها ، يتابع به أفضل مزيده ، فإن النعمة منه ، والشكر بتوفيقه ، والمزيد لمن شكره .

وأمير المؤمنين يسأل الله ربه وربكم وولي التمس عليه وعليكم ، أن يكفهم وإياكم أداء حقّه وشكر نعمته وحده عليها ، ويطوّقه وإياكم أفضل الأعمال وأرضاها عنده وأشتها استجابا لما وعد الشاكرين من مزيده ؛ إنه سميع قريب .

وأمير المؤمنين يسأل الله الذي ولّاه خلافته وأعلاه بها ، أن يطوّقه ما حله ، ويلهمه العدل بين رعيته ، ويلهمهم نصيحته وطاعته ، ويصلح أمرهم به في ولايته وخلافته . ويرغب الى الله الذي أيّده بنصره ويمكن له بغير حول منه ولا قوة ، أن يلهمه وإياكم شكره وذكره وخشيته ، ويسلمه وإياكم بطاعته ومَرْضَاتِهِ ومحَبته ، وأن يثوّفه وإياكم الزيادة في نعمة والنصر على عدوّه والتمكين في بلاده ؛ إنه ذو فضل عظيم .

والى الله يرغب أمير المؤمنين في إعانتة على نيّته وتبليغه منتهى سؤله وغاية همتهم وإمراز دينه وإذلال من صدّ عن سبيله ؛ إنه سميع قريب . وأمير المؤمنين يسأل الله الذي دلّ على الدعاء تظولا وتكفّل بالإجابة حتّا ، فقال : (أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) أن يجمع على رضا ألفتكم وأن يصل على الطاعة جلّكم ، وأن يتممكم بأحسن ما عودكم من مثته ، ويؤزعمكم عليها من شكره ما يواصل لكم به مزيده ، وأن يكفكم كيد الكائدين ، وحسد الباغين ، ويحفظ أمير المؤمنين فيكم ، أفضل ما حفظ به إمام هدى في أوليائه وشيعته ، ويحمل عنه جهل ما حمله من أمركم ؛ وبالله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوي من جزائكم بالحسن ، وحلّكم على الطريقة المثلى ، وبه يرضى لكم ناصرا ووليا ، وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا .

ويسأل الله أمير المؤمنين ، أن يحمّس على صلاح نيّته وعوّته ، وأن يتولاه فيما أسترطاه ، ولاية جامعة ، لصلاح ما قلّقه ، إنه سميع قريب .

ويسأل الله أمير المؤمنين الذي بيده مفاتيح مقاديره وفواضله ، أن يُصَلِّيَ أَفْضَلَ صَلَواتِهِ عَلَى أَفْضَلِ أَنْبيائه ، وَأَنْ يُعِلَّ مَا أَذَرَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى دَوْلَتِهِ وَخَلْقَتِهِ ، وَحَيَاةِهِ مِنْ وَسَائِلِ الْخَيْرِ عِنْدَهُ ، أَنْ يَجْعَلَ إِلَى أَحْسَنِ تَوْفِيقِهِ لِيَرْضَى مِنْ شُكْرِهِ وَحَسَنِ مَعُونَتِهِ عَلَى مَا أَسْلَحَ لَهُ رَبُّهُ ، فَإِنَّهُ شَاكِرٌ يَجِبُ مِنْ شُكْرِهِ وَيُوجِبُ لِمَنْ وَفَّقَ لَشُكْرِهِ مَزِيدًا مِنْهُ وَطَوْلًا وَفَضْلًا وَإِضَاعَةً ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

ويسأل الله أمير المؤمنين مُبْتَدِئًا وَمُعْقِبًا وَأَوَّلًا وَآخِرًا ، وَقَبْلَ كُلِّ مَسْأَلَةٍ ، وَأَمَامَ كُلِّ رَغْبَةٍ وَمُقَدِّمَةً كُلِّ طَلِبَةٍ ، أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى صُفْوَتِهِ مِنْ عِبَادِهِ وَخَيْرِ خَلْقِهِ وَخَاتَمِ أَنْبيائه وَرُسُلِهِ ، مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَرُسُولُهُ ، أَفْضَلَ صَلَواتِهِ ، وَيَبَارِكْ عَلَيْهِ أَكْثَرَ بَرَكَاتِهِ ، وَأَنْ يَدِيمَ لَهُ كَرَامَتَهُ ، وَيَجْرِيَ عِنْدَهُ عَلَى أَجَلِ عَادَاتِهِ ، وَأَنْ يَتِمَّ لَهُ مَا اخْتَصَّ بِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ ، حَتَّى يَمْلَأَ الْأَرْضَ عَدْلًا وَفُسْطَاطًا ، وَالْإِسْلَامَ تَأْيِيدًا وَعِزًّا ، وَالشُّرْكَ ذُلًّا وَقِعْمًا ، إِنَّهُ وَلِيُّ نِعْمَتِهِ وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ ، وَغَايَةُ كُلِّ حَاجَةٍ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

وأمير المؤمنين يقول : الحمد لله طاعةً لأمره ، واعتصاما من الفتنة بشكره ، وأستدامةً لِنِعْمَةِ الْمُتَرَايَةِ عِنْدَهُ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ .

وأمير المؤمنين ، يسأل الله السامعَ كَلَامَ مَنْ جَهَرَ ، وَالْعَالِمَ بَغِيْبَ مَنْ أَسَرَ ، الْمُطَّلِعَ عَلَى ضَمَائِرِ الْعِبَادِ وَوَسْوَستِهِمْ ، وَالْمُسْتَعِدَّ مَنْ نَشَأَ رَحْمَتُهُ ، وَالْمُتَّقِنَ عَلَى مَنْ نَشَأَ بَقْدَرَتُهُ ، أَنْ يَجْعَلَ عَلَى الْحَقِّ أَهْوَاءَكُمْ وَيُنْصِرَكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ وَيُصْلِحَ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَلَا يَكِلْكُمْ فِي مَوْطِنٍ مِنْ مَوَاطِنِ الْفِتَاءِ ، وَالنَّجَاكُمْ وَالنَّجَاجَ ، إِلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَيَكْفِيَكُمْ وَيَكْفِيَكُمْ بِكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ .

### الدعاء لأمير المؤمنين في أواخر الكتب

وفسأل الله أن يَهَيِّئَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا صَحَّحَ لَهُ ، وَيُعِينَهُ عَلَى شُكْرِهِمَا أَوَّلًا ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَإِنَّا إِلَيْهِ فِيهِ رَاغِبُونَ وَالسَّلَامُ .

(١) فِي الْأَصْلِ الْمَنَازِلُ ، وَمَا أَتَيْتُهُ صَحِيحٌ .

وله :

ونسأل الله أن يهبنا أمير المؤمنين الكرامات التي يتابعها ، والنعم التي يظاهاها عليه ،  
والفتوح التي جعلها في خلافته ، وولايته ودولته ، وحب له من المعرفة بحقه في ذلك والشكر  
له بحسن بلائه فيه ، ما يبلغ أعظم رغبة وأفعى أمنية ، من ذخائر الخير وفضيلة الأجر  
وحسن الثواب في الدنيا والآخرة .

أسأل الله لأمر المؤمنين في غابر أموره ، أحسن ما عوّده في سالفها ، من السلامة التي  
حرّسه بها من المكاره ، والعز الذي قهر له به الأعداء ، والنصر الذي مكّن له في البلاد ،  
والهدى الذي وهب له به المحبة ، والرفق الذي أدّله به الحلب ، والاستصلاح الذي  
آتت له به الرغبة ، حتى يكون بما أعطاه من ذلك ، وما هو مستقبل به ، أبعد خلفاته  
ذكرا ، وأبقاهم في العدل أثرا ، وأطولهم في العمر مئة ، وأحسنهم في المآد مستقبلًا .

أسأل الله لأمر المؤمنين نعمة لا تزول ، وكرامة لا تنفد ، وعز لا يضم ، ونصرا  
لا يظلب ، وكفاية ينظم بها جميع الصلاح ، حتى لا يكون بأول من ذلك أسعد منه بآخر ،  
ولا يماض أسر منه بمستقبل .

أسأل الله لأمر المؤمنين في عاقبة كل نعمة أفضل ما وهب له في عاجلها ، حتى يجعل  
كل نعمة أنعم بها عليه ، وكرامة حازها له ، موصولةً بالتمام ، محوطةً بالحفظ ، مكرومةً من الغير ،  
محدودةً إلى طول غايات البقاء ، لا يشوب صفوها كدر ، ولا سلامتها غير ، ولا سرورها  
تنغيص ، وهما الله أمير المؤمنين الظفر ، وأدام له عادة النصر والتحكيم للموضع ، ومحبته  
للنخبة محبة أعدائه ، والتلبة المظهرة لحقه ، المتباحة لمن خالفه ، ثم لا يرحب نعمة الله  
راهنه بمثله في الأولياء نصرا ، وفي الأعداء إبادة ، وفي الناكثين تنكيلا .

سرافقه أمير المؤمنين بما أهدى له من كفايته ، وحاطه به من منعته ، وأبده به من  
نصره ، وجعله وما استراه من دينه وسلطانه ، في كفّه الذي لا يُستباح وتحت يده المانعة  
وجنّاهه المحفوظ .

أدام الله لأمر المؤمنين السرور بما يُقْدِي به عيون أعدائه في تمكينه وتوحيدهم، وتغزيره وخذلانهم، وإعزازه والمجاهدة لهم؛ ولا زالت نعمة الله تزيد في قوة الظفر، وعزّة النصر، وتهد من أفاق الأرض بالبيارات والفتوح، حتى تملأ له ما بين طرق ملكه أمنا وعزّا، ويملأ به قلوب أعدائه خوفاً ورعباً، ويهدم على خلافه سطوة وشكلاً .

### أحمد بن يوسف

وهنا الله أمير المؤمنين نعمة، وملاءة كرامته، وأولى له ثبوته، وأدام إعزازه، وتوّلّ حياته وكفايته، فإدنا منه وما غلب عنه، وأطال بقاءه والامتاع به .

### مختار ما كتب من باب التهاني في كل فن

#### تهنئة خليفة بظفر

الحمد لله الذي جمع لأمر المؤمنين مع النّبة المحمّية، ومع الظفر المعفّرة، وجمع لمدوّه مع الذل السطوة، ومع دحوض الحجّة الثّقال؛ فلم يجمعه والثاكتين مؤبّد من مواطن الصبر، إلّا جعل الحجّة عليهم فيه، ولسان المنزف فيه معه، وبَد الظهور فيه له؛ ثم وهب له عند الظفر من الشكر، وعند الفلج من التواضع، وعند القدرة من العفو، ما جعله مُستوجباً لما أصفاه به، مُؤمّناً بأن المنزف منقطع من نكبه، وإن مُستزاد الحجّة ومطلّب السلامة، في التمسك بطلاعته وتمامه، والمجاهدة دونه .

وفي مثله :

أدام الله لأمر المؤمنين السرور بما يُقْدِي به عيون أعدائه .

وكتب إبراهيم بن المهديّ الى المعتصم يهنئه بخروجه عن أرض الروم

#### بعد فتح عمورية

الحمد لله الذي تمّ لأمر المؤمنين غزوّه، فأذلّ بها رقاب المشركين وشقّى بها صدور قوم مؤمنين؛ ثم سهل الله له الأوبة سالماً غانماً، وكذا وكذا؛ وليهنّيه ما كتب الله له، مما

أحصاه فلا يفسده، ليقفه به موقعا يرضاه، فإنه عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ الآية، فطوى الله لأمر المؤمنين نازح البُعد برا وبحرا، ووفاه وصَب السفر سهلا وسهلا، وحاطه بحراسته كالنَّاء ودافع عنه بحفظه راعيا؛ حتى يوديه إلى المحل من داره، والوطن من قراره؛ وجزاه عن الإسلام خاصة، وعن رعيته كافة، بتغييره مستغفرا عليهم، وقائما مقامه فيهم هرونا ابن أمير المؤمنين؛ فقد استخلفه رفقا شفيقا، حليما وقورا، يقظان ساكنا؛ لم يشب عليه أمر، ولم ينتشر عليه طرف، ولم يضع معه سبيل، ولم يسخط وليا مكافا، ولا عدوا مخالفا، بلا سيف أشرعه، ولا سور أفرع به؛ فقتل جزاء أمير المؤمنين في تغييره إياه، لجزاء الله على ما حفظ من وصاته، على محمود مقامه، إنه يجب الداعي .

وكتب أحمد بن يوسف إلى عبد الله بن طاهر .

يهتبه بظفر

بلغني - فتح الله عليك - خروجُ ابنِ السمريِّ إليك، فالحمد لله الناصر لدينه المزعزِّز لوليِّه وخليفته على عبادته، المذلُّ لمن صد عن حقه ورضي عن طاعته؛ ونسال الله أن يُظهر النعم ويضع يدها الشُّرك به؛ والحمد لله على ما والاك منذ ظلمت لوجهك، فإنما تنذكر سيرتك في حربك وسلمك، وتكثرُ العجب لما وقفت له، من وضع الشدة واللبان بموضعهما، ولا تعلم سائرُ جند ولا رعية عدل بينهم عدلك، ولا عفا بعد القدرة عن أسفه وأضعفته عفوكم .

تهتة خليفة بجح

أصلح الله أمير المؤمنين وأراه من الزيادة في نعيمه، ما يكون تماما لما ابتدأه به من فضله؛ والحمد لله على ما خص به أمير المؤمنين من كرامته، وأعطاه من الفضل في نيته، وجعله يستعين على دينه، بما بسط له في دنياه، ويحمل على بدنه التَّصَب فيما يتقرب به إليه؛ فيجفو عن دعتي على لينها، ويشخص عن ضمايئته على فضلها، إيثارا لآخرته، وأداء لحق ربه؛ بادره بذلك ليكرمه به، ثم يستعمل فيه نفسه، تحزيا إليه، فيستعمله بالإذن

في ذلك حين كان من الله له ، وبالعامل فيه حين كان لله منه ؛ فيكون قبوله الخير حين يعرض له ، دليلا على قبوله الخير عنه حين يعمل لربه ؛ وكان من ذلك ما أذن الله لأمر المؤمنين في زيارة نبيه صلى الله عليه وسلم العام ، وموافاة مشاعره العظام ، في وقتها من الأيام ، التي لا توافى إلا معها . ولا تكون مناسكة إلا فيها ؛ فكتب الله له في ذلك الآثار الصالحة والأعمال المبرورة ، فدخل في الإحرام له بتعظيم حقه ، ونزع منه بقضاء أسكته ، أجرا عقده الله عليه في ابتدائه ، ثم آتاه له باستيفائه .

### ولمحمد بن مكرم تهنئة لحاج

بَلَّغَ الله الرِّضَا في أَمَلِك من يُجِيع كلَّ حاجة وإبلاغ كلِّ أُمْنِيَةٍ ، وَتَقْبِلُ كلَّ دعوة خَصَّصَتْ بها نَفْسك أو تَحَمَّمت بها أحدا من أَهْلِكَ ، في مجامع وفوده ، وَتُعْزِلُ قراره ، فَكُنْتَ شافعاً مَنْ شَهِدَكَ ، ووافِدَ مَنْ غلب عك ، يَسْتَفْتِح بِدُعائِكَ ، وَيَرْجِي بِرُكَّةِ مَحْضَرِكَ ، وَالْقُرْبَةَ إلى الله عزَّ وجلَّ بِفَضْلِ جاهِكَ .

### تهنئة بولاية

نرى ما أحدث الله لك من الولاية ، لنا خاصاً وإلينا واصلاً .

أخسر :

ولم تَقْطَعْ النعمة إذ أصابك ، ولم تَتَعَلَّقْ إذ دَخَلَتْ بك ، ولم أَخلُ من لازم شُكْرها ، وما يَنْفُكُ الله منها ، إذ قَلْبُها ، اَعْضاداً بكل ما طَوَّعَتْ من المِنَّة ، وإِعْصاباً على نَفْسِي ما حلت من الشكر .

### ولسعيد بن حميد الى بعض إخوانه

سَرَّكَ الله بِتَأْجِجِ نِعَمِهِ ، وَتَزَانِفِ إِحْسَانِهِ ، وَزَادَكَ مِنْ فَوَاضِلِ أَهْصَامِهِ . بَلَنِي — أَكْرَمَكَ الله — ما وهب الله لك من سُلْطَانِكَ ، قُوَّاءِ الله على ما اسْتَرْطَاكَ . وَرَزَقَكَ الشكر على ما أَوْلَاكَ .

وفي مثل ذلك :

أكل الله لك السعادة ، وزادك في الكرامة ، وخصّك بدوام النعمة . بلقي ما وهب  
الله لك من سلطانك ، فسرّيت به ، وسألت الله إتمام نعمه عليك فيه بتأييدك ، وتوفيقك  
للعمل في سيرتك ، وعزّ من المحبة لك في قلوب رعيّتك ، وأن يُعينك عليه ، ويرزقك السلامة  
في الدين والدنيا .

وله في مثله :

أنا أُنهي بك العمل الذي وُليته ، ولا أدعّك به ، لأن الله أصاره الى من يُورده موارد  
الصواب ، ويصدره مصادرا لجمّة ، ويصوّنه من كل خَلّ وتقصير ، ويُضيه بالرأي  
الأصيل ، والمعرفة الكاملة ، قرن الله لك كل نعمة بشكرها ، وأوجب لك بطوّله المزيد  
منها ، وأوزعك من المعرفة بما ما يصوّنها من الفتن ، ويحوطها من النقص .

آخر :

قد وُليت من العمل ما أسأل الله عزّ وجل أن يرزقك بركة بدنه وعاقبته ، ويُعطيك  
الرضا من وُليت له وعليه .

آخر :

هناك الله هذه النعمة المقلّبة ، الدالّ أولها على تمامها ، وأوزعك شكرها .

آخر :

أسمدك الله بهذه الولاية وجعلها مباركة ، تنقل بظلّ السلامة منها ، وتبّل الكفاية  
فيها الى أملك بنهايته ورجائك بغايته ، ووزعك السلامة من وُليت له وعليه .

آخر :

سرّك الله بما جدّد لك من هذه المتزلة ، وقطّك بهذه الولاية ، وأرضى عنك من وُليت  
له ومن وُليت عليه .



وكتب محمد بن مكرم الى أحمد بن دينار :

نحن من السرور أيا الأمير بما قد استفاض من جيل أترك فيما بقي من أعمالك ،  
 وذك إياها بمجزمك وعزمك ، وأنيأشك أهلها من جور من ولهم قبلك ، وسرورهم بتلاؤل  
 أيامك والكون في ظل بك وبتأحك ، في إعانة من شخصه ونعمه نعمتك ، وتحول به  
 الحول حيث حالت بك ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لك ، ولم يرد علينا آمالنا فيك  
 منكوسة ، كما ردها على غيرنا في غيرك . ولوددت أن أبالك كان عاين آثارك هذه ومناقبك ،  
 وإن كان الاقتراق لم يقع بينكما حتى علم أنك خلفه ، وألقى اليك بأمره ومعاقد نفسه ،  
 وجعلك موضع اختصاصه وأثرته ، وصرف ذلك عن كان لا يستحقه ، وطم سالف رايه  
 فيك وفيه وحمد آخره ، ثم نعمة اتصلت لك بما قبلها ، انتظمت بها أمورك فاعتدلت ،  
 وتلاحمت عليها وآسقت ، ما منحت في كتابك ، ومستقر تحقك ، وحامل أعبائك ، من  
 الكفاية والنصيحة ، ووضعه عن قلبك مؤونة التهمة والقص لأثره ، وإدخاله راحة العائنة  
 اليه وروح الثقة به ، لا كما ابتلى أخوك ، فإنه محبه غلط عليه أمره ، وأفتى أسرارها الى  
 صاحب بريده ، فأفل ذلك بينهم ، وقطع حيلهم ، حتى هجنت آثاره مع حسنها ووضوحها ،  
 وصرفت يده من حفظ عمله ، ولزمه الذم من أهله ، فهذه كُتبه إلى ، في أطراح نصيحة له  
 كانت فيه ، ويسألني أن أغضص اليه كتابا يحمل ثقله ، ويضع له ما أرتجيه من أمره . وهذا  
 من سعادة جدك ، ويمن طائرک ، وإقبال الأمور اليك ، وسعيها على طريق موافقتك ،  
 وههنا هناك الله يسمه خاصها وعاقها ، وأوترك شكرها ، وأوجب لك بالشكر أحسن المزيديها .

تهنئة بعزل

كتب رجل الى مالك بن طوق لما عزل عن عمله :

أصبحت والله فاضحا متعبا : أما فاضحا فلأنك قبلك بحسن سيرتك ، وأما متعبا

فلأنك والي بمدك أن يحمك .

(١) اتجأشك أهلها : استغاثهم .

## فصل

سواء علينا أوليت أم صُرفت ، إنا لنشهد بك الولاية ، بما بسط الله من يدك ببذل العُرف ، ونهتكَ بالعُرف بما يلحقك من شاء ما أسلفت من الجبيل ؛ ولا تخاف طيك أن تخارق عملا وأنت عمل له ، ولا أن تصحبه وليس به فاقه اليك . فهتاك الله النعمة ، وأعطاك على الشكر ، وأيدك بالمزيد .

## تهنئة بعزل عامل عن عمله

بإني صُرفتُك ، نفاً الله لك ، وهتاك لطيف نظره وجليل إحسانه ، فإني أرى الرجل عند خروجه من العمل سالماً حقاً من مائه ودنسه ، أولى بالتهنئة منه عند دخوله فيه ، وأرى الدعاة له عند بدء كُتبسه به بالخلاص منه ممصوماً برياً من تيمانه ورواجع آثامه ، أولى بمن عُني به وأحب صلاحه ، ولذلك قدمتُ تهنيتك .

## ولسعيد بن حميد في مثله الى بعض إخوانه :

حفظك الله بحفظه ، وأسخ عليك كرامته ، وأدام اليك إحسانه . إن مروى بصرفتُك ، أكثر من مرور أهل عملك بما خُصوا به من ولايتك . وقد كنت — أعزك الله — فيما يُربأ بك عنه ، بما أنت عليه في قدرتك وأستهاك ؛ ولكنا رجونا أن يكون سبيلك الى ما تستحق ، فليتنا نفسا بالذي رجونا . فالحمد لله الذي سلمك منه ، وفساله تمام نعيمه طيك وطينا فيك ، بتليتك أملك وأماناً فيك ، وشفاعة ما كان من ولايتك بأعظم الدرجات وأشرف المراتب ؛ ثم خصك الله بجبل الصنع ، وبلغك غاية المؤمنين . إن من سعادة الوالى — حفظك الله — وأعظم ما يُخص به في عمله وولايته السلامة من بوائق الإثم ، ونوائب الدنيا وشرها ، والساقية مما يُخاف منها ؛ وقد خصك الله منها بمنه وطوله ما نرجوا أن يكون سبيلك الى تَبَل ما تستحق من المراتب . والله نسأل إيزاكَ شُكر ما من به عليك ، وتليتك غاية أملك في جميع أمورك ، برحمته وفضله .

آخر :

ما أحسن ما كَشَفْتَ عَنْكَ الْوَلَايَةَ ، وَأَجَلْ مَا أَرْزَمْتَكَ الْعَمَلَ ، قَدْ كَسَبَكَ اللَّهُ حَمْدَ  
وَلَايَتِكَ وَعَزَلَ عَنْكَ لَأَمَتَهَا ، بِمَا أَنْشَرْتَكَ مِنْ عَذْلِكَ ، وَظَهَّرَ مِنْ مَعْرِفَتِكَ ، فَإِذَا سَمِعْتَ  
هَذَا فَلْيَسِّرْ رُكَّ .

وكتب محمد بن مكرم الى ابراهيم بن المدر :

الحمد لله رب العالمين حمداً يَجُوزُ حمدَ الحامدين ، الذي جعل قضاياه خَيْرَةً لَكَ ؛ فَإِنَّ  
زَادَكَ نِعْمَةً وَقَدْ لَشَكَرَهَا ، وَإِنْ أَمْسَحَتْكَ بِلَوَى مِنْ نَقْتِ حَاسِدٍ أَوْ كَيْدِ كَاذِبٍ ، أُنَارَ  
بِرْهَانِكَ وَأُفْلَحَ مَجْجَمِكَ وَجَمْعَ بَيْنِ وَلِيِّكَ وَصَدُوقِكَ فِي الشَّهَادَةِ لَكَ ؛ وَإِنْ قَلَّ أَمْرًا عَنْ  
يَدِكَ ، فَرَبَّمَا يَرْجِمُهُ إِلَيْكَ غَضًا لِفَقْدِكَ . هَذَا إِلَى مَا جَعَلَ عَنْدَكَ مِنْ خَوَاصِّ النِّعَمِ الَّتِي إِنْ  
ذَكَرْتَهَا فَاطْمَئِنَّا أَوْ تَجَوَّزْنَا فَقَصُرْنَا ، كَانَ غَايَتَنَا إِلَى الْحُسُورِ دُونَ مَدَى غَايَتِكَ . وَقَدْ زَادَكَ  
اللَّهُ بِهَذَا الْحَادِثِ فَضْلاً عَظِيماً : لَمَّا ظَهَرَ مِنْ وَلِيَّةِ الْإِمَامَةِ إِلَيْكَ وَتَطَلَّمُوا إِلَى مَا كَانَتْ فِيهِ :  
مِنْ لَيْسَ بِإِنصَافٍ وَكَرِيمٍ أَخْلَاقُكَ ، وَوَحْشَةٍ خَالِصَةٍ لَمَّا فَتَقَدَّتْ مِنْ حُسْنِ مُعَامَلَتِكَ وَكِبَرِ  
تَضَعُّلِكَ . وَإِقْنِ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالنَّائِلِ لَصَفَحَاتِ الْأُمُورِ ، أَنَّ كُلَّ مَا نَزَحَ مِنْكَ فَصَائِدُ  
إِلَيْكَ وَمَتَّعِلٌ بِهِ فَيْرُهُ ، حَتَّى تَسْتَقَرَّ فِي يَدِكَ عُرَا الْأُمُورِ وَمَعَاقِدُهَا ، وَتُفْتَحَ بِرَأْيِكَ وَقُدْرَتِكَ  
أَبْرَئُهَا وَمَتَّاعُهَا ، فَلْيَبَيِّنْ أَنَّ كُلَّ مَا زَادَ غَيْرُكَ قَصَباً زَادَكَ فَضْلاً ، وَكَلَّ مَا قَصَصَ مِنَ الرِّجَالِ  
وَحَطَّهَا أَلْحَقَ بِكَ شَرْفاً . فزادك الله وزادنا منك ، وجعلنا ممن يَقبلُهُ وَأَيْكُ ، وَيَقْدِمُهُ  
أَخْتِيَارُكَ ، وَيَتَّعُ مِنْ الْأُمُورِ بِمُوافَقَتِكَ ، وَيَجْرِي مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ .

وكتب سعيد بن حميد الى بعض إخوانه :

جلتِ الله من سوءِ والمكروهِ فداك ، وأطال في الخيرِ والسرورِ بقاكَ ، وَأَتَمَّ نِعَمَهُ  
عليكَ ، وَأَحْسَنَ مِنْهَا مَرِيدَكَ ، وَبَلَّغَكَ أَفْصَى أَهْوَاؤِكَ ، وَقَدَّمَنِي أَمَامَكَ ، وَقَدَّيْلَنِي مَا أَخْتَارَاقْلَكَ ،  
فَسُرِّرْتُ مِنْ حَيْثُ يَتَمُّ لَكَ مَنْ لَا يَعْرِفُ قَدْرَ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ ، وَلَا يَرَاكَ بَيْنَ اسْتِحْقَاقِكَ .

ولئن ساء ما ساء إخوانك من عزك، لقد سرق ما يسر الله لك . والحمد لله الذى جعل  
انصرافك محمودا، وقضى لك فى عاقبتك الحسنى، وأقول :

لَيْتَكَ أَنْ أَصْبَحْتَ مُجْتَمِعَ الْحَمْدِ \* وَرَأَى الْمَعَالِي وَالْخَالِي عَنِ الْحَمْدِ  
وَأَنْكَ صُنْتَ الْأَمْرَ فَمَا وَلَيْتَهُ \* فَفَرَّقْتَ مَا بَيْنَ التَّوْبَةِ وَالرُّشْدِ  
فَلَا يَحْسِبُ الْبَاغُونَ عَزْلَكَ مَعْنَا \* فَإِنَّ إِلَى الْإِسْدَارِ عَاقِبَةُ الْوَرْدِ  
وَمَا كُنْتُ إِلَّا السِّيفَ جَرْدَ الْوَعْدِ \* فَأَحْمَدُ فِيهَا ثُمَّ رُدُّ إِلَى النِّمْدِ  
وقد قال الأول :

فإن يكن بورود العزل مكثبا \* فإننى بورود العزل مسرور  
بعد الولاية عزلٌ يستين به \* طوّل الولاة وبعد العزل تأمير

أما ما عندى مع تصور العاقبة لك فى نفسى، فيمتسنى فى أمرك فى حال المحنة  
ما يخصنى منه فى وقت تجدد النعمة . وبحسب ضميرك الشاهد على ما عندى ما أجده لك  
فى نفسى . فلا زلت فى تبع متابعة متجددة، ولا علمت الثروة والريادة؛ ولقد افقه أقصى  
أملك، وأمل أخيك لك، وكبت أعدائك، وجهلى وقائعك المقدم عنك . أحب أن  
تشرح لى صورة الأمر الإلهام تآقت، وكيف كان الابتداء؛ فإنى لا أشك أنها حيلة  
ونية من عز الصاحب الجليل القدر؛ ولما عاقبة منه إن شاء الله محمود، ونخصى من ذلك  
الى ما تسكن إليه نفسى، إن شاء الله .

### تهنئة بتزويج وبناء بأهل

بطائر اليمن فليكن هذا البناء، وبأسباب السعادة فليتمصل عقد هذا الاجتماع، وبكل ذكاء  
الولد، ووفرة العدد، فتجرك الأقدار، وفى أطول غايات البقاء فتقدم هذه التهنئة والسورور .

### تهنئة بتزويج

بلغنى تزويجك من فلاة، فالزفاء والبين، تهنئة السلف الصالحين، وبلغ سنة المجتهدين  
المتبحرين، ونقول على يمن الطائر، وسعادة الجلد، وتمناه البند، وأهناق الهوى، وطيب

المناسحة، واجتماع الشمل، وثبات الرّيع، وتلّ النّعم . أسأل الله الذي قضاه أن يحصلها لك  
سكّناً ويسلكها تقيّاً ، وأن يؤخّر جماعها الى آتياه فتسك عنها ، وجعلك جازياً ثريّاً ،  
وولّيت المال ومناة العيش وملاهاة الفوائى بعدها .

### تهنئة لفسان بن عبد الحميد بزويج

قد بلغني بجمع الأمير أهله على الحال التي جمعهم عليها من نعمة الله عليه . فالحمد لله  
على كل ما يرى الأمير فيها له فيه نعمة . فأسأل الله أن يجعل الطائر في ذلك تقيّاً ، والشمل  
مجتمعا ، والبركة عظيمة ، والأموار سليمة ؛ وكذلك فقد عظم الله القسم منه لزوجه ،  
جعل الأمير سكّنا لها ، وأجرى المودة والرحمة بينهما ، فإنه يقول عز وجل : ﴿ جَعَلَ لَكُم  
مِنْ أَزْوَاجِكُمْ آيَاتًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةَ وَرَحْمَةٍ ﴾ . فلما كان الأمير هو المنظور  
اليه ، وهي المنظور اليها ، اختارها الأمير لنفسه واختار نفسه لها ، وأراد الله عز وجل  
أن يزيدا مع فضلها في نفسها فضلا باختيار الأمير إياها ، وباختصاص الله لها بالأمير  
دون غيرها ؛ فكان ذلك فضلا من الله زينه بفضل ، وكرامة من الله وصل بعضها ببعض .  
فترغب الى الله عز وجل في أن يزيد الأمير في كلّ سعة مسبوطة ، ونعمة مقسومة ، ويعطيه  
في ذلك شكرا يكون رضاه موبجا ، كما أعطاه فضلا كان الشكر له به واجبا ؛ ثم يملئ الأمير  
ذلك باحسن ما ملئ أحدنا من خلفه كرامة اصطبتها عنده .

### تهنئة بمولود

كتب العباس بن الحسن الطالبي الى المأمون يهنئه بمولود له :  
قد كان أجدني ما أحدث الله لأمر المؤمنين من المودة التي ليس ، وإن كان أولى بها  
من غيره ، بأعظم فيها حظا من رعيته . فعمر الله لك يا أمير المؤمنين قلوبهم بنور الحكمة  
وأبصارهم حتى يستدّ بهم عضدك ، ويستدّ بهم ثمتك ، ويثقفهم الغاية المأمول لهم بلوغها  
بملك ، غير مقعد بك مهل ، ولا محل بك أجل ، ولا مكذبك أمل ، ولا مقطعة إمامك ،  
حتى تحترم أنفسا قبلك .

وكتب أحمد بن يوسف الى بعض إخوانه يهته بمولود له :

بارك الله في مولودك الذي أتاك، وهتاك نعمته بعطيته ، وملاك كرامته بفائدته ،  
وأدام سرورك بزيادته ، وجعله باراً حقاً ، ميمواً مباركاً زكياً ، ممدوداً له في البقاء ، مُبْلِغاً غاية  
الآمل ، مشدوداً به عَضْدُكَ ، مَكْتَباً به وَلَدُكَ ، مُدَاماً به سرورك ، مدفوعاً به الآفات عنك ،  
مشغوقاً بأكثر العدد ، من طيب الولد .

وله في مثل ذلك :

هتاك الله هذه القائلة التي أفادكها ، وبارك الله في الهبة التي رزقكها ، وشغفها بإخوة  
متواترين ، يسرورتك في حياتك ويخففونك في عقبك .

تهنئة بمولود

كتب رجل الى رجل يهته بمولود :

جُئِلْتُ فدامك . للبقاء مولودك ، في السناء نباته ، وفي الثمن شبا به ، وعلى البركة ميلاده .

تهنئة بمولود

كتب الحسن بن سهل الى ذى الراسيتين :

انه ليس من نعم الله ، وفوائد قيسمه — وإن خُصَّ موقعها ووجب شكرها — نعمة تميل  
النعمة في الولد ، لنماها في العدد ، وزيادتها في قوة العضد ، وما يُتمَجِّلُ به من عظيم بهجتها ،  
وُجُي من باقى ذكرها في الخُلُوف والأعقاب ، ولاحق بركتها في البقاء والاستغفار . وإن  
الله قد أفادك وأتاك غلاماً سرياً ، تَبَيَّنَ فلتاً ، فكان ميلاده عند فتح الله على أمير المؤمنين .  
فرجوت أن تكون موافاته بالنصر الذى أظهرنا الله به على عدو الدين والمسلمين من دلائل  
بركته ويمنه ، وشواهد سعادته والسعادة به . فبارك الله لأئمة المؤمنين في طارف نعمه  
وتألهما ، وسَقِّعْ له قديم منته بحادثها ، ورزقه ذكورا طيبين مهذبين ، يأنس بهم ربهم ،  
ويتصل بهم نجاحه ، ويحصلهم فدية زاكية ، وجهية صالحة .

آخر :

بلننى الذى وهب الله لك ، بجله الله ذخرا سنياً ، وعقبا كريما .

عمرو بن مسعدة الى الحسن بن مهمل

أما بعد ، فإن هبة الله لك هبة لأمر المؤمنين ، وزيادته إياك فى عهده لحقك عنده  
ومكانك فى دولتك من دولته . وقد بلغ أمير المؤمنين أن الله وهب لك غلاما مرياً ، فبارك  
الله لك فيه ، وجعله باراً نجياً ، مباركاً سعيداً زكياً .

تهنئة بمولود

الحمد لله الذى رضى منا بيسر القول عند عظيم النعمة ، حمداً تستوجب به بقاء هذه  
الموعدة للأناء والقائمة ؛ فإن نعمة الله وإن كانت لم تزل متتابعة ، فقد كان ما يقبض الأمل  
منا ذكر أفراد الأمير بنفسه وقلة نسله ، وما لا يؤمن من انقطاع الذكر بفوات الأجل ،  
ومن دُثور الأنام ، بواقع الجمأم ، وقد أصبحتنا من الله من يدين فى فُسحة المهمل ، ومنه  
مواقع الأجل ، لمن أراد فيه موضع ألمانا فى حسن الخلافة من الأمير وإحياء ذكره .

تهنئة بمولود

سرورك سرور يُخفى منه ما يُحسبك ، وتلبنى فيه النعمة ما تلبسك ، والحمد لله حل  
النعمة فيك وعندك .

كتب أحمد بن يوسف الى بعض إخوانه يهنئه بمولود :

أما بعد ، فقد بلننى من متجدد نعم الله عز وجل عليك ، وإحسانه إليك فيما رَزَقَكَ  
من الهبة ما أشتد جفلى به ، وسألت الله أن يشفعه بأمثاله ؛ ولذلك أقول :

قد شُفِعَ الواحد بالوafd • وأُرْفِعَ الألف من الحاسدِ  
أبا حُسين قَرِيباً بما • أُعْطِيتَ من هبة الماجدِ

قد قلتُ لِمَا بَشُرْتُ به \* بُورك في المولود للوالدِ  
إِنَّا لَنرجو وافداً مثله \* والطارئُ الميسون للوافدِ

وله الى بعض لإخوانه يهته بمولود :

أما بعد، فإنه ليس من أمر يجعل الله لك فيه سرورا وفرحا، إلا كنتُ به بهيجا، أعتد  
فيه بالنعمة من الله الذي أوجب عليّ من حَقِّكَ وعِرْفِي من جميل رأيك . فزادك الله  
خيرا، وأدام إحسانه اليك . وقد بلغني أنَّ الله وَهَبَ لك غلاما سريّا، أَكَلْكَ صُورته،  
وَأَتَمَّ خَلقه، وأحسن البلاء فيه عندك، فاشتدَّ سروري بذلك، وأكثرت حمد الله عليه .  
فبارك الله فيه، وجعله بارًا حقًّا، يَشُدَّ عَضُدَكَ، وَيُكثِّرُ صَدَدَكَ، وَيُغْنِي عَيْنَكَ .

وكتب إسماعيل بن يحيى الى بعض لإخوانه يهته بابتنة له :  
رُبُّ مَكْرُوهُ أَحَقُّب مَسْرَّةً، ومُحِبُّوب أَحَقُّب مَمْرَةً . وخالفني المنفعة والمضرة، أعلمُ  
بمواضع الخيرة .

كتب ابن المقفع الى صديق له ولدته له جارية :  
بارك الله لك في الابنة المستفادة، وجعلها لكم زينا، وأجرى لكم بها خيرا، فلا  
تكرمها، فإنَّهنَّ الأتفهات والأخوات، والعَلَاتُ والخلالات، ومنهنَّ الباقيات الصالحات،  
ورُبَّ غلام ساء أهله بعد مَسَرَّتِهِمْ، ورُبَّ جارية فرَّحت أهلها بعد مسامتهم .  
وكتب عبد الحميد بن يحيى الى أخ له في مولود ولد له وهو أول  
مولود كان :

أما بعد، فإنَّ مما أعتز من مواهب الله، نعمة خُصِّصْتُ بِزَيْنِهَا، وأصطفيتُ  
بخصيصتها، كانت أسرلى من هبة الله ولدا سميتُه فلانا، وأملتُ ببقائه بعدى حياة وذكري،  
وحسن خلقتي في حُرْفِي، وإشراكه لِرأى في دعاة، شافنا الى ربه عند خلواته في صلاته  
وسجده، وكلَّ مواطن من مواطن طاعته، فلذا نظرتُ لى شخصه تحوُّك به وجدى وظهر به



مرورى، وتطقت عليه منه أنه الولد، وتولت عني به وحشة الوحدة، فأنا به جَدِلَ في مَنِيبي ومشهدى، أحاول مس جسده يدي في الظلم، وتارة أعاقه وأرشفه، ليس يحيله عندي عظيماث التوائد، ولا منفسات الرثائب. سرتني به وأهبه لى على حين حاجتى، فشذ به أزرى، وتحتنى من شكره فيه ما قد أدنى بقل حمل النعم الساقطة الى به، المقرونة سرًاؤها في العجب بقدر ما يدركنى به من رقة الشفقة عليه، عذابة مجاذبة النايا إياه، ووجلا من عواطف الأيام عليه. فأسأل الله الذى آمتن علينا بحسن ضمه في الأرحام، وتأديته بالزكاه، وترسه بالعافية، أن يوزقنا شكر ما حملنا فيه وفي غيره، وأن يجعل ما سب لنا من سلامته والمدة في عمره موصولا بالزيادة، معروفا بالعافية، محوطا من المكروه، فإنه اللئان بالمواهب والواهب بالثنى، لا شريك له. تحتلى على الكلب اليك لعلم ما سُررتُ به على بحالك فيه وشرك إياى في كل نعمة أسداها الى ولئى النعم. وأهل الشكر أدلى بالمزيد من الله جل ذكره. والسلام عليك.

#### تهنئة بنقلة الى دار جديدة

تأهى الى قُنتك الى الدار التى أرجو أن يجعلها الله قُنتا للمكروه عنك، ونُقلة المرور اليك، ودوام نعمة الله عليك. جعلها الله لك أين دار وأعظمها بركة، ووصل نعمة فينا عنك ونعمه عندنا فيك.

#### تهنئة لمحمد بن مكرم الى نصراني أسلم

أنا أقول الحمد لله الذى وقَّعك لشكوه، وعرفك هدايته، فطهر من الأرتباب قلبك، ومن الاقتراء عليه لسانك. وما زالت عايلك مُحمَّلة لنا بحمل ما وهب الله لك، حتى كأنك لم تزل بالإسلام مؤسوما، وإن كنت على غيره مقبيا، وكنا مؤتمنين لى صرت اليه، مشفقين لك مما كنت عليه، واذكاد إشفافنا يستلج رجاءنا، أنت السعادة بما لم تزل الأخص تصد منك. فأسأل الله الذى تور لك فى رأيك وأخلاء لك سبيل رُشدك، أتم يوفقك لصالح العمل، وأن يؤتيك فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ويحبك عذاب النار.

## باب المنظوم

١ - أبو نواس<sup>(١)</sup>

كان أبو نواس ينادم ولده المهديّ ولازمهم فلم يلق مع أحد من الناس غيرهم ،  
ثم نادى القاسم بن الرشيد ولقى منه أشياء كرهها وكُرِهَتْ له ، ففارقه .

(١) هو أبو علي الحسن بن هاني ، الشاعر المقتن ، أبلجة المايين ، صاحب البيت الطائر ، والشعر السائر ،  
ورأس المحدثين بعد بشر . وهو فارسي الأصل . وله بقية من كورة خوزستان سنة ١٤٥٠هـ ونشأ يتيمًا فقدت به  
أمه البصرة بعد سنتين من مولده ، فعمل البرية وروى في الأدب ، فلم تبق له أمه بجائه وأسلفه إلى طار بالبصرة ،  
فلث عنه لا يفتر من مائة الشعر والاشتغال إلى الأبد . والمجان ، إلى أن صادته عنه الطار والية بن الحجاب  
الشاعر المايين الكوفي في إحدى قدماته إلى البصرة ، فأعجب كل منهما بالآخر ، فأنشروا والية مع إلى الكوفة ،  
فبقى مع ومع قدماته من غناء الكوفة ويخرج عليهم في الشعر وفاتهم جميعا . وقدم بغداد وقد أريت مع على  
الثلثين ، فاقبل بيض الأمراء ومدسهم ، وبلغ خبره الرشيد فأذن له في مدحه ، فدحه بقصائد طاعة وجبه مرة  
على هجرة مصر .

وكان يقصد بعض عمال الولايات ويمدسهم ومنهم الخليفة عامل مصر ، ثم اقتطع إلى مدح محمد الأمين ،  
ووجدت عنه بعض ما يوجب تعزيره فسجه ، ولم يلبث بعد تروجه من السجن أن مات ببغداد .

وكان أبو نواس جميل الصورة ، فكه المحضر ، كثير العناية ، حاضر البديهة ، متينا في اللغة والشعر والأدب ،  
متصبا باليانة على المضرية . وأجمع أكثر علماء الشعر ونقدته وقول الشعراء على أن أبا نواس أشهر المحدثين بعد بشر  
وأكثرهم فحنا وأرضهم قولا وأبدعهم غيالا مع دقة حفظ وبدع معنى ، وأنه شاعر سطوع برز في كل فن من  
فنون الشعر .

ومات من كل الشعراء بقصائده الخربات ومقطعاته المجرنيات ، وكان شعره قحاح الفساد والقعدة البنية ، لفته  
النزل من أرواف المؤثر إلى المذكر وانفوج بذلك من مألوف العرب وآدابهم إذ لم يكن ذلك معروفًا قبله وقبل  
شيئائه إليه . وزاد على ذلك اقترانه بالإبداع في وصف الخمر ، فكان نموذج سوء لمن تأثر ، فاقترن بشعره الشيان  
في زمانه وبسده وحاركه وظل عليهم هذا القبح حتى صار الشعراء لا يصد ظريفا إلا إذا مزج شعره بشيء من  
ذلك وإن لم يقع في محظوراته .

وصفه عبد الله الجاهلي فقال : كان أغزف الناس مطلقا ، وأغزرم أديبا ، وأقدمهم على الكلام ، وأمرهم  
جوابا ، وأكثرهم حياء ، وكان أبيض اللون ، جميل الوجه ، مليح النخبة والاشارة ، ملث الأعضاء بين العلوي  
والقصير ، مستون الوجه ، قائم الأنف ، حسن البينين والمضحك ، حلر الصورة ، لطيف الكف والأطراف ، وكان  
فصيح اللسان ، جيد البيان ، عذب الألفاظ ، حلر التماثل ، كثير التواؤم ، وأعلم الناس كيف تكلمت العرب ، =

ثم جلس أبو نواس إلى النائي الراوية فقرأ عليه شعر ذى الرمة، فأقبل النائي على أبيه هاني وقال له : إن عاش ابنك هنا وقال الشعر ليقولنه بلسان شتوم .

ثم اتصل بوالية بن الحباب الأسدي ، فبهد بدار النجاشي الأسدي وإلى الأهواز المنصور، فقال له والبة: إني أرى فيك غيلاً فلاح، وأرى أنك لا تضيغها، وستقول الشعر وتلوفيه، فاصبرني حتى أخرجك، فقال : ومن أنت؟ قال : أبو أسامة، قال: والبة؟ قال : نعم، قال : أنا والله جيلتُ فذاك في طلبك، وقد أردتُ الخروج إلى الكوفة وإلى بنداد من أجلك، قال: ولماذا؟ قال: شهوة لقاءك ولأبيات سمعتها لك، قال : وما هي؟ فأشده :

ولها ولا ذنب لها • حب كأطراف الزملاج  
جرحت فؤادي بلحوى • فالقلب مجروح النواحي  
سل الخليفة صارماً • هو للفساد وللصلاح  
أجداه كف أبي الوليد يدأ مبارية الرياح  
التي يحباب خصره • أمضى من الأجل المتأرجح  
وكانما دثر الحبا • عليه أنفاس الرياح

فبقي معه، ثم سألته أن يخرج إلى البادية مع وفد بني أسد ليتعلم العربية والغريب، فأخرجه مع قوم منهم، فأقام بالبادية سنة، ثم قدم ففارق والبة ورجع إلى بنداد .

وكان أبو نواس متكلاً جيداً راوية غلا، رقيق الطبع ثابت الفهم في الكلام اللطيف .  
ويدل على معرفته بالكلام أشياء من شعره، منها قوله :

وفات خد مورود • فقيقة المتجرود  
تأقل العين منها • محاسناً ليس تتعد

== راوية للأشعار ، علامة بالأخبار ، كان كلامه شمر موزون . توفي - ١٩٩ هـ . وتجد ترجمته وأخباره وأشعاره في كتاب خاص باسم « أخبار أبي نواس » لأبن منظور طبع بمصر سنة ١٩٢٤ والأخاني (ج ١٨ ص ٢) و(ج ٦ ص ١١٠ - ١٧٠ - ١٨٦) و(ج ١٦ ص ١٤٨) وابن خلكان (ج ١ ص ١٣٥) وطبقات الأدباء (ص ٩٦) والشمس والشمراء (ص ٥٠١) والقهقرت (ص ١٦٠) والبغد القريه (ج ٣ ص ٢٢٧) .

فبعضه قد تاهى • وبعضه يتوَلَد  
والحسن في كل شيء • منها مُعاد مرَدَد  
ومنها قوله :

يا طَهْدَ القَلْبِ عَنِّي • هَلَا تَذَكَّرْتَ حَلَا  
تَصَكَّتْ عَنِّي قَلِيلًا • مِنْ القَلِيلِ أَقَلًا  
يَحْكَادُ لَا يَجْزَى • أَقَلُّ فِي القَلْبِ مِنْ لَا

ومنها قوله في امرأة أسماها حُسن :  
أَنْ اسْمُ حُسنَ لَوِجِهَا صَفَا • وَلَا أَرَى ذَا فِي غَيْرِهَا جُمَا  
فَهِىَ إِذَا تَمَيَّتْ قَدْ وَصَفَتْ • فَيَجْمَعُ الإِسْمَ مَعَيْنِ مِمَّا  
ومِنْ قَوْلِهِ فِيمَا يَتَلَقَّى بِالْحِكْمَةِ :

قُلْ لِّزُهْرٍ إِذَا حَدَا رَشَدًا • أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ فَانْتَ مَهْذَارُ  
تَحَنَّنْتَ مِنْ شَلَّةِ البرودةِ حَتَّى صَرْتَ عَنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ  
لَا يَسْجِبُ السَّامِعُونَ مِنْ صَفَتِي • كَذَلِكَ التَّلَجُّ بَارِدٌ حَارُ

هذا شيء أخذه أبو نواس من مذهب حكاية الهند، فأنهم يقولون: إن الشيء إذا أفرط  
في البرودة اقلب حاراً، وقالوا: إن السُّنْدِلَ يَحْكُ مِنْهُ السَّيْرِ فَيُرِدُّ، فإذا أكثر منه سخن .

قالوا : كان أبو نواس دعياً يخالط في دعوته . فمن ذلك قوله يهجو عربَ البصرة :  
أَلَا كُلُّ بَصْرِي يَرَى أَنَّمَا الْعُلَا • مُكْهَمَةٌ تَحْشَقُ لِمَنْ جَرِينُ<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ تَفَرَّسُوا نَحْلًا فَإِنْ غَرَّاسَا • ضَرَابٌ وَطَعْنٌ فِي التَّحَوُّرِ تَحْنِينُ  
فَإِنْ أَكْ بَصْرِيًّا فَإِنْ مُهَابِرِي • يَمَشُقُ وَلَكِنْ الْحَدِيثَ فَنُونُ  
جَاوَرُ قَوْمٍ لَيْسَ يَنْتَفِي وَيَنْتَفِي • أَوْاصِرُ إِلَّا دَعْوَةً وَظَنُونُ  
إِذَا مَا دَمَا بِاسْمِي الْعَرِيفَ أَجَبْتُهُ • إِلَى دَعْوَةٍ مِمَّا عَلَى تَهُونُ

(١) المكهمة : الفراس الكثيرة - والسحق : الضربة ، يريد التنفل - والجرين ها : موضع تحفيف أقر .

ثم هما اليمين في هذه القصيدة بقوله :

لأزدد عُمَاسٍ بِالْمُهَلَّبِ زُرُوءٌ • إِذَا أَخْضَرَ الْأَقْصَافُ ثُمَّ طَلِينُ  
وَبَكَرْتُ أَنْ النَّبْؤَةَ أَتَزَلَّتْ • عَلَى سَمْعٍ فِي الرِّثْمِ وَهُوَ جَبِينُ  
وَقَالَتْ تَمِيمٌ لَا نَرَى أَنْ وَاحِدًا • كَأَحْفَا حَتَّى الْمَلِكِ يَكُونُ  
فَالْتُ قَبِيصًا بَعْدَهَا فِي قُبَيْةٍ • وَتَغْيِرُ بِهِ إِنْ التَّضَارُفُوتُ  
وَأَنَا نَسَا أَبُو نَوَاسٍ بِالْبَصْرَةِ وَلَيْسَ لَهُ بِدَمِشْقٍ قَبْلُ وَلَا بَعْدُ .

ومما هما به اليمين أيضا قوله لما ضم بن حُدَيج :

وَرِدْنَا عَلَى هَاشِمٍ مَعْرَةً • فَبَارَتْ تَجَارِئَنَا حِينَهُ

يقول فيها :

رَأَيْتُكَ عِنْدَ حُضُورِ الْخُلَا • نَ شَدِيدًا عَلَى الْعَبْدِ وَالْعَبِيدِ  
وَتَحْتَدُّ حَتَّى يَخْلُقَ الْجَلْدُ • سَ شَذَاكَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَلَةِ  
وَتَحْتَمُّ ذَاكَ بَغْضٍ طَلِيهِ • يَكْنَدَةُ فَاسْتَعَى عَلَى حَكْنِهِ  
فَلَنْ حُدَيْيَا لَهُ هَجْرَةٌ • وَلَكِنَّهَا زَمَنَ الرَّدَةِ  
وَمَا كَلَفَ إِيمَانُكَ بِالرَّسُولِ • سَوَى قَتْلِكَ صَهْرَهُ بِعَدَةِ  
تُسَدُّونَهَا فِي مَسَاعِيكُمْ • حَكْمَةَ الْأَهْلَةِ مَعْتَدَةِ  
وَمَا كَلَفَ قَاتَلُهُ فِي الرِّجَالِ • بِجَلِّ لَطْمِهِ وَلَا رَشْدِهِ  
فَلَوْ شِئْتُمْ قَرِيئُ الْيَطَا • حَلَا عَثَتْ تَارِكُكُمْ جَلِيدُهُ<sup>(١)</sup>

وقوله أيضا :

مَا مَنَكُ سَلَمَى وَلَا أَطْلَالَكَ الدُّرُسُ • وَلَا نَوَاطِقُ مِنْ طَيْرٍ وَلَا خُرُسُ  
يَا هَاشِمُ بْنُ حُدَيجٍ لَوْ مَدَدْتَ أَيْدِي • مَثَلُ الْقَلَمِ لَمْ يَلْقَ بِكَ الْقَلَمُ  
إِذَا صَبَحَ الْمَلِكُ التَّهَامُتَ وَأَتَمَّهُ • وَمِنْ قَضَاءَةِ أَسْرَى عِنْدَهُ حُبُسُ

(١) الحش : قتر الجهد من الغم .

فأبتاعهم بإخاء البحر ما عَمَرُوا • فلم يبل مثلها من مثلهم أنس  
أورحت مثل حوى في مكارمه • هبات منك حوى حين يمتس  
أو كالتسومل اذ طاف الهام به • في تجفل لجب الأصوات يرتيس  
فاختار نكلا ولم يفدر بتمته • إذ قيل أشرف تر الأولاج تيجس  
ما زاد ذاك على تيه خُصصت به • وكيف يمدل غير السوء الفرس  
وقوله :

يا هاشم بن حذيج ليس نغفركم • بقتل صهر رسول الله بالسد  
أدرجت في إهاب العير جته • فبئس ما قلنت أيدكم لعد  
إن قتلوا ابن أبي بكر فقد قتل • محجرا بدارة ملحي بنو أسد  
وطردوكم الى الأبال من أجرا • طرد النعام اذا ما تاه في البلاد  
وقد أصاب شراحيل أبو حنيس • يوم الكلاب لما دافتم بيد  
ويوم قلتم لزيد وهو يقتلكم • قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد  
وكل كندية قالت لجارتها • والدمع ينهل من مثنى ومثريد  
ألهى امرأ القيس تسبيب بغانية • عن ثاره وصفات التره والوديد

وقد رنى أبو نواس خلقا الأحمر بعد موته بقصائد من شعره، منها قصيدته التي أولها  
قوله :

لو كلف حى وأثلا من التلق<sup>(١)</sup> • لو ألت شغواء في أعلى شفع  
أتم فربخ أحرزته في بلخ<sup>(٢)</sup> • مرغب الألفاد لم يأكل بكف  
كأنه مستقم من الحرف • هاتيك أو عصمه في أعلى شرف  
تروغ في الطابق والترع الألف • أودى جماع العلم مذ أودى خلف

(١) وأثلا : ناجيا • ودأت : بلغت • والشغواء : الغفاب • والشفع : رموس الجبال •

(٢) الجلف : النار في الجبل • ومرغب : مار ذا زغب، والزغب صغار الریش • والألفاد جمع لند بالنعم  
وهو لحة في الحلق • (٣) الطابق والزرع : نومان من الشجر •

من لا يَسِدُّ العِلْمَ إلا ما عَرَفَ \* قَلِيمٌ مِنَ الْعَالِمِ الْمُتَسِفِّ<sup>(١)</sup>  
كَمَا مَيَّ نَسَاءُ مِنْهُ تَعْرِفُ \* بِدَوَائِهِ لَا تُجَنِّي مِنَ الصَّغْفِ  
ومنها قوله يرثيه :

لَا تَجِلُ الْمُصَمُّ فِي الْمَضَابِ وَلَا \* شَفَوَاءُ تَقْدُو فَوْخَيْنِ فِي لَجَفِ  
يُكْنَى الْجَسُوفُ فِي النَّهَارِ وَيُؤْ \* وَيَا سَوَادُ الدُّجَى إِلَى شَرَفِ  
تَحْضُو بِجُوشُوشِهَا عَلَى صَرِيمِ \* كَقَعْدَةِ الْمُتَخَيِّ مِنَ التَّحَرَفِ  
وَلَا شَبُوبَ بَاتَتْ قَوْرَفُهُ النَّشْرَةُ مِنْهَا بِوَابِلِ قِصَفِ<sup>(٢)</sup>  
دَائِنٌ عَلَى الْأَرْضِ وَالْوَصِيدِ وَفِي \* بِهَوِ أَمِينِ الْإِيَادِ ذِي هَدَفِ<sup>(٣)</sup>  
بِيدِهِ ذَاكَ طَوَّلَ لَيْلِيهِ \* حَتَّى إِذَا أَتَجَابَ حَاجِبُ السَّدَفِ  
عِنْدَا كَوْنِ الْمَلُوكِ بَنَفَتْ السَّقِطَةُ مِنْ مَنَافِيهِ وَالصَّكْفِ<sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّ شَذْرًا وَهَتْ مَعَاكِلُهُ \* مِنْ صَلَاةِ فَلَبَّ الشَّكْفِ  
وَأَخَذَرَى صُلْبَ النَّوَاقِ صَلَاصِلِ أَمِينِ الْفُصُوصِ وَالْوُكْلَفِ  
مَضْرُودِ فِي الْقَلَاةِ تُوسِمُهُ \* رِيًّا وَمَا يَحْتَطِيهِ مِنْ عَقَفِ  
مَا تَرَكَ الْمَوْتَ مِنْ أَوَّلِ شَبَعًا \* بَادَتْ بِتِلْكَ الْقِلَالِ وَالشَّعَفِ  
لَمَّا رَأَيْتُ الْمَنُوتَ آخِذَةً \* كُلَّ شَدِيدٍ وَكُلَّ ذِي ضَعْفِ  
بَتْ أُعْزَى الْقَوَادِ عَنْ خَلْفِ \* وَبَاتَ دُمَى إِلَّا يَفُضُّ يَكْفِ  
أَنَسَى الرِّزَايَا مَيِّتٌ لِحَفَّتْ بِهِ \* أَمْسَى رَهْنِ التَّرَابِ فِي جَدَفِ

- (١) القَلِيمُ : البئر الغزيرة . والعَالِمُ : جمع علم وهو البئر الكثرة الماء . والتَّحَفُّ جمع تحفة  
وهي البئر التي حُفِرَتْ فِي جَاهَةِ فَنِيحَ مِنْهَا مَاءٌ غَزِيرٌ لَا يَنْقَطِعُ . (٢) الْجُوشُوشُ : الصَّوَرُ . وَالصَّرِيمُ :  
فَرْخُ الْعُقَابِ . (٣) الشَّبُوبُ : الشَّابُّ مِنَ التَّيَرَانِ وَالْفَنَمِ . وَالنَّشْرَةُ : مَنَزَلَةٌ مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ .  
(٤) الْوَصِيدُ : يَتَّحِدُ كَالْحَطَرَةِ يَخْتَفِ مِنْ الْجَاهَةِ فَالْأَيُّ الْفَنَمِ وَغَيْرَهَا فِي الْجِبَالِ . وَالْإِيَادُ : التَّرَابُ يَجْمَلُ حَوْلَ  
الْحَوْضِ أَوْ التَّلْبَاءِ يَفُوقُ بِهِ أَوْ يَمِيزُ مَاءَ الْخَطَرِ . وَالْهَدَفُ : كُلُّ مَرْتَجِعٍ مِنْ بَنَاءٍ أَوْ كَيْفٍ وَبَلِّ أَوْ جَبَلٍ .  
(٥) بَنَفَتْ : بَسَاطَتْ وَتَحَفَفَتْ . وَالسَّقِطَةُ : الْمَرْوِضَةُ أَوْ الْمَتَاعُ الْعَظِيمُ الْقَطَرِ وَهُوَ لَوْ دُونَ الرِّذَاذِ وَفِيهِ  
الْبُودُ أَوْ صَغَارُهُ .

كَلَنْ يَسْتَقِي<sup>(١)</sup> بِرَقَه غَفًا \* فِي غَيْرِ عِيٍّ مِنْهُ وَلَا عَفٍّ  
يَحُوبُ عَنْكَ الَّتِي غُثِّتَ بِهَا \* مِنْ قَبْلُ حَتَّى يَنْفِكَ فِي لَطْفٍ  
لَا يَبْهَمُ الْحَاءَ فِي التَّمْرَةِ بِالْخَا \* وَلَا لَأَمَهَا مَعَ الْإِغْفِ  
وَلَا يُعْمَى مَعْنَى الْكَلَامِ وَلَا \* يَكُونُ إِنْشَادُهُ عَنِ الصُّحُفِ  
وَكَلَنْ مِنْ مَعْنَى لَنَا خَلْقًا \* فَلَيْسَ مِنْهُ إِذْ بَانَ مِنْ خَلْفٍ

واختلف أبو نواس الى أبي زيد فكتب الغريب من الالفاظ، ثم نظّر في محوسيوه،  
ثم طلب الحديث فكتب عن عبد الواحد بن زياد وبني القطان وأزهر السّمان وغيرهم،  
فلم يختلف عن أحد منهم، وأدرك الناس فعلم، ثم قدّم بنسناد بعد ذلك .

وكان أيضاً يتّردّ ويدعى للفرزدق . ثم وقع بينه وبين الحكم بن قنبر المازني، فهجاه  
الحكم وذكره العود وبقي عليه وتكبّه . ولما قال أبو نواس قصيدته التي يهجو بها  
خُفْنِف، وهي :

أَلَمْ تَرَيْعْ عَلَى الظَّلَلِ الطَّلَسَ \* عَفَاهُ كُلُّ أَحْمَمٍ ذِي ارْتِهَاسٍ<sup>(٢)</sup>  
وَذَايِرِي الرَّبِّ مَرَّتِيكَ حَصَاهُ \* نَسِجَ الْيَتِّ مَعْقَةَ النَّعَاسِ<sup>(٣)</sup>  
سَوَى سَفْعٍ أَطَارَتْهَا اللَّيَالِ \* سَوَادَ اللَّيْلِ مِنْ بَدِ أَضْهَاسِ<sup>(٤)</sup>  
وَأَوْرَقَ حَالِفِ الْمَشْوَاةِ هَابٍ \* كَضَاوِي الْفِرَاحِ مِنَ الْمَلَّاسِ<sup>(٥)</sup>  
مَنَازِلُ مِنْ عُقْبَةٍ أَوْ سُلَيْمَى \* أَوْ الدِّهْمَاءِ أَخِيَتْ بَنَى الْحِمَاسِ  
كَأَنَّ مَعَاقِدَ الْأَوْضَاحِ مِنْهَا \* يَبِيدُ أَغْنَى تَوْمٍ فِي الْكِتَاسِ<sup>(٦)</sup>  
وَيَقِيمُ عَنْ أَخْرَى كَأَنَّ فِيهِ \* مُجَاجَ سُلَافَةٍ مِنْ بَيْتِ رَاسِ  
فَنَنْ ذَا مِلْغٍ عَمَرًا رَسُولًا \* قَدْ ذُكِّرَتْ وَدُكِّتْ غَيْرَ نَاسِ

(١) ساء تسقى : سبه وقصه . (٢) طاس بالكسر : دارس . والأحمم : السحاب . والارتيهاس :

الزبد . (٣) المعقّة : حبل في الزول .

(٤) الانهاس : ياض فيه ككرة - والنفع : يريد بها الأثافي . (٥) الملاس : الضوروعاب :

لونه لون المياه . (٦) مجة بالتأم نصب إليها الخبر .



فلم أَهْزِكْ هِمْرِيَّ وَلَكِنْ • نَوَائِبُ لَا تَزَالُ مَا تُهَامِي  
 نَوَائِبُ تَجِزُ الْأَيَّامَ مِنْهَا • وَيَمَّا دَوَّنَهَا اللَّيْنُ النَّطَاسِي  
 وَقَدْ نَلَفْتُ عَنْ أَحْصَابِ قَرِيمٍ • ثُمَّ وَرَّوْا مَكَارِمَ ذِي نُوَّاسِ  
 فَإِنْ تَكُ أَوْفَدْتُ لِهَرْبِ نَارٍ • فَاغَطَيْتُ خَوْفَ الْحَرْبِ رَامِي  
 سَائِلِي خَيْرَ مَا إِلَى حُمَامٍ • إِنْ مَا النَّيْلُ أَلِمَ بِالْقِيَاسِ<sup>(١)</sup>  
 وَتَمَّتْ الْوَالِئَاتُ بِغَارِقَاتِ • بَيْنَ وَتَمَّتْ رَهْطُ أَبِي فِرَاسِ  
 وَقَالَتْ كَاهِلٌ وَبَنُو صَيْنٍ • حَنَّاكَ إِنَّا لَسَا بِنَاسِ  
 لِمَا بَالُ النَّجَاحِ قَتَّ بَشْتِي • وَفِي زَمَانٍ دُمُ الْفِرَاسِ  
 وَمَا حَامَتْ عَنِ الْأَحْسَابِ إِلَّا • لَسْتُ رَفَعُ ذِكْرَهَا بِأَبِي نَوَاسِ

عارضه الحكم وهجاه ، فاقبل على التزارية وأدعى أنه من حاه وحكم ، فجزه يزيد بن منصور الحميري خال المهدي وقال له : أنت خوزي ، فمالك ولحاء وحكم ! فقال له : أنا موئى لهم ، فتركوه ، وقال بعضهم لبعض : إنه نظريف اللسان غزير العلوم فدعوه ، وبهذا الولاء يتمصب لنا ويكابد عنا ويهجو التزارية ، فكان كما قالوا وكما ظنوا ، فاقبل إلى اليمن وعذل عن كنيته بأبي فراس واكتفى بأبي نواس ، تشبهاً بكنية ذى نواس كما كانت اليمن تكنى ، وندم على هجاء اليمن ، ووجدتهم له أنصر ولدعوته أقبل ، فاعتزل إلى هاشم بن حذيف الكندي من هجائه ، ومدح اليمن فقال :

أَهَاشِمُ خَدَمَنِي رِضَاكَ وَإِنْ آتَى • رِضَاكَ عَلَى هَمِي فَنَسِرُ مَلُومٍ  
 فَأَقْصِمُ مَا جَلُوزْتُ بِالشِّمِّ وَالْيَدِي • وَصَرَضِي وَمَا مَرَقْتُ خَيْرَ أَدِيمِي  
 فَسَنَنْتُ بِحَقْوِي هَاشِمٍ فَأَعَذِفُ • كَرِيمٌ أَرَاهُ فَوْقَ كُلِّ صَكْرِيمٍ  
 وَإِنْ أَسْرَأُ أَغْضَى عَلَى مِثْلِي رَلِّي • وَإِنْ جَرَحَتْ فِيهِ يَدِي لَسْتُ حَلِيمٍ  
 تَطْلُبُ فَوْقَ النَّاسِ حَتَّى كَاتِمَا • يَرُونِي بِهِ تَجِبَا أَمَامَ جُحُومِ

إذا أمتازت الأحساب يوما بأهلها • أناخ إلى عادية وصمم  
إلى كل معصوب به التاج مقول • إليه أيادي عامر وتميم

وكان قبل أن ينسى اليمن ويدعى لقرار يتعجم في شعره، فمن ذلك قوله :

فاسقنينا ورض صو • تاء، لك الخير، أعجبا

ليس في نعت يمنة • لا ولا زجر إشاما

وكان الجاحظ يقول : ما أعرف لأبي نواس شعرا يفضل هذه القصيدة وهي :

ودار ندأ عطلها وأدبلوا • بها أثر منهم جديد ودارس  
مسيح من جز الزقاق على الترى • وأضغاث ريحان جنى ويابس  
حبست بها صهي ففقدت عهدهم • وإني على أمثال تلك الحابس  
ولم أدر منهم غير ما شهدت به • بشرق سابط الديار السابس  
أقنا بها يوما ويوما وثالثا • ويوم له يوم السرحل خامس  
تدار علينا الراح في عسجدية • حبثها بأنواع التصاوير فارس  
قرأتها ككسرى وفي جنباتها • مها تدريها بالقيس الفوارس  
فللخمر ما زوت عليه جوبها • ولقاء ما دارت عليه القلائس<sup>(١)</sup>

وقوله يصف كرامة وصبر عنها بالهجمة وهو يريد الدنان :

لنا هجمة لا يدرك القنب تظنها • ولا راعها تزو الفسالة والخطير  
إذا امتحنحت ألوانها مأل صفوها • إلى الكنت إلا أن أوبارها خضر  
وإن قام فيها الجالبون أقتهم • بتجلاء ثقب الجوف دزنها الخمر  
مسارحها الفري من نهر صرصر • ففطريل فالصالحية فالقمر

(١) يعني أن الخمر مصبوب فيها إلى طروق الصور صرقا - وقوله : ولقاء، يعني أنهم صبرا الماء في مزجها حتى

تُرِثُ ابْنِ سَامَانَ كَمَرَى وَلَمْ تَكُنْ • مَوَارِيثُ مَا أَبْتِ نَسَمٌ وَلَا بَرَكٌ  
قَصَرْتُ بِهَا لَيْسِلِي وَلَيْلِ ابْنِ حُرَّةَ • لَهُ حَسْبُ ذَلِكَ وَلَيْسَ لَهُ وَقَسْرُ

وَفِي تَعَالِيمِ أَبِي نَوَاسٍ فِي شِعْرِهِ يَقُولُ الرَّقَاشِيُّ يَهْجُوهُ :

تَبْلَعِي - فَإِذَا قِيلَ لَهُ • أَنْتَ مَوْتَى حَكِيمٌ قَالَ أَجَلٌ  
هُوَ مَوْتَى اللَّهِ إِذْ كَلَنَ بِهِ • لَاحِقًا فَاللهُ أَغْلَى وَأَجَلٌ  
وَاضِعًا نَسَبَهُ حَيْثُ اشْتَهَى • فَإِذَا مَا رَأَاهُ رَبٌّ رَحَلُ

فَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ يَهْجُوهُ :

مَجُوثُ الْفَضْلِ دَهْرِي وَهُوَ عِنْدِي • رَقَاشِي كَمَا زَعَمَ الْمَسْئُولُ  
فَلِمَا سُئِلْتُ عَنْهُ رَقَاشٌ • لَنَعْلَمُ مَا يَحْمِلُ وَمَا يَقُولُ  
وَلَمَّا أَنْتَ نَصَصْنَا هَلِهَا • لَنَعْلَمُ مَا يُقَالُ وَمَا تَقُولُ  
وَجَدْنَا الْفَضْلَ أَحَدَ مَنْ رَقَاشَ • مِنَ الْأَتْنِ أَذْعَتَ فِيهَا الْفَيْسُولُ  
وَجَدْنَا الْفَضْلَ أَكْرَمَ مَنْ رَقَاشَ • لِأَنَّ الْفَضْلَ مَوْلَاهُ الرَّسُولُ  
يُرِيدُ بِذَلِكَ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَنَا مَوْتَى مِنْ لَا مَوْتَى لَهُ» •

وَقَالَ أَيْضًا يَهْجُوهُ :

قُلْتُ لِلرَّقَاشِيِّ إِذَا جَعَلَهُ • لَوْ مَتَّ يَا أَحْمَقُ لَمْ أَهْجُكَ  
لَاخِي أَكْثَرُ عِرْضِي وَلَا • أَفْرَنُهُ يَوْمًا إِلَى عِرْضِكَ  
إِنْ تَهْجِي تَهْجُ قَتْلِي مَا جِدَا • لَا يَرْفَعُ الطُّرْفُ إِلَى مِثْلِكَ  
دُونَكَ عِرْضِي فَالْهَيْهَ وَاشْدَأْ • لَا تَدْنُسُ الْأَعْرَاضُ مِنْ هَجْوِكَ  
وَاللَّهُ لَوْ كُنْتُ جَرِيرًا لِمَا • كُنْتُ بِأَهْلِي لَكَ مِنْ أَصْلِكَ

وَقَالَ أَيْضًا يَهْجُوهُ :

يَا عَرِيًّا مِنْ صَنَمَةِ السُّوقِ • وَصَنَمَةُ السُّوقِ ذَانَتْ تَشْتَقِي  
مَا رَأَيْتُكُمْ يَنْتَازِرُ فِي رَجُلٍ • يَدْخُلُ فِيكُمْ مِنْ خَلْقِ غُلُقِ

ويحمل الوُطْبَ والسِّلَابَ ولا • يصلح إلا لحمل البرق  
لقد ضربنا بالطليل أنك في الشُّقْمِ صحيحٌ وصحيحٌ في السوق  
قد أخذ الله من رِقَاشٍ على • تركهم المجد بالمواثيق  
فالناس يسعون للملا قُدَمَا • وهم وراء مكرو السوق  
هنا كنا كم وفي المِلاج إذا • هيج فاشتت من يواشيق<sup>(١)</sup>  
وقال أيضا هجوه :

أصبح الفضلُ ظاهرَ آثِهِ • وذلك مذ صرْتُ أهاجِيهِ  
له شعري، أي مِفْوَاحِي • لكل من دوني قوايهِ  
كم من فضيل منذ حاجبته • وبينه قبل أهاجِيهِ  
فلحمد لله وإن كنتُ لم • أحضل بقوم تصحوا فيه  
رَضِيْتُ أن يستغنى ساقطُ • شَيْئِي خيرٌ من موالِيهِ

وكان أبو نواس في دملويه يتماجن ويبت ويغنى نسه واسم أمه لثلاث هجى ، وذلك مشهور عنه . ولو غضب هو نفسه على أبيه لهجاه ولم يفتشم . والمذكور من أمره أنه كان مولى الحكيمين ، يفتخر باليمن ويمدحهم لذلك ، ويمدح الجع ويدكرهم لأنه منهم ، فذلك قال في السجم ما قال .

قال ابو الفرج الأصفهاني : كان أبو حنيفة يقول : ذهب الينُ بجيد الشعر وهزله : امرؤ القيس بجده ، وأبو نواس بهزله . وكان يقول : ذهب الينُ بجيد الشعر في قديمه وحديثه : امرؤ القيس في الأوائل ، وأبو نواس في المحدثين . وكان يقول : شعراء الين ثلاثة : امرؤ القيس وحسان بن ثابت وأبو نواس . وقال أيضا : أبو نواس في المحدثين مثل امرؤ القيس في المتقدمين ، فتح لم هذه القطن ودلهم على اللعاني وأرشدهم إلى طريق الأدب والتصرف في فنونه . وكان يقول : يسجيني من شعر أبي نواس قوله :

(١) جمع ياشق وهو اسم طائر ، أجمى حبيب .

بَيْنَا عَلَى كَسْرَى سَمَاءٌ مُدَمَّةٌ • مَكَلَّةٌ حَافَتُهَا بِمَجْجُومٍ  
فَلَوْرُدِّي كَسْرَى بَنَ سَاسَانَ رُوْحَهُ • إِذَا لَاصِطْفَانِي دُونَ كُلِّ نَدِيمٍ

وسئل يسقوب بن السكيت عما يختار روايته من أشعار الشعراء، فقال: إذا أردت من الجاهليين فلا كسرى القيس والأعشى، ومن الإسلاميين فطجير ورواهرزق، ومن المحدثين فلا أبي نواس لحسب. وقيل: للعتبي من أشعر الناس؟ قال: عند الناس أم عندي؟ قيل: عند الناس؟ قال: امرؤ القيس؛ قيل: فمنك؟ قال: أبو نواس.

وقال عبد الله بن محمد بن عائشة: من طلب الأدب فلم ير شعر أبي نواس فليس بتام الأدب. وسئل: من أشعر المحدثين؟ فقال: الذي يقول:

كَانَتْ ثِيَابُهُ أَطْلَحَ • مِنْ مَنْ أَزْدَارُهُ قَرَأَ  
يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حَسًّا • إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرَا  
بَعِينَ خَالَطَ الْفَتَى • رُبُّ مَنْ أَجْفَانُهَا الْحَوَا  
وَوَجْهُهُ سَابِرٌ لَوْ • تَصَوَّبَ مَاءُهُ قَطَرَا  
وَقَدْ خَطَّتْ حَوَاشِيَهُ • لَهُ مِنْ عَنِيبٍ طُرَا

وقال إبراهيم بن العباس الطويل: إذا رأيت الرجل يحفظ شعر أبي نواس علمت أن ذلك عنوان أدبه ورأيت طرفه.

وكان أبو نواس يقول عن نفسه: سَقَلْتُ عَنْ طَبَقَةٍ مِنْ هَتَمَنِي مِنَ الشُّعْرَاءِ وَطَلُوتٍ عَنْ طَبَقَةٍ مِنْ مَيٍّ وَمِنْ عَيْيٍ بَدَى، فَأَنَا نَسِجٌ وَحِيدِي.

وحلت جماعة من الرواة من شاهد أبي نواس قالوا: كان أقل ما في أبي نواس قول الشعر، وكان خلفا راوية عالم.

وقال أبو عبيدة: بلغني أن أبا نواس يتعاطى قرص الشعر فتقاني وهو سكران ما طرَّ شاربه بعد، قلت له: كيف فلان عندك؟ فقال: جميل الظل، جامد النسيم، قلت: زد؛ فقال: مظلم المواء، متن الفناء، قلت: زد، قال: غليظ الطبع، بارد الشكل،

قلت : زد ؛ فقال : وَخَمَّ الطَّلْمَةُ ؛ حَسِرَ القَلْمَةُ ؛ قلت : زد ؛ قال : نَاتَى الْجَنَبَات ، بارد الحركات ؛ قال : نَخَفْتُ عَنْهُ ؛ فقال : زدني سؤالاً ؛ أزدك جواباً ؛ قلت : «كفى من القلادة ما أحاط بالعنق» .

وقال سليمان بن أبي سهل لأبي نواس : ما الذي استُجيد من أجناس شعرك ؟ فقال : أشعاري في النحر لم يقل مثلها ، وأشعاري في النزل فوق أشعار الناس ، وهما أجود شعري إن لم يزاحم غزلي ما قلته في الطرد .

وكان يقول : ما قلت الشعر حتى رَوَيْتُ لستين امرأة من العرب منهن الخنساء ولبلى ، فما ظلك بالرجال ؟ واني لأروى سبيحة أرجوزة ما تُعرف .

وكان قد استأذن خَلْقًا في نظم الشعر ، فقال : لا آتُكَ لك في عمل الشعر إلا أن تحفظ ألف مقطوع للعرب ما بين أرجوزة وقصيدة ومقطوعة ؛ فجاب عنه مدة وحضر إليه فقال له : قد حفظتها ؛ فقال : أنشدنا ، فأنشده أكثرها في عدة أيام ، ثم سأله أن يأتني له في نظم الشعر ؛ فقال له : لا آتُكَ لك إلا أن تنسى هذه الألف أرجوزة كأنك لم تحفظها ، فقال له : هذا أمر يصعب عليّ - فإني قد أخذت حفظها ، فقال له : لا آتُكَ لك إلا أن تنساها ، فذهب إلى بعض البديرة وخلّا بنفسه وأقام مدة حتى نسيها ، ثم حضر فقال : قد نسيتها حتى كأن لم أكن قد حفظتها قط ؛ فقال له : الان فانظم الشعر .

وكان أبو نواس يقول : لا أكاد أقول شعراً جيداً حتى تكون نفسي طيبة ، وأكون في بستان موزق ، وعمل حال أرتضيها من صليّة أوصل بها أو وعد بصلّة ، وقد قلت وأنا على غير هذا الحال أشعاراً لا أرضاها . وكان يعمل القصيدة ثم يتركها أياماً ، ثم يعرضها على نفسه فيسقط كثيراً منها ويترك صافيها ، ولا يشره كل ما يخيف به خاطره . وكان يهجم الشعر في النحر فلا يسهله إلا في وقت نشاطه . ولم يكن في الشعر بالبطء ولا بالسرع بل كان في منزلة وسطى .

وكان الأصمعي يقول : يعجيني من شعر الشاعر بيتٌ واحد قد أجاد قائله وهو :

ضيفةٌ كَرَّ الطرفُ تحسبُ أنها • قريسةٌ عهدُ بالإفاقة من سُقيم  
وإني لآتي الأمرَ من حيث يُتَقَى • وسلمَ سَهْمِي حينَ أُنزِعَ من أرمي

قال المتنبي لرجلين تناظرا في شعر أبي نواس : والله لو أدرك الخبيثُ الجاهلية ما فُضِّل  
عليه أحد .

وقال أبو عمرو الشَّيْبَانِي : أشعرُ الناس في وصف النمر ثلاثة : الأعشى والأخطل  
وأبو نُوَاس .

قال محمد بن عمر : لم يكن شاعرٌ في عصر أبي نواس إلا وهو يحسده لميل الناس إليه  
وشبهتهم لمعاشرته ، ويُبغِدُ صِبْغته وظَرْفَ لسانه .

وقال أبو حاتم : سئل أبو نواس عن شعره فقال : اذا أردتُ أن أجدَّ ، قلتُ مثل  
قصيدي « أيها المتأبُّ عن عُفْرِه » ، واذا أردت العبتُ قلتُ مثل قصيدي : « طاب  
الموى لعبيده » ، فأما الذي أنا فيه وحدي وكلُّه جيدٌ فاذا وصفت النمر .

وقال أبو ذَكْوَانَ : كما عند التَّوْزِيْ فذكرتُ عنده أبا نواس ، فوضع منه بعضُ  
الحاضرين ؛ فقال له التوزي : أهول هذا لرجل يقول :

يخافه الناسُ ويَرجونه • كأنه الجنةُ والنَّارُ

ويقول :

فما جازه جودٌ ولا حِلٌّ دونه • ولكن يصير الجودُ حيث يصيرُ

ويقول :

قَتَمْتُ في مَقاصِلِهِمْ • صَكَمْتُ البُرْءَ في السَّقَمِ

قال ابن الأعرابي يوما جلسائه : ما أشعرُ ما قال أبو نواس في النمر ؟ فقال بعضهم :

إذا عَبَ فيها شاربُ القومِ خَلَّتْ • يُقْبَلُ في دِلَجٍ من الأيلِ كوكبا

وقال آخر :

كَانَ كُبْرَى وَصُغْرَى مِنْ قَنَاصِهَا \* حَصْبُهُ دَرَّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ النَّهَبِ

وقال آخر :

تَرَى حَيْثُ مَا كَانَتْ مِنَ الْبَيْتِ مَشْرِقًا \* وَمَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ مِنَ الْبَيْتِ مَغْرِبًا

وقال آخر :

فَكَأَنَّ الْكَؤُوسَ فِينَا نَجْمٌ \* دَاوَرَاتُ بَرُوجِهَا أَبْدِينَا

وقال آخر :

صَفْرَاهُ لَا تَنْزِلُ الْإِحْرَانُ سَاحَتَهَا \* لَوْ مَتَّهَا حَجَرٌ مَسَّةَ سَرَاهُ

فقال ابن الأعرابي : إن هذا كله لشاعر أفرد بالإحسان فيه ، وتقدم من سبقه ومن تأخر عنه ، ولكنه أشعر من هذا كله في قوله :

لَا يَنْزِلُ الْبَيْلُ حَيْثُ حَلَّتْ \* فَلَمْ يَشْرَإِهَا نَهَارُ

قال مسلم بن هرام : قَبِيتُ أبا التَّاهِيَةِ قَتَلَ لَهُ : مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ ؟ قال : نريد

جاهلياً أو إسلامياً أو مولدها ؟ قال : كَلَّا أريدُ ، قال : الذي يقول في المديح :

إِذَا نَحْنُ أَثْبِينَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ \* فَأَنْتَ بِنَا نَكُنِي وَفَوْقَ الَّذِي تُنْكِي

وإن جرَّيت الألفاظ يوماً بمديحة \* لفسدك إنساناً فانت الذي تنفي

والذي يقول في الزهد :

أَلَا رَبِّ وَجْهِ فِي التُّرَابِ حَبِيبِي \* وَيَارَبِّ حُسْنٍ فِي التُّرَابِ رَقِيبِي

وَيَارَبِّ حَزْمٍ فِي التُّرَابِ وَتَجَمُّدِي \* وَيَارَبِّ رَأْيٍ فِي التُّرَابِ وَتَيْسِي

فصل لقريب البارئك راحلٌ \* ألى منزل نائي المحلل تحببني

وما الناس إلا حالك وإبنُ حالك \* وَدُوْنِي فِي الْمَالِكِينَ عَرِيقِي

إذا امتحن الدنيا لَيْبٌ تَكْثُفَتْ \* لَهُ مِنْ عِلْوِي ثِيَابٌ صَدِيقِي



وكان يقول : سيقى أبو نواس الى ثلاثة آيات وَدِدْتُ أَنى سبقتك إليها بكل ما قلته فإنه أشعر الناس فيها ، منها قوله :

يا كبير الذنب عفوًا لكَ • من ذنبك أكبر

وقوله :

مَنْ لَمْ يَكُنْ هَهُ مَتَّهَا • لم يُبْسِ عَنَّا إِلَى أَحَدٍ

وقوله :

إذا أمتعن الدنيا لِمِبْ تَكْتَفُ • له عن علوِّ ثياب مسدي

ثم قال : قلت في الزهد ستة عشر ألف بيت وَدِدْتُ أَنْ أبَا نَواصَ لَهُ ثَلَاثُهَا هَذِهِ الْآيَاتُ .

وقال الجاحظ : سمعت النُّظَّامَ يَقُولُ ، وَقَدْ أَشْدَّ شَرًّا لِأَبِي نَواصَ : كَانَ هَذَا الْفَقِيُّ جَمِيعَ لَهُ الْكَلَامُ فَأَخْتَارَ أَحْسَنَهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ الْمَعَانِي حُبِسَتْ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَ حَاجَتَهُ وَتَوَقَّى الْبَاقِيَ عَلَى النَّاسِ . وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ : كَانَتْ الْمَعَانِي مَدْفُونَةً حَتَّى أَثَارَهَا أَبُو نَواصَ .

حدث الحسين بن الحبيب الكاتب ، قال : قال أحمد بن يوسف الكاتب : كنت أنا وعبدُ الله بن طاهر عند المأمون ، وهو مستلقي على قفاه ، فقال لعبد الله بن طاهر : يا أبا العباس ، مَنْ أَشْعَرُ مَنْ قَالَ الشُّعْرَ فِي خِلَافَةِ بَنِي هَاشِمٍ ؟ فقال : أمير المؤمنين أعرُفُ بهذا وأعل عينا ، فقال له المأمون : على ذلك قَفَّلْ ؛ تَكَلَّمَ أَنْتَ يَا أَحْمَدُ بْنُ يَوسُفَ ، فقال عبد الله بن طاهر : أشعرهم الذي يقول :

وَيَا قَبْرَ مَعْنَى كُنْتُ أَوَّلَ حُفْرَةٍ • مِنَ الْأَرْضِ حُطَّتْ لِلْمِصْبَاحَةِ مِثْلًا

قال أحمد بن يوسف الكاتب : قلت : بل أشعرهم الذي يقول :

أَشْبَهَتْ أَعْدَائِي فَصَرْتُ أُجْبِهِمْ • إِذْ كَانَ حَطَى مِنْكَ حَطَى مِنْهُمْ

فقال المأمون : يا أحمد أبيتَ إِلَّا غَزَلًا ! أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الَّذِي يَقُولُ :

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمٍ • نِمْتَ عَنْ لَيْسِي وَلَمْ أَنْتِ

قلنا : صدقت يا أمير المؤمنين .

وكان المأمون يقول : لو سُئِلَت الدنيا عن نفسها فنطقت ، لما وصفت نفسها  
كما وصفها أبو نواس في قوله :

إذا امتحن الدنيا ليِّبٌ تَكَشَّفَتْ \* له عن عَدُوٍّ في ثياب صديقي  
وَرَدَّ على التَّابِي بِحَلَبٍ عِدَّةٌ من اليَكَار من أهل قَنَسَرين ، فدخلوا وسَلَمُوا ، وكان في يده  
رُقْعَةٌ ينظر إليها ، فقال لهم : لقد سَلَكَ صاحبُ هذه الرُّقْعَةِ وادياً ما سَلَكَه أحدٌ قبله ،  
ففظروا فإذا هو شعر أبي نواس في جنان جارية آل عبد الوهَّاب التتقي ، وهو قوله :

رَجَّ الكَرَى بين الجُفونِ حُيْلٌ \* عَنَى عليه بُكْيٌ طَوِيلٌ  
يا ناعِلاً ما أَقْلَمْتُ لخطائِهِ \* حتى تَسْحَطَ بَيْنَهُن قَبِيلٌ  
أَحْلَلْتُ قَلْبِي من هَوَاكَ عِمْلَةً \* ما حَلَّهَا المَشْرُوبُ والمَأْكُولُ  
بِكالِ صُورَتِكَ التي من دُونِهَا \* يَتَخَيَّرُ التَّشْبِيهُ والتَّمثِيلُ  
فَوقَ القَصِيصَةِ والقَصِيصَةِ فَوْقَهَا \* دُونَ السَّيِّئِ ودُونَهَا المَهْزُولُ  
وبما أَشَدَّهُ التَّابِي لأبي نواس فقال أحسن وأجود :

مِثْلُهُ بِمِثَالِهِ صَلِفٌ \* لا يَسْتَطَاعُ كَلَامُهُ نِيهَا  
لِحسنٍ في وَجْهَاتِهِ يَدْعُ \* ما إنْ يَمَلُّ الدُّرْسَ قَارِهَا  
لو كَانَتِ الأَشْيَاءُ تَمُتُّلُهُ \* أَجْلَانَهُ إِجْلَالٌ بَارِهَا  
لو تَسْتَطِيعُ الأَرْضُ لاجْتَبَضَتْ \* حتى يَصِيرَ جَمِيعُهُ فِهَا

وقوله :

إِن السَّحَابَ لَتَسْجِي إذا نَظَرْتُ \* إلى نَدَاكَ فَنَاسَتْهُ بِمَا فِهَا  
حتى تَهْتَمَّ بِإِقْلَاعِ فَيْعُمِهَا \* خَوْفٌ من السُّحُطِ من إِجْلَالِ مَنْشِهَا

قال محمد بن صالح بن يونس الكلَّابِي : لما دخلتُ المَواقَ صرْتُ إلى مدينة السلام  
فسألت عَمَنَ بِهَا من الشعراء الحَسِينِ ، وذلك في أيام خلافة الأَمِينِ أو عند موته قبل  
دخول المأمون بِسِيرَةٍ قَتِيلٍ لِي : قد غلبَ عليهم قَتَى من أهل البصرة يقال له الحسن

ابن هاني ويوسف بن نواس ، وقد كنت سمعتُ شيطاناً من شعره ، فأتاني فني كان من أهل الأدب ، قلت له : هل تروى لأبي نواسكم هذا شيئاً ؟ قال : أروى له أبياتا في الزهد وليس هو من طريقته ، قلت أنشدنيها ، فأنشدني :

أني ما بال قلبك ليس يتقى • كأنك لا تفلح الموتَ حقا  
ألا يا بنَ الذين قُتِلوا وبُدوا • أما والله ما نهبوا ليتقى  
وما للنفس عندك من مقام • إذا ما استكملت أجيالا ويرثها  
وما أحدٌ بذاك منك أخطى • ولا أحدٌ بذنبك منك أشقى  
ولا لك غيرَ هوى الله زاد • إذا جعلت إلى اللهوات ترقى

قلت له : أحسن والله ! قال : أفلا أنشدك أحسن من هذا ؟ قلت بلى ، فأنشدني في رثاء محمد الأمين :

طوى الموت ما بيني وبين محمد • وليس لما تطوى المنيعة نائراً  
فلا وصل إلا عبرة تستدبها • أحاديث نقيس ما لها الدهر ذاكراً  
ثمن عمّرت دور بمن لا أودّه • لقد عمّرت بمن أحب المقابر  
وكنّت عليه أحضر الموت وحده • فلم يشق لي شيء عليه أحزناً  
فقال : بحق ما غلب هذا على أهل الأدب وقدموه على غيره .

قال محمد بن جعفر الأصم : كان عند أبي نعيم ، فذاكرنا قول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين ذكرت شعركم يري أخاه أريد :

نَحَبَ الَّذِينَ يُسَاسُ فِي أَكْثَرِهِمْ • وَجِئْتُ فِي خَلْفٍ بِكَلْدِ الْأَجْرِبِ

ولقد أنشدني أبو نعيم أبياتا ، قلنا : أنشدناها ، فقال :

نَحَبَ النَّاسُ فَاسْتَقَلُّوا وَصَرَّنا • خَلَّفَ فِي أَرَاذِلِ النَّسَائِسِ  
فِي أَنْاسٍ تُسَلِّمُ مِنْ عَدِيدٍ • فَذَا قُتُّوا فَلَيْسُوا بِنَاسِ

كما جئتُ أبغى الفضل منهم • بدروني قبل السؤال يباس  
وبصكوا لي حتى تمتأت أني • مفلت عند ذاك رأساً براس

ثم قال : أتدرون لمن الشعر ؟ قلنا : لا ، قال : الحسن بن هاني .

قال أبو عبد الرحمن الضرير : رأيتُ مسلم بن الوليد يُجرجان وهو يتولاها ، فسألني عن  
حلفتُ من الشعراء ؛ فقلت له : أما من الكوفيين فأبو نواس ، وهو مقدم عندهم ؛ فقال :  
ويحك ! كيف يتقدم وهو يقول : رُوَيْدَكَ يَا إِنْسَانُ لَا أَنْتَ تَهْفِزُ أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ : « تَهْفِزُ »  
نرجعتُ من بين فكي شاعر قط ! ثم قال : ويلك ! وكيف يكون كذلك وهو يُعِيل ويُتَعِيلُ  
من صفة المخلوق الى صفة الخالق ؟ فقلت : مثل ماذا من قوله ؟ قال : أما فيما أحال فكقولهُ :  
وأخفتُ أهلَ الشُّركِ حتى إنه • تتخاطفُ التُّطفُ التي لم تُخْلَقِي  
وهذا من الإغراق المستحيل في القول وما ليس على مذهب القوم ؛ وأما في تَحْلِيهِ  
بصفة المخلوق الى صفة الخالق فكقولهُ :

يَحِلُّ أَنْ تَلْحَقَ الصَّفَاتُ بِهِ • فَكَلَّ خُلُقِي خُلُقَهُ مِثْلُ

وكقولهُ :

• برىء من الأشباه ليس له مثل •

ومما قيل عن أبي نواس إن الشعر إنما هو بين المدح والمهجة وأبو نواس لا يُحسنهما ،  
وأجودُ شعره في النحر والطرد ، وأحسنُ ما فيها مأخوذ ليس له وإنما سرقة ، وُسْبُكُ من  
رجل يرِدُ المني لِيَاخُذَهُ فلا يُحسن أن يَتَنَبَّأَ عليه حتى يَمُوتَ به قبيحا ، مثل قوله : « وَدَاوِنِي  
بِالْيَاسَنِ كَأَنَّهُ الدَّاءُ » أخذه من قول الأعشى : « وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا » والذي أخذه منه  
أحسن . ومنها أيضا قولهُ : « إِنَّ الشَّبَابَ مَطْيَةُ الْجَهْلِ » أخذه من قول النابغة الجعدي :  
« نَزَلَتْ مَطْيَةُ الْجَهْلِ الشَّبَابُ » . وقوله : « كَلِمَةُ الْأَشْمَطِ مِنْ إِهَابِهِ » أخذه من قول أبي النجم :  
« كَلِمَةُ الْأَشْمَطِ مِنْ كِسَابِهِ » . ولكن رُوِيَ أبو نواس في شعره أن سار وسَمَلَهُ النَّاسُ وَقَعَمَهُ  
أهلُ عصره ، وإن له على ذلك لأشياء حسنا لا ينفعها ولا يضرها إلا جاهلُ بالكلام  
أو حاسد .

ومن أحسن ملاحق أبي نواس قوله من أرجوزته التي يمدح بها الفضل بن الربيع وهي :

وبلدة فيها زود • صمراء تحظى في صمر  
 صرت إذا الثقب اقتصر • بها من القوم الآخر<sup>(١)</sup>  
 كان له من الجزر • كل جين ما اشكر<sup>(٢)</sup>  
 ولا تملأه صمر • بيت الناسي القفر  
 عسفتها على خطر • وقرير من القرد  
 يباري حين قطر • يهزه حين الآخر  
 لا مثق من سد • ولا غريب من خور<sup>(٣)</sup>  
 كانه بعد الصمر • وبعد ما جال الضمر<sup>(٤)</sup>  
 وأتمح في حمر • جاب رياح المنفر<sup>(٥)</sup>  
 يخلو بحب كالآكر • ترى بأبج القصر<sup>(٦)</sup>  
 منته قوشم الحد • رعين أبكار المنفر  
 شمري ربيع وصفر • حتى إذا الفعل جفر<sup>(٧)</sup>  
 وأشبه السقي الإبر • ونش أذجار القصر<sup>(٨)</sup>  
 قلن له : ما تأمر؟ • وعن إذ قلن : أئمر  
 غير عواص ما أمر • سكانها لمن تقرر  
 ركب يسيمون مطر • حتى إذا الظل قصر<sup>(٩)</sup>

(١) الرث : الأرض لا نبات فيها ، وانحفر الأثر : انقضاء رتيبه . (٢) الجزر (خمينين) :

ما يذبح من الثنا . ذكرنا كان أواني . واسعة : جزية . وما اشكر : لم يثبت له الشكر وهو الضعيف من الشر

الذي لا يكاد يظهر . (٣) صفيا : ملكها خفيلا ، والقر : الخطر . (٤) الحد : البحر .

(٥) المنفر (الخمينين) : المزال . والمنفر : جمع ضفار (الفتح) وهو ما يشبه البحر من شعر مفعول .

(٦) الجاب : الحمار الخليل من حمار الوحش . (٧) الأبناج جمع نيج وهو وسط النسي . والقصر

جمع قصرة وهي أهل القى . (٨) يجر : امتنع عن الضراب .

(٩) السقي : كل شجرة له شوك ، ونش : نصب ، والقر : جمع قرة وهي الوحدة المستعمرة من الأرض .

يَمَنَّ مِنْ جَنِّي هَجْرَ • أَخْضَرَ عَلَّامَ الصَّكْرِ  
 وَيَبِينُ أَحْقَافَ الْقَمَرِ • سَارَ وَلَيْسَ لِقَسَمِ  
 وَلَا تِلَاوَاتِ السُّورِ • يَمْسَحُ مِرْنَانًا بِسَرِّ<sup>(١)</sup>  
 زُمْتُ بِمَشْزُورِ الْمِرْزِ • لَا أُمُّ تُكْفَوِمُ النَّفَرِ<sup>(٢)</sup>  
 حَتَّى إِذَا صَطَفَ السَّطْرَ • أَهْدَى لَهَا لَوْ لَمْ تُجَسِّرْ  
 دَعْيَاهُ يَحْدُوها الْقَدْرَ • فَلَئِكَ عَنَسَ لَمْ تُدَرِّ  
 شَبَّهَا إِذَا الْآلُ طَلَهَرَ • إِلَيْكَ كَلَفْنَا السَّفَرِ  
 خَوْصًا بِحَاذِينَ النَّظَرِ • قَدْ انْطَوَتْ مِنْهَا الْمَرِّ  
 طَلَى الْقَرَارَى الْحَبَرِ<sup>(٣)</sup> • لَمْ تَتَعَمَّدْهَا الطَّيْرِ  
 وَلَا السَّيْلُ الْمَزْدَجَرِ • يَافْضَلُ الْقَوْمِ الْبَطْرِ  
 إِذْ لَيْسَ فِي النَّاسِ عَصَرٌ • وَلَا مِنْ الْخُوفِ وَزَرٌ  
 وَزَلَّتْ إِحْدَى الْكُبَرِ • وَقِيلَ صَمَاءُ الْفَيْرِ  
 فَالنَّاسُ أَبْنَاءُ الْحَبَرِ • فَرَجَّتْ هَاتِيكَ الْقَمَرِ  
 عَنَّا • وَقَدْ صَابَتْ بِقَرِّ<sup>(٤)</sup> • كَالشَّمْسِ فِي تَخْصِصِ بَشَرِ  
 أَيْضًا بِجَارِيكِ الْخَطَرِ • أَبُوكَ جَيْلِي عَنْ مُضَرِ  
 يَوْمِ الرُّوَاقِ الْمُحْتَضِرِ • وَالْخُوفُ يَقْصِرِي وَيَنْزِرُ  
 لَهَا رَأَى الْأَمْرَ الْأَطَرِ<sup>(٥)</sup> • قَامَ صَكْرِيًّا فَانْتَصِرُ  
 كَهَيِّزَةِ الْقَضْبِ الدُّكْرِ • مَا مَسَّ مِنْ شَيْءٍ هَبِ<sup>(٦)</sup>

(١) الرمان : القوس . (٢) زمت : شدت ، ومشزور معقول ، والمراد : جمع مرة وهي قوة القتل ،

والألام : الشديد ، والنفر : كسر الجبل . والعرب شبه الفتيق بالأوتار والملاحم القتران . (٣) القزاري : التليط

(٤) القمر : القزاري ، يقال إذا وقع الأمر موقه : صابت بقروفت بقر . قال طرفة بن العبد البكري :

كنت منهم كالنمل رأسه • فأنجس اليوم غفاتي وجر

سادرا أحسب في رشدا • فتأهيت وقد صابت بقر

(٥) اشتد . (٦) هب : تلع .

وَأَنْتَ تَتَنَافُ الْأَمْرَ ■ مِنْ ذِي مُجُولٍ وَغُرَرٍ  
 مَعِيدٍ وَرَيْدٍ وَصَدْرٍ • وَإِنْ عَلَا الْأَمْرَ أَقْبَلِرْ  
 فَايْنَ أَصْحَابُ الْقَمَرِ • اذْشَرُوا كَأْسَ الْمَقَرِ<sup>(١)</sup>  
 وَقُصِّرُوا فِيمَنْ قُصِرَ ■ هِمَاتٍ لَا يَنْتَقِي الْقَمَرُ  
 أَصْحَرَتْ اذْذَبُوا الْخَمْرَ • شَكْرًا، وَحَرٌّ مَنْ شَكَرَ<sup>(٢)</sup>  
 فَاللهُ يُعْطِيكَ الشَّرَّ • وَفِي أَعَادِيكَ الظَّفَقِرُ<sup>(٣)</sup>  
 وَالْقَهْرُ مَنْ شَاءَ تَصَرَّ • وَأَنْتَ إِنْ خَفْنَا الْحَصْرَ<sup>(٤)</sup>  
 وَهَرَّ دَهْرٌ وَكَثُرَ • عَنْ نَاجِيَدِيهِ وَبَسْرٍ<sup>(٥)</sup>  
 أَغْنَيْتَ مَا أَغْنَى الْمَطَرُ ■ وَفِيكَ أَخْلَاقُ الْبَسْرِ  
 فَانْ أَبْوَا إِلَّا السَّرَّ • أَمَرْتُ حَبَلًا فَاسْتَمَرَّ<sup>(٦)</sup>  
 حَتَّى تَرَى تِلْكَ الزَّمَرِ • تَهَيَّؤْ لَأَذْقَانِ التَّنْفَرِ<sup>(٧)</sup>  
 مِنْ جَذْبِ الْوَلَى لَوْ تَرَى • إِلَيْهِ طَلُوتًا لَا تَطْلُرُ<sup>(٨)</sup>  
 صَعِبَ إِذَا لَاقَى أَبْرَ • وَإِنْ هَفَا الْقَوْمُ وَقَرَّ  
 أَوْ رَغِبُوا الْأَمْرَ جَسَرَ • ثُمَّ تَسَامَى فَتَفَرَّ  
 عَنْ شَقِيقٍ ثُمَّ هَدَرَ • ثُمَّ تَنَاجَى نَخْلَطَرُ<sup>(٩)</sup>  
 بِذِي سَيْبٍ وَعُسْدَرٍ • يَمْضِعُ أَمْطَرَاةَ الْوَبَرِ  
 هَلْ لَكَ وَالْمَلِ خَيْرٌ • فِيمَنْ إِذَا غَبَتْ حَضَرُ<sup>(١٠)</sup>  
 أَوْ تَالَكِ الْقَوْمُ تَارَ ■ وَإِنْ رَأَى خَيْرًا شَكَرَ  
 • أَوْ كَانَ تَقْصِيرٌ عَنَدُ •

(١) القمر : المرء . (٢) أصحرت : برزت إلى الصبراء . وديار الخمر : مشرق غنظين . والخمر :  
 ما سترك من هجر أو بناء أو نحوه . (٣) الخمر والقوة . (٤) الضيق . (٥) كثر أذى  
 عن ناجيديه ، وبسر : عيس . (٦) أي أحكمت فقه . (٧) جمع قرة وهي قرة النمر .  
 (٨) الأولى : التشديد التلموسة . (٩) اعرج واتقى . (١٠) السيب : شر القنب والعرف  
 والقاسية ، والمفرج جمع طار . (١١) قصد فقط مل الاستغابة فأدخل عليها الألف واللام .

ولما عمل أبو نواس القصيدة التي أولها : \* ومستعبد إخواته بثرانه \* بلغت  
الأميين ، فبعت إليه ، وعنده سليمان بن جعفر . فلما دخل عليه قال له : يا عاصم نظّر أمته  
العاهرة ، وإمدني ولاية حاه وحكم ! أتمدري يا بن القهّاء من توليت وإلى من أديعت ؟  
إلى الأم قبيلتين في اليمن ، طوويج يافعين . أنت تكتسب بشمرك أو صانع أيدى الناس اللثام ،  
وتقول : \* ولا صاحب التاج المحبب في القصر \* أما والله ما نلت مني شيئا بعد ذلك  
أبدا ! فقال له سليمان بن أبي جعفر : إي والله ! ثم هو مع هذا من كبار التثوية (وكان يرى  
بذلك) ، فقال له محمد الأميين : وهل يشهد عليه شاهد بشيء من ذلك ؟ فأنه سليمان بمئة  
قير ، فشبهوا عليه أنه شرب في يوم يطير فوضع قدحه تحت السقاء في المطر فوقع فيه  
المطر ، فقالوا له : ما تصنع بذلك ويحك ؟ قال : أتم زعمون أنه يترل مع كل قطرة  
ملك ، فكم ترى أشرب من الملكة ! ثم شرب ما في القدر ، فنضب محمد ، وأمر به  
إلى السجن . فذلك قول أبي نواس :

يارب إني القوم قد ظلموني \* وبلا إقرارٍ معطلٍ سبوني  
وإلى الجحود بما عرفت خلاقه \* ربّي إليك يكفهم نسبوني  
ما كان إلا الجحري في ميدانهم \* في ككل نخزي والمجانة ديني  
لا العذر يقبل لي ويترق شاهدي \* منهم ، ولا يرضون حلف يميني  
ما كان — لو يدرون — أول تحبّا \* في دار متقصّة ومزول هوب  
أما الأميين فلست أرجو دفعه \* عني ، فمن لي اليوم بالمأمون  
فبلغت أيبائه المأمون ، فقال : والله لئن لحقته لأغتيته عني لأؤقتله . فأت قبل دخول  
المأمون بغداد .

لما وصلت الخلافة إلى محمد الأميين وولى الفضل بن الربيع الوزارة ، نفخ محمد  
للهم والصيد والترعة ، وكان لا يخرج إلا لصيد أو لترعة . نفخ ذات يوم وقد أمر الجنّد  
(١) التوية أصحاب الاتين الأزليين وهم الذين يزعمون أن النور والظلمة أزليان هديان ، بخلاف المبرس  
فأنهم قالوا بحدوث الظلام .



والقوَادَ فركبوا، وليس ثيابَه وظَهه سيفه ، وأُصِغَت الحِزَاقَاتُ وَالزَّلَاجَاتُ فِي دِجَلَه ؛  
فقال له اسماعيلُ بْنُ صَيْعٍ - وكان كَاتِبَ مِرْزَه - : يا أمير المؤمنين إن قوَادَكَ وَجَنَدَكَ وعائِدَه  
رعيكَ قد خَبِثَتْ نفوسُهُم ، وساءت ظُنُونُهُم ، وكَبُرَ عِندَهُم ما يرون من احتجَابِكَ عَنْهُم ،  
فلو جَلَسْتَ لَمْ سَاعَه من نهار فدخلوا عليك ! فإن في ذلك تَسْكِينًا لَمْ ومراجعة لآمالِهِم !  
فجلس في مجلسه وأذن للناس عامَه فدخلوا على مراتبهم ومنازلِهِم ، وقام الخطباء فخطبوا ،  
والشعراء فأنشدوا ، فلم يكن أحد منهم يتعدى إلى الاطتاب والتطويل ، إلا أَمَرَ بالسكوت  
ومُنِعَ من القول .

وقام فيمن قام أبو نواس ، فقال : يا أمير المؤمنين ! هؤلاء الشعراء أهل تَجَرٍّ وَمَدَر ،  
وليل ووصيف للبقر وبيوت الشَّعَر ، قد جَفَّتْ أَلْفَاظُهُم ، وغَطَلَتْ معانيهِم ، ليس لَمْ  
بَصَرٌ بمدح الخلفاء ونُثِير مكارِهِم ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى في إنشاده فليقل ،  
فأذن له فأنشده :

أيا دارِها بالماء حتى تُلَيِّثَها • فلن تُكْرِمَ الصُّبَّاءَ حتى تُثَبِّثَها  
أُغَالِي بها حتى إذا ما ملِكْتُها • أهنَّتْ لإكرام الخليل مَصُونَتَها  
وصفراء قبل المزج بيضاء بدم • كأن شمع الشمس يخاله دونهَا  
ترى العين تستعفيك من لقائِها • وتحمسُ حتى ما تُقْبِلُ جفونُها  
تَرُوعُ بنفس المراه عما يَبُوءه • ويَحْسِنُ لَهُ ألا يزالَ قرينُها  
كأن يواقيتا رواكده حوْلَها • ووزَّقَ سبائكها تدير عيونُها  
وتشغوا حل الدهر منها بجوْه • دلفت إليها فاستلَّتْ جبينُها  
كأن حُلُولَ بين آتِيف روضه • إذا ما سَلَبَناها مع الليل طينُها

الى أن أكل القصيدة . فقال له محمد : ألم أَتَيْكَ عَنْ شَرِبِ الْخَمْرِ ! قال : طبع  
يا أمير المؤمنين ، والله ما شَرِبْتُها منذ تَهَيَّأَ عنها ومتعنى من شُرْبِها ، وأنا الذى أقول :

أيا الرضايف بالقوم لوما • لا أدوق المدام إلا شيمًا  
 نالي بالسلام فيها إلم • لا أرى لى خلافه مستقيمًا  
 فاصرفها الى يسواى فائق • لست إلا على الحديث قديمًا  
 كبر حطى منها إناهى دارت • أن أراها وأن أشم النسيمًا  
 فكأنى وما ازيت منها • قعدى يحسن التحكيماً<sup>(١)</sup>  
 كل عن حله السلاح الى الحر • ب فأوصى المطيق ألا يقبلاً

فهدم محمد، وقال له : أحسنت ! وقام بعض الشعراء فأنشد :

ترقى فى فضائله الامير • وزايله المشاكل والقسرين  
 وأورق زهرة التقوى وعزّت • خلافه وصدقت الظنون  
 تمس منابر الخلفاء منه • يد بخلاف طاعتها المنون  
 يخاف الخوف صولته ويرجو • نداء الجود فهو له حدين

فقال عتة من حضر : قد أوجز وأجاد، أكرم الله أمير المؤمنين ! فقال أبو نواس : أشعر  
 منه يا أمير المؤمنين الذى يقول :

ألا يا خير من رأيت الميؤن • تطيرك لا يحسن ولا يحون  
 وفضلك لا يحسد ولا يحارى • ولا تحوى حيازته الظنون  
 فانت نسيج وحيدك لا شبيه • تحاشيه طيك ولا حدين  
 خلقت بلا مشاكلة لشيء • فانت الصوق والفضلان دون  
 كان الملك لم يك قبل شيئاً • الى أن قام بالملك الامير

قال : ففضله محمد وأحسن جائزته . ويقال : إنه قالها ببيتها .

(١) القصدي من الخواص : القى رى داعم القبة الفين يرون الصمك حقا ، غير أنهم فهدوا من الترويج

على الناس .

ثم نهض محمد من مجلسه ذلك، فركب الحُرَاقَةَ إلى الثَّنَائِيَّةِ، واصطَفَتْ له الخيل وعليها الرجال على شاطئ دجلة، وَجِلَّتْ معه المطايحُ والنِزَازُنُ . وكلَّفَ رُكوبَهُ حُرَاقَةَ<sup>(١)</sup> على مثال الأسد . فما رأى الناس منظراً كان أبهى ولا مسيراً كان أحسن من ذلك المنظر والمسير . وركب أبو نواس معه يومئذ وهو يتأدبه، فقال :

قَصَّرَ اللَّهُ لِلْأَمِينِ مَطَايَا \* لَمْ تَسْخَرْ لِصَاحِبِ الْمَحَارِبِ<sup>(٢)</sup>  
فَإِذَا مَا رَكَابُهُ سَرَّتْ بِحِمَا \* سَارَ فِي الْمَاءِ رَاكِبًا لَيْتَ غَلَبَ  
أَسَدًا بِأَسَاطِ ذِرَاعِيهِ يَمْدُو \* أَهْرَتَ الثَّنِيقَ كُلَّخَ الْأَنْيَابِ<sup>(٣)</sup>  
لَا يَمَانِيهِ بِالْجَبَامِ وَلَا السُّو \* طَ وَلَا عَمَزَ رَجُلِهِ فِي الرِّكَابِ  
عَجِبَ النَّاسُ إِذْ رَأَوْكَ عَلَى صَو \* رَةٍ لَيْتَ تَمَرُّ مَرَّ السَّحَابِ  
سَبَّحُوا إِذْ رَأَوْكَ سَرَّتْ عَلَيْهِ \* كَيْفَ لَوْ أَبْصَرُوكَ فَوْقَ الْمُقَابِ  
فَاتَ زَوْرٌ وَمَقِيرٌ وَجَنَاحُ \* بَيْنَ تَشْقَى الْعِيَابِ بَعْدَ الْعِيَابِ  
تَسْبِقُ الْعَلِيقَ السَّمَاءَ إِذَا مَا سَ \* تَجَلَّوْهَا بِبَيْشِيَّةٍ وَذَهَابِ  
بَارَكَ اللَّهُ لِلْأَمِينِ وَأَبْقَا \* وَأَبْقَى لَهُ رِجَاءَ الشَّبَابِ  
مَلِكٌ قَصَّرَ الْمَدَامُحُ عَنْهُ \* هَامِيٌّ مَوْقِيٌّ لِلصَّوَابِ

ويقال : إن هذا الشعر قاله أبو نواس في عهد ، وقد ركب حُرَاقَةَ الدَّقِيقِينَ ؛ فقال له شيخٌ إلى جانبه : إني الله يا هذا ! فقال له أبو نواس : يا شيخ ، إن الله لم يسخر لصاحب المحراب الدَّقِيقِينَ ، وقد سخر له ما هو خير من الدَّقِيقِينَ ، فأى شيء تتكرمن هذا ؟

قال ابن حبيب : كنت مع مؤنس بن عمران ، ونحن زريد الفضل بن الربيع بختلاد ، فقال مؤنس : لو دخلنا على أبي نواس في السجن فسلمنا عليه ! فقلنا ؛ فقال أبو نواس

(١) وذلك أنه كان للأمين ثلاث من السفن المسروقة بالخراتات (ركوبه خاصة ، وهي الليث والقاب والقهين . (٢) صاحب المحراب هو سليمان بن داود عليه السلام لأنه بن بيت المقدس . (٣) أهرت الثنق : واسمه . وكلخ الأنياب : كافرهما .

لنؤس: أين تريد؟ فقال: أريد أبا العباس الفضل بن الربيع؛ قال فبئنه رقةً أعطيكها؛ قال: نعم؛ فأعطاه رقةً فيها:

ما من يد في الناس واجدة \* كيد أبو العباس مولاها  
ثم البقرة على مضاجعهم \* وصرى الى نفس فأجلاها  
قد كنت خفتك ثم أمتني \* من أن أخلفك خوفك الله  
نصوت عني عفو مقتدر \* وجبت له حشم فالتها

فكانت هذه الأبيات سبب نروجه من السجن.

انصرف أبو نواس من بعض المواخير سكاناً، فربمجد قد حضرت فيه الصلاة، فدخل قمام في الصف الأول؛ فقرأ الأمام: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فقال أبو نواس من خلفه: لييك؛ فلما قضيت الصلاة ليبره وقالوا له: يا كافر نشهد عليك بالكفر ودفعوه. فبلغ خبره الرشيد، فدعا له حمويه صاحب الزنقة، وأحضر أبا نواس فقال له حمويه: يا أمير المؤمنين، إن هذا ماجن، وليس هو بحيث يطعن؛ فقال له الرشيد: ويحك! إنه وقع في نفسى عنه شيء، فاستحنه. قال: نقط له صورة ماني، وقال له: أبصق عليها؛ فأهوى أبو نواس بفيه ليقب عليها؛ فقال له حمويه: قد قلت لك يا أمير المؤمنين إنه ماجن. قال: ودعا برجل من الزنادقة مشهور، وقال له: أبصق عليها؛ فقال: وما معنى البصاق! إنه من أخلاق الشرك ولا أنسله، وأبى أن يفعل. فقال الرشيد لبعض خدم القصر: امض بهذا (يعني أبا نواس) الى السدي، فقل له: أذبه وأطقه،

(١) ليبره: أخنوخا عليه، وهو موضع القلادة في الصدر. (٢) هو ماني بن قاتك الحكيم، الذي ظهر في زمن سابور ذي الاكاف بن أردشير، وقته بهرام بن هرم بن سابور، وذلك بعد جسي عليه السلام. أخذ له دنيا بين المجوسية والنصرانية. وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام. حكم محمد بن حارون المعروف بأبي جيسى الوراق، وكان في الأصل مجوسياً علواً يذهب بذهب القوم، أن الحكيم ماني زعم أن الله تعالى صنع مركب من أحلج قديمين: أحدهما نور والآخرة ظلمة، وأنها أزيان لم يزالا دلت يزالان، وأما وجود شيء، إلا من أصل قديم، وأنها لا يزالان قوتين حاسنتين مهيبتين بصيرتين، وما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادتان، وفي الحيز متضادتان تحاذي الشخص والفعل. (انظر المجلد والفصل للشرعاني)

وبهذا (يعني الزندق) قتل له : احبسه قبلك الى أن تستيبه، فان تاب وإلا قتلناه . قال : فضى بهما الخادم ، فلما صار في آخر الصبح ، قال أبو نواس لخادم : الى أين تذهب بنا ؟ قال : الى السندی ، قال : فما تقول له ؟ قال : أقول له : يحبسك قبله حتى تستأب أو تقتل ، ويؤتب هذا ويطلقه . قال : فرفع أبو نواس يده ولطمه ، وقال له : يابن الزانية، من الساعة نسيت ! . وبصر بهم الرشيد ، فقال : ردوهم ، فقال لأبي نواس : ما هذا الذي رأيت منك ؟ قال : أراد والله أن يهلكني ويخرجني بحيث أنسى أبدا أو أبقي مخلدا ، سألته يا أمير المؤمنين عن الرسالة ، فإذا هو قد غيرها ، فضحك من أبي نواس وأطلقه .

قال رُزَيْن الكاتب : اجتمعنا يوما أنا وأبو نواس وعلي بن الخليل في سوق الكرخ ، وكانا مجتمع ونقاشد الأشعار وتنذاكر الأخبار وتحدث بها . فقال أبو نواس : أذكر من كان في نفسي وكان أسرع الخلق في طاعتي ، فما أدري ما أحاط له ؟ فقال علي بن الخليل يمازحه : يا أبا علي ، سأل شيخك وأستاذك يعطفه عليك ، فقال له أبو نواس : من تعني ؟ قال : من أنت في طاعته ليك ونهارك (يعني البليس) فقلت لم يقض لك هذه الحاجة ، فما ينبغي لك أن تسأله مسألة ولا أن تحضر عيته بمصيبة ، فقال : هو أمد رأيه من أن يحل بي أو يخذلني ، واقضى مجلسنا ذلك . فلما كان بعد أيام اجتمعنا في ذلك الموضع ، وأخذنا في أحاديثنا ، فضحك أبو نواس ، فقال له : ما أضحكك ؟ فقال : ذكرت قول علي بن الخليل يومئذ : سأل شيخك يعطفه عليك . حينئذ قد سألته يا أبا الحسن ففضى الحاجة ، وما مضت والله ثالثة حتى أتاني من غير أن أبست إليه ومن غير أن أستقره ، فهاهنا واسترضاني ، وكان الغضب منه والتعجب ، وأحسب الشيخ (يعني البليس) كان يسمع علينا في وقت كلامنا ، وقد قلت أبيانا في ذلك ، قلنا : هاتما ، فأنشد :

لما جفاني الجيبُ وامتنعتُ • عني الرسالاتُ منه وانلُبرُ

واشتد شوقي فكلا بدلتني • ذكر حبيي والمم والقصيرُ

دعوتُ إبليسَ ثم قلتُ له • في خلوة والسموع تصمد:  
 أما ترى كيف قد ليئتُ وقد • أفرح بجنِّي البكاء والسهر؟  
 إن أنت لم تلقِ لي المودة في • صدر حبي وأنت مقتدر  
 لا قلتُ شعرا ولا سمعتُ غنا • ولا جرى في مفاصلي السكر  
 ولا آزالُ الفركتُ أدُّسه • أروح في درسه وأبتكر  
 وألزم الصومَ والصلاة ولا • أزال دهرى بالخير آتسر  
 فما مضتُ بعد ذاك ثالثتُ • حتى أتاني الحبيبُ يفسر  
 ويطلب الودَّ والوصالَ على • أفضل ما كنتُ قبلَ يحجر  
 فإلهامَ مِنَّةٍ لقد عظمْتُ • عندي لإبليس ما لها خطر

لما قَدِمَ أبو نواس على الخَصِيبِ<sup>(١)</sup> بمصر أذن له وعنده جماعة من الشعراء فاستنشه ،  
 فقال له : هنا جماعة من الشعراء هم أقدم مني وأسنُّ ، فأذن لهم في الإنشاد ، فان كان شعري  
 نظير أشعارهم أنشدتُ وإلا أمسكتُ ، فاستنشه الخَصِيبُ ، فأنشدوا مديحا في الخَصِيبِ ،  
 فلم تكن أشعارهم مقاربة لشعرا أبي نواس ، فبسم أبو نواس ثم قال : أنشدك أيها الأمير  
 قصيدة هي بمنزلة عصا موسى لتقف ما يَفْكُونُ؟ قال هات ، فأنشده قصيدته التي أولها :  
 أجارَة يَتَيْتَا أبوكَ غَيُورُ • وميسور ما يرعى لديك عَيرُ  
 حتى أتى على آخرها ، فافضَّ الشعراءُ من حوله .

ويقال : إن أبا نواس كان خرج الى مصر في زِي الشُّطَار وتقطيعهم بطرقة قد صَفَّها  
 وكُتِّين واسمين وذيل مجرور ونعل مطبق ، وكان خروجه مع سليمان بن أبي سهل ، فلما  
 دخل على الخَصِيبِ بهذه الصورة ازدراء واستخفَّ به ، وكان تُورد عليه كُتبُ الحِلَّةِ من

(١) هو الخَصِيبُ بن عبد الحميد البجلي أحر مصر على الخراج . وإليه تسب منة الخَصِيبِ بالوجه القليل  
 وليس بأبن صاحب نهر أبي الخَصِيبِ ، ذلك عبد القصور يقال له مرزوق . وكان هذا رئيسا في أراضيه .  
 فانتقل الى بغداد وصار كاتب بهر به الرأى ، ثم انتقل الى الامارة .  
 (٢) الشُّطَار : جمع شاطر وهو من أمها أهل غيبا .

يباب السلطان، ووردت كتب أبي نواس فيها قراءها ولم يستشده، فانصرف مهموما .  
وجاء أهل الأدب فاستمعوا شعره وكتبوه وأنشدوه لخصيب؛ فاستحضره فأنشده :

أَجَارَةٌ يَتَيْتُنَا أَبْرُكْ غِيُورُ • وَمِيُورُ مَا يَرِيحُ لَدَيْكَ عَيْسُرُ  
فَإِنْ كُنْتَ لَا خَلًّا وَلَا أَنْتَ زَوْجَةٌ • <sup>(١)</sup>فَلَا يَرِحَتْ دُونِي عَلَيْكَ سُورُ  
وَجَاوَرْتُ قَوْمًا لَا تَزَاوُرُ بَيْنَهُمْ • وَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ سُورُ  
فَإِنَّا أَنَا بِالْمَشْغُوفِ ضَرِيَّةٌ لِأَزْيِبِ • وَلَا كُلُّ سُلْطَانٍ عَلَى قَسْدِيرِ  
وَأَنْتَ لَطِيفُ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ زَائِرُ • قَدْ كَذَبْتُ لَا يَخْفَى عَلَى خَمِيرِ  
كَمَا نَظَرْتُ وَالرَّجُلُ سَاكِنَةٌ لَهَا • عُقَابٌ بِأَرْسَافِ الْيَدَيْنِ نُشُورُ <sup>(٢)</sup>  
طَوْتُ لَيْلَتَيْنِ الْقَوْتَ عَنْ ذِي ضَرُورَةٍ • أَزْيِبَ لَمْ يَنْتَ عَلَيْهِ شَعِيرُ <sup>(٣)</sup>  
فَأَوْفَتْ عَلَى عِلَاءٍ حِينَ بَدَا لَهَا • مِنَ الشَّمْسِ قَرْنٌ وَالْفَرَبِ يَمُورُ <sup>(٤)</sup>  
تَحَبُّ طَرَفًا فِي حِجَابِي مَفَارَةٍ • مِنَ الرَّاسِ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ ذُرُورُ <sup>(٥)</sup>

ولما قال أبو نواس :

تَقُولُ لِي مَنْ يَتِيهَا خَفَّ مَرَكِي : • عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَكَ تَسِيرُ  
أَمَّا دُونَ مَعِيرِ لَفَنِي مُتَطَلِّبُ ؟ • عَلَى إِنْ أَسْبَابُ لَفَنِي لَكَيْرِ  
فَقُلْتُ لَهَا وَاسْتَجَبْتُهَا بِوَادِرٍ • جَرَتْ بِحَرِيٍّ فِي جَرِينِ عَيْرِ  
دَرِيحِي أَكْثَرَ حَاسِدِيكَ بِرَحْلَةٍ • إِلَى بَلَدٍ فِيهِ الْخَصِيبُ أَمِيرُ

قال له الخصيب : أَنَا يَكْثُرُ حَسَادُهَا وَتَبْلَغُ أَمَلُهَا، وَأَمْرٌ لَهُ بِالْفِ دِيَارِ .

(١) الخلم : العبدق . (٢) النعور : خروج النظم من موضعه أو ذواله وفي البيت من سوء التركيب ما فيه ، والتقدير فيه كما نظرت عقاب لها بأرساف اليدين تدور والرج ساكنة . (٣) أزيب : تصغير أزيب وهو القرح ذو الأزب أي الریش الخفيف الين . والتكير : الریش أول ما ينبت . (٤) الفريب : الفتح أو الجليد . ويور : يحرك أو يجي . ويذهب أو يسيل على وجه الأرض . (٥) الجبابان متى حجاج وهو النظم الذي ينبت عليه شعر الحاجب . والقور : ما يقدر في العين من القواء .

وتكاملها :

إذا لم تَزِدْ أَرْضَ الخصبِ دَكَايَا • فأيَّ قَيِّ بَسَدِ الخصبِ تَزِيدُ !  
 فما جازَه جودٌ ولا حَلَّ دونه • ولكن يصير الجودُ حيث يصير  
 قَيِّ يشتري حسنَ الثناء بِماله • ويسلم أُنْبُ الثَّائِرَاتِ تَكْوُرُ  
 ولم تَرَحْنِي سُدَّتَا مِثْلَ سُوْدَيْدٍ • يَحِلُّ أبو نصرٍ به ويسير  
 وأطرق حَيَاتُ البلادِ حُلِيَّةً • خَصِيصِيَّةُ التَّصَمِيمِ حِينَ تُسَوِّرُ<sup>(١)</sup>  
 سموت لأهل الجورِ في حالِ أَمْنِهِمْ • فاحضُرَا وكنَّ في الوَثَاقِ أَسِيرُ  
 إذا قام غَتَّةُ على السَّاقِ حُلِيَّةً • لها خَطْوُهُ عِنْدَ القِيَامِ قَصِيرُ  
 فمن يَكُ أَمْسَى جَاهِلًا بِمَقَالِي • فان أميرَ المؤمنينَ خَيْرُ  
 فما زِلْتُ تُؤَلِّيه النصيحةَ يافعا • إلى أن بدا في العارضينَ قَسِيرُ<sup>(٢)</sup>  
 إذا قاله أَمْرٌ فَأَنَا كَقِفَّتِهِ • وإما عليه بالكِفَاءِ تُسِيرُ  
 إليك رمت بالقومِ هُوجٌ كَأَمَّا • جاجها تحت الرِّحالِ قَبُورُ  
 رحلن بنا من حَقْرَقُوفٍ<sup>(٣)</sup> وقد بدا • من الصبحِ مفتوحُ الأديمِ شَهِيرُ  
 فما تَجَلَّتْ بِالماءِ حتى رَأَيْتُهَا • مع الشمسِ في عَيْنِ أَبَاغٍ تَقُودُ<sup>(٤)</sup>  
 ونَحْمَرُنْ من ماءِ النقيبِ بِسُرِيَّةٍ • وقد حان من ديكِ الصَّباحِ زَمِيرُ  
 وواقَيْنَ إشرافًا كَأَنَّسٍ تَدْمِي • وهنَّ إلى رُضْنِ المَدَنِ صُورُ<sup>(٥)</sup>  
 يؤمِّنُ أهلُ النُّوطَيْنِ كَأَمَّا • لها عند أهلِ النُّوطَيْنِ تُوُورُ  
 وأصبحنَ بالجلولانِ يَرْحُفُنَّ حَفْرَها • ولم يبق من أجزاحهنَّ سُطُورُ  
 وقاسَيْنَ لَيلًا دونَ يَسَانٍ لم يَك • سَنَا صَبِيحَهُ لِلناظِرِينَ بُنِيرُ  
 وأصبحنَ قد فُوزْنَ من نَهْرِ فطرس • وهنَّ عن البيتِ المقدسِ زُورُ<sup>(٦)</sup>

(١) سُود : تَب • (٢) القير : التَّيْب • (٣) حَقْرَقُوف : اسم موضع .

(٤) تَجَلَّتْ : عَرَفَتْ .

(٥) صُور : مَالِكات • (٦) يَرْحُفُنَّ : يَكْسِرْنَ • (٧) زُور : يَجْعُ زُورًا بِمَعْنَى مَافِيهَا .



طوالب بأرجل غرة هاشم \* وفي القوما من حاجن شقود<sup>(١)</sup>  
 ولما أتت فسطاط مصر أبابرها \* على رصعها أن لا تزال جسمي  
 من القوم بسام كأف جيبه \* سنا النجر يسرى ضوؤه وينير  
 زها بالحبيب السيف والريح في الوعى \* وفي القسطن وهو يسر وسرير  
 جواد إذا الأيدي كففت عن الهدى \* ومن دون عورات النساء غيور  
 له سلف في الأعين كأنهم \* إذا استوفنوا يوم السلام يدور  
 وإن جدير إذ بلغتك بالني \* وأنت بما أملت منك جسمي  
 فان تولي منك الجبيل فأهله \* وإلا فاني عاذر وشعور

وقال يمدح العباس بن الفضل بن الربيع وأجاده :

ساد الملوكة ثلاثة ما منهم \* إن حصنوا إلا أعز قريح  
 ساد الربيع وساد فضل بمنه \* وعلت عباس الكرم فروح  
 عباس إذا احتدم الوعى \* والفضل فضل والربيع ربيع

وقال يثيب عمر الوراق :

يا من جفاني وملا \* نسبت أهلا ومهلا  
 ومات مرحبنا \* رأيت مالي قسلا  
 اني أظنك تحكي \* فيما فعلت القيرى<sup>(٢)</sup>  
 تنه في الشرينائي \* وفي الرخا يتحلل

وله في عزة النفس :

ومستعير إخوانه يتآناه \* لبست له حكة أبرد على الحكة  
 إذا خمتني يوما وإياه تحفل \* يرى جاني وهما يزيد على الوعر

(١) جمع شقرو وهو الأمر المصق بالقلب المهم له .

(٢) القزل : كان جدير وكان لا يسع لأحد شيئا إلا جاءه فيه وداعه ولا يظف من طعام لأحد ، وإذا سمع

بضمرة لم يقرب ذلك ، فغضب به الكل حتى قيل لعمر من طيور مكة هي عليه : القزل .

أخافه في شكله وأجره • على المنطق المبرور والنظر الثَّور  
وقد زادني تيمًا على الناس أني • أرائني أغلهم وإن كنتُ ذا قُور  
فواقه لا يُبدي لسان بلأجة • إلى أحد حتى أغيب في قبوري  
فلا يعلمن في ذلك متى طامع • ولا صاحب الحاج المحجب في القصر  
فلو لم أُرثَ نَفراً لكانت صياقي • عن الناس حسبي من سؤال من القُصر  
دخل أبو نواس بعد ما نسك على قوم من إخوانه عندهم شرابٌ ومغنٌ، فعرضوا عليه  
الجلوس فأبى، وأخذ الدواة والقرطاس وكتب :

إنا لم تنه هسك عن هواها • وتُحسِّن صونها فإليك عني  
فاني قد شِيتُ من المعاصي • ومن إدمانها وشِيتُ مني  
ومن أسوا وأقع من لبِيب • يرى مطلقاً في مثلي سني  
ومن شعر أبي نواس :

عني المصل وأقوت الكُتُب • مِنِّي فالمربدان فاللهب  
منازلٌ قد عَمَرْتُهَا يَمَعًا • حتى بدا في عِذارى الثُنبُ  
في خيبة كالسيوف هَزَمُهم • شَرَحُ شباب وزانهم أدب  
ثم أراب الزمان فاقسموا • أيدي سباً في البلاد فانسعوا  
إن يُخلف القمر مثلهم أبدا • على هيمات شائهم عجب  
لما تيقنتُ أن رَوْحَهم • ليس لها ما حيثُ متقلب  
أبليت صبرا لم يئله أحد • واقسمتني مآربٌ شُعب  
لذاك أتى إذا رُزئتُ أحًا • فليس يبنى وبينه قَبْ  
فَطَرِلَ مَرَبِي ولى بَقَرَى ال • كَرِجَ مَصِيفٍ وأُمَى اللَّيْبُ  
تَرْضَى دَرَّها وتُحَمِّسُنِي • بَطَلْها والمَجِيرُ يَتَهَبُ  
إذا تَنَهَّ النَّصُورُ جَلَّي • فَيَنانُ ما في أديمه جَرَبُ

(١) التينان : الغزل الكثيف ، والجرب ، أى لا خال فيه .

تَبَيَّتْ فِي مَاتَمٍ حَامِمِهِ ■ كَمَا تَرَأَى الْقَوَائِدُ السُّبُ  
يَهْبُ شَوْقِي وَشَوْقُهُنَّ مَعَا ■ كَأَنَّمَا يَسْتَحْضُنَا الطَّرَبُ  
فَقَعْتُ أَحْبُوبِي الرِّضَاعَ كَمَا ■ تَحَامِلُ الْفُطْلُ مَعَ السَّعْبِ  
حَتَّى تَحْمِرَتْ بِلَتَ دَسَكْرَةٍ ■ قَدْ عَجَمَتْهَا السُّنُونُ وَالْجَفْبُ  
هَكَكْتُ عَنْهَا وَاللَّيْلُ مَعَكُ ■ مَهْلَهْلُ النَّجْمِ مَالَهُ هُذْبُ  
مَنْ نَسِجَ نَرَقَاهُ لَا تُسَدِّدُهَا ■ أُخْيَةِ فِي الرِّقَى وَلَا طَنْبُ  
ثُمَّ تَوَجَّعْتُ خَصْرَهَا بَسَابَا ■ بِأَشْفَى بِلَاءَاتٍ كَانَتْهَا لَهْبُ  
فَاسْتَوَسَّقِ الشَّرْبُ لِلنَّهَامِ وَاجِدُ ■ رَاهَا عَلَيْنَا الْجَبِينُ وَالْقَرَبُ<sup>(١)</sup>  
أَقُولُ لِمَا تَحَايَا شَيْبَا ■ أَتَيْتُهَا لِقَشَائِهِ الذَّهَبُ  
هِيَ سَوَاءٌ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمَا ■ أَنَّهُمَا جَامِدٌ وَمُنْجَكِبُ  
مُلْسٌ وَأَمْتَالُهَا عَفْرَةٌ ■ صُورٌ فِيهَا الْقُوسُ وَالْعُصْبُ  
يَتَلَوْنَ بِحِجْلِهِمْ وَفَوْقَهُمْ ■ سَاءَ نَمِيرٍ يَحْمُوهَا حَبُ  
كَانَتْهَا لَوْلَا بُدَّدَهُ ■ أَيَّدَى صَدَارِي أَنْفَضَى بِهَا اللَّبُ

وهي جيد شعره قوله لما منعه الأمين من شرب الخمر، وذلك أن المأمون أمر الخطباء  
بخراسان أن يسيروا الأمين بشعر أبي نواس ويقولوا هو جلسه وتدينه وينشدوا على المنابر  
شعره، ففعله الأمين فقال :

غَنَّا بِالطَّلِيلِ كَيْفَ يَكُنَا ■ وَأَسْقَيْنَا نَطْلِكَ التَّنَاءَ الثَّمِينَا  
مَنْ سُلَّافٍ كَأَنَّهُ كُلُّ طَيْبٍ ■ يَخْتَلِي خَيْرَ أَنْ يَكُونَا  
أَكَلُ النَّمْرِ مَا تَجَسَّمُ مِنْهَا ■ وَتَبَقَّى لِبَائِهَا الْمَكُونَا  
ثُمَّ تَجَبَّتْ فَاسْتَضَحَّتْ عَنْ لَذَائِكُ ■ لَوْ تَجَفَّنَ فِي يَدِ لَاقِتِينَا  
وَإِذَا مَا لَمَسَتْهَا قَهِيَاءُ ■ تَمَنَّعَ الْكَفَّ مَا يُبَيِّحُ الْعِيُونَا

فِي كُؤُوسٍ كَانَتْ تُجْمُومُ • جَارِيَاتٌ رُوجُهَا أَيْدِيَا  
 طَالِمَتٌ مِنَ الْبَقَاةِ عَلَيْنَا • فَلَمَّا مَا غَرَبْنَ يَغْرِبْنَ فِينَا  
 لَوَرَّى الشَّرَبِ حَوْلَهَا مِنْ بَيْدٍ • قَلَّتْ قَوْمٌ مِنْ قِرَّةٍ يَصْطَلُونَا  
 وَغَزَا لِي يَدِيرُهَا بَيْتَانِ • نَاعِمَاتٍ يَزِيدُهَا الْعُسْرُ لِينَا  
 ذَاكَ عَشٍّ لَوْ دَامَ لِي فَيْرَاقِي • عِفَّتُهُ مَكْرَهَا وَخَفَّتْ الْأَمِينَا  
 أَدِيرَ الْكَاسِ حَانَ أَنْ تَسْقِينَا • وَأَنْقَرِ السُّودَ إِنَّهُ يُلْهِنَا  
 وَدَعِ الذِّكْرَ الطَّلِيلَ إِذَا مَا • دَارَتِ الْكَاسُ بِسِرَّةٍ وَبَعِينَا

ومن قول أبي نواس يمدح العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر:

غَرَّدَ الْبَيْكُ الصُّبُوحُ • فَاسْقِنِي طَابَ الصُّبُوحُ  
 اسْقِنِي حَتَّى تَرَانِي • حَتَّى عِنْدِي الْقَيْحُ  
 قَهْوَةٌ تَذَكَّرُ نَوْحًا • حِينَ شَادَ الْفَلَكَ نَوْحُ  
 نَحْنُ نُخْفِيهَا وَيَأْتِي • طَيْبُ عَرَفٍ يَفْقُوحُ  
 فَكَانَ الْقَوْمُ تُنْهَى • بَيْنَهُمْ مَسْكٌ ذَيْبُحُ  
 أَنَا فِي دُنْيَا مِنَ الْعَبِ • لَسْ أَعْلَمُ وَأَرْوَحُ  
 هَاشِمِيُّ عَبْدِي • عِنْدَهُ يَفْلُو الْمَدِيحُ  
 لَمْ أَلْجُودْ كِتَابُ • يَمِينُ عَيْنِهِ يَلُوحُ  
 كُلُّ جَوْرِ يَا أَمِيرِي • مَا خَلَا جُودَكَ رِيحُ  
 إِنَّمَا أَنْتَ عَطَايَا • أَبَدًا مَا تَسْتَرْجِي  
 نَحْنُ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا • مِنْكَ يَتَكَوَّمُ وَيَصِيحُ  
 مَا لِهَذَا أَحَدٌ فَنُو • قَدْ يَدِيهِ أُرْتَصِيحُ  
 جُنْتُ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى • قَبِلَ مَا هَذَا صَحِيحُ  
 فَهُوَ بِالْمَالِ جَوَادُ • وَهُوَ بِالْعِرْضِ شَجِيحُ  
 مُسَوِّرَ الْجُودِ مَثَلًا • وَلَهُ الْعِبَاسُ رُوحُ

قال محمد بن هُيَيت : لقبت أبا نُوَاسٍ بسكرٍ مُكْرَمٍ قلت له : أحب أن تشدني من  
شرك شَيْطَانٍ قَضَى به علي غيْرِي ، فأتشدني :

يَكْفِي الكَرَمَ مِنَ الكَلَا • م لمن يملأه أَقْلُهُ  
والثِيءُ شَيْءٌ لَمْ يَزَلْ • بادقْه يَأْتِ أَجْلُهُ  
إِنْ لَمْ يُصَبِّكْ مِنَ الكَرِي • سِ المُرُوبِ إِلَيْهِ فَكُلُهُ  
يُتْدِي مَكْرَمُهُ كَمَا • يُتْدِي فِرْقَةُ السَّيْفِ سَلُهُ  
وَالنَّذْلُ يُوْرِقِعُ قَسَهُ • مَتَمِّدًا فَيَا يُذِلُّهُ  
وَالْمَرْءُ يَكْرِمُ قَسَهُ • بِالصَّفْحِ عَنِ لَأْيِهِ

وقال أبو نواس يمدح الأمين :

صَبَّحْتُ عَلَى الْأَمِينِ ثِيَابَ مَدَى • فَكُلُّ النَّاسِ حَسَنٌ وَأَسْتَجَادَا  
وَلَوْلَا فَضْلُهُ مَا جَادَ شِعْرِي • وَلَا أُعْطِيَتِ الْفِطْرُنُ الْيَّاسِدَا  
وَقَالُوا قَدْ أَجِدْتَ قُلْتُ إِنِّي • وَجِدْتُ الْقَوْلَ يَمْكُنِي بِفَادَا

ومن شعراته :

ذَكَرَ الصُّبُوحَ بِسُحُورَةٍ قَارَتَا • وَأَمَلُهُ دَيْكُ الصَّبَاحِ صَبَا  
أَوْقَى عَلَى شَرْفِ الْجِدَارِ بُدْقَةً • غَرَدًا يَصْفُقُ بِالْجَنَاحِ جَنَاحَا  
فَأَذَرَ صِبَاكَ بِالصُّبُوحِ وَلَا تَكُنْ • كَسُوفَيْنِ قَدُوا عَلَيْكَ شَحَا  
إِنَّ الصُّبُوحَ جِلَاءُ كُلِّ مَخْر • بِلَوْنِ يَدَاهِ بَكَاسِهِ الْإِضْبَا  
وَيَنْدِينِ لَتَلَاتٍ مَعْلٍ صَاحِبٍ • قَتَلْتُ مِنْهُ فَكَلَمَةً وَمَرَا  
نَهْنَاهُ وَالْبَيْلُ مَلْهَسٌ بِهِ • وَأَزْنَحْتُ عَنْهُ نَمَاسَهُ قَارَتَا  
قَالَ ابْنُ الْمُبَارِقِ ، قُلْتُ لَهُ أَتَيْدُ • حَسْبِي وَحَبْلُكَ ضَوْكُهَا مَصْبَا  
فَسَكَبْتُ مِنْهَا فِي الزَّجَاجَةِ شَرْبَةً • كَانَتْ لَهُ حَسْبِي الصَّبَاحُ صَبَا

من قهوة جادتك قبل مزاجها • عطلاً فالهسا المزاج وشاحا  
شك الزل فؤادها فكأنها • أهدت لك بريحها عفا  
صفراء تهرس النفوس فلا ترى • منها بين سوى الشبات جراحا

ومنها :

لا تبك ليل ولا تطرب الى هند • واشرب على الورد من حراء كالورد  
كأما اذا احدثت في حلق شاربها • أجدته حمرتها في العين والحد  
فانخر يا قوته والكأس لؤلؤة • من صكف لؤلؤة عشقة القند  
تسبك من طرفها حمرا ومن يدها • حمرا فاك من سكرين من بد  
لى نثوثان وللتدمان واحدة • شيء خبضت به من دونهم وحدي

كان الأصمعي يفضل أبا نواس على شعراء زمانه بهذه القصيدة :

أما ترى الشمس حلت الحملأ • وطلب وقت الزمان واعتدلا  
وغنت الطير بعد غنمتها • واستوفت النحر حولها كلاً  
واكتست الأرض من زخايرها • ونشئ ثياب تحال له حلاً  
فاشرب على جنة الزمان فقد • أصبح وجه الزمان مقبلاً  
من قهوة تذهب الموم فلا • أرقب فيها السلام والمذلاً  
كرخية ترك الطويل من اليد • ش قصيراً وتبسط الأملأ  
تلمع لمع السراب في قدح ال • قوم اذا ما حباؤها انصلا  
يقول صرف اذا مزجت له • من لم يكن للكثير محملاً  
فسق هذا بقدر طاقته • وأحمل على ذا بقدر ما احتملا  
نجنأ بشيين من طبايعها • حسني وطيب ترى به المتلا

كان أبو نواس لا يُشغِد شيئا من شعره إلا أشد هذه القصيدة :

وَحِمَّةٌ فَأَطُورُ بِرَأْسِ مُنِيفَةٍ • تَهْمُ بِدَا مِنْ رَامَهَا بِزَيْلِ (١)  
 إِذَا عَارَضَتْهَا الشَّمْسُ فَأَهْ ظِلَالُهَا • وَإِنْ وَاجَهَتْهَا أَذْنَتْ بِدُخُولِ  
 حَطَلُنَا بِهَا الْأَهْمَالُ قُلَّ هَجِيرَةٍ • عُبُورِيَّةٌ تَذَكِّي بِغَيْرِ قَبِيلِ  
 تَأْتَتْ قَلِيلًا ثُمَّ فَاءَتْ بِمَلَقَةٍ • مِنَ الظَّلِّ فِي رَتْ الْأَيَّامِ ضَلِيلِ  
 كَأَنَّا لَمِنَهَا يَنْ عَطَقَتْ نَسَامَةٍ • جَعَا زُورُهَا عَنْ مَبْرَكِ وَمَقِيلِ  
 حَبَّتْ لِأَهْمَابِي بِهَا دِرَّةُ الصَّبَا • بِصَبَاٍ مِنْ مَاءِ الْكُورِ شُمُولِ  
 إِذَا مَا أَنْتَ دُونَ الْإِلَهَاءِ مِنَ الْفَقَى • دَعَا هُمُ مِنْ صَدْرِهِ بِرَحِيلِ  
 فَلَمَّا تَوَقَّى الشَّمْسَ جَنَحَ مِنَ الدُّجَى • تَضَايَعَتْ وَأَسْجَعَلَتْ غَيْرَ جَمِيلِ  
 وَطَاطَيْتُ مِنْ أَهْوَى الْحَلِيَّتِ كَابِدَا • وَذَلَّتْ صَمْبًا كَانَتْ غَيْرَ ذَلِيلِ  
 فَفَقَى وَقَدْ وَصَلْتُ يُسْرَى خَدَّهُ • أَلَا رُبَّمَا طَالِبْتُ غَيْرَ مُنِيلِ  
 وَأَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بِمَقْوَى مُسَاعِدِ • وَإِنْ كَانَ أَذْنَى صَاحِبِ وَخَلِيلِ  
 وَأَصْبَحْتُ أَلْمَى السَّكْرَ وَالسَّكْرَمِينَ • أَلَا رُبَّ إِحْسَانٍ عَلَيْكَ تَقِيلِ  
 كَفَى حَزَنًا أَنْ الْجَوَادُ مَقَرُّ • عَلَيْهِ وَلَا مَعْرُوفٌ عِنْدَ بَيْمِيلِ  
 سَأَيْتُنِي الْفَقَى إِمَّا جَلِيسَ خَلِيفَةٍ • يَقُومُ سِوَاهُ أَوْ خِيفَ مَسِيلِ  
 بِكُلِّ فَتَى لَا يُسْتَطَارُ جَنَانُهُ • إِذَا نَوَّهَ الرِّخَابُ بِاسْمِ قَبِيلِ  
 لَتَخْسِمَ مَالَهُ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ • أَيْ يُلْنِيهِ لِلطِّيَّاتِ أَكْوَلِ  
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ عَوْنٌ عَلَى النَّدَى • وَلَيْسَ جَوَادٌ مَقَرُّ كَجَبِيلِ

(١) الطائور : حافظ النخل والكرم والفروع وفي البايغ : الطائر والطور بالهاء المهملة حافظ الزرع ، من كلام أهل السواد وليس يجرى بعض . (٢) الزليل صدر كالزليل . (٣) أى منزى حائرة ، وهجورية نسبها إلى الشعرى البهري وأيام طلوعها أيام الحر الشديد . (٤) يبنى الشمس ، أى توقفت في البحر عند زوالها . وقامت بمقفة ، أى دخلت عليهم من تلك الخمية الملقبة التى ثبتت على الأبناء الضعيفين القصب الارتفاع فلم تغر الشمس عليهم لم تمنعهم الخمية بغير قوتى فيصير ظلا ولكنه شمس وظل ، فثبتت بالمنقوش من الظن ، أى المزورج .

فإن استريد أشد هذه القصيدة الأخرى :

كان الشباب مطية الجهل • وعسن الضحكات والمزَل  
 كان الجلال إذا أرميت به • ومثيت أخطر صيت النمل  
 كلف البليغ إذا ظقت به • وأصاحت الآذان للُملي  
 كلف المشفق في مآربه • عند الفتاة ومدرك التَّبل  
 والآمرى حتى إذا عزمت • قفى أغان يدي بالفمِل  
 فالآن صرتُ إلى مقاربة • وحططت عن ظهر الصَّبارِ حِل  
 والراح أمواها وإن رزأت • بلغ المماس وقلت فضيل  
 صفراء مجدها مرآزُها • جلَّت عن النظرِ والمثيل  
 ذُكرت لآدم قبل خفقه • فقلتمته بمُخلوة القَبيل  
 فأتاك شيء لا تلاسه • إلا بحسن خريزة العقل  
 قُرود منها العين في بئر • حر الصيفعة فاصع مَبيل  
 فلذا علاها الماء البها • حياء شية بجلال الجهل  
 حتى إذا سكنت جوارحها • خطت بمثل أكارع القمل  
 خطين من شئ وجمع • ففيل من الإجمام والشكل  
 فاصذر أخاك فإنه رجل • مرث مسامحه على العدل

ومن طيب شعره، والشطر الأول من القصيدة لفظ ابن التينة :

أطأكل ما حل وجهي قُصوم • ولا عرَضى لأولى من يَـسُوم  
 غمَّنى حل الفتان ألى • أيت فلا ألام ولا أَلوم  
 أطأكل إن يكن بردى رثا • فلا يملك بينهما كريم  
 شَفقت من الصبا واشتق منى • كما اشتقت من الكرم الكُـرُوم  
 فلت أَسُومَ للفتات قفى • مياومة كما دفع النـرم



ومتصلي بأبواب المآلى • له فى شكل مكرمة قديم  
 رفضت له النداء بتم نفعها • وقد أخذت مطالها النجوم  
 بتفدية زلال النفس فيها • وتحنن الحذولة والسموم  
 فقام وقت من أخوين هاجبا • على طرب وليلها بوسم  
 ابن الرق وهو يحز رجلا • يحور به الناس ويستقيم  
 سلب التمدان ما أولفه منها • وسلفها ما احتوى منها الكريم  
 كلا الشخصين متصيف ولكن • قضت وطرا ونا منها سقيم

وقال :

إني صرفت الهوى الى قير • لم يتفله العيون بالنظر  
 اذا تأمله تماطلك آل • بإقرار أنه من البشير

ومن قوله :

يا شقيق النفس من حكم • نمت عن لبلى ولم أتم  
 فاستغنى البكر التي أختمرت • بخمار الشهب فى الرحم  
 نمت أنصت الشباب لما • بعد ما جازت مدى الحرم  
 فهى لليوم السقى زلت • وهى تربى النحر فى القدم  
 عفت حتى لو اتصلت • بلسان ناطق وقم  
 لا تحتب فى القوم مائلة • ثم قصت قصة الأمم  
 فوحتها بالمزاج يد • خلقت السيف والقلم  
 فى ندى سادة زهير • أخذوا اللذات من أتم  
 فحمت فى مفاصلهم • كتمتى البرء فى السقم  
 فطعت فى البيت اذ مزجت • مثل فصل الصبح فى الظلم  
 فاجتدى سارى الظلام بها • كاهنء السفر بالعلم

ومن طُرْدِيَّاتِ ابْنِ نَوَاسٍ فِي صِفَةِ الْكَلْبِ :

أَمَتْ كُلًّا أَهْلَهُ مِنْ كَدِّهِ • قَدْ سَعَيْتُمْ جُدُودَكُمْ بِحَدِّهِ  
فَكُلَّ خَيْرٍ عَنَدَكُمْ مِنْ حَيْدِهِ ■ وَكُلَّ رِفْدٍ نَالَكُمْ مِنْ رِفْدِهِ  
يُظَلُّ مَوْلَاهُ لَهُ كَبِيدِهِ • بَيْتُ أَذْنٍ صَاحِبٍ مِنْ مَهْدِهِ  
وَلَا يَنْ عَرَى جَلَّهَ بِبَرِيدِهِ • نَا غُصْرَةٍ عَجَلًا بِرِيدِهِ  
تَلَدُّ مِنْهُ الْبَيْتُ حَسَنَ قَدِّهِ ■ يَا حَسَنَ شِدْقِيهِ وَطَوَّلَ قَدِّهِ  
فَلَقَى الطَّبَاءُ عَسَا مِنْ طَرْدِهِ • يَنْتَرِبُ كَأَسَا شُدَّهَا مِنْ شَدِّهِ  
• يَا لَكَ مِنْ كَلْبٍ نَسِجَ وَحِيدِهِ •

### أَبُو نَوَاسٍ وَجَنَانُ

قال أبو الفرج: كانت جَنَانُ هذه جارية آلِ عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، وكانت حلوة جميلة المنظر أدبية، ويقال: إن أبا نواس لم يصدق في حب امرأة غيرها، وقيل له يوما إن جنان قد عزمتم على الحج، فكان هذا سبب حبه وقال: أما والله لا يفوتني المسيرُ معها وأجج عاين هذا إن أقامت على عزيمتها، وقال وقد حج وعاد:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَفْنَيْتُ عَمْرِي • بِمَطْلِبِهَا وَمَطْلِبُهَا عَمِيرُ  
فَلَسَا لَمْ أَجِدْ سَبِيلًا إِلَيْهَا • يَقْرَبُنِي وَأَعْيَتُنِي الْأُمُورُ  
فَجَحَّجْتُ وَقُلْتُ قَدْ جَحَّجَتْ جَنَانُ • فَيَجْمَعُنِي وَإِيَّاهَا الْمَسِيرُ

قال من شهده حين حج مع جنان وقد أحرم: لما جنة الليل جعل يلبي بشعر ويحلو به ويطرب، ففني به كل من سمعه وهو قوله:

الْمَنَا مَا أَعْدَاكَ • لَيْلِكَ كُلٌّ مِنْ مَلَكٍ  
لَيْلِكَ قَدْ لَيْتُ لَكَ • لَيْلِكَ إِنْ لَحَدَاكَ  
وَالْمَلَكُ لَا شَرِيكَ لَكَ • وَاللَّيْلُ لِمَا أَنْ حَلَاكَ

والساجدات في الفلك \* على مجاري المسلك  
 ما خاب جدد أمك \* أنت له حيث سلك  
 لولاك يا رب هلك \* كل نبى وملك  
 وكل من أهل لك \* سجد أو لبى فلك  
 يا غطك ما أغضك \* عجل وبادر أجلك  
 واختم بخير عملك \* ليك ان الملك لك  
 والحمد والعمه لك \* والعز لا شريك لك

وفيها يقول :

جئن عيني قد كاديس \* قطع من طول ما اختلج  
 وفؤادي من حرج \* لك والمجير قد نفع  
 خبرني فسدك قد \* حى وأهل مني القسرج  
 كان ميعادنا نرو \* سج زياد قد خرج  
 أنت من قبل طائذ \* بك في أضيق المسرج

قال الأصفهاني : قال محمد بن ابراهيم بن كثير الصوفي : دخلنا على أبي نواس نتودده  
 في علته التي مات فيها ، فقال له علي بن صالح الهاشمي : يا أبا علي ، أنت في أول يوم من أيام  
 الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ، وبينك وبين الله عز وجل هنأت ، قُب إلى الله عز وجل ،  
 فيكي ساعة ثم قال : سائتوني سائتوني ، ثم قال : أَخَوْف بالله عز وجل وقد حدثني حماد  
 ابن مسلم عن زيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صل الله عليه وسلم :  
 " لكل نبى شفاعته وإنى اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمي يوم القيامة " أقراني  
 لا أكون منهم ؟

ومن قوله في مرض موته :

دَبَّ فِي السَّقَامِ عُلُوًّا وَسُقْلًا ■ وَأَرَانِي أَمُوتُ عُضْوًا مُعْضِرًا  
 لَيْسَ تَمِضُ مِنْ لِحْظَةٍ بِي إِلَّا ■ تَقْصِي بَمَرِّهَا فِي بَرْوَا  
 ذَهَبَتْ يَدَيَّ بِحَاجَةٍ تَعْسَى ■ وَتَطْلُبُ طَاعَةَ اللَّهِ نَفْسُوا  
 لَمْ تَفِ نَفْسِي عَلَى لَيْلٍ وَأَيَا ■ مَ تَجَاوِزُهَا لَيْلًا وَلَمْ تَوْأَا  
 قَدْ أَصَانَا كُلَّ الْإِسَاءَةِ فَالِد ■ هُمْ صَفَعْنَا عَنْهَا وَغَفَرُوا وَغَفَرُوا

ثم قال :

شِئْرِي أَتْلُكَ مِنْ لَفْظٍ مَيِّتٍ ■ صَارِيْنِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَقَفَا  
 قَدْ بَرَّثَ جِسْمَهُ الْحَوَادِثُ حَتَّى ■ كَادَ عَنْ عَيْنِ الْخِلَاقِ يَمُوتُ  
 لَوْ تَأَمَّلْتَنِي لَتُبْصِرَ وَجْهِي ■ لَمْ تَبْنِ مِنْ كِتَابِ وَجْهِي حَقًّا  
 وَلَكَزَّزْتَ طَرَفَ عَيْنِكَ فِيمَنْ ■ قَدْ بَرَّاهُ النِّقَامُ حَتَّى تَعْفَى

وكان عمر أبي نواس تسعا وعشرين سنة ، وكانت وفاته قبل دخول المأمون مدينة

السلام بست سنين (سنة ١٩٨) .

٢ - العتّابي<sup>(١)</sup>

قال أحد بن سهل: تناكرنا شعر العتّابي فقال بعضنا: فيه تكلف، ونصره بعضنا،

فقال: شيخ حاضر، ويحك! أيقال إن في شعره تكلفا وهو القائل:

رُسِّلَ الضميرُ إليك تَنَرَّى • بالشوقِ ظالِمةً وحسَرَى

مترجِّيات<sup>(٢)</sup> ما يَلِيه • نَعلُ الوَجانِ مَدمَمَرَى

ما جَفَّ للعَيْنِ بَر • لَمَلِكٍ يَاقِرٍ بِالعَيْنِ جَمَرَى

فَأَسْلَمَ سَلِمَتَ مَبْرَأ • مِنْ صَبَوَى أَيْدَا مَعَرَى

(١) هو ككلم بن عمرو بن أيوب العتّابي النبطي من ولد عتاب بن أسيد ثم من بني قطب بن وائل، شاعر مترسل بلغ مبلغ مصنف في فنون الشعر مقدم، من شعراء الدولة العباسية، وكان منقطعا إلى البراءة كما وصفوه الرشيد ووصلوه به، فبلغ عنده كل مبلغ وعظمت فوائده منه.

وكان حسن الاعتدال في شعره ورسائله وله مصنفات في المنطق والأدب والفقه وكان يتم في رأس عين يهدأ عن دور الخلفاء والأمراء. وبلغ الرشيد فصيحة قالها فأعجب بها فطلب إخطامه إليه بلاء. وما به قيس فليظ وفروة وحنف، وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل، فلما رجع أخبر بقدره إلى الرشيد أمر بأن تهرش له هجرة وتقام له وظيفة فقبلوا، فكانت المهمة إذا فُتحت إليه أخذتها رفاقة ولطفا وغلطا لهم بالمراب فأكلها، فإذا كان وقت النوم قام على الأرض، والتقدم يتفقدونه ويتبعون من ضله. وسأل الرشيد عنه فأخبروه فأمر بطرده فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد البجلي وهو في منزله فسلم عليه واتسب له فحرب به وقال له «ارتفع» فقال «لم أترك الجلوس» قال «لما حاجتك» قال «دابة أبلغ طبا إلى رأس عين» قال: يا غلام، أسطه الفرس الغلاف: فقال: لا حاجة لي في ذلك ولكن تأمر أن تشترى لي دابة أبلغ طبا: فقال لنعله: «أعص سه فأتبع له ما يريد» ففسي سه فشدل به البطي إلى سوق الحمر فقال الغلام: إنما أمرني أن أتباع لك دابة: فقال له: أنه أرسلك معي ولم يرسلني منك فإن علمت ما أريد ولا أقصر: ففسي سه فاشترى حمارا بمائة وخمسين درهما وقال: ادفعه إليه فجمه فدفعه إليه فركب الحمار صرا يبرحه طيه ويردعه وساقاه مكشوفتان، فقال له يحيى بن سعيد «فضحتي! أنزل يحمل منك على هذا!» فضحك وقال «ما رأيت قبلك يستعيب أكثر من ذلك» ومضى إلى رأس عين.

توفي سنة ٢٢٠ هـ وتجد أخباره في الأغاني (ج ١٢ ص ٢) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ١٣٧).

(٢) أي جملات بالقليل حتى يصل إلى الك.

إِنَّ الصَّبَابَةَ لَمْ تَدَعْ • مَتَى سَوَى عَظِيمٍ مُبَرَّى  
وَمَدَامِ عَبْرَى عَلَى • كَيْدِ عَيْلِكَ الْبَحْرَ حَرَى

أو يقال إنه متكلف وهو الذي يقول :

فَلَوْ كَانَ لِلشَّرِّ خَصْمٌ بَيْنَ • إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاطِرُ  
لَتَلَوَّاهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ • لَتَعْلَمُ أَنَّي أَمْرٌ شَاكِرُ

وَجَدَ الرَّشِيدُ عَلَى الْعَتَابِيِّ فَدَخَلَ سِرّاً مَعَ الْمُتَطَلِّعِينَ بِغَيْرِ إِذْنٍ، فَقَتَلَ مِنْ يَدَيْ الرَّشِيدِ وَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ أَذْنَيْتَنِي النَّاسَ لَكَ وَلِنَفْسِي فَيْكَ، وَرَدَدَنِي أَبْتِلَاؤُهُمْ إِلَى شَرِّكَ، وَمَا مَعَ تَذَكُّرِكَ قَنَاعَةِ بَغِيْرِكَ، وَلَيْتِمُ الصَّائِتُ لِنَفْسِي كُنْتُ لَوْ أَعَانَنِي طَلِيكَ الصَّبْرُ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :

أَخْضَعْنِي الْمَقَامَ النَّعْرَانِ كُلَّ غَرْنِي • سَنَا خُلِبَ أَوْ زَلَّتِ الْقَبَائِلُ  
أَحْرَكْنِي جَدَبَ الْمَعِيشَةِ مُقْتَرَاً • وَكَفَاكَ مِنْ مَاءِ النَّدَى تِكْفَانِ  
وَيَجْعَلُنِي سَهْمَ الْمَطَامِعِ بَعْدَ مَا • بَلَّلَتْ يَمِينِي بِالنَّدَى وَلِسَانِي

فَأَعْجَبَ الرَّشِيدَ قَوْلُهُ، وَخَرَجَ وَطِيَهُ الْخَلِجَ، وَقَدْ أَمَرَ لَهُ بِجَاهِزَةٍ .

كَلَّمَ الْعَتَابِيُّ بِمِجِي بِنِ خَالِدٍ فِي حَاجَةٍ بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ، فَقَالَ لَهُ بِمِجِي : لَقَدْ تَزَرَّ كَلَامُكَ الْيَوْمَ وَقُلْ، فَقَالَ لَهُ : وَكَيْفَ لَا يَقُلْ وَقَدْ تَكْفَتَنِي ذَلِكَ الْمَسْأَلَةُ وَحَيَّةُ الطَّلَبِ وَخَوْفُ الرَّدِّ؟ فَقَالَ : وَاقِعُهُ لَنْ قُلْ كَلَامُكَ لَقَدْ كَثُرَتْ فَوَائِدُهُ، وَقَضَى حَاجَتَهُ .

قَالَ بِمِجِي بِنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيُّ لَوْلَهُ : إِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَكْتَبُوا أَنْفَاسَ كُلِّ نَفْسٍ مِنْ عَمَرِ الْعَتَابِيِّ فَضْلاً عَنْ رِسَالَتِهِ وَشِعْرِهِ ، فَلَنْ تَرَوْا أَبَداً مِثْلَهُ .

وَقَفَّ الْعَتَابِيُّ بَابَ الْمَأْمُونِ يَلْتَمِسُ الْوَصُولَ إِلَيْهِ ، فَصَادَفَ بِمِجِي بِنِ أَكْثَمَ جَالِساً يَنْتَظِرُ الْإِذْنَ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَيْتَ أَعَزَّكَ اللَّهُ أَنْ تَذْكُرَ أَمْرِي لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دَخَلْتَ فَافْضَلْ، قَالَ لَهُ : لَسْتُ أَعَزَّكَ اللَّهُ بِحَاجَتِهِ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَاجِباً فَقَدْ يَفْعَلُ مِثْلُكَ مَا سَأَلْتُ ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَلَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ زَكَاةً، وَجَعَلَ زَكَاةَ الْمَالِ رِقْدَ الْمُسْتَعِينِ، وَزَكَاةَ الْجَاهِ إِفَاتَةَ الْمَلُوفِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَقِيلٌ لِكَرْبَتِكَ بِالْزِيَادَةِ إِنْ شَرِكْتَ ، أَوِ الْتَقْيِيرِ إِنْ كَفَرْتَ .

وإني لك اليوم أصلح منك لنفسك، لأنني أدعوك إلى ازدياد نعمتك وأنت تأتي، فقال له يحيى: أفضل وكرامة، ونخرج الإذن ليحيى، فلما دخل لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن استأذن للمأمون للتأني، فأذن له .

وقيل له: لو تزوجت، فقال: إني وجدت مكيدة العمة أيسر عليّ من الاحتيال لمصلحة الميال .

قال دجيل: ما حدثت أحدا قط على شعركا حسدت المتأني على قوله:

هبة الإخوان قاطمة \* لأنني الحاجات عن طلبه

فلذا ما هبت ذا أمل \* مات ما أملت من سببه

كان المتأني جالسا ذات يوم ينظر في كتاب، فتر به بعض جيرانه، فقال: أيش ينفع العلم والأدب من لا مال له؟ فأندب المتأني قوله:

يا قاتل الله أقواما إذا تحقروا \* ذا اللب ينظر في الآداب والحكم

قالوا وليس بهم إلا قاسته<sup>(١)</sup> \* أأنفع ذا من الإقار والعسقم

وليس يدرون ما الحظ الذي حرموا \* — لحاكم الله — من علم ومن فهم

ومن قوله أيضا:

لئن كانت الدنيا أمانك ثروة \* فاصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر

لقد كشف الإراء منك عجزا \* من اللوم كانت تحت ستر من العفر

وقال أيضا:

رحل الرجاء اليك مغتربا \* حشدت عليه نوابث الدهر

رقت اليك ندامتي أمل \* وشأ اليك عناءه شكوى

وجعلت حبك عتب موعظة \* ورجاء عفوك مني أمل

لما سعى منصور القمري بالتأني إلى الرشيد أخطأ عليه فطلبه، فسق جعفر بن يحيى

عنه بقة وجعل يستطفه عليه حتى استل ما في قسه وأمنه، قال يمدح جعفر بن يحيى:

ما زلتُ في غمرات المسوت مُطوّكاً • قد ضاق حتى فسح الأرض من حيلي  
ولم تزل دائباً تسي بطفك لي • حتى اختلست حياتي من يدَي أجيل  
عاد عبد الله بن طاهر وإسحاق بن إبراهيم بن مُصعب كلثوم بن عمرو العتّابي في صلاة  
أعقلها، فقال الناس : هذه خطيرة خطيرة ، فبلغ ذلك العتّابي ، فكتب إلى عبد الله بن  
طاهر :

قالوا الزيارة خطيرة خطيرة • ويحارّ ترك ليس بالخطر .

أجبل مقاتلهم بتانية • تستغد المعروف من شركي  
فلما بلغت أبياته عبد الله بن طاهر ضحك من قوله وركب هو وإسحاق فعاداه مرة  
ثانية .

كانت له امرأة من باهلة ، فلما مضى إلى رأس عين قالت له : هذا منصور القري  
قد أخذ الأموال خلق فساءه وبنى داره وأشترى ضياعاً وأنت ههنا كما ترى ، فأثا يقول :  
تلوم علي ترك العتي باهليّة • ذوى الفقر عنها كل طرف وناله  
رأت حولها التسوان يرغلن في الثرى • مقلدة أعاقها بالقلائد  
أسرك أنى تلت ما نال جعفر • من الميش أو ما نال يحيى بن خالد  
وأنت أمير المؤمنين أغصني • منقصهما بالمسرفات البوارد  
رايت وفيعات الأمور مشوبة • بمسودعات في بطون الأسود  
دعني تيمحي مبيتي مطمئنة • ولم اتجشم هول تلك الموارد

لما قديم العتّابي مدينة السلام على المأمون أذن له ، فدخل عليه وعنده إسحاق بن إبراهيم  
الموصل ، وكان العتّابي شيخاً جليلاً نبلاً ، فلم فردّ عليه وأداه وقوبه حتى قُرب منه ، فقبل  
يده ، ثم أمره بالجلوس بفلس ، وأقبل عليه يسأله عن حاله وهو يحبه بلسان ذائق طائق ،  
فاستظرف المأمون ذلك وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح ، فظن الشيخ أنه استغفبه به ، فقال :  
يا أمير المؤمنين على الإيمان قبل الإيماس<sup>(١)</sup> ، فاشبه على المأمون قوله فظن أن إسحاق استغفبه .

(١) الإباس : دمرة التائه إلى الحلب .



فأولما إليه وعَزَّه على معناه حتى فهم فقال: يا غلام، أَلَقَبَ دينار، فَأَتَى بذلك، فوضع بين يدي  
 التَّابِي وأخذوا في الحديث، وعَزَّه المأمونُ إِصْحاقَ بن إبراهيم عليه، فجعل التَّابِي لا يأخذ  
 في شيء إلا مارَّضه إِصْحاق، فبقي التَّابِي متعجبا، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أَتَأْذَنُ في سؤال  
 هذا الشيخ عن اسمه؟ قال: نعم سَلْ، فقال إِصْحاقُ يا شيخ، من أنت وما اسمك؟ قال:  
 أنا من الناس وأسمي كُلُّ بَصَلٍ، فتبسَّم التَّابِي وقال: أما أنت فعُروف وأما الاسم ففُتُكْر،  
 فقال إِصْحاق: ما أَقَلَّ إِصْصافك! أَتُكْرَن أن يكون اسمي كل بَصَلٍ، واسمك كلُّوْم، وكلُّوْم  
 من الأسماء، أو ليس البصل أطيب من الثوم؟ فقال له التَّابِي: لله دَرْك! فَا أَهْجَبُ،  
 أَتَأْذَنُ لي يا أمير المؤمنين في أن أصله بما وصَّيْتَنِي به؟ فقال المأمون: بل ذلك موافق  
 عليك وبأمر له بمثله: فقال له إِصْحاق: أما إِذ أَفَرَرْتَ بهذه فتَوَهَّيْتَنِي، فقال:  
 ما أَطْلُك إِلا إِصْحاقَ الموصِلَ الذي يَنْتَهِى اليَا خَبْرُهُ، قال: أنا حَيْثُ ظَنَنْتَ، وأقبل عليه  
 بالتيَّة والسلام، فقال المأمون: وقد طال الحديث بينهما - : أما إِذ قد أَتَفَقَّعْتَ على  
 الموقَّة فانصَرَفَا متناذِمين، فانصرف التَّابِي الى منزل إِصْحاق فأقام عنده .

قال عُمَانُ الوَرَّاق: رأيت التَّابِي يَأْكُلُ خَبْزًا على الطريق يساب الشام، فقلت له:  
 وَيَحْنُ! أما تستحي؟ فقال لي: رأيت لو كُنَّا في دارِها بَقَرْتُكَتَ تستحي وتحشم أن  
 تأكل وهي تراك؟ فقال: لا، قال: فاصبر حتى أعلبك أنهم بقر، فقام فَوَظَّ وقصَّ ودما  
 حتى كثر الزَّحَامُ عليه ثم قال لم: روي لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أَرْبَنَةً أَهْه لم يدخل  
 النار، فابقي أحد إلا أخرج لسانه يومئذ به نحو أَرْبَنَةٍ أَهْه ويصدَّره حتى يبلغها أم لا،  
 فلبس خُزُونًا قال لي التَّابِي: أَلَمْ أَخْبِرْكَ أنهم بقر؟

قال الفضل: رأيت التَّابِي بين يدي المأمون وقد أَسْرَ، فلما أراد القيام قام المأمون  
 فآخذ بيده واعتمد على الشيخ على المأمون، فلما زال المأمون يُبْهِضُهُ رويدا رويدا حتى أَقْلَهُ فَنَهَضَ.

وكتب كلثوم بن عمرو التالي الى صديق له يستجديه :

أما بعد - أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك الى رضوانه والجنة - فأنت كنت  
عندنا روضة من رياض الكرم، تبيع النفوس بها، وقستريح القلوب اليها، وكنا نضفيها  
من النجمة<sup>(١)</sup> استئاما لزهرتها، وشفقة على خضرتها، وأذخارا لثمرتها، حتى أصابتنا سنة  
كانت حندي قطمة من ميني يوسف اشتد علينا كلبها، وغابت قطنها، وكذبنا غيومها،  
وأخفتنا بروقها، وقدنا صالح الإخوان فيها، فالتجستك<sup>(٢)</sup>. وأنا بالتجاعي إليك شديد الشفقة  
عليك، مع علمي بأنك موضع الرائد<sup>(٣)</sup>، وأنت تتعلّى عين الحاسد. والله يعلم أني ما أملك  
إلا في حومة الأهل<sup>(٤)</sup>. وأعلم أن الكريم إذا استحيا من إعطاء القليل ولم يمكنه الكثير،  
لم يعرف جوده ولم تظهر هنته. وأنا أقول في ذلك :

إذا تكومت عن بذل القليل ولم • تقدر على سعة لم يظهر الجود

بث النوال ولا تمنك قلته • فكل ما سد ففرا فهو محسود

قيل فشاطره جميع ماله .

(١) النجمة : طلب الكلاء في موضعه . (٢) الكلب : التخط ولاء الشاء ومرض يصيب  
الكلاب . (٣) الرائد : الطالب . (٤) الحومة هنا : الجماعة والطاقمة .

٣ - دَعِيل<sup>(١)</sup>

شاعر متقدم مطبوع فجاء خيث اللسان، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذريتهم ولا ذريته أحسن إليه أم لم يُحسن، ولا ألفت منه كبير أو صغير.

وكان دَعِيل من الشيعة المشهورين بالميل إلى عل صلوات الله عليه، وقصيدته: «مدارس آيات خلت من تلاوة» من أحسن الشعر وفاتر المدايح المَقُولَة في أهل البيت عليهم السلام، وقصد بها أبا عبد الله بن موسى الرضا بخراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه وخلع عليه خُلعة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قم ثلاثين ألف درهم، فلم يَعمها قطعوا عليه الطريق فأخذوها، فقال لهم: إنها إنما أراد الله عز وجل وهي عزمة عليكم، فذهبوا إليه ثلاثين ألف درهم، فحلف ألا يديها أو يعطوه بعضها ليكون في كفته، فأعطوه فردكم، فكان من أكفائه.

قال إبراهيم بن المهدي للأُمون قولاً في دَعِيل يمزحه عليه؛ فضحك المأمون وقال: إنما تمزضني عليه لقوله فيك:

يا معشر الأجناد لا تَمُتُوا • وأَرْضُوا بما كان ولا تَسْخَطُوا  
فصوف تُطْطُونُ حَنِينَةً<sup>(٢)</sup> • يَلْتَمِها الأَمْرُدُ والأَقْمَطُ  
والمَقْبِدَاتُ<sup>(٣)</sup> تُقَوِّدُكُمْ • لا تدخل الكيس ولا تُرْطِ  
وهكنا يَرْزُقُ قَوَادَهُ • خَلِيفَةُ مُصَحِّفِ الْبَرَبِطِ

(١) هو دَعِيل بن علي بن رزين من نزاة، أصله من الكوفة وجاء بغداد يطلب من الرشيد. وهو شاعر مطبوع فجاء خيث اللسان، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا ذريتهم ولا أولادهم ولا ذريته أحسن إليه أم لم يُحسن، ولا ألفت منه كبير أو صغير، فكان الناس يتنافونه ويتقونه حتى المأمون فآذاه فجاءه شديداً واحتمل ذلك منه. توفي سنة ٢٤٦ هـ. وتجد أخباره في الأغان ج ١٨ ص ٢٩ وابن خلكان ج ١ ص ١٧٨ والشعر والشعراء ص ٣٩٩ وظهرت (ص ١٦١) - (٢) يريد أصواتاً منصوبة إلى حنين الحبري الخفي - (٣) يريد أصواتاً منصوبة إلى عبد الله الخفي.

قد ختم السك بأرزاقكم • وصحح العزم فلا تسخطوا  
بيعة إبراهيم مشعومة • يُقتل فيها الخلق أو يقتلوا

فقال له إبراهيم : فقد والله هلاك أنت يا أمير المؤمنين ؛ فقال : دع هذا عنك فقد عفوت عنه في هجائه إياي لقوله هذا ، وضحك . ثم دخل أبو عباد ، فلما رآه المأمون من بعد قال لإبراهيم : دعيك يحسر على أبي عباد في الهباء ويحجم عن أحد ! فقال له : وكان أبا عباد أبسط يدك يا أمير المؤمنين ؛ قال : لا ! ولكنه حديد جاهل لا يؤمن ، وأنا أعلم وأصفح ، والله ما رأيت أبا عباد مقيلا إلا اضحكني قول دعيك فيه :

أولى الأمور بفسية وفساد • أمر يدبره أبو عباد  
تحرق على جلسائه فكانهم • حضروا للحمية ويوم جلد  
يسطو على كتابه بدوانه • فاضمخ بدم وضع يداد  
وكانه من دهر قتل مفت • حرد يمز سلاسل الأقياد  
فاشدد أمير المؤمنين وثاقه • فاضمخ منه بقية الحساد  
وكان « بقية » هذا مجنونا في البهارستان .

قال أبو خالد الخزازي لدعبل : ويحك ! قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ووترت الناس جميعا ، فانت دهر كك شر د طريد هارب خائف ، فلو كفت عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك ! قال : ويحك ! انى ناملت ما تقول فوجدت أكثر الناس لا يتقنع بهم إلا على الربة ، ولا يبالي الشاعر وإن كان مجيدا اذا لم يتحف شره ، ولئن يتقنع على عرضه أكثر ممن يرغب اليك في تشريفه ، ويعوب الناس أكثر من محاسنهم ، وليس كل من شره شرف ، ولا كل من وصفته بالجد والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه أنتفع بقولك ، فانذاك أوجعت عرض غيره وفضحت آفأك وخاف من مثل ما جرى على الآخر ، ويحك يا أبا خالد ! إن الهباء المقذع أخذ بضيع الشاعر من المديح المضرع ، فضحك أبو خالد وقال : هذا والله مقال من لا يموت حتف أخيه .

كان سبب نروج دجيل من الكوفة أنه كان يتشطر ويصحب الشطار، فخرج هو ورجل من أتبعه فيما بين العشاء والعتمة، فلبسا على طريق رجل من الصيافة، وكان يروح كل ليلة بكيسه إلى منزله، فلما طلع مقيلا إليهما وثبا إليه بفرجاه وأخذ ما في كُتبه، فلذا هي ثلاث رُمات في خرقه، ولم يكن كيسه ليتخذ منه، ومات الرجل مكانه، وأسترد دجيل وصاحبه وجده أولياء الرجل في طلبهما وجده السلطان في ذلك، فطال على دجيل الاستئثار فاضطر إلى أن هرب من الكوفة، فلما دخلها حتى لم يبق من أولياء الرجل أحد.

قال أحمد بن خالد: كانوا يدار صالح بن حل من عبد القيس ببغداد ومعه جماعة من أصحابنا، فسقط على سطح البيت ديك طار من دار دجيل، فلما رأيناه قلنا: هذا صبيدنا، فأخذناه، فقال صالح: ما نصنع به؟ قلنا: نذبحه، فذبحناه وشوينا. وخرج دجيل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح، فطلبه منا بجصدناه وشربنا يومنا، فلما كان من الغد خرج دجيل فصلب الغداة ثم جلس على باب المسجد—وكان ذلك المسجد مجتمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء ويتأهون الناس—فجلس دجيل على باب المسجد وقال:

أَسْرَ الْمُؤَذِّنَ صَالِحٌ وَضِيؤُهُ • أَسْرَ الْكَيِّ هَذَا خِلَالِ الْمَاقِطِ  
بَشَوْا عَلَيْهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ • مِنْ بَيْنِ تَائِيَةِ وَأَخْرِ سَامِطِ  
يَتَنَازَعُونَ كَانَهُمْ قَدْ أَوْفَقُوا • خَافَانِ أَوْ هَزَمُوا قِبَالَ نَاصِطِ<sup>(١)</sup>  
تَهَشُّوهُ فَأَتَرَعَتْ لَهُ أَسَانُهُمْ • وَتَهَشَّمَتْ أَفْقَاؤُهُمْ بِالْحَالِطِ

فكتبها الناس عنه ومضوا، فقال لي أبي، وقد رجع إلى البيت: ويحك! ضاقت عليك المأكلة فلم تجعلوا شيئا تأكلونه سوى ديك دجيل! ثم أئندنا الشعر، وقال: لا تدع ديكا ولا دجاجة تخدر عليه إلا أشرت به إلى دجيل وإلا وقفتا في لسانه، ففعلت ذلك. قال أحمد بن أبي كابل: كان دجيل يشدني كثيرا هجاء له، فأقول له فيمن هذا؟ فيقول ما أستحقه أحدٌ بيته بعد، وليس له صاحب، فلما وجد على رجل جصل ذلك الشعر فيه وذكر اسمه في الشعر.

(١) فية من همدان، وأما جيل نزلوا به قسرا له.

كان دجبل يختفل الى الفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث، وهو حريجه  
وفهمه وأدبه، فظهر له منه جفاء وبلغه أنه يسيبه ويذكره وينال منه، فقال يهجو :  
يا يؤس للفضل لو لم يأت ما عابَه • يستغفرُ التَّمم من سماءِ قِرْصَانَه  
ما إن يزال وفيه العيبُ يجمعه • جهلا لأعراض أهل المجد عيَابَه  
إن طاب لم يصب إلا مؤدبه • وقصد طاب لما طاب أُنَابَه  
فكان كالكلب ضَرَّاه مَكَلَبَه • لنسره فصدا فاصطاد كَلَابَه  
كان دجبل يقول : ما كانت لأحد قط عندي مِنَّة إلا تمتَّت موته .

كتب دجبل الى أبي تَهْشَل بن حميد الطوسي قوله :

إنما العيشُ في مُتاعمة الإخوَا • ن لا في الجلوس عند الكُتُاب  
ويصرف كأنها السَّرب البر • في إذا استعزَّضت رقيق السحاب  
إن تكونوا تركمُ لَنَّة العِد • بش حذار العِقَاب يوم العقاب  
فدعوني وما أَلَد وأهوى • وأدفعوا في صدر يوم الحساب

قال محمد بن زكريا الفرغاني : سمعت دجبل يقول في كلام جرى «لَيْسَ» فأنكره عليه؛  
فقال : دخل زيد النخيل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : «يا زيد ما وُصِف لي  
رجل إلا رأيته دون وصفه لَيْسَ» يريد شريك .

قال عمرو بن مَسْعُود : حضرتُ أبا دُلْف عند المأمون وقد قال له المأمون : أي شيء  
ترى لأني خُزاعة يا قاسم ؟ قال : وأى - أنى خُزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن تعريف فهم  
شاعرا ؟ قال : أنا من أقصم فأبو الشَّيخ ودجبل وابن أبي الشَّيخ ودادود بن أبي رزين ،  
وأما من موالهم فظاهر وأبته عبد الله ، فقال : ومن عسى من هؤلاء أن يسأل عن شعره  
سوى دجبل ! هات أي شيء عندك فيه ؟ فقال : وأى شيء أقول في رجل لم يسأل عليه أهل  
بيته حتى جهاهم ، ففَرَّحَ إحسانهم بالإساءة وبُغِمَ بالمنع وجودهم بالبخل ، حتى جعل كل  
حسنة منهم برازا سيئة منه ؟ قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول في المطلب بن عبد الله

أبن مالك، وهو أصدق الناس له وأقربهم منه، وقد وفد إليه الى مصر فاعطاه أبلجيزل وولاده، ولم يمنعه ذلك أن قال فيه :

إضربْ نَدَى طَلَمَةِ الطَّلَامَاتِ مَتِيْدَا • بِلُؤْمِ مَطْلِبٍ فِينَا وَكُنْ حُصْكِيَا  
تُخْرِجُ خُرَاعَةً مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ • فَلَا تَحْسَ لَهَا لَوْ مَا وَلَا كَرَمَا

قال المأمون : قاتله الله ! ما أغوصه والطفه وأدعاه، وجعل يضحك، ثم دخل عبد الله ابن طاهر فقال : أى شىء تحفظ يا عبد الله لدجيل ؟ قال : أحفظ أبياتا له فى أهل بيت أمير المؤمنين، قال : هاتها ويحك ! فأنشده :

سَقِيَا وَرَعِيَا لِأَيَّامِ الصَّبَابَاتِ • أَيَّامِ أَرْفُلٍ فِي اثْوَابِ لَدَاتِ  
أَيَّامِ غَضَنِ رَطِيبٍ مِنْ لِيَاتِهِ • أَصْبُو إِلَى غَيْرِ جَارَاتٍ وَكُنْتُ  
دَعِ عَنكَ ذِكْرَ زَمَانٍ فَاتٍ مَطْلَبُهُ • وَأَقْنِفْ بِرُحْكَ عَنْ مَتْنِ الْجَهَالَاتِ  
وَأَقْصِدْ بِكُلِّ مَدِيحٍ أَنْتَ قَاتِلُهُ • نَحْوَ الْمُدَّةِ بَنَى بَيْتَ الْكَرَامَاتِ

فقال المأمون : إنه قد وجد والله مقالا فقال، وقال يبعد ذكرهم ما لا يتاله فى وصف غيرهم .  
ومن قول دجيل وفيه غناء :

أَيَّنَ الشَّبَابِ وَأَيَّةَ سَلَاكَ • لَا أَيْنَ يُطْلَبُ ضَلٌّ مِنْ هَلَاكَ  
لَا تَجْعَلِي يَا سَلَمٌ مِنْ رَجُلٍ • ضَحِكَ الْمَشْهَبُ بِرَأْسِهِ قَبِيكَ  
يَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ يَوْمُكَ • يَا صَاحِبِي إِذَا دَبِي سَفِيكَ  
لَا تَأْخُذُوا بِظُلَامَتِي أَحَدًا • قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دِي أَشْتَرَا

قال إبراهيم بن المديني : لعنت دجيل بن علي قتلته له : أَنْتَ أَجَسُّ النَّاسِ عِنْدِي  
وأقدمهم حيث تحول :

إِنِّي مِنَ الْقِسْمِ الَّذِينَ سَيُؤْتِيهِمْ • قُلْتُ أَتَاكَ وَشَرَحْتَكَ بِمَقْبَدِ  
رَضُوا عَلَيْكَ بَعْدَ طَوِيلٍ بِحَمُولِهِ • وَأَسْتَقْدُوكَ مِنَ الْحَصِيصِ الْأَوْبَدِ

وأولها :

أخذ المشيبُ من الشباب الأُخيد • والثَّابِتُ من الأَمام بِمَرَجِد  
فقال نَبِيّا أبا إسحاق، أنا أحمل خَشْبِي منذ أربعين سنة، فلا أجد من يصليني عليها .

كان دجيل يخرج فيجب ستر يَدور الدنيا كلها ويرجع وقد أفاد وأثرى، وكانت  
الشَّراة والصَّمالِك يلقونه فلا يُؤذونه ويؤاكلونه ويشاربونه ويمزقونه، وكان إذا لقيهم وضع  
طعامه وشرا به ودعاهم إليه ودعا بتلاميذه : تنف وشعف، وكانا مفتين، فأقصدهما يفتيان  
وساقم وشرب معهم وأنشدهم، فكانوا قد عرفوه وألقوه لكثرة أسفاره، وكانوا يواجبونه  
ويصلونه . وأنشد دجيل لنفسه في بعد أسفاره :

حَلَّتْ مَحَلًّا يَقْصُرُ الْبَرْقُ دُونَهُ • وَيَجْزِعُهُ الْغَلِيفُ أَنْ يَحْجُبَهَا

قال البحتري : دجيل بن حل أشعر عندي من مسلم بن الوليد، لأن كلام دجيل  
أدخل في كلام العرب من كلام مسلم، ومذهبه أشبه بمذاهبهم، وكان يتعصب له .

كان المعتصم يُفَضُّ دجيلا لطول لسانه . وبلغ دجيلا أنه يريد اغتياله وقته، فهرب  
إلى الجليل، وقال بهجوه :

بَكَى لِسَانَاتِ الدِّينِ مَكْتِيبُ صَبٍّ • وَفَاضَ بِفَرْطِ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِهِ غَرَبُ  
وَقَامَ إِمَامٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِدَايَةٍ • فَلَيْسَ لَهُ دِينٌ وَلَيْسَ لَهُ نُفُ  
وَمَا كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ تَأْتِي بِمِثْلِهِ • يُمَلِّكَ يَوْمًا أَوْ تَدِينُ لَهُ الْعُرَبُ  
وَلَكِنْ كَمَا قَالَ الَّذِينَ تَتَابَعُوا • مِنَ السَّلَفِ الْمَاضِينَ إِذْ عَظُمَ انْخِلَابُ  
مَلُوكِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي الْكُتُبِ سَبْعَةً • وَلَمْ تَأْتِ عَنْ ثَامِنٍ لَمْ تُكْتَبْ  
كَذَلِكَ أَهْلُ الْكَهْفِ فِي الْكَهْفِ سَبْعَةً • خِيَارًا إِذَا حُدُّوا وَثَامِنِهِمْ قَلَبُ  
وَأَيُّ الْأَعْلَى كَلَبَهُمْ عَنْكَ رِضَةً • لِأَنَّكَ ذُو ذَنْبٍ وَلَيْسَ لَكَ ذَنْبُ  
فَقَدْ ضَاعَ مُلْكُ النَّاسِ إِذْ سَاسَ مُلْكَهُمْ • وَصِيفٌ وَأَشْنَأَسُ وَقَدْ عَظُمَ الْكَرْبُ  
وَفَضَّلَ بَنُ مَرْوَانَ يُسَلِّمُ ثَلَاثَةً • يَظَلُّ لَهَا الْإِسْلَامُ لَيْسَ لَهُ شُعْبُ



لما مات المتعم قال محمد بن عبد الملك الرّيات يرثيه :

قد قلتُ إذ غيَّوه وأنصرفوا • في خير قبرٍ لغير مدفون  
لن يحبر الله أمةً قد عدتُ • مثلك إلا بمنزل هارون  
قال دجيل يمارضه :

قد قلتُ إذ غيَّوه وأنصرفوا • في شرِّ قبرٍ لشر مدفون  
إذهب إلى النار والعذاب فإ • خُلقك إلا من الشياطين  
مازلت حتى عقدت يَمَّةً من • أضرت بالمسلمين والدين  
وقال في ذلك وفي قيام الوائى :

الحمد لله لا صبر ولا جَلَد • ولا عزاء إذا أهلُ البَلِّ رقدوا  
خليفة مات لم يحزن له أحد • وأترقام لم يفرح به أحد  
ولقد أحسن في وصف سفر سافره، فقال ذلك السفرطيه، فقال فيه :  
ألم يَأْنِ للسُّفر الذين تحملوا • إلى وطن قبل الممات رجوع  
فقلت ولم أملك سوا بقِرة • تَطْلُق بما تحمَّت عليه ضلوع  
تبيّن فكم دار خسران شملها • وتثيل شتيت عاد وهو جميع  
كذلك اليلالى صرُفهن كما ترى • لكل أناس جَدْبَةٌ ودريس

ثم قال : ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني في سفرى وهجرى ومسلقى  
حتى أعود .

ومن قول دجيل وفيه غناء :

سرى طيف ليل حين آن هبوب • وقضيت شوقا حين كاد يذوب  
فلم أَر مطروقا يحمل برحله • ولا طارقا يقبى لئلى ويثيب  
ومن قوله :

لقد عجبت سلى وذاك عجب • رأت بى شيا عجلته حُطوب  
وما شيتى حكمة سيرانى • بهر به رأس النظم يثيب

وقال في صالح بن عطية الأعمى وكان من أفتح الناس وجهاً، وخطاباً فيما المختصم :

قل للإمام إمام آل محمد • قول امرئ حبيب طبعك علم  
أتكرت أن تفتقر عنك صديقه • في صالح بن عطية الجهم  
ليس الصنائع عنده بصنائع • لكنهن طوائف الإسلام  
إضرِبْ به جيش العدو فإنه • جيش من الطاعون واليرسام

قال أبو تمام : ما زال دعبل مائلاً إلى مسلم بن الوليد مقرباً باستأذنته، حتى ورد عليه  
يُخرجان بخفاء مسلم، وكان فيه بخل، فهجوه دعبل وكتب إليه :

أبا محمد كذا عبيدي مودة • هوأنا وقلباناً جميعاً معاً معاً  
أحوطك بالنيب الذي أنت حاطي • وأبزع إشفافاً من أن تبوجعاً  
فصيرتني بعد استكائك منيها • لنفسى طلياً أرهب الخلق أجمعاً  
غشت الهوى حتى تداعت أصوله • بنا وأبتذلت الوصل حتى قطعاً  
وأزلت من بين الجوانح والحشى • ذخيرة ود طالماً قد تمنى  
فلا تلحنني ليس لي فيك مطعم • تحزنت حتى لم أجد لك مرهما  
فهيك يميني استأكلت قفطعنها • وجشمت قلبي صبرة قشجصا  
ثم تهاجروا ألقيا بعد ذلك .

أجرى الرشيد على دعبل رزقاً سنياً، فكان أول من حرّضه على قول الشعر، فوافقه بالبله  
أن الرشيد مات حتى كافاه على فله من العطاء السنّي والنقي بعد الفقر والرمّة بعد الخمول  
بأفتح مكافاة، وقال فيه يهجو من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام :

وليس سى من الأحياء نعلده • من ذى يمان ومن بكر ومن مفر  
إلا وهم شركاء في دعائهم • كما تشارك أسار على جرد  
قتل وأسروهم وسرق ومنيته • قبل الفزاة بأرض الروم والخز  
أرى أمة مملوون إن قتلوا • ولا أرى لبني العباس من علر

أَرَبُّهُ يُلَوِّسُ عَلَى الْقَبْرِ الزَّكَاةَ إِذَا \* مَا كُنْتَ تَرَبِّعُ مِنْ دِينَ عَلَى وَطَرِ  
قَبْرَانِ فِي طَوْسٍ خَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ \* وَقَبْرُ شَرِّهِمْ هَبْنَا مِنْ الْعَبْدِ  
مَا يَنْفَعُ الرَّجْسَ مِنْ قَرَبِ الزَّكَاةِ وَلَا \* عَلَى الزَّكَاةِ قَرَبُ الرَّجْسِ مِنْ ضَرَرِ  
هَيْبَتِ كُلِّ أَمْرٍ يُؤْتِيهِ مَا كَسَبَتْ \* لَهُ يَدَاهُ نَقْدٌ مَا شِلَّتْ أَوْ فَتَرِ

استدعى بعض بني هاشم دعبلا وهو يتولى المتعم ناحية من نواحي الشام، فقصده  
اليها فلم يقع منه بحسن ظن وجفاء، فكتب إليه دعبل :

دَلَّيْتِي بِضُرُورٍ وَعَدْلِكَ فِي \* مُتَلَاظِمٍ مِنْ حَوْمَةِ الْفَرَقِ  
حَتَّى إِذَا شِمْتَ الْعَدُوَّ وَقَدْ \* شِيرَ اتِّصَافُكَ شُهْرَةَ الْبَقِي  
أَنْشَأْتَ تَحْلِفَ أَنْ وَدَّكَ لِي \* صَافٍ وَحَيْكَ فِرَ مَنَاحِقِ  
وَحَسْبَتِي فَقَدْ بَقَرَقَرَةً \* فَوَطَّقَتْنِي وَطْأًا عَلَى حَتَّى  
وَنَصَبَتْنِي حَلَا عَلَى غَرَضٍ \* تَرِيحَتِي الْأَعْدَاءُ بِالْحَلَقِ  
وَطَلَنْتَ أَرْضَ اللَّهِ ضَيْقَةً \* عَنِّي وَأَرْضَ اللَّهِ لَمْ تَفْسُقْ  
مِنْ غَيْرِ مَا جُرِمَ سِوَى نَقِيَّةٍ \* مَنِّي بِوَعْدِكَ حِينَ قُلْتَ نَحِي  
وَمَوْقِدَةٍ نَحْوِي عَلَيْكَ بِهَا \* نَفْسِي بِلَا مَنٍّ وَلَا مَلَقِ  
فَتَنِي سَأَلُكَ حَاجَةً أَبَدًا \* فَاشْدُدْ بِهَا قُفْلًا عَلَى عَقِي  
وَقَفَّ الْإِغَاءُ عَلَى نَفَا جُرْفٍ \* هَارٍ فَيَعْبُدُ بَيْعَةَ الْخَلْقِ  
وَأَعِدْ لِي قُفْلًا وَجَامِعَةً \* فَاشْدُدْ يَدَيَّ بِهَا إِلَى عَنِي  
أَعْيَيْكَ مِمَّا لَا تَحِبُّ بِهَا \* وَأَسْدُدْ عَلَى مَنَازِلِ الْأَقْبِي  
مَا أَطْوَلَ الدُّنْيَا زَاعِرَضَهَا \* وَأَدَلَّتْ بِمَسَالِكِ الطَّرِيقِ

دخل دعبل على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو يبتعد :

جَهْتُ بِلَا مُرْمَةٍ وَلَا سَبَبٍ \* إِلَيْكَ إِلَّا بِمَرْمَةِ الْأَتَبِ  
فَاقْبِضْ دِمَائِي فَإِنِّي رَجُلٌ \* غَيْرُ مُلْحٍ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ

فانتقل عبد الله ودخل الحرم ووجهه إليه بضرة فيها ألف درهم، وكتب إليه :

اعجلنا فأنك طاجلٌ رثا \* ولو انتظرت كثيره لم يخل

نخذ القليل وكن كأنك لم تقل \* وتكون نحن كأننا لم فعل

مات دعل بقرية من قرى السوس، بعث إليه مالك بن طوق من ضرب ظهره

بـسكاز لما نُجِّ مسموم فمات من ضده .

٤ - حسين بن الضحك<sup>(١)</sup>

« شاعر ظريف شديد الظرف، ربما أقطع نظيره في شعراء العصر العباسي كله ، وهو مع ظرفه وإسرانه في الجون ، قليل الفحش في اللفظ . غير متهايك على القول الآثم والألفاظ المنكرة ، لا يتخيرها ولا يقصد إليها ، وإنما يعرض لها إذا اضطر إليها اضطوارا وهو على ظرفه ورقة حاشيته وحرصه على ققاء اللفظ وطهره شاعر بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، مجود إذا فكر ، مظفر إذا بحث ، موفق إلى اللفظ المتين ، والأسلوب الرصين في غير جفوة ولا غلظة ، لا يعرف التكلف في لفظ ولا معنى ، وإنما ينطلق لسانه مع بحبته ، وبعيته سهلة مرسلة غنية غزيرة المادة ، لا تكاد تنضب ، ولا ينالها إعياء أو كلال ، وحياته كلها عبر وعظات ولكنها عبر وعظات مبتسمة ليست بالمظلمة ولا العابسة ولا بالتي تركك وتفرك ، وتجمل للحنن والأمل إلى قلبك سيلا ، ولعلك لا تجد من شعراء هذا العصر رجلا مثله ، تقرأ أخباره فتظلم مبتسما منذ تبدئ إلى أن تنتهى دون أن تقيس أو تنقلب . وربما تجاوزت الأقسام إلى الإغراق في الضحك من حين إلى حين ، ولكل من ترك الأقسام إلى الحزن الشديد . وربما اقترضتك في طريقك بحبابة محزنة ولكن هذه الحبابة رقيقة هادئة هينة ، فهي أضف من أن تزيل أبشامك . وكان هذا الشاعر من المعمرين ، بلغ المائة أو كاد ، وعاصر طبقات من الشعراء ، وألوانا من حاشية الخلفاء ، ولكنه ظل محظوظا بشخصيته الوداعة المبتسمة ، تنير الناس وأختفت الظروف ، وظل هو واحدا

(١) هو مولد بأخنة ، وله في الجيرة وثناؤها وتادم الخلفاء من بن العباس ، وكان خليفا فاعدا وكان مع ذلك حسن التصرف في نظم وشعره يقول دويقي ، فهو من المقتنين وله سان جديدة في التمركان أبو نواس بأخذها عنه ، ومع أن أبا نواس مات سنة ١٦٨ هـ ، والضحك مات سنة ٢٥٠ هـ فقد تعاصرا لأن مولدهما متقارب . لأن ابن الضحك عمر كثيرا . وهو أزل من تادم الأحن وله فيه مدائح كثيرة ، وحر عمره طويلا حتى قارب مائة سنة ومات في خلافة المستعين أو المتصور . ونجد أخباره في الأغاني ( ج ٦ ص ١٧٠ ) وابن خلكان ( ج ١ ص ١٥٤ ) .

(٢) من بحوث مدني الدكتور محمد حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية .

لم يتغير. كان خليفاً، بل كان يُعرف بالخلج، وكان كثير المحبون مُتبرفاً فيه، وما أحسب أن أبانواس سبقه إلى لذة أو برز عليه في مائمه، ولصكته على خلاعته وإسرافه في المحبون وبهالكه على اللذات، احتفظ طويلاً بحياته بنى من كرم انطلق وطهارة العنصر وجودة الأصل، كأنما كانت هذه اللذات والآثام تتزيق على نفسه وأخلاقه انزلاقاً دون أن تترك فيها أثراً باقياً، وإنما كانت الآثار التي تركها لياليه الساهرة، وأيامه المملوءة بالعبث، هذه الأشمار الجميلة الحلوة التي ساطعها على طرف منها .

فلم يكن هذا الرجل كغيره من الشعراء الذين إنما كانوا يصلون إلى الخلفاء بعد الجهد والكد، وبعد التلطف وحسن الحيلة؛ وإنما كان متصلاً بالخلفاء اتصالاً شديداً، يشارهم ويرافقهم ويتدخل في حياتهم الخاصة، وربما تدخل إلى أكثر مما ينبغي . وكان الخلفاء يحشون عنه، ويحرمون على عشرته ويذلون في ذلك غير قليل من الإحلاح والعطاء، وكان شعره كله أو أكثره مرآة لحياة القصر في أيام طلائفة غير قليلة من الخلفاء .

فترى من هذا الوصف أنه شاعر أديب ظريف مطبوع، حسن التصرف في الشعر حلول المنهج، لشعره قبول ورويق صاف، وكان أبونواس يأخذ معانيه في التمرير فغير ملياً، وإذا شاع له شعر نادى في هذا المعنى نسبته الناس إلى أبي نواس، وله معان في صفتها أبدع فيها، وهابى مسلم بن الوليد فانتصف منه، وله غزل كثير جيد، وهو من المطبوعين الذين تخلو أشعارهم ومذاهبهم بحلة من التكلف .

قال : أنشدت أبانواس قصيدتي التي قلتها في التمرير وهي :

بُذِلَتْ مِنْ قَصَصَاتِ الْوَرْدِ بِالْآءِ<sup>(١)</sup> . وَمِنْ صَبُوحِ دُرِّ الْإِبِلِ وَالنَّشَاءِ

فلما اتبعت منها إلى قولي

حتى إذا أَسْنَدْتُ فِي الْبَيْتِ وَأَحْضَرْتُ . عِنْدَ الصُّبُوحِ بِسَامِينِ أَشْكَفَهُ  
فُقِضَتْ خَوَاتِمُهَا فِي نَمَتْ وَأَصْفَهَا . عَنِ مِثْلِ رَفْرَاقَةِ فِي جَفْنِ مَرَهَاهُ<sup>(٢)</sup>

(١) الآء : ثمر غير واحدة آءة . (٢) المرطاة : التي لا تكمل .

فصُبْحِي صَبْحَةَ أَنْزَعْتَنِي وَقَالَ : أَحَسَّ وَهَّ يَا أَشْقَرَ ، قُلْتَ : وَيْلَكَ يَا حَسْبُ ، إِنَّكَ أَنْزَعْتَنِي وَهَّ ، قُلْتَ : بَلَى وَهَّ أَنْتَ أَنْزَعْتَنِي وَرُعْتَنِي ، هَذَا مَعْنَى مِنَ الْمَعْنَى الَّتِي كَانَ فِكْرِي لَا يَدُ أَنْ يَتَهَى إِلَيْهَا أَوْ أَعْرَضَ عَلَيْهَا وَأَقُولُهَا ، فَسَبَقْتَنِي إِلَيْهِ وَأَخْلَسْتَنِي مَعْنَى ، وَسَعَلَمَ لِمَنْ يُرَوَى إِلَى أَمِّ لَكَ ؟ فَكَانَ وَهَّ كَمَا قَالَ ، سَمِعْتَ مِنْ لَا يَلْمُ رُوحِيَا لَهُ :

لَمَّا قَدِمَ الْمَأمُونُ مِنْ نِجَاسَانَ أَمَرَ بِأَنْ يُنَادِيَ لَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ لِيُجَالِسُوهُ وَيُصَامِرُوهُ ، فَذَكَرَ لَهُ جَمَاعَةٌ فِيهِمُ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، وَكَانَ مِنْ جُلَسَاءِ مُحَمَّدِ الْمُطَوَّعِ ، فَلَمَّا رَأَى أَسْمَهُ قَالَ : أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ :

هَلَا جِئْتَ لَسَدَ فَاتِنَا • أَبَدَا وَكَانَ لِنَسِيرِكَ الْتَفُّفَ

فَلَقَدْ خَلَقْتَ خَلَافًا سَلَفُوا • وَلَسَوْفَ يُعْزِزُ بِمَدَكَ الْتَفُّفَ

لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ، وَهَّ وَلَا يَرَانِي أَبَدًا إِلَّا فِي الطَّرِيقِ ، وَلَمْ يَمَاقِبِ الْحُسَيْنُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عِجَائِهِ لَهُ وَتَعَرَّضَ بِهِ ، وَأَتَعَدَّرَ حُسَيْنٌ إِلَى الْبَصْرَةِ فَأَقَامَ بِهَا طَوِيلَ أَيَّامِ الْمَأمُونِ .

قَالَ أَبُو صَالِحٍ بْنُ الرَّشِيدِ : دَخَلَ يَوْمًا عَلَى الْمَأمُونِ وَمَعَى بَيْتَانِ الْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ ، قُلْتَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَحَبُّ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي بَيْتَيْنِ ، قَالَ : أَنْشِدْهُمَا ، فَأَنْشَدْتُهُمَا :

حَدَّثَنَا اللَّهُ شُكْرًا إِذْ حَبَانَا • بِنَصْرِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

فَأَنْتَ خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ حَقًّا • جَمَعْتَ سَمَاحَةً وَجَمَعْتَ دِينَا

قَالَ : لِمَنْ هَذَانِ الْبَيْتَانِ ؟ قُلْتَ : لِمَدَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، قَالَ : قَدْ أَحْسَنَ ، قُلْتَ : وَلَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَجُودُ مِنْ هَذَا ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلَهُ :

أَجْرُنِي فَإِنِّي قَدْ ظَلِمْتُ إِلَى الْوَعْدِ • مَتَى تُجِزِ الْوَعْدَ الْمَوْكَدَ بِالْمَهْدِ

أَيْمُنُكَ مِنْ خَلْفِ الْمُلُوكِ وَقَدْ بَدَا • تَقَطَّعَ أَفْأَسُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْدِ

أَيْضَلُ قَرْدُ الْحَسَنِ عَنِّي بِتَأْتَلِ • قَلِيلٌ وَقَدْ أَفْرَدْتُهُ بِهَوَى قَرْدِ

رَأَى اللَّهُ عِبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ • فَلِلَّهِكَ وَهَّ أَعْلَمَ بِالْعَبْدِ

إِلَّا إِنَّمَا لِلْمَأمُونِ لِلنَّاسِ عَصَمَةٌ • مَمْنُونَةٌ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالرَّشْدِ

فَاطَرِقَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : مَا تَطِيبُ تَسْمِيَّ لَهُ بِخَيْرٍ مَدَامَ قَالَ فِي آخِرِ مُحَمَّدٍ مَا قَالَ .

ومن قوله يرى محمدا الأمين :

أُطِّلَ حَرًّا وَأَبْكِ الْإِمَامَ مُحَمَّدًا • بحزن وإن خِفْتَ الحسام المهتدا  
فلا تَحْتِ الْأَشْيَاءُ بِمَدِّ مُحَمَّد • ولا زال يُعْمَلُ الْمَلِكُ مِنْهَا مُبْتَدَا  
ولا فَرَحَ الْمَأْمُونُ بِالْمَلِكِ بِسَمِهِ • ولا زال في الدنيا طريدا مشردا

ولحسن في محمدا الأمين مرآة كثيرة جيد، وكان كثير التحقق به والمؤالة له لكثرة  
إفضاله عليه، وميله اليه، وتقديمه إياه، وبلغ من جزعه عليه أنه خُوِّلَطَ فكان يُنْكِرُ قَتْلَهُ  
لما بلغه ويفقه ويقول: إنه مستتر وأنه قد وقف على دُعَاة في الأمصار يدعوون إلى مراجعة  
أمره والوفاء بيمينته حَتَّى به وشفقة عليه .

ومن جيد مرآتيه إياه قوله :

سألونا أَنْ كَيْفَ نَحْنُ ؟ قُلْنَا • من هَوَى نَجْمُهُ فَكَيْفَ يَكُونُ ؟  
نحن قوم أصلنا حَدَثُ الْبَد • رَفَقْنَا لِرَبِّهِ نَسْتَكِينُ  
تَمَسَّيْنَا مِنَ الْأَمِينِ إِيَّاهُ • لَهْفَ نَفْسِي وَإِنْ مَنَى الْأَمِينُ  
ومن جيد قوله في مرآتيه إياه .

أَعَزَّيَ يَا مُحَمَّدُ عَنْكَ نَفْسِي • معاذ الله والأیدی الحسام  
فهلَّامات قوم لم يموتوا • ودُفِعَ عَنْكَ لِي يَوْمَ الْحِمَامِ  
كَانَ الْمَوْتُ صَادَقَ مِنْكَ غَتَا • أو أَسْتَشْفِي بِقَرْبِكَ مِنْ سَقَامِ

وقال أيضا يرثيه :

يا خَيْرَ أَسْرَمِهِ وَإِنْ زَعَمُوا • إِنْ عَلِيكَ لَمُنْتُ أَسْفُ  
الله يعلم أن لي كعبدا • حَرَى طِيكَ وَمَقَلَّةٌ تَكْفُ  
ولئن نَقِيتُ بَمَا رُزْتُ بِهِ • إِنْ لَأَسْتَمِرَّ فَوْقَ مَا أَصِفُ  
هَلَّا نَقِيتُ لَسَدَ فَاغْتَا • أَبَدًا وَكَانَ لِنَسِيكَ التَّلَفُ  
فلقد حَقَّتْ خَلَاغَهَا سَفَا • وَلَسَوْفَ يُمَوِّزُ بِمَلِكٍ الْخَلَفُ



لا بَاتَ رَهْطُكَ بَعْدَ هَفْوَتِهِمْ • إِنْ لَهْطُكَ بِمَعْنَا شَيْفٍ <sup>(١)</sup>  
 حَكَوْا بِحِمْلِكَ الَّتِي حَكَيْتَ • حُرِّمَ الرُّسُولُ وَدُونَهَا السُّجُفُ  
 وَبَقِيَ أَتَارُكُكَ الَّتِي خَذَلْتَ • وَجِثْمُهَا بِالْقَلِّ مَعْتَرِفُ  
 لَمْ يَفْعَلُوا بِالْشُّطِّ إِذْ حَضَرُوا • مَا تَعْمَلُ الْفَيْرَانَةُ الْأَنْفُ  
 تَرَكُوا حَرِّمَ أَيْهِمْ قَلَا • وَالْمُحَصَّنَاتُ صَوَارِخُ هُتُفُ  
 أَبَدْتَ مَخْلَفَهَا عَلَى دَهَشٍ • أَبْكَارُكُمْ وَرَتَّ النَّصْفُ  
 سُلِّتَ مَعَاجِرُكُمْ وَأَجْتَلَيْتَ • ذَاتُ الْقَلْبِ وَتُوزَعُ الشَّنْفُ  
 فَكَأَنَّكُمْ خِلَالَ مُنْتَهَبٍ • دُرٌّ تَكْشِفُ دَوْنَهُ الصَّيْفُ  
 مَلِكٌ تَخُوفٌ مُلْكُهُ قَدْرٌ • قَوَى وَصَرُفُ الدَّهْرِ غَنَائِفُ  
 هِبَاتٍ بَعْدَ أَنْ يَدُومَ لَنَا • عِزٌّ وَأَنْ يَبْقَى لَنَا شَرَفُ  
 لَا هَيْبُوا مُخَصَّافًا مَشْرِفَةً • لِلنَّادِرِينَ تَحْتَهَا الْجَدِيفُ  
 أَقْبَعْدَ عَهْدِ اللَّهِ تَحْتَهُ • وَالْقَتْلُ بَعْدَ أَمَانَةٍ سَرَفُ  
 فَتَسْتَمِرُّونَ خِلَا بِطَاقِبَةٍ • عِزُّ الْإِلَهِ فَأَوْرِدُوا وَقُصُوا  
 بِأَسْنِ يَحْيُونَ نَوْمَهُ أَرْقُ • هَدَيْتِ الشَّجُونَ وَقَلْبُهُ لَهْفُ  
 قَدْ كُنْتُ لِي أَمْلًا غَيْبَتْ بِهِ • فَضَى وَحَلَّ عِلْمُهُ الْأَسْفُ  
 مَرِجَ النِّظَامِ وَعَادَ مُنْكَرُنَا • عُرْفَا وَأَنْتِ بَعْدَ الْعُرْفُ  
 فَالْتَمِلْ مُتَشِيرًا لِفَقْدِكَ وَالْ • لَدُنْيَا سُلَى وَالْبَالُ مَنَكُفُ

وقال أيضا يريته :

اذَا دُكِرَ الْأَمِينُ نَحَى الْأَمِينَا • وَإِنْ رَقَدَ الْخَلِيلُ حَتَّى الْجُفُونَا  
 وَمَا بَرَحَتْ مَنَازِلُ بَيْنَ بَصَرِي • وَصَكَّالَوَادِي تُنْجِي لِي شَجُونَا  
 عِرَاصُ الْمَلِكِ خُلُوبَةٌ تَهَادِي • بِهَا الْأَوَاحُ تَسْجِيهَا فَنُونَا

(١) مهنض متكرر . (٢) جمع سحر بالسر وهو قوب تعبير به المرأة أى تسقه على رأسها .

تَحْشُونَ عِزَّ مَا كُنْهَا زِيَانُ • تَلْبُ بِالْقُرُونِ الْأُولَى  
 فَتَنَّتْ شَمْلَهُمْ بَعْدَ اجْتِنَاعِ • وَكُنْتُ بِحَسَنِ أَلْفَتِهِمْ ضَرْبَنَا  
 فَلَمْ أَرِ بَعْدَهُمْ حُسْنًا سِوَاهُ • وَلَمْ تَرْفَعْ عِيُونَ النَّظَرِينَا  
 فَوَاسِقًا وَإِنْ تَمَّتِ الْأَعْدَى • وَكَبُرَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
 أَضَلَّ الْعُزْفَ بِهَذَا مُتَعَوِّدِ • وَرَفَعَهُ مِنْ مَطَايَا الرَّاحِيْنَا  
 وَكَرَى إِلَى جَنَابِكَ كُلِّ يَوْمٍ • يُرْجَى عَلَى السَّمُودِ وَيَتَدَبَّرُنَا  
 هُوَ الْجَلْبُ الَّذِي هَوَتْ الْمَالَى • لِقَاتِهِ وَرِيحُ الصَّالِحِينَ  
 سَتَنْدُبُ بِهَذَا الدُّنْيَا جَوَارَا • وَسَتَلْبُ بِهَذَا الدِّينِ الْمُصَوَّنَا  
 فَقَدْ ذُهِبَتْ بِشَاةُ كُلِّ شَيْءٍ • وَعَادَ الدِّينَ مَطْرُوحًا مَهِينًا  
 تَقْدَرُ عِزُّ مُتَّصِلٍ بِكُمَرَى • وَمِلَّتْهُ وَقَدْ الْمَسَامُونَا

وقال أيضا يرثيه :

أَسَقًا طَلِكَ سَلَاكَ أَقْرَبُ قُرْبَةٍ • مَنَى وَأَحْزَانِي عَلَيْكَ تَرِيدُ

قال أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي: حسين بن الضحاك أشعر المخدئين حيث يقول:

أَيُّ دِيَابِجَةِ حُسَيْنٍ • هِيَجَتْ لَوْعَةً حَزَنِي  
 إِذْ رَمَانِي الْقَمَرُ الزَّا • هَرَمَ عَنْ نَسْتَةٍ جَفَنِي  
 بِأَيِّ شَمْسٍ نَهَارٍ • بَرَزْتُ فِي يَوْمٍ دَجَنِي  
 قَرِيقَتِي بِالْمُنَى حَذٍ • يَا إِذَا مَا أَخْلَفْتَنِي  
 تَرَكْتَنِي بَيْنَ مِيعَا • دَخَلْتُ وَتَجَرَّنِي  
 مَا أَرَى فِيَّ مِنَ الْعَبِّ • حَوَّةٌ إِلَّا حَسَنَ ظَنِّي  
 إِنَّمَا دَامَتْ عَلَى الْغَدِ • وَلَمَّا تَعْرِفَ مِيتَتِي  
 أَسْتَبِذْ لِقَاءَ مَنْ إِيْرَا • ضَمَّ مِنْ أَعْرَاضٍ عَنِّي

لما ولي المعتمد أمر بمكاتبه بالقنوم عليه ، فلما دخل وسلم أستاذته في الإنشاد ،  
فأذن له ، فأنشده قوله :

هَلَّا سَأَلْتُ تَلَقُّذَ الْمَشَاقِقِ • وَمَتَّعْتَ قَبْلَ فِرَاقِهِ سَلَاقِ  
إِنْ الرِّقَبَ لَيَسْتَرِيبُ نَفْسًا • صُمْنَا إِلَيْكَ وَظَاهِرَ الْإِفْلاقِ  
وَلَقِنْ أَرَبْتُ لَقَدْ نَظَرْتُ بِمَقْلَةٍ • عَرَى عَلَيْكَ حَمِيْنَةُ الْأَمَاقِ  
نَضَى الْقَدَاءُ نَلَاخِيْفَ مَرْقَبٍ • جَعَلَ الْوَدَاعَ إِشَارَةً بِسَاقِ  
إِذْ لَا جَوَابَ لِمُقْعَمٍ مُصْحَرٍ • إِلَّا الدَّمْعُوعُ تُصَانُ بِالْإِطْرَاقِ

حتى انتهى الى قوله :

خَيْرُ الْوَفُودِ مَبْشَرٌ بِخِلَافَةِ • خَصَّتْ بِهِجَتِهَا أَبَا إِصْحَاقِ  
وَاقَتْهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ سَلِيمَةً • مِنْ كُلِّ مَشْكَلَةٍ وَكُلِّ شِقَاقِ  
أَعْطَتْهُ صَفْقَتَهَا الضَّائِرُ طَاعَةً • قَبْلَ الْأَكْثَفِ بِأَرْكَدِ الْمِطَاقِ  
سَكَنَ الْأَنَامُ إِلَى إِمَامٍ سَلَامَةٍ • عَفَّ الضَّمِيرُ مَهْدَبَ الْأَخْلَاقِ  
لَحْمِي رَحِيْمَتِهِ وَدَافِعَ دُونَهَا • وَأَجَارَ مُلْقَهَا مِنَ الْإِمْلَاقِ

حتى أتمها ، فقال له المعتمد : أَدْنَى مِنِّي ، فَدَنَا مِنْهُ ، فَلَا قَدْرَ جَوْهَرًا مِنْ جَوْهَرٍ كَانَ بَيْنَ  
يَدَيْهِ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ فِهِ ، فَانْخَرِجْ وَأَمْرٌ بِأَنْ يُنْظَمَ وَيُدْفَعَ إِلَيْهِ وَيُخْرِجَ إِلَى النَّاسِ  
وَهُوَ فِي يَدِهِ ، لِيَعْلَمُوا مَوْقِعَهُ مِنْ رَأْيِهِ ، وَيَسْرِفُوا فَضْلَهُ ، فَكَانَ أَحْسَنَ مَا مُدِيعَ بِهِ يَوْمَئِذٍ .

ومن شعره قوله :

أَمِيرَ اللَّهِ تَقَى بِاللَّهِ • لَهُ تُنْطَقُ الصَّبْرُ وَالنُّصْرَةُ  
حِكْمُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ • كَلَّاكَ اللَّهُ ذُو الْقُدْرَةِ  
لَنَا النُّصْرُ بِعَوْنِ اللَّهِ • وَالْحِكْمَةُ لَا الْفَرَسِ  
وَالْمُزَاقُ أَعْدَا • تَكُ يَوْمَ السُّوءِ وَالذَّبْرِ  
وَكُلُّهُ يَحْفَظُ الْمَسُوتَ • كَرِيمٌ طَعْمُهَا مَرَّةً

سَقَوْنَا وَسَقَيْنَاهُمْ • وَلَكِنْ يَهْمُ الْحَرَّةَ  
كَذَاكَ الْحَرْبُ أَحْيَانًا • طِينًا وَلَنَا مَرَّةً

ومن قوله في غضب حطية اللواتي من زيارته أخرى في نوبتها :

غَضِبْتُ أَنْ زُرْتُ أُخْرَى خِلَّةً • فَلَهَا الْعُتْبَى لَدَيْنَا وَالرَّضَا  
يَا نَدْبِكَ الْإِنْسُ كَانَتْ حَقْوَةً • فَاغْفِرْهَا وَأَصْفَحْ عَمَّا مَضَى  
وَأَتْرِكِ الْعَدْلَ عَلَى مَنْ قَالَه • وَأَنْشُبِي جُورِي إِلَى حَكَمِ الْقَضَا  
فَقَدْ نَبِئْتِي مَنْ رَقِدْتِي • وَعَلَى قَلْبِي كَثِيرَانِ الْغَضَا

كان اللواتي يحطى جارية له فانت، بغزغ عليها وترك الشراب أياما، ثم سلاها وعاد  
إلى حاله، فعدا الحسين ليلة وقال له : رأيت ثلاثة في النوم ظلت نومي كأن طال قليلا  
لا تمتع بلقائها، قل في هذا شيئا، فقال :

لَيْتَ عَيْنَ الْبُحْرِ مَا غَفَلَتْ • وَرَقِبَ اللَّيْلُ مَا رَقَدَا  
وَأَقَامَ النَّوْمُ فِي مَقَرِّهِ • كَلَّذِي كُلَّيْ وَكُنَّا أَبَدَا  
بِأَيِّ زَوْرٍ تَلَقَّيْتُ لَهُ • تَتَقَمَّتْ إِلَيْهِ السُّمْنَا  
بَيْنَا أَمْحُكُ مَسْرُورًا بِهِ • إِذْ تَقَطَّعَتْ عَلَيْهِ صَكْدَا

لما أعيته الحيلة في رضا المأمون عنه رعى بأمره إلى عمرو بن سعدة وكتب إليه :

أَنْتَ طَوْدِي مِنْ بَيْنِ هَذِي الْمَضَابِ • وَشِهَابِي مِنْ دُونِ كُلِّ شِهَابِ  
أَنْتَ يَا عَمْرُو قُوَّتِي وَحِيَاتِي • وَلِسَانِي وَأَنْتَ طُفْرِي وَنَابِي  
أَتَرَانِي أُنْسِي أَيْدِيكَ إِلَيَّ • خُذْ إِذَا أَسُودَ نَائِلُ الْإِصْحَابِ  
أَيْنَ أَخْلَاقِكَ الرُّضِيَّةِ حَالَتِ • فَهِيَ أَمُّ أَيْنَ رِقَّةِ الْكُتَّابِ ؟  
أَنَا فِي ذِمَّةِ الْحَابِ وَأَطْلَأُ ؟ • إِنَّ هَذَا لَوَسْمَةٌ فِي السَّحَابِ  
فَمَنْ إِلَى سَيِّدِ الْبَرِيَّةِ عَنِي • قَوْمَةٌ تَسْتَجِرُّ حُسْنَ الْخُطَابِ  
فَقُلْ لِلَّهِ يُطْفِئُ عَنِّي • بِكَ نَارًا عَلَى ذَاتِ الْتِهَابِ .  
فلم يزل عمرو يُطْلِفُ المأمون حتى أوصله إليه وأدبر أرزاقه .

ولما عفا المأمون عنه أمر بإحضاره، فلما حضر سلم، فرد عليه السلام رثا جافيا،  
ثم أقبل عليه فقال : أخبرني عنك ، هل عرفت يوم قُتل أنى محمد هاشمية قُتل أو  
حُكمت ؟ قال : لا ، قال : فما معنى قولك :

وَمِرْبَ طِبَاءٍ مِنْ ذَوَابَةِ هَاشِمٍ \* هَتَّنَ بِدَعْوَى خَيْرِ حَى وَبَيَّتْ  
أُرْدُ بَيَّا مَعْنَى إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ \* عَلَى كَيْدِ حَرَمَى وَقَلْبِ مُفَتَّتْ  
فَلَا بَاتَ لَيْلُ الثَّامِنِينَ بِبُيُطَةِ \* وَلَا بَلَّغْتَ آمَالَهُمْ مَا تَمَنَّتْ

قال : يا أمير المؤمنين ، لوعة غلبتني ، وروعة فاجأتني ، ونعمة قدّمتها بعد أن غمرتني ،  
وإحسان شكرته فأطقتني ، وسيد قدّمته فأقلقتني ، فإن عاقبت فبحقك ، وإن عطفك  
فيفضلك ، فدمعت عينا المأمون وقال : قد عفوتُ عنك ، وأمرتُ بإدراة رزقك ،  
وإعطائك ما فات منهُ ، وجعلتُ حقوبتك امتناعي من استخدامك .

ومن قوله :

وَالْوَرْدَةُ الْهَرَاءُ حَيَا بِأَحْمَرٍ \* مِنَ الْوَرْدِ يَمْشِي فِي قَرِاطِقِ كَالْوَرْدِ  
لَهُ حَيَاتٌ عِنْدَ كُلِّ نَحِيَةٍ \* بَيْنَهُ تَسْتَدْعِي الْحَلِيمَ إِلَى الْوَجْدِ  
تَمَنَّتْ أَنْ أَسْقَى بِكَفِّهِ شَرِبَةً \* تَذَكَّرُنِي مَا قَدْ نَسِيتُ مِنَ الْعَهْدِ  
سَقَى اللَّهُ دَعْرًا لَمْ أَرْتِ فِيهِ لَيْلَةً \* خَلَا وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدِ

ومن قوله :

وَأَيُّ بِئْسَ مَفْجَمَ لَعْنَةٍ \* قُلْتُ لَهُ إِذْ خَلَوْتُ مَكْتَنًا  
يُحِبُّ بَلَهً مِنْ يَخْصُكُ بِالِ \* حُودِ لَهَا قَالُ لَا وَلَا تَمَّا  
ثُمَّ قَوْلِي بِمُخَلَّتِي خَجَلٍ \* أَرَادَ رَجْعَ الْجَوَابِ فَاحْتَمَا  
فَكُنْتُ كَالْبَيْتِ بِمِجْلِهِ \* بَرَاءً مِنَ السُّقْمِ فَابْتَدَا سَقَا

وقال في هوى له :

عَالِمٌ بِحَيِّهِ \* مَطْرُوقٌ مِنَ الْيَةِ  
يُوسُفُ الْجَمَالِ وَفِرَ \* عَوْنٌ فِي تَمَلِّهِ

لا وحق ما أنا فيه \* له من حطب أريجيه  
 ما الحياة نافسة \* لي على تأييه  
 النعم يسفله \* والجمال يطفيه  
 فهو غير مكتوث \* للذي ألافه  
 تأيئه ترمده \* في رغبى فيه

ومن قوله في هوى له :

إن من لا أرى وليس يرانى \* نضب عني ممثّل بالأمانى  
 أبى من ضميره وضيمرى \* أبدا بالمغيب يتحجان  
 نحن شخصان إن نظرت ورو \* حان إذا ما اخترت يسترجان  
 فإنا ما هممت بالأمر أو هم \* بشئ بدأته وبدانى  
 كان وقفا ما كان منه ومتى \* فكأنى حكيمه وحكائى  
 خطرات الجفون منا سواء \* وسواء تحرك الأبدان

ومن قوله :

قلبت من قال لي على خفوه \* وضض من جفته على حوره  
 سمع بأشعارك الملمح فإ \* يتفك شاد بها على وتره  
 حبك بعض الذى أذعت ولا \* حسب لصب لم يقض من وطره  
 وقلت يا مستعير سالفه الـ \* يخشع وحسن الفتور من نظره  
 لا تترك الحبيب من طرب \* ماود فيك الصبا على ركبته

ومن قوله :

سائل بطيفك عن ليلي وعن مهرى \* وعن تساج أظفائى وعن فكرى  
 لم يحل قلبي من ذكراك إذ نظرت \* عني اليك على صفوى ولا سكرى  
 سقيا ليوم سرورى إذ تبتازعنى \* صفو العامة بين الألس والخفرى

وفضل كمالك ياتيني فائز به • جَهْرًا وتُشرب كأسى غير مُستتر  
وحكىف أشمله لثى وألزمه • نَحْرَى وترفعه كفى الى بصرى  
فليت مُتعة يومى إذ مضى سلفا • كانت ومُتعة أياهى على قَنَدَر  
حتى اذا ما أطلوت عتاً بشاشته • صِرْنَا جميعا ككنا جارين فى الحُفَر  
ومن قوله لموى كان له :

تَعَزَّيْنا من هوائى فإنى • اذا أنصرفت فمى فهيمات عن ردى  
إذا خُسُمٌ بالغيب ودى فالك • تَدُلُون إدلال المقيم على العهد  
ولى منك بد فاجتنبى مَدَمًا • وان يَخلت آنى ليس لى منك من بد  
لما ولى الواثق اخلافة أنشد حين :

أَكَلَمَ وجدى فإ يَكَلَمَ • بن لوشكوتُ إليه رَحِمَ  
وإنى على حسن ظنى به • لأَحْفَدَ إن بَحْتُ أن يحتم  
ولى ضد لحظه رَوْعة • تحقق ما ظننه المتهم  
وقد علم الناس أنى له • محب وأحبه قد علم  
وإنى لَمُنِض على لوعة • من الشوق فى كبدى تَضَطَرَم  
عَشِيَّة وذمت عن مقلة • سَفُوح وزفوة قلب مَدَم  
فإ كان عند النوى مُسَيِّد • سوى العين تَمزج دَمًا بدم  
سيذكر من بان أوطانه • ويكى المقيمين من لم يُهم

كتب إلى الحسن بن رجا فى يوم شك، وقد أمر الواثق بالإفطار، فقال :

هَزَّزْتُكَ لِلصَّبوح وقد نأى • أمير المؤمنين عن الصَّيام  
وعندى من قِيَان المِرْعَشر • تَطْلِبُ بهنَ ما حِصَّة المدام  
ومن أطلن اذا آفَتَيْنَا • ترانا نَجنى تَمَر النِصرام  
فكن أنت الجواب فليس شئ • أحب إلى من عَدَف الكلام

فوردت رقعته ، وقد سبقه إليه محمد بن الحارث بن سُفْهَرُ ووجهه إليه بسلام تظليف الوجه  
ومعه ثلاثة غلابة أقران حسان الوجه ، ومعه رُقعة كتبها كما تكتب المناشير ، وختمها  
في أسفلها وكتب فيها يقول :

سِرْ عَلِ اسم الله يا أش \* كل من غصني بلحَيْنِ  
في ثلاث من بني الرو \* م إلى دار حسين  
أُتَخِص الكهل إلى مو \* لأك يا قُرّة حيني  
أَيّهُ السّف اذا آسَم \* عى وطالبه بلَيْنِ  
ودّع اللفظ وعاطب \* ه بضم الحاجِبَيْنِ  
وأحذر الرّجعة من وج \* بك في خُفّي حَنِينِ

فرضي معهم .

ومن قوله لمن أعرض عنه :

تَلَيْسَ علينا أَنْ رُزِقَت مَلاحَةٌ \* فهِلّا علينا بَعْضُ تِهْكَ يا بَدْرُ  
لقد طال ما كُنّا مِلاحا وربّما \* صَدَدْنَا وتَبْنَا ثم فَبَرْنَا البَهْرُ

وله في هوى مُجِيب عنه :

ظَنَنْ من لا كان ظَنًّا \* يا بِحسبي عَمّا  
أَرَمَدَ البابَ رَقِيد \* من له فَاحْتَنَاهُ  
فلَذا ما أَشْتاقُ قَرِيب \* ولَقائِي مَتَعّا  
جَعَلَ اللهُ رَقِيد \* ه من السُّوءِ فِداهُ  
والقَى أَفْرَحَ في الشّا \* دَن قَلبي وَلَوّا  
كُلُّ شَتاقِ إليه \* فَمِن السُّوءِ فِداهُ  
سَيّا من حَالَتِ الأَح \* راس من دُون مُناه



أمره المتوكل بأن ينادمه ويلازمه ، فلم يطق ذلك لكبر سنه ، فقال للمتوكل بعض من حضر عنده : هو يطبق النعاب الى القرى والمواخير والسكر فيها ويسجز عن خدمتك ؛ فبلغه ذلك ، فبلغ الى أحمد بن حمدون أديبا قالما وسأله لإصالحا ، فأوصلها الى المتوكل ، وهى :

أما فى ثمانين وُقَيْتِها • صَدْرُ وَاِنِ اَنَا لَمْ اَتَّخِذْ  
فَكَيْفَ وَقَدْ جَرَّتْهَا صَاعِدًا ■ مع الصاعدين يَتَسَعُّ أَتْر  
وقد رفع الله أَفْلاكه ■ عن أرب ثمانين دون البشر  
سوى من أَصْرَ على فَنَّة ■ وألحد فى دينه أو كُفْر  
وإِني لَمِنْ أَسْرَاهُ الإِلَ • هـ فى الأرض نَصَبَ حُرُوفِ الْقَدْرِ  
فَإِنْ يَقِضْ لى عملا صالحا • أطلب وإن يَقِضْ شَرًّا غُفِر  
فلا تَلْعَ فى كَبِيرِ هَذَى ■ فلا ذنب لى أن يلفت الكبر  
هو الشيب حَلَّ بِعَقَبِ الشَّيَابِ • فَمَنْ ذَا يُلُومُ إِذَا مَا عَذِر  
وَإِني لَقِي كَيْفَ مُفِيدِ • وعِزُّ بِنَصْرِ أبى الْمُتَصَرِّ  
يُأْرِى الرِّيحَ بِفَضْلِ السَّمَاءِ ■ ج حَتَّى تَبْلُدَ أو تَحْيِي  
لَهُ أَكْثَرُ الوَحْيِ مِرْآةً • ومن ذَا يَخَالِفُ وَحْيَ السُّورِ  
وما لِحَسودِ وَأَشْبَاهِهِ ■ ومن كَذَّبَ الْحَقَّ إِلا الْجَمْرَ

فلما أوصلها شيئا بكلام يعذره وقال : لو أطلق خدمة أمير المؤمنين لكان أسعد بها ؛ فقال المتوكل : صدقت ، وأمر له بعشرين ألف درهم .

## ٥ - محمد بن عبد الملك الزيات<sup>(١)</sup>

كان محمد شاعرا مجيدا لا يقاس به أحد من الكتاب ، وإن كان إبراهيم بن العباس مثله في ذلك ، فإن إبراهيم مُقِلٌّ وصاحب قصار ومقطعات . وكان محمد شاعرا يطيل فيجيد ، ويأتي بالقصار فيجيد ؛ وكان بلينا حسن اللفظ إذا تكلم وإذا كتب .

ولما تولى محمد الوزارة اشترط ألا يلبس القباء ، وأن يلبس الثراوة ويتقلد عليها سيفاً بمخاتل ، فُلِجِب إلى ذلك .

وكان يقول : الرحمةُ خورٌ في الطبيعة ، وضَعَف في المنة ، ما رحمتُ شيئا قط ؛ فكانوا يطعنون عليه في دينه بهذا القول ، فلما وُضِع في القل والحديد قال : أرحموني ، فقالوا له : وهل رحمت شيئا قط فترحم ؟ هذه شهادتك على نفسك وحُكْمك عليها .

لما ماتت أم أبيه عمرو ثاها بقصيدة منها :

يقول لي الخللان لو زُرْت قبرها • نقلتُ وهل غير الفؤاد لما قبرُ  
على حين لم أحدث فأجهل قبرها • ولم أبلغ السن التي معها الصبر

ومن شعره قوله :

ما أعجب الشيءَ ترجوه ففُحَرِمَه • قد كنتُ أحسب أني قد ملأتُ يدي  
مالي إذا غيبتُ لم أذكُر بهالحة • وإن مَرِضْتُ فطال السقمُ لم أجد

(١) هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبيان بن حرة واشتهر بابن الزيات لأن جده (أبان) كان يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد ، وكان أدبيا شاعرا طلياً بالنحو والفقه ، وله ديوان شعر ومجموعة رسائل جيدة ، وكانت في أول أمره من جملة الكتاب ثم صار وزيراً للصمم ولأبيه الراضي . ولما تولى المهزkel قبض عليه وأمر بإدخاله في سجن من حديد كان ابن الزيات أعظم لتعذيب المصادرين وأرباب الهدوء بن المظالمين بالأموال وبقيده بخمسة عشر يوماً من حديث ، ثم أمر بالتراجعه بعد أن مكث فيه أربعين يوماً ، فوجدوه ميتاً وذلك سنة ٢٣٣ هـ . وبعد ترجمه في الأغلج ( ج ٢٠ ص ٤٦ ) وابن خلكان ( ج ٢ ص ٧٨ ) .

ومن شعره قوله :

لَمْ تَجِبْ لِمَكْتَلِبٍ خَزِينٍ \* خَلِينٌ صَبَابَةٌ وَحَلِيفٌ صَبِيرٌ  
يَقْسُولُ إِذَا سَأَلَتْ بِهِ بَحِيرٌ \* وَكَيْفَ يَكُونُ مَهْجُورٌ بِحِيرٍ

وكان لمحمد رَدَوْنُ أشبه لم ير مثله قَرَاةً وَحُسنًا، فسمى به محمد بن خالد إلى المعتصم  
ووصف له فرائده، فيعت إليه المعتصم فأخذه منه، فقال محمد بن عبد الملك يرثيه :  
كَيْفَ الْعِزَاءُ وَقَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ \* عَنَّا فَوَدَعْنَا الْأَحْسَمَ الْأَشْهَبُ  
دَبَّ الْوُشَاةُ فَأَبْسَدُوكَ وَرَبَّمَا \* بَدَّ الْقَتَى وَهُوَ الْأَحَبُّ الْأَقْرَبُ  
لَهُ يَوْمَ نَأَيْتَ عَنِّي ظَالِمًا \* وَسَلَيْتُ قَرِيبَكَ أَيْ عَلَى أَسْلَبِ  
نَفْسٍ مُفْرَقَةً أَقَامَ فَرِيقُهَا \* وَمَضَى لِطَيْبَتِهِ فَرِيقٌ يُحِبُّ  
فَالْآنَ إِذْ كُفِلَتْ أَدَانُكَ كُلُّهَا \* وَدَعَا الْعِيُونَ إِلَيْكَ لَوْ أَنَّ مُعْجِبَ  
وَأَخْتِيرَ مِنْ سِرِّ الْمَلْدَانِ خَيْرُهَا \* لَكَ خَالِصًا وَمِنْ الْحُلَى الْأَغْرَبِ  
وَعَفَوْتَ طَنَانِ الْجَبَامِ كَأَنَّمَا \* فِي كُلِّ عُضْوٍ مِنْكَ صَنْجٌ يَضْرِبُ  
وَكُنَّ سَرَجُكَ إِذْ عَلَكَ غَمَامَةٌ \* وَكَأَنَّمَا تَحْتَ النِّهَامَةِ كُوكَبُ  
وَرَأَى عَلَى بَكَ الصَّدِيقُ جَلَالَةً \* وَغَدَا السَّدُودُ وَمَسْدَرُهُ يَتَلَهَّبُ  
أَنْفُسَاكَ لَا زَالَتْ إِذَا مَتَيْتَهُ \* فَغَنَى وَلَا زَالَتْ بِمَعْنَى تَتَكَبُّ  
أَخْبَرْتُ مِنْكَ الْيَاسَ حِينَ رَأَيْتُنِي \* وَقَوَى حِبَالِي مِنْ قَوَاكِ تَهْتَفُّبُ  
وَرَجَعْتُ حِينَ رَجَعْتَ مِنْكَ بِحَسْرَةٍ \* اللَّهُ مَا فَصَلَ الْأَحْسَمَ الْأَشْهَبُ

ولما وثب إبراهيم بن المهدي على الخلافة أقترض من مياسير التجار مالا، فأخذ من  
عبد الملك أبي محمد عشرة آلاف درهم وقال له : أنا أردتها إذا جادني مال، ولم يتم أمره،  
فأستخفى ثم ظهر ورضى عنه المأمون، فطالب الناس بأموالهم، فقال : إنما أخذتها من المسلمين  
وأردت قضاءها من قِيَتِهِمْ، والأمر الآن إلى غيري، فعزل محمد بن عبد الملك قصيدة  
خاطب فيها المأمون ومضى إلى إبراهيم بن المهدي فأقرأه إياها وقال : والله لئن لم تعطني

المال الذي اقترضته من أبي لأوصل هذه القصيدة الى المأمون، تخاف أن يقرأها المأمون فيندبر ما قاله ، فيوقع به ، فقال له : خذ مني بعض المال ونجم على بعضه ، ففعل ، والقصيدة قوله :

ألم تر أن النوى للشيء علة \* تكون له كالنار تُحْدَح بالزند  
 كذلك جرت الأمور وإنما \* بذلك ما قد كان قبل على البعد  
 وعقلى إبراهيم أن مكانه \* سيبت يوما مثل أيامه النكد  
 رأيت حين صار محمد \* بغير أمان في يده ولا عقد  
 فلو كان أمضى السيف فيه بضربة \* نصيره بالقاع متغير الخد  
 إذا لم تكن الجند فيه بقية \* فقد كان ما بقت من خبر الجند  
 ثم قتلوه بعد أن قتلوا له \* ثلاثين ألفا من كهول ومن مُرد  
 وما نصره عن يد ملكت له \* ولا قتلوه يوم ذلك عن حقد  
 ولعنته النذر الصراخ وخفة ال \* حلوم وبعد الرأي عن سنن القصد  
 فذلك يوم كان للناس عبرة \* سبق بها الوحى في الحجر الصلد  
 وما يوم إبراهيم إن طال عمره \* بأبعد في المكروه من يومه عندي  
 تذكر أمير المؤمنين مقامه \* وأمانه في الهزل منه وفي الجد  
 أما والذي أسيت جدًا خليفة \* له شر إيمان الخليفة والبيد  
 إذا هن أحواد النار بأمنته \* تقى ليل أو يمة أو هند  
 فواقه ما من توبة زعت به \* اليك ولا ميل اليك ولا ود  
 ولكن إخلاص الضمير مقرب \* إلى الله زقى لا تبيد ولا تكدي  
 أنك بها كرها اليك بأخيه \* على رغبة وأستأثر الله بالمجد  
 فلا تترك للناس موضع شبهة \* فإنك تجزى بحسب الذى تُسد  
 فقد ظلموا الناس في نصيب مثله \* ومن ليس للتصور بين ولا المهدي

فكيف بمن قد باع الناس وأتقت \* يبعته الرِّكبان غَوْرًا الى تَجْدِ  
 ومن سَكَ تَسْلِيمُ الخِلافةِ سَمْعَهُ \* يُنَادِي بِهِ بين السَّاطِئِينَ من بَعْدِ  
 وَاى امرئٍ سَمَّى بها قط نَفْسَهُ \* ففارقها حتى يُغَيِّبَ الْقَدِ  
 وَتَرْجُمُ هَذِي الثَّايِبَةِ أَنَّهُ \* إمام لها فيها ثِيَرٌ وما تُبْدَى  
 يقولون مَتَى وَايَةُ سُنَّةِ \* تَتِمُّ بِصَمَلِ الرَّاسِ جَوْنُ الْقَفَا جَعْدِ  
 وقد جعلوا رُخْصَ الطعامِ بهدء \* زحيا له باليُن والكوكب السَّحْدِ  
 اذا ما رَأَوْا يوما فَلَاءَ رَأَيْتَهُم \* يَحْتَوْنَ تَحَنُّنًا الى ذلك المَهْدِ  
 وإقبالُهُ في العِيدِ يُوجِفُ حَوَاهِ \* وَيَجِفُّ الجِيَادُ واصطلاكُ القَنَا الجُرْدِ  
 وَرَجَالُهُ يَمَشُونَ بِالْبَيْضِ قَبْلَهُ \* وقد تَبَعُوهُ بالنَضِيبِ وبالْبُرْدِ  
 فَإِنْ قَلَّتْ قد رام الخِلافةَ قَبْلَهُ \* فلم يُؤْتَ فيها كَانَ حَاوِلٍ مِنْ جَدِّ  
 فلم أَجْزِهِ إِذْ خَيَّبَ الله سَمِيهَ \* على خَطَا إِذْ كَانَ مِنْهُ على عَمْدِ  
 ولم أَرَمَضْ بِعَدِ المَفْوَحي رَغْبَتُهُ \* وَلَئِمَّ أَوَّلَى بالتَقَشُّدِ والرَّدِ  
 فليس سَوَاءَ خَارِجِي رَمَى بِهِ \* اليك سَفَاهُ الرَأْيِ والرَأْيِ قد رُدِّي  
 تَصَادَتْ لَهُ من كلِّ أَوْبٍ عَصَابَةٌ \* متى يُورِدُوا لَا يُصِيدُوهُ عن الْوَرْدِ  
 ومن هو في بَيْتِ الخِلافةِ تَلَقَّى \* بِهِ وبك الْآبَاءُ في ذِرْوَةِ المَعْدِ  
 فَيُولَاك مَوْلَاهُ وَجُنْدُكَ جُنْدُهُ \* وهل يَجِيعُ الْقَدِيمُ الحَسَامِينَ في غَمْدِ  
 وقد رَأَيْتُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ أَنَّى \* رَأَيْتُ لَهُمْ وَجْدًا بِهِ أَيْمًا وَجْدِ  
 يقولون لَا تَبْعِدْ من أَهْلِ مِلَّةٍ \* صَبُورٍ على اللَّوَاهِ ذِي مِرَّةٍ جَلْدِ  
 فَعَدَا وَهَاتِ نَفْسَهُ دون مُلْكَا \* عليه لَدَى الحَالِ التي قَلَّ مَنْ يَهْدَى  
 على حِينِ أَحْلَى النَّاسُ صَفَقَ أَكْفَهُم \* على بَنِ موسى بِالْوِلَايَةِ والسَّهْدِ  
 فَمَا كَانَ فِينَا من أَبَى الضَّمِّ غَيْرُهُ \* كَرِيمٌ كَفَى مَا فِي الْقَبُولِ وَفى الرَّدِّ  
 وَجَرَّدَ إِبْرَاهِيمَ لَوْتِ نَفْسِهِ \* وَأَبْدَى سِلَاحًا فوق ذِي مَيْمَةٍ تَهْدِ

وأبلى ومن يبلغ من الأمر جهنم • فليس بمذموم وإن كان لم يحمد  
فهذه أمور قد يخاف ذور الهوى • متبها والله سيديك للتشديد  
وكانت الخلافة في أيام الواثق تدور على إيتاخ وكتبه سليمان بن وهب، وعلى أشتاس  
وكتبه أحمد بن الخصب، فعمل محمد بن عبد الملك قصيدة وأوصلها الى الواثق على أنها  
لبعض أهل السكر، وهى :

يا بن الخلافة والأملك إن نسبوا • حُرِثَتِ الخلافة عن آبائك الأول  
أجرت أم رقت عينك عن حجب • فيه البرية من خوف ومن وهل  
وليت أربعة أمر العباد معا • وكلهم حطِبٌ في جبل محتبل  
هنا سليمان قد ملكت راحته • مشارق الأرض من سهل ومن جبل  
ملكته السند فالتحزين من عدن • الى الجزيرة فالأطراف من ملل  
خلافة قد حواها وحده فضت • أحكامه في دماء القوم والنقل  
وأبن الخصب الذى ملكت راحته • خلافة الشام والغازين والقفل  
فيل مصر فبحر الشام قد جرى • بما أراد من الأموال والحلل  
كانهم في النى قسمت بينهم • بنو الرشيد زمان القمم للقول  
حوى سليمان ما كان الأمين حوى • من الخلافة والتبليغ للأمل  
وأحمد بن خصب في إمارته • كالثمام بن الرشيد الجامع السبل  
أصبحت لا ناعم ياتيك مستترا • ولا ملاية خوفا من الحبل  
سل بيت مالك أين المال تعرفه • وسل تراجك عن أموالك الجمل  
كم في جوبسك من لا ذنوب لم • أسرى الكذب في الإيحاد والكمل  
سميت باسم الرشيد المرتضى فيه • تُسمى الأمور التي تُجنى من الزلل  
عش فيهم مثل ما عاتت يداه معا • حل البرامك بالتهديم للقلل  
فلما قرأ الواثق هذا الشعر غاظه ، وتكب سليمان بن وهب وأحمد بن الخصب ،  
وأخذ منهما ومن أسبابهما ألف دينار بخلها في بيت المال .

٦ - آيُنُ الْبَوَابِ<sup>(١)</sup>

لَمَّا آيُنُ الْمَأمُونُ بِشَرِّ آيُنِ الْبَوَابِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :

أَيُّحَلْ قَرْدُ الْحَسَنِ قَرْدُ صِفَاتِهِ • عَلَّ وَقَبْدَ أَوْدَتِهِ يَهْوَى قَرْدُ  
رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ • فَلْيَكْهُ وَاقَهُ أَعْلَمَ بِالْعَبْدِ  
أَلَا إِنَّمَا الْمَأمُونُ لِلنَّاسِ عَصِمَةٌ • مُمِيزَةٌ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالرَّشْدِ

فَقَالَ الْمَأمُونُ : أَيْسَ هُوَ الْقَاتِلُ :

أَتَعْنَى جُودًا وَأَيْكًا لِي عَمْدًا • وَلَا تَذَرْنَا دَمًا عَلَيْهِ وَأَسْعِدْنَا  
فَلَا فِرْحَ الْمَأمُونُ بِالْمَلِكِ بَعْدَهُ • وَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا شَرًّا مَطْوَرًا

وَاحِدَةً بَوَاحِدَةً ، وَلَمْ يَصْلُهُ شَيْءٌ . وَلَمَّا سَخِطَ عَلَيْهِ قَالَ قَصِيدَةً يَمْلَحُهَا ، وَدَسَّ مِنْ  
غَنَائِهِ فِي بَعْضِهَا لَمَّا وَجَدَ مِنْهُ تَسَاطُطًا ، فَسَأَلَ : مَنْ قَاتَلَهَا ، فَأَخْبَرَهُ ، فَرَضِيَ عَنْهُ وَرَدَّاهُ إِلَى رَحِمِهِ  
مِنَ الْخَلْعَةِ ، وَهِيَ :

هَلْ لِحَبِّ مُعِينٌ • إِذْ سَخَطَ عَنْهُ الْقَرْنُ  
فَلَيْسَ يَكُنْ لَشَجْوٍ إِلَّا • حَزَنِينَ إِلَّا الْحَزْنَ  
يَا ظَالِمًا قَاتِبَ عَنَّا • غَدَاةَ بَارِتِ الْقَطِينِ  
أَبْكِي الْعِيُونَ وَكَانَتْ • بِهِ تَقَرُّ الْعِيُونَ  
يَا أَيُّهَا الْمَأمُونُ إِلَا • حَبَارِكُ الْمِيوُنِ  
لَقَدْ صَفَتْ بِكَ دُنْيَا • لِلْمَلِكِينَ وَدِينِ  
عَلَيْكَ نُورٌ جَلَالٌ • وَنُورُ مُلْكٍ مُسِينِ

(١) هو عبد الله بن حباب من أهل بختارى ، روى عنه جماعة من رعية أبي الحجاج بن يوسف ، فزولوا  
عنه بواسطة ، فأظلمت سكة بها ، فاختطوا وزلوا طول أيام بن أمية ، ثم انقلبوا من الدعوة الباسية إلى الربيع  
الحموي ، وكان عبد الله بن محمد هذا يحكى الفضل بن الربيع على حجة الخلفاء ، وكان صالح النمر عليه رواية لأخبار  
الخلفاء طيلة أيامهم .

لقولُ منك قَمَال \* والظن منك يمين  
 ما من يديكَ شِمَال \* ككنا يديك يمين  
 كأنما أنت في الجِو \* د والحق هارون  
 مَنْ نال من كل فضل \* ما ناله الامون  
 تألف الناس منه \* فضل وجوده ودين  
 كالبلد يدو عليه \* س كينة وسكون  
 فالرزق من راحيته \* مقسم مضمون  
 وكل خصلة فضل \* كانت منه تكون

ومما بقى فيه قوله :

أفنى أيا القلب المصنَّب كم تصبو؟ \* فلا النأي عن سَلماك يُسل ولا القربُ  
 أقول غَدَاة استعبرت مِمَّ عَلي؟ \* من الحب كربٌ ليس يُسهِّه كرب  
 إذا أبصرتك العين من بُعد غاية \* فادخلت شكافيك أفتبك القلب  
 ولو أن رَكبًا يَمُوك لَقادهم \* نسيك حتى يستلَّ بك الركب

أملك ابن البواب حين جَفاه الخليفة وعلت سِنه عن الخدعة، فرحل الى أبي دَلَف  
 القاسم بن عيسى ومدحه بقصيدة، فوهب له ثلاثين ألف درهم وعاد بها الى بغداد، فـ  
 تحدث حتى مات؛ وهي قوله :

طرقتك صائغة القلوب رَابُ \* وثأت فليس لها اليك مآب  
 وتصرفت منها اليهود وغُفَّت \* من دون نيل طلاها الأبواب  
 فلا صديق من الموى وطلاه \* فالحب فيه بَلَّة وعذاب  
 وأخص بالمذح المهذب سَيَا \* ففعاؤه للجدب رِغاب  
 والى أبي دَلَف رحلت مَليتي \* قد شقها الإرقال والإصاب<sup>(١)</sup>

(١) الإرقال : ضرب من الحب .



تسلوبنا قُلِّلَ الجبال ودونها • مما مَوَتْ أُنسوية وشعاب  
 فاذا حلتُ لدى الأمير بأرضه • نلتُ المنى وهَضَبَتِ الآرابُ  
 مَلِكٌ نَأْتِلُ عَنْ أبيه ويجده • بِجَمَلًا يَقْصِرُ دونه الطُّلابُ  
 وإذا وَزَّتْ قَدِيمَ ذِي حَسَبٍ بِهِ • خَضَعَتْ لِفَضْلِ قَدِيمِ الْأَحْصَابِ  
 قَوْمٌ مَلَّوْا أَمْلَاكَ كُلِّ قَبِيلَةٍ • فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ لَهُ أَذْنَابُ  
 ضَرَبَتْ عَلَيْهِ الْمَكْرَمَاتُ قِيَابَهَا • فَعَلَا الْعُمُودُ وَطَالَتْ الْأَطْنَابُ  
 حَقِمَ النِّسَاءُ بِمِثْلِهِ وَتَعَطَّلَتْ • مِنْ أَنْ تُضْمَنَ مَقْلَهُ الْأَصْلَابُ

## ٧ - الخُرَيمِي (١)

كان متصلاً بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة، وله فيه مدائحٌ جيدة، ثم رماه بعد موته، قيل له : يا أبا يقوب، مدائحك لآل منصور بن زياد أحسن من مرثيتك وأجود؛ فقال : كذا يومئذ نعمل على الرجاء، ونحن اليوم نعمل على الوفاء، وبينهما بون بعيد .

وهو الغائل في حياته :

أُصِيبَ إِلَى قَاتِلِي لِيُخْبِرَنِي • إِذَا الْتَقَيْنَا عَمْرُ يُخْبِنِي  
أَرِيدُ أَنْ أُعْطِيَ السَّلَامَ وَأَنْ • أَفْضَلَ بَيْنَ الشَّرَفِ وَالْعُشُونِ  
اسْمِعْ مَا لَا أَرَى فَأُخْبِرُهُ أَنْ • أُخْطِئَ وَالسَّمْعُ غَيْرُ مَأْمُونِ  
فَهَ عَيْنِي الَّتِي يُقَتُّ بِهَا • لَوْ أَنَّ دَهْرًا بِهَا يُوَاتِينِي  
لَوْ كُنْتُ خَيْرَتُ مَا أَخَذْتُ بِهَا • تَسْمِيَةَ نُوْحٍ فِي مُلْكِ قَارُونِ  
حَقٌّ إِخْلَافِي أَنْ يَسُودُونِي • وَأَنْ يُعْزُوا عَنِّي وَيَهْكُونِي

وهو الغائل :

إِذَا مَا مَاتَ بِمُتْرِكَ فَأَيْكَ بَقِيًّا • فَإِنَّ الْبَحْضَ عَنْ بَعْضٍ قَرِيبُ  
يُمْنَتِي الطَّيِّبُ شِفَاءٌ عَنِّي • وَهَلْ غَيْرُ الْإِلَهِ لَهَا طَيِّبُ

(١) هو إسحاق بن حسان ويكنى أبا يقوب، من السيم، وهو الغائل :

إِلَى أَمْرٍ مِنْ مَرَاةِ الصَّنَدِ الْبَسِي • حَرَقَ الْأَمَامُ جِدًّا طَيْبَ الْبَطْرِ

وكان مولد ابن خريم أقرى يقال لأبيه : نوح الناعم - وهو خريم بن عمرو بن مرة بن حوف بن سعد بن ذبيان .  
وعنى أبو يقوب الخريمي بعد ما أسرى، وكان يقول في ذلك شعرا، فنه قوله :

فَإِنَّ تِلْكَ عَيْنِي غَيَا نَوْرًا • فَكَيْفَ قِيلَ نَوْرِي غَيَا  
لَمْ يَسْمَعْ تَلِيَّ وَاسْكَنَا • أَدَى نَوْرِي غَيَا إِلَهَ سَرَى  
فَأَسْرَجَ فِيهِ لِي نَوْرًا • سَرَابًا مِنَ الْمُنَى الْمَسَى

وقال يذكر بغداد والفتنة التي كانت بها :

قالوا ولم يلعب الزمانُ بيند \* لباد وتَسُدُّ بِها عَوائِرها  
 إذ هي مثلُ العروسِ بِأَيْهَا \* مُهَوِّلٌ للفقى وحاضِرها  
 جَنَّةُ دُنْيَا ودارُ مَغِيبَةٍ \* قَلَّ مِنَ الثَّيِّباتِ وَائِرها  
 دَوَّتْ خُلُوفُ الدُّنْيَا لِمَا كُنَا \* وَقَلَّ مَسُورُها وَمُلايِرها  
 وَأَخْرَجَتْ بِالنَّصِيمِ وَأَتَّجِمَتْ \* فِيهَا بِلَقَائِها حَوَاضِرها  
 فَالْقِسْمُ مِنْهَا فِي رَوْضَةِ أَفْ \* أَشْرَقَ غِيبُ القِطَارِ زَاهِرها  
 مِنْ غَرِّهِ المِيشُ فِي بُلَهِيَّةٍ \* لَوْ أَنَّ دُنْيَا يَدُومُ عَامِرها  
 دَارُ مُلُوكٍ رَمَتْ قَوَاعِدُها \* فِيهَا وَقَرَّتْ بِها مَنَائِرها  
 أَهْلُ العِلا وَالقَرَى وَأَمْدِيَّةُ الـ \* غَضُرَ إِذَا عُدَّتْ مَفَانِرها  
 أَفْرَاحُ تُسَمَّى فِي إِرْتِ مَمْلَكَةٍ \* شَدَّ عُرَاها لَهَا أَكْبَارُها  
 فَلَمْ يَزَلْ وَالزَّمَانُ ذُو غَيْرِ \* يَفْدَحُ فِي مُلْكِها أَصَاغِرُها  
 حَتَّى تَسَاقَتْ كَالْمَا مُقَلَّةٍ \* مِنْ فِتْنَةٍ لَا يُقَالُ مَآثِرُها  
 وَأَقْرَبَتْ بَعْدَ أَفْقَةٍ شَيْمًا \* مَقْطُوعَةٌ بِئِهَا أَوَاصِرُها  
 يَاهِلُ رَأَيْتِ الْأَمْلَاقَ مَا صَنَعَتْ \* إِذْ لَمْ يَزَعْها بِالنَّصِيحِ زَاوِرُها  
 أَوْرَدَ أَمْلَاقُهَا قَوْمَهُمْ \* هُوَّةً عَنَ أَمْنِيتِ مَصَائِرِها  
 مَا حَزَنَها لَوْ وَقَتْ بَوَاقِها \* وَأَسْتَحَكَّتْ فِي التَّقَى بِمَآثِرِها  
 وَلَمْ تُسَافِكْ دِمَاءَ شَيْعَتِها \* وَتَجَمَّلَ قَبِيَّةُ تُكَايِرِها  
 وَأَفْتَنَتْها الدُّنْيَا الَّتِي جُمِعَتْ \* لَهَا وَرَغَبُ النُّفُوسِ ضَائِرُها  
 مَا زَالَ حَوْشُ الْأَمْلَاقِ [ ... ] \* مَسْجُورُها بِالْهَوَى وَسَائِرُها  
 تَتَّقِي فُضُولَ الدُّنْيَا مُكَلَّاةً \* حَتَّى أُجِيتَ صَكْرُها ذَخَائِرُها

يبيع ما يجمع الأثوة الـ \* ابنه لا أزيحت متاجرها  
 يا هل رأيت الخنثى زاهرة \* يروق عين البصير زاهرها  
 وهل رأيت القصور شاردة \* تحسكن مثل الذي مقاصرها  
 وهل رأيت القرى التي غرس الـ \* أملاكك تحضرة تساكرها  
 محسوفة بالكروم والتخل والـ \* تزيحان قد تميمت محابرهما<sup>(١)</sup>  
 فإنها أصبحت خلايا من الـ \* إنسان قد تميمت محابرهما<sup>(١)</sup>  
 فقرا غلاء تقوى الكلاب بها \* ينكر منها الرسوم دأرها  
 وأصبح البؤس ما يفارقها \* إلقا لها والسرور هاجرها  
 بزند ورد وإلياسرة والـ \* شطين حيث انتهت معابرهما  
 وبالرحى والنسب ذانية الـ \* حليا التي أشرفت قناطرها  
 وقصر عيونه عيرة وهدي \* لكل نفس زسكت سرائرها  
 فأين حراسها وحارسها \* وأين عجورها وجارها  
 وأين خصياتها وحشوتها \* وأين سكاتها وطمرها  
 أين الحراذية الصقال والـ \* أحشئ تصدو هذلا مشافرها  
 ينصدع الجند عن مواكبها \* تصدو بها سركا ضوايرها  
 بالسند والمند والصقال والـ \* خوية شويت بها برابرها  
 طيرا إيايمل أرسلت عينا \* يهدم سودلتها أطمرها  
 أين الغباء الأبكاء في روضة الـ \* حلك تهادى بها غرائرها  
 أين غضاراتها ولذتها \* وأين عجورها وحابرها  
 بالمسك والعنبر اليماني والـ \* يلجوج مشبوبة بجمارها  
 يرغلن في الخمر والمجاسد والـ \* حوشى خطومة مزمارها

(١) كذا في الطبري في حواشي سنة ٥١٩٧، طبع بلخ وطبع أوروبا.

فإين وقلمها وزأمرها • يُجِن حيث آتت حطرها  
 تكاد اسماعهم تُسَل إذا • عارض عيلائها مزأمرها  
 أمت يكوف الحمار خالصة • يسرهما بالجهم ساعرها  
 كأنما أصبحت بساحتهم • ماد ومستم صراصرها  
 لا تعلم النفس ما يأتها • من حادث الدهر أويأكرها  
 تُضحي ونسي درية غرضا • حيث آستخوت بها شراصرها  
 لأسهم الدهر وهو يرشها • غنطها مرة وباقرها  
 ياؤوس بغداد دار مملوكة • دارت على أهلها دوائرها  
 أهلها الله ثم طابها • لما أحاطت بها كباثرها  
 بالخسف والغنف والحرق وبال • حرب التي أصبحت تُساورها  
 كم قد رأينا من المعاصي بها • كالسائر السوء ... ..  
 حلت بغداد وهي آينة • ذاهبة لم تكن تُخايرها  
 طالعها السوء من مطالع • وأدركت أهلها جرائرها  
 رقي بها الدين وأستخف بذى ال • ففضل وعز الشاك فاحرها  
 وحطم البعد أنف سيده • بالزغم وأستعبدت غنادرها  
 وصار رب الجيران فاسقهم • وأبقر أمر الدروب ذأمرها  
 من ير بغداد والجنود بها • قد رقت حولها عاكرها  
 كل طخويث شبيهة بالسلة • تُسَلط أحبالها زأمرها  
 تلقى بقى الردى أوالسها • يرفقها لفاء طأمرها  
 والشبح يمدو حزاما كلبه • يُهدم أعجازها يماورها  
 ولهم بالقول مأسدة • مرقومة صلبة محكاسرها  
 ككتاب الموت تحت ألوية • أربح منصورها وناسورها

يعلم أن الأقدار واقعة ■ ولما على ما أحب قادرها  
 فلك بنداؤ ما بين من ال ■ لله في دورها عصارها  
 عسوفة بالردى متطقه ■ بالصفر عسوفة جبارها  
 وبين شط القرات منه الى ■ دجلة حيث آتت مابها  
 كهادى السفراء نافرهم ■ تركض من حولها أشايرها  
 يمحرقها ذا وفاء هديمها ■ ويستنى بالنهاب شاطرها  
 والصخر أسواقها معطلة ■ يستقر عيارها وعارها  
 أخرجت الحرب من سواطها ■ أساد غيل غلب أساورها  
 من البوارى ترأسها ومن ال ■ خوص اذا استلأت مغافرها  
 تمدو الى الحرب في جواشئها ■ صوف اذا ما عدت أساورها  
 كتائب الهرش تحت رايته ■ ساعد طرزارها مقامرها  
 لا أرزق تبى ولا العطاء ولا ■ يحشرها للقاء حاشرها  
 في كل تدب وكل ناجية ■ خطارة يستل خاطرها  
 بمنل هام الرجال من قلق ال ■ صخر يزود المقلع باثرها  
 كأنما فوق هامها عصف ■ من القطا الكدر هاج نافرها  
 والقوم من نعمها لم ذبل ■ وهى ترى بها خواطرها  
 بل هل رأيت السيوف مضلة ■ أشهرها فى الأسواق شاعرها  
 والنيل تستقر فى أرقها ■ بالترك مسونة خناجرها  
 والنقط والنار فى طرائفها ■ وهابا للبخان عامرها  
 والنهب تمدوبه الرجل وقد ■ أبدت خلايلها حراثرها  
 مصوصبات وسط الأربعة قد ■ أبرزها للعيون سائرها  
 كل رقود الضحى غنابة ■ لم تبد فى أهلها محاجرها

يَبْقِيَةُ خَنْدَرٌ مَكْنُونَةٌ بَرَزَتْ • للناسِ مَنْشُورَةٌ غَدَاثُهَا  
تَعَثَّرُ فِي ثَوْبِهَا وَتُجِلُّهَا • كَبَّةٌ خَيْلٌ زَيْتٌ حَوَافِهَا  
تَسْأَلُ أَيْمَنَ الطَّرِيقِ وَالْمَلَّةَ • وَالنَّارَ مِنْ خَلْفِهَا تَبَادُرُهَا  
لَمْ تَجْتَلِ الشَّمْسُ حَسَنَ بَهْجَتِهَا • حَتَّى اجْتَنَبَهَا حَرِّبٌ تُبَاثِرُهَا  
يَا هَلْ رَأَيْتَ الشَّكْلَ مُؤَلَّوَةً • فِي الطَّرْقِ نَسِيَّ وَالْجَهْدَ بَاهِرُهَا  
فِي إِثْرِ نَمَشٍ عَلَيْهِ وَاحِدُهَا • فِي صَدْرِهِ طَلْعَةٌ يَسْلُورُهَا  
فِرْعَاءٌ تُلْقِي الشَّارَ مِنْ يَدِهَا • يَمَزُّهَا بِالسَّانِ شَاوِرُهَا  
تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ وَتَهْتَفُ بِالْأَلِ • تَكُنُّ وَبَيْنَ الدَّمِوعِ خَامِرُهَا  
عَرَّضَ بِالنَّفْسِ ثُمَّ أَسْلَمَهَا • مَطْلُوءَةً لَا يُخَافُ نَاثِرُهَا  
وَقَدْ رَأَيْتُ الْفَتْيَانَ فِي مَرَصَةِ الْإِلِ • حَمْرُكَ مَعْفُورَةٌ مَنَابِرُهَا  
كُلُّ فَنَى مَنَاعٌ حَقِيقَتُهُ • تَشْقَى بِهِ فِي الْوَعَى مَسَاعِرُهَا  
بِأَنَّ عَلَيْهِ الْكَلَابَ تَهْتَشُّ • غَضُوبَةٌ مِنْ دِمِّ أَظْفَارِهَا  
أَمَّا رَأَيْتَ الْخِلْيُولَ جَائِلَةً • بِالْقُومِ مَتَكُوبَةً دَوَائِرُهَا  
تَعَثَّرُ بِالْأَوْجِيهِ الْحَسَابِ مِنَ الْإِلِ • قَتَلَى وَغَلَّتْ دَمًا أَشَاعِرُهَا  
يَطْلُفُ أَكْبَادَ نَفِيَّةٍ مُجْمِدِ • يَقْلِقُ هَامَاتِهِمْ حَوَافِرُهَا  
أَمَّا رَأَيْتَ النِّسَاءَ تَحْتَ الْمَجَا • نَبِقٌ تَعَادَى شُعَتَا خُفَاثِرُهَا  
عَفَائِلُ الْقُومِ وَالْعَبَاثِرُ وَالْإِلِ • حُسْنٌ لَمْ تُحْسَبْ مَعَاوِرُهَا  
يَجْلُوْنَ قُوَّتًا مِنَ الطَّمِينِ عَلَى الْإِلِ • أَكْتَافٌ مَمْصُوبَةٌ مَسَالِيرُهَا  
وَذَاتٌ عَيْشٍ حَنْكٌ وَمُقِيمَةٌ • تَسْلَخُهَا تَحْفَرَةٌ تُعَاوِرُهَا  
تَسْأَلُ مِنْ أَهْلِهَا وَقَدْ سُلِيتِ • وَأَبْثَرَ عَنْ رَأْسِهَا غَفَاثِرُهَا  
يَا لَيْتَ مَا وَالْهَمْرَ ذُو دُوبٍ • تُرْجِي وَأُنْعِمِي عُثْمَى بَوَادِرُهَا

(١) كما في طائفة النسخة الأوربية من الطبري - وفي نسخة بولاق وأورد (في ملها) :

• فِرْعَاءٌ يَتَّقِي الشَّارَ مَرِيحُهَا • وَهِيَ رَوَايَةُ ظَاهِرُهَا الصَّحِيفُ وَهِيَ الْمُنَى •

هل ترجى أرضاً كما حقيقت ■ وقد تساهت بنا مصايها  
 من مبلغ ذا الراستين ربا ■ لايت تأني للنصح شاعرها  
 بان خير الولاء قد علم الك ■ سأس اذا عُدت ماثرها  
 خليفة الله من برته ال ■ حامون سائها وجارها  
 تمت اليه آمال أمته ■ منقاداً برها وفاجرها  
 شاموا حيا العدل من تحايه ■ وانحسرت بالتق بصايرها  
 وأخذوا منك سيئة جلت ال ■ شك وانرى صحت مآذرها  
 وأسجعت طاعة برقتك لـ ■ حامون تجليها وغايرها  
 وأنت سمع في العالمين له ■ ومقله ما يكمل ناظرها  
 فاشكر لذي العرش فضل نعمته ■ أوجب فضل المزيد شاكرها  
 وأخذ فداء لك الرعية وال ■ أجناد مأسورها وآسرها  
 لا تريدت حمرة بنفسك لا ■ يصدر عنها بالراى صايرها  
 عليك متفاحها فلا تلج ال ■ غمر متجعة زوانرها  
 والقصد إن الطريق ذو شغب ■ أشامها وعثها وجايرها  
 أصبحت في أمة أوائلها ■ قد فارقت هنيئاً أوامرها  
 وأنت سرورها وسائها ■ فهل على الحق أنت قاسرها  
 أدب رجالاً رأيت سيرتهم ■ خالف حكم الكلب سايرها  
 وأمدد الى الناس كف مرحة ■ تُسد منهم بها مقارها  
 أملاك العدل إذ هممت به ■ وواقت مدّه مقاديرها  
 وأبصر الناس قصد وجههم ■ وملكت أمة أغايرها  
 تُشرع أعاننا اليك اذا ال ■ أدات يسوما بمت عشايرها  
 كم عدنا من نصيحة لك في الل ■ ه وقسرى عزت زوافرها



وعزبة قُرْبَت أَوَامِرُهَا • منك وأخرى هل أنتَ ذاكرها •  
 سئى رجالٍ في العلمِ مطلبُهم • رانحُها باسكِر وبَاكرها •  
 دونك غِراءَ كالوَذِيلَةِ لا • خفد في يَدَةِ سَوَارِهَا •  
 لا ظَمَمًا قَتَبَهَا ولا بَلَرًا • لكلِ خَسِ خَسُ قُؤَامِهَا •  
 سِيرَهَا الله بالنصيحةِ وال • خَشْيَةِ فَاسْتَدَجَتْ غِرائِهَا •  
 جاءك تحريكُ لك الأمورِ كما • يَنْشُرُ بَرَّ التَّجَارِ نَاشِرَهَا •  
 حَتَبُهَا صَاحِبًا أَخَا حَتِيَّةٍ • يَظَلُّ عَجْبًا بِهَا يُحَاضِرُهَا •  
 ومن جيد شعره قوله :

النَّاسُ أَخْلَاقُهُمْ شَقٌّ وَإِنْ جِيلُوا • عِلَّ تَسَابُهُ أَرْوَاجُ وَأَجْسَادُ •  
 الخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلٌ وَكُتِلُوا بِهِمَا • كُلُّ لَهُ مِنْ دَوَاعِي ضَمَنَهُ هَادُ •  
 مِنْهُمْ خَلِيلُ صَفَاءِ ذُو عَافِيَةِ • أَرْمَى الْوَفَاءُ أَوَانِيَهُ بِأَوَادُ •  
 وَمُشَعَّرُ الْفَدْرِ عَنَى أَضَالُهُ • عِلَّ سِرَّةِ غَمْرِ يَنْفُهَا بَادُ •  
 مُتَشَاكِسٌ خَدَعَ جَمَّ غَوَالُهُ • يُبْدِي الصَّفَاءَ وَيُخْفِي ضَرِيَةَ الْهَادِي •  
 يَأْتِيكَ بِالْبَنَى فِي أَهْلِ الصَّفَاءِ وَلَا • يَنْفَكَ بِسَمَى بِإِسْلَاحِ لإِفْسَادُ •  
 ومن جيد شعر الخرمي قوله :

أَضَاحِكُ ضَيْقِي قَبْلَ إِتْرَاقِ رَجُلِهِ • وَيُجْهَبُ عِنْدِي وَالْمُهْلُ جَدِيدُ •  
 وَمَا لِحُجْبِ الْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْفَرَى • وَلَكِنَّا وَجِهَ الْعَكْرِمَ تَحْيِيْبُ •  
 ومن جيد شعره قوله :

زَادَ مَمْرُوقَكَ عِنْدِي عِظًا • أَنَّهُ عِنْدَكَ عَقُورٌ صَخِرُ •  
 وَتَنَاسِيهِ كَأَن لَمْ تَأْتِهِ • وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورُ كَبِيرُ •

وهو القائل :

وَإِنْ أَتَيْتَ النَّاسَ فِي الْحَشْرِ حَسْرَةً • لَمْ يُورِثْ مَا لِي فِيهِ وَهُوَ كَلِيبُهُ •  
 كَفَى سَقَمًا بِالْكَهْلِ أَنْ يَتَّجَعَ الْعَبَا • وَأَنْ يَأْتِيَ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ طَبِيبُهُ •

وَيُسْتَجَادُ لَهُ قَوْلُهُ :

وَدُونَ النَّدَى فِي كُلِّ قَلْبٍ تَقِيَّةٌ • لَهَا مَصْحَدٌ وَهَرٍ وَمُتَحَدِرٌ سَهْلٌ  
وَوَدَّ الْقَتَى فِي كُلِّ نَيْلٍ يُبْذَلُهُ • إِذَا مَا أَقْضَى لَوْ أَنَّ تَائِلَهُ جَزَلٌ  
وَأَعْلَمَ حِلَا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ • لِكُلِّ أَنَاثٍ مِنْ ضَرَائِبِهِمْ شَكْلٌ  
وَأَنَّ أَخْلَاءَ الزَّمَانِ غَنَائِمَهُمْ • قَلِيلٌ إِذَا الْإِنْسَانُ زَلَّتْ بِهِ النَّمْلُ  
تَرَوُّدٌ مِنَ الدُّنْيَا مَتَاعًا لِنَسِيرِهَا • قَدْ شَقِيَتْ حَذَاهُ وَأَنْصَرَمَ الْحَيْلُ  
وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْعَدَ • لِكُلِّ أَنَاثٍ مِنْ طَوَارِقِهَا الْتَكَلُّ

وَفِي هَذَا الشَّعْرِ يَقُولُ :

أَيَا لَعْنَدُ بَأْسٍ إِذْ تَعْرِى جُمْلُ • سَفَاهًا وَمِنْ أَخْلَاقٍ جَارِيَّ الْجَهْلُ  
فَإِنْ تَضَخَّرَى يَا جَمَلٌ أَوْ تَجَمَّلُ • فَلَا تَغُرَّ إِلَّا فَوْقَهُ الدِّينَ وَالْعَقْلُ  
أَرَى النَّاسَ شَرًّا فِي الْحَيَاةِ وَلَا يُرَى • لِقَبْرِ عَلَى قَبْرِ عِلَاءٍ وَلَا قَفْصِلُ  
وَمَا ضَرَرَنِي أَنْ لَمْ تَلِدْنِي يُحَارِبُ • وَلَمْ تَشْتَمِلْ بِجُرْمٍ عَلَى وَلَا صُكْلُ

وَهُوَ الْقَائِلُ :

مَا أَحْسَنَ الْكَفِيرَةَ فِي حِينِهَا • وَأَقْبَحَ الْغِيَةَ فِي كُلِّ حِينٍ  
مَنْ لَمْ يَزَلْ مَتَّبِعًا عِرْسَهُ • مُتَّصِبًا فِيهَا لِرُبِّ الظُّلُونِ  
أَوْشَكَ أَنْ يُفْرِجَهَا بِالَّذِي • يَخْلَفُ أَنْ يُرْزَاقُ الْعِيُونِ  
حَسْبُكَ مِنْ تَحْصِينِهَا وَضَعُهَا • مِنْكَ إِلَى عِرْضِ صَاحِبِ دِينِ  
لَا تَطْلُعْ مِنْكَ عَلَى رِيسَةٍ • فَيَنْبِغُ الْمَقْرُونُ حَبْلُ الْقَرِينِ

٨ - عبد الله بن طاهر<sup>(١)</sup>

كان يعمل من علو المرتلة وعظم القدر ولطف مكان من الخلفاء، يستغنى به عن التفرغ له والدلالة عليه، وأمره في ذلك مشهور عند الخاصة والعامة، وله في الأدب مع ذلك المحل الذي لا ينق، وفي المباحة والشجاعة مالا يقاربه فيه أحد.

وكان أدبيا طريفا جيد الفناء، نسب إليه صاحب الأغاني أصواتا كثيرة أحسن فيها وقتلها أهل الصنعة عنه، وله شعر رائع ورسائل طريفة، فمن شعره قوله :

نحن قومٌ تَلِينُنا الحَقُّ النُّجْمُ \* لئَلَّ على أُنَّا ثَمِينُ الحَسِيدِ  
طَوَّعُ أَيْدِي الظُّبَاءِ تَقْتَادُنا الْيَدِ \* مِنْ وَهْدَادِ الطُّعْمَانِ الْأَسْوَدِ  
تَمْلِكُ الصَّيْدَ ثُمَّ تَمْلِكُنا الْيَدِ \* حُصْنُ المَصُونَاتِ أَمِينًا وَخُدُودِ  
تَنْقِي مَخْطُطِ الْأَسْوَدِ وَنَحْشِي \* مَخْطُطِ الْحِشْفِ حِينَ يُبْدِي الصَّدُودِ  
قَرَانَا يَوْمَ الْعُسْكَرَةِ أَحْمَرَا \* رَا وَفِي السَّلْمِ لِلْفَوَانِ عَيْدَا

أعطاه المأمون مائة مصر لسيته، نراجها وضياعها، فوهبه كله وقرقه في الناس ورجع صفرا من ذلك، فحافظ المأمون فعله، فدخل إليه يوم مقدمه، فأنشده أبياتا قالها في هذا المعنى، وهي :

(١) هو أبوالبباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق كان سيدا نبيلًا عال الحمة شهما، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه، حسن الالتفات إليه لقائه ورواية خلق والده وما أسلفه من الطاعة في خدمته، وكان وإياها على الميترق فلما خرج باله الخراسان وأوقع الخوارج بأهل قرية الحمراء من أعمال نيسابور وأكثروا فيها الفساد وأصل الخبر بالمأمون يست إلى عبد الله وهو بالمينور يأمره بالخروج إلى خراسان، فخرج إليها وحارب الخوارج وقدم نيسابور في رجب سنة ٢١٥ هـ. وكان المظفر قد أقتلع منها تلك السنة، فلما دخلها مطرت طمرا كثيرا، فقام إليه رجل يزعم من حلقه وأشده :

قد حطت الناس في زمانهم \* حتى إذا جئت جئت بالهرور

فبين في صامة لنا كما \* فسرنا بالأمير والمطر

قول الشام والعراق ومصر - وتوفى سنة ٢٣٠ هـ. ونجد ترجمته في ابن خلكان (ج ١ ص ٣٦٦) والأغاني

(ج ١١ ص ١١)

نَمَى فِدَاؤُكَ وَالْأَعْيُ خَاضِعَةٌ • الثَّابِتَاتُ أَيُّهَا غَيْرُ مُهْتَمِّمٍ  
 إِلَيْكَ أَقْبَلْتُ مِنْ أَرْضِ أَفْئَتْ بِهَا • حَوَّيْنِ بِسَدِّكَ فِي شَوْقِي وَفِي أَلَمِ  
 أَفْقُوسِ سَامِيكَ اللَّائِي خُصِمَتْ بِهَا • حَلَوُ الثَّمَرِ عَلَى مِثْلِ مِنَ الْأَلَمِ  
 فَكَانَ فَضْلِي فِيهَا أَتَى تَبَعٌ • لِمَا سَنَفَتْ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالنَّعَمِ  
 وَلَوْ وَكَلْتُ لِي نَمَى حَيْثُ بِهَا • لَكِنْ بَدَأَتْ فَلَمْ أَعْجِزْ وَلَمْ أَلَمِ

فضحك المأمون وقال : والله ما قُضِيْتُ عليك مكْرمة قَتَلَهَا ، ولا أُحْدِثُهَا حَسَنَ عِنْدَكَ  
 ذِكْرَهَا ، ولكن هذا شيء إذا عَوَّدْتَهُ فَسَدَ الْفَقْرُ ، ولم تهدر على لَمْ تَمُتْكَ وإصلاح  
 حَالِكَ . وزال ما كان في نفسه .

لَمَّا فَضَحَ عَبْدُ اللَّهِ مَصْرُوفَهُ الْمَأْمُونُ تَرَاجَعَهَا ، فَصَبَدَ الْمُبَرِّظُ ظِمَّ يَزِلُ حَتَّى أَجَازَ بِهَا  
 كُلَّهَا ثَلَاثَةَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ أَوْ نَحْوَهَا ، فَأَتَاهُ مُلْكُ الطَّائِي وَقَدْ أَعْلَمُوهُ مَا صَنَعَ بِالنَّاسِ  
 فِي الْجَوَازِ وَكَانَ عَلَيْهِ وَاجِدًا ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ تَحْتَ الْمُبَرِّظِ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، أَنَا مُلْكُ  
 الطَّائِي وَقَدْ بَلَغَ مِنِّي مَا كَانَ مِنْكَ مِنْ جَفَاءٍ وَيَغْلُظُ ، فَلَا يَنْقُضُنَّ عَلَى قَلْبِكَ ، وَلَا يَسْخَفُوكَ  
 الَّذِي بَلَغَكَ ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ :

يَا أَظْلَمَ النَّاسِ عَفْوًا عِنْدَ مَقْدُورَةٍ • وَأَظْلَمَ النَّاسِ عِنْدَ الْجُودِ لَالِ  
 لَوْ أَصْبَحَ النَّبِيُّ يَحْمِي مَآثِرَ ذَهَبًا • لَمَّا أَثَرَتْ إِلَى تَرْزِيفٍ يَمْهَالِ  
 تُقْبَلِي بِمَا فِيهِ رِقَى الْحَمْدِ تَمْلِكُهُ • وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَادِثَ الْحَمْدِ بِالنَّالِ  
 تَعْلُكَ بِالْيُسْرَكُفِّ الصُّنْمِ مِنْ زَمَنِ • إِذَا اسْتَلَّ عَلَى قَسَمٍ بِإِقْلَالِ  
 لَمْ تَحْمِلْ كَفْكَ مِنْ جُودٍ مُتَقَرِّبِ • وَمُرْهَبٍ قَاتِلٍ فِي رَأْسِ قَتَالِ  
 وَمَا بَنَيْتَ رَجِيمَ الْخَيْلِ فِي بَلَدٍ • إِلَّا مَعْبُوفٍ بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالِ  
 إِنْ كُنْتُ مِنْكَ عَلَى بَابٍ سَنَفَتْ بِهِ • فَإِنَّ شُكْرَكَ مِنْ قَلْبِي عَلَى بَالِ  
 مَا زِلْتُ مُتَقَرِّبًا لَوْلَا مَجَاهِرَةٌ • مِنَ السُّنَنِ خُصَنَ فِي صَدْرِي بِأَهْوَالِ

فضحك عبد الله وسر بما كان منه وقال : يا أبا السمراء، أفرضني عشرة آلاف دينار فما أمسيت أملكها، فأقرضه فدفعها إليه .

كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر، وكان تديبه وجلسه، وكان له مؤثرا مقدما، فأصاب منه معروفا كثيرا وأجازته بجوائز سنية هناك وقبل ذلك، ثم إنه وجد عليه في بعض الأمور بغفاه وظهر له منه بعض ما لم يحبه، فرجع حيثكز الى بغداد وقال :

إِنْ كَانَ حَيْدُ اللَّهِ خَلَاتَا • لَا مُبْدَأَ عُرْفًا وَإِحْسَانًا

لَحْمُنَا اللَّهُ رَضِينَا بِهِ • ثُمَّ يَبِيدُ اللَّهُ مَوْلَانَا

يعني به المأمون، وغنت فيه جاريته وسمعه للمأمون، فاستحسنه ووصله وإياها، فبلغ ذلك عبد الله بن طاهر، فغاضبه ذلك وقال : أجب! صنعتنا المعروف الى غير أهله فضايع .

ولعبد الله الحائض صاغها، فنها ومن غنارها وصلودها ومقلتها لحته في شعر أخت طاصية فإنه صوت نادر جيد صحيح العمل مزودج النعم، بين لين وشدة على رسم الحقائق من القدماء، وهو :

هَلَا سَقَيْتُمْ بَنِي سَهْمٍ أَسِيرَكُمْ • قَسَى فَلَاؤُكُمْ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي

الطاعنُ الطعنة النبلاءَ يَبْقِيهَا • مُضَرَّجٌ بِسَدِّ مَا جَادَتْ بِإِزْبَادِ

ومن غنائها أيضا :

رَاحَ تَحْبِي وَطَاوَدَ الْقَلْبَ دَاءُ • مِنْ حَيْبِ طَلَابِهِ لِي عَتَاءُ

حَسَنُ الرَّأْيِ وَالْمَوَاعِيدِ لَا يُكْشِفُنِي لِنَيْءٍ • مِمَّا يَقُولُ وَفَاءُ

مَنْ تَعَزَّى عَنِ يَحِبِّ فَإِنِّي • لَيْسَ لِي مَا حَيَّيْتُ عَنْهُ عَزَاءُ

## ما قيل في جهل الأمين ورثته

قيل في جهله :

لم يُنْجِكْ لَمَّا ظَلَمْتَ • يَا أَبَا مُوسَى وَتَرَوِجُ الْعُتْبَ  
وَلَسْتَ تَكُ الْخَسْ فِي أَوْقَاتِهَا • حَرَمًا مِنْهَا عَلَى مَا الْعُتْبُ  
وَشَيْفٌ أَنَا لَا أَبْكِي لَهُ • وَعَلَى كَوْنِ لَا أَخْشَى الْعُتْبَ  
لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ مَا حَذَّ الرِّضَا • لَا وَلَا تَعْرِفُ مَا حَذَّ الْغَضَبِ  
لَمْ تَكُنْ تَصْلُحُ لَكَ وَلَمْ • تُعْطِكَ الطَّاعَةَ بِالْمَلِكِ الْعَرَبِ  
أَيَا الْيَاكِي طِيهَ لَا بَكَتْ • مِنْ مَنْ أَبْكَاكَ إِلَّا لِلْعَجَبِ  
لَمْ يُنْجِكْ لَمَّا عَرَضْنَا • لِلْبَاقِي وَعَلَوُا لِلْعَلَبِ  
وَقَدُومَ ضَمِيرِنَا أَتْبَدْنَا • لَمْ يَدُ عَلَى الرَّاسِ الذَّنْبِ  
فِي مَنَاقِبِ وَحِصَارِ مُجْهِدِ • سَدَّ الطَّرِيقَ فَلَا وَجْهَ طَلَبِ  
زَعَمُوا أَنَّكَ حَى حَاشِرِ • كُلٌّ مِنْ قَدْ قَالَ هَذَا قَدْ كَذَبَ  
لَيْتَ مَنْ قَدْ قَالَهُ فِي وَحْدَةٍ • مِنْ جَمِيعِ ذَاهِبٍ حَيْثُ ذَهَبَ  
أَوْجِبَ اللَّهُ عَلَيْنَا قَوْلَهُ • فَإِذَا مَا أَوْجِبَ الْأَمْرَ وَجِبَ  
كُلُّ وَاقِعٍ عَلَيْنَا قِتَّةً • فَضَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَكُتِبَ

وقال عبد الرحمن بن أبي الهُدَيد يرثيه :

يَا غَرْبُ جُودِي قَدِ بَتَسَ وَدَيْهِ • فَقَدْ قَدْنَا الْفَزَرَ مِنْ دَيْهِ  
أَلَوْتُ بِدُنْيَاكَ كُفَّ نَائِبَةٍ • وَصِرَتْ مُنْغِي لَنَا عَلَى نَهْمِهِ  
أَصْبَحَ الْوَتُ حُنْدًا عَلَّمَ • يَضْحَكُ مِنْ الْمُنُونِ مِنْ مَلِكِهِ  
مَا أَبَسْتَرَلْتُ دَوَّةَ الْمُنُونِ عَلَى • أَكْرَمَ مِنْ حَلٍّ فِي ثَرَى رِيحِهِ  
خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي بَرْتِهِ • قَهْرُ أَيْدِي الْمُلُوكِ عَنْ شَيْئِهِ

يَسْتَرِّعُ عَنْ وَجْهِهِ سَنَا قَسْرَ • يَشْتَقُّ عَنْ نَوْرِهِ دُجَى غُلْغُلِهِ  
 ذُلُزِلَتِ الْأَرْضُ مِنْ جَوَانِبِهَا • اذْ أَوَّلَعَ السَّيْفُ مِنْ نَجِيمِ دَمِهِ  
 مَنْ سَكَنَتْ نَفْسُهُ لِقْصَرِيَّةٍ • مِنْ عُمَمِ النَّاسِ أَوْ ذَوَى رَجَمِهِ  
 رَأَيْتُهُ مِثْلَ مَا رَأَى بِهِ • حَتَّى تَنْفُذَ الْأَمْرَ مِنْ سَقَمِهِ  
 كَمْ قَدْ رَأَيْنَا عَزِيزَ مُلْكِيَّةٍ • يُنْقَلُ عَنْ أَهْلِهِ وَعَنْ خَلِيلِهِ  
 يَا مَلِكَا لَيْسَ بِسَدِّ مَلِكٍ • نَحْنُ الْإِنْيَاءُ فِي أُمَمِهِ  
 جَادَ وَحَى الَّذِي أَهْلَتْ بِهِ • نَحْ غَزِيرِ الْوَكَيْفِ مِنْ دِيمِهِ  
 لَوْ أَحْمَمَ الْمَوْتُ عَنْ أُنْثَى قَهْصَةٍ • أَسْوَى فِي الْعِزِّ مُسْتَوَى قَدِيمِهِ  
 أَوْ مَلِكٍ لَا تَرَامُ سَطْوَتُهُ • إِلَّا مَرَامَ الشَّيْمِ فِي أَبْجَمِهِ  
 خَلَّكَ الْعِزُّ مَا مَرَى سَدَفٍ • أَوْ قَامَ طِفْلُ الْمَثَى فِي قَدِيمِهِ  
 أَصْبَحَ مُلْكُكَ إِذَا أَتَرَدَّتْ بِهِ • يَقْرَعُ سَنَ الشَّقَاةِ مِنْ قَدِيمِهِ  
 أَتَرَدُّوْا الْعَرِيشَ فِي مِثْلِكَ كَمَا • أَتَرَفَى طَلْدُهُ وَفِي إِرْمِهِ  
 لَا يُبْعِدُ اللَّهُ صَبُورَةَ تَلَيْتَ • نَحْسِيرِ دَاعِجِ دَعَاةٍ فِي حَرْمِهِ  
 مَا كُنْتُ إِلَّا كَلِمٌ ذِي حُلْمٍ • أَوْ لَحَ بِأَبِ السَّرُورِ فِي حُلْمِهِ  
 حَتَّى إِذَا أَطْلَقْتَهُ رَقْدُهُ • عَادَ إِلَى مَا أَعْتَرَاهُ مِنْ مَدْمِهِ

وقال أيضا برثيه :

أَقُولُ وَقَدْ دَنُوتُ مِنَ الْفِرَارِ • سَقِيتَ النِّيثَ يَاقَصِرَ الْفِرَارِ  
 رَمَسَكَ يَدُ الزَّمَانِ بِسَهْمِ حَيْنٍ • نَفَصَرْتُ مُلُوسًا بِدُخَانِ نَارِ  
 أَبْنَى لِي عَنْ جَمِيعِكَ أَيْنَ حَلَاوٍ • وَأَيْنَ مِنْزَادِهِمْ بَعْدَ الْمَزَارِ  
 وَأَيْنَ مُحَمَّدٌ وَأَيْنَءَهُ مَالِي • أَرَى أَهْلًا لَهْمُ سُوْدِ الدِّيَارِ  
 كَأَنَّ لَمْ يُفْقَسُوا بِأَيْسٍ مُلْكٍ • يَطْلُوقُ عَلَى الْمُلُوكِ بِخَيْرِ جَارِ  
 لِمَلَمٌ كَانَ فِي الْحَبْدَانِ عَوْنًا • لَنَا وَالْغَيْبُ يَسْمَحُ بِالْفِطَارِ

لقد ترك الزمانُ بنى أبيه • وقد غمرتهم سُود البحار  
أضاعوا شمسهم بقرت بحرين • نصاروا في الظلام بلا نهار  
وأجلوا عنهم قرا منيرا • وداسنهم خيولُ بنى الشار  
ولو كانوا لهم كفوا ومثلا • انا ما توجوا تيجانَ حار  
ألا بأن الأمامُ وأمراته • لقد صرِم الحشى منّا بنار  
وقالوا انقلد بيع قفلت ذلًّا • يصير بيانيه الى صغار  
كذلك الملك يُوع أوليه • إذا قُطِع القرار من القرار

وقال مقدس بن سفيان يرثيه :

خليل ما أُنشك به الخلوب • قد أعطاك طاحته النجيب  
تملت من شاربغ الناياب • مآيا ما هجوم لها القلوب  
خلال مقابر البستان قبر • يحاور قبره أسد غريب  
لقد عظمت مصيبتُه على من • له في كل معكرمة نصيب  
على أمثاله العبرات تُدرى • ونشك في مآيحه الجيوب  
وما أكثرت زبيدة عنه دما • تُخص به النسبة والنسب  
دعوا موسى ابنه بكاه دهر • على موسى ابنه دخل الحزيب  
رايت متاعده الخلفاء منه • خلاه ما باسحتها يجيب  
ليشك انى كهل عليه • أنوب وفي الحشى كيد تكويب  
أسهب به البعيد نحر حزنا • وطيرن يومه فيه المرهب  
أطدى من بطون الأرض شعفا • يحسرك الندام لب يمينه  
لئن تفت الخروب اليه غما • لقد لحمت بضره الخروب



وقال نزيمة بن الحسن يرثيه على لسان أم جعفر :

خير أُمّام قام من غير عُتْصِر • وأفضّل سام فوق أعواد شُبُل  
لِوَارِثِ علم الأولين وفهمهم • ولَكَ المأمون من أم جعفر  
كَبُتْ وعِني مُسْتَبَلٌ دَموعُها • اليك أبى عني من جفوني وعجري  
وقد مَتْنى ضُرٌّ ونَدْلٌ كَأَيَّة • وأرَقَّ عيني يا ابن عمي نَحْرى  
وهِمْتُ لِمَا لَاقَيْتُ بِمدِّ مصابه • فأمرى عظيم مُنْكَرٌ جَدُّ مُنْكَرِ  
سَأَشْكُو الذى لَاقَيْتُهُ بِمدِّ قَدَمه • اليك شَكَاةُ المِسْتَهَامِ المُقْهَرِ  
وأرجو لما قد مَرَّ بى مَدَّ قَدَمُهُ • فانت لِبَنى خير رَبِّ مُنْفِرِ  
أتى طالعز لا طهره طلعها • فما طلعها فَمَا أَتَى بِمُطْهَرِ  
فأخرجني مكشوفةً الوجه حَايِرا • وأتَهَبَ أسْوَلى وأُتْرَقِ أَدْرَى  
يَسَّرَ على هَارُونَ مَا قَدْ قَسَيْتُهُ • وما مَرَّ بى من نَاصِ الخَلْقِ أَعْوَرِ  
فإن كَانَ مَا أَسْدَى بِأمرِ أَمْرَتِهِ • صَبَرْتُ لأَمْرِ من قَدِيرٍ مُقَدَّرِ  
تَذَكَّرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قِرَاقِبِ • فَدَيْتُكَ من ذى حَرَمَةٍ مُتَذَكَّرِ

وقال أيضا يرثيه :

سبحان ربك رَبِّ العِزَّةِ الْعَمَدِ • مَاذَا أَصْبَحْنَا بهِ فِي صُبْحَةِ الْأَحَدِ  
وَمَا أَصِيبَ بهِ الْإِسْلَامُ قَاطِبَةً • من التَّضْمُضِ فِي رُكْنَيْهِ وَالْأَوْدِ  
مَنْ لَمْ يُصَبِّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ • يُصْبِحْ بِمَهْلِكَةِ الْمَلْمِ فِي صُحْدِ  
قَدْ أَصِيبَتْ بهِ حَتَّى تَبِينَ فِي • عَقْلِ وَدِينِ وَدُنْيَا وَفِي جَسَدِ  
يَا لَيْلَةَ يَشْكُو الْإِسْلَامُ مَتْنَهَا • وَالْعَالَمُونَ جَمِيعًا آتِرَ الْأَبَدِ  
عُدَّتْ بِأَمْلِكِ الْيَمِينِ طَائِرُهُ • وَبِالْإِمَامِ وَبِالضَّرْعَامَةِ الْأَسَدِ  
سَارَتْ إِلَيْهِ الْمَنَابِيا وَهِيَ تُرْجَبُهُ • فَوَاجَهَتْهُ بِأَوْنَادِ نَوَى عَدَدِ  
بُشُورِيَّينَ وَأَقْصَارِ يَغُودِمِ • قُرَيْشُ بِالْبَيْضِ فِي نَاصِ من الزَّدِ

فصادفوه ووجدنا لا معين له • عليهم غائب الأصار بالمد  
 بفزعوه المنايا غير محتسب • قردا فإياك من مستيلم قرد  
 يلقى الوجوه بوجه غير مبتذل • أبهى وأبقى من القويعة الجند  
 واحسرتا وقريش قد أحاط به • والسيف مريد في كف مريد  
 فما تحرك بل ما زال متصيبا • منكس الرأس لم يبدى ولم يعد  
 حتى إذا السيف والى وسط مقره • أدركته عنه يدها فصل مكث  
 وقام فاحضت كفاه آتية • كضيف شرس مستبيل يد  
 فاجتره ثم أهوى فاستقل به • للأرض من كف ليت تخرج حرد  
 فكاد يقتله لو لم يحكاه • وقام مغليا منه ولم يحكد  
 هذا حديث أمير المؤمنين وما • قصت من أمره حقا ولم أزد  
 لا زلت أتدبه حتى المات وإن • أخى عليه الذي أخى على لبد

وذكر عمر بن شبة أن محمدا بن أحمد الهاشمي حدثه أن لباة أبة على بن المهدي قالت

اليتين الآتين وقيل أنها لابنة عيسى بن جعفر وكانت مملكة بمحمد :

أبيك لا لتعسم والأأس • بل لالسا والرخ والقرس  
 أبكى على حالك بلعت به • أرملتي قبل ليلة القرس

## هـاء يحيى بن أكرم

وعندنا في الجلد الأول أن نذكر مثلا من المبداء قاله بعض الشعراء في يحيى بن أكرم، وما هوذا :

أَرْقَهُ بَرِّحُ الْمَوَى وَسَيْدُهُ • وَمَلَهُ الْحُبُّ فَبَاتَ بِأَمْنِهِ  
طَوْرًا يُعَانِيهِ وَطَوْرًا يَنْتُمُهُ • مِثْلَ الْحَرِيقِ فِي الْحَشَا يُضْرَمُهُ  
فَاضَتْ السَّيْنُ بِدَمْعِ نَجْمِهِ • نَحْتُ طَيْبِهِ كُلَّ شَوْقٍ يَكْتُمُهُ  
وَبَاحَ بِالْحُبِّ الَّذِي يُجْجِمُهُ • وَبَاتَ وَالْقَلْبُ يُسَايِ حِمْمُهُ  
مَنْ لِحَبِّ قَدْ تَرَاهُ رَحْمُهُ • أَصْبَحَ بِالْبِأْسَاءِ عَارِ أَقْنَمُهُ  
طَالَ تَصَابِيهِ وَطَالَ سَقَمُهُ • وَطَى الْجِسْمَ وَرَقَّتْ أَعْظَمُهُ  
يَتَهَدَّى اللَّهُ عَلَى مَنْ يَطْلُبُهُ • بِمَنْعِهِ طَعْمُ الْفَكْرِ وَيُجَرِّمُهُ  
وَأَمَّا لَهُ بِعَرِّمٍ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ • أَصْبَحَ هَذَا الدِّينَ رَتَائِمُهُ  
عَطَّلَهُ الْجَمُورَ وَطَالَ قِدَمُهُ • نَحْتُ مِنَ الْجُمُورِ عَلَيْهِ دِيمُهُ  
قَبَادُ مَغْنَى رَبْعِهِ وَأَرْشَمُهُ • إِلَّا بِهَا يَا قَوْمِهِ وَجْمُهُ  
أَوْطَنَهُ الْجُمُورَ فَاضَى مَطْلَمُهُ • رَوَدَ فِيهِ شَاؤُهُ وَنَصَمُهُ  
مَنْ يَتَهَدَّى الْجُمُورَ فَضَحْنَ تَطْلَمُهُ • أَتَوَكَّ قَاضٍ فِي الْبِلَادِ نَمْلَمُهُ  
يَقُولُ حَقًّا لَا تُؤْتِي تَرْجَمُهُ • مَذَّ وَلَّى الْحَكْمَ أُبَيِّحُ حَرَمُهُ  
وَأَتَوَكَّتُ مِنَ الْقَضَاءِ حَرَمُهُ • وَأَضْطَرَبْتُ أَرْكَانَهُ وَدَعَمُهُ  
وَاللهُ تَبَّيْهِ وَيَحْنُ نَهْلَمُهُ • يَا لَيْتَ يَحْيَى لَمْ يَلِدْهُ أَكْتُمُهُ  
وَلَمْ تَطْلُ أَرْضَ الْمَرْقَاقِ قَلَمُهُ • مَلُومُهُ أَخْلَاقُهُ وَشَيْعُهُ<sup>(١)</sup>

(١) أنظر ما كتبت من يحيى بن أكرم في الجلد الأول (ص ٤٤٠) .

(٢) حلقا بعد هذا البيت

أربعة أبيات رأينا أنها تنافي الآداب العامة .

والله والله لقد حلَّ بئس \* لو أن للدين عمادا يدعمه  
 يسدل عنه الليل أو يقوّمه \* لكان قدرنّ عليه مائمه  
 أرجو ويقضى الله لا يُسلّمه \* من وجهه هذا ولكن يقصمه  
 بالسيف اذ حلت عليه قمه \*

## وصف ثورة بغداد وحريقها

أما ما أصاب بغداد من سلب ونهب وتحريق وتخريب وقتل شعواء وقتل ودماء،  
فانا نترك الكلمة في ذلك لشعراء ذلك العصر .

قال الأعمى يصف دمار الحرب :

تطعمت الأرحام بين العشائر . وأسلمهم أهل التقى والبصائر  
فذاك انتقام الله من خلقه بهم . لما أجترأوه من ركوب الكبار  
فلا نحن أظهرنا من الذنب توبة . ولا نحن أصلحنا فساد السرائر  
ولم نسمع من واحد ومدحكر . فيجفع فينا غطاً ناه وآمر  
فايك على الإسلام لما خطمت . عراه وربى ضرره كل كافر  
فأصبح بعض الناس يقتل بعضهم . فمن بين مفهور عزيز وقاهر  
وصار رئيس القوم يحول نفسه . وصار رئيساً فيهم كل شاطر  
فلا فاجر للبر يحفظ حرمة . ولا يستطيع البر دعاً لساير  
تراهم كأمثال الذئب رأث دماً . فأنته لا تلوى على زبر زاجر  
وأصبح فساق القبايل بينهم . قتل على أفرانها بالخنابر  
فابك لقتلى من صديقي ومن أخ . كريم ومن جار شفيقي مجاور  
ووالدة تبكي بحزين على أنها . فيك لها من رحمة كل ظائر  
وذات حليل أصبحت وهي أم . وتبكي عليه بالدموع البوادر  
تقول له قد كنت عزاً وناصر . فتيب عن اليوم عزى وناصرى  
وأبك لإحراقى وهدم منازل . وقتلى وإنهاب الهوى والنثار

وإبراز ربات الخلدور حواصرا \* نرجس بلا تحسیر ولا بمازدا  
 تراها حیارى لیس تعرف مذهباً \* توافر أمثال الطیاء التوافر  
 كان لم تكن بغداد أحسن منظراً \* وملهى راته عین لآه وناظر  
 على هكذا كانت فأذهب حسنها \* وبهد منها الشمل حکم المقادر  
 وحل بهم ماحل بالناس قبلهم \* فاضفوا أحاديثا لباید وحاضر  
 أبعداد یا دار الملوك ومحمى \* صروف المنايا مستقر المنابر  
 ویا جنة الدنيا ومطلب الفنى \* ومستبط الأموال عند الضرائر  
 أبغى لنا أين الذين عهدتهم \* يحلون فی روض من العیش زاهر  
 وأین ملوك فی المواقب تقضى \* تُسبّه حسنا بالنجوم الزواهر  
 وأین القضاة الحاكون برأيهم \* لورد أمور مشكلات الأوامر  
 أو القاطنون الناطقون بحكمة \* ووصف كلام من خطیب وشاعر  
 وأین صراح البلوك عهدتها \* من خرفة فيها صنوف الجواهر  
 تُرش بماء المسك والورد أرضها \* يهوج بها من بعد ریح القباير  
 وروح الندای فيه كل عشیة \* الى كل قیاس كريم العناصر  
 وأین قیاف تستجيب لضمها \* اذا هو لبها حین المزاهر  
 وأین الملوك القُمر من آل هاشم \* وأشیاعهم فيها اكتفوا بالمعادر  
 بروحون فی سلطانهم وكأنهم \* بروحون فی سلطان بعض العشار  
 يحادل عما نالم كبراؤهم \* قساتهم بالكُره أیدی الأصاغر  
 فأقسم لو أن الملوك تناصروا \* لآلت لها خوقاً رقلب الجبابر

وقال عمرو بن عبد الملك الوَاقِي سبكي بئداد وجهو طاهرا ويمرض به :

من ذا أصابك يا بئدادُ بالعين \* ألم تكوني زماناً فُترة العين  
 ألم يكن فيك أنوامٌ لم شرف \* بالصالحات والمعروف يلقون  
 ألم يكن فيك قومٌ كان مسكنهم \* وكان قوتهم زينا من الزين  
 صاح الزمانُ بهم بالين فاقترضوا \* ما ذا الذي بلغتني لوعة الين  
 استودعُ الله قوماً ما ذكركموا \* ألا تحذر ماء العين من صفي  
 كانوا ففترقهم دهرٌ وصلتهم \* والنهر يصدع ما بين الفريقين  
 كم كان لي مُسعد منهم على زمني \* كم كان منهم على المعروف من عون  
 لله در زمانٍ كان يجمعنا \* أين الزمانُ الذي ولى ومن أين  
 يا من يُحسب بئداداً ليعمرها \* أهلكَت نفسك ما بين الطريقين  
 كانت قلوبُ جميع الناس واحدة \* عينا وليس يكون العين كالذين  
 لما استنبهتهم فرقتهم فرقا \* والناس طراً جميعاً بين قلوبين

ولبعض فتيان بئداد :

بكيت دماً على بئداد لما \* فقدتُ حضارة العيش الأبيق  
 تبذلنا هموماً من سرور \* ومن سعة تبدلنا يضيق  
 أصابتنا من الحساد عين \* فافنت أهلها بالمتجنيق  
 قسومٌ أحرقوا بالنار قسراً \* ونلحمة تسوح على غريق  
 وصالحه سُكّادى وأصباحا \* وباكية لفقدان الشفيق  
 وحوراء المدامع ذات دَل \* مضنخة الخاسد بالخلوق  
 تفر من الحريق الى آتھاب \* وللألها يفسر الى الحريق

وَمَا لِيُفْزِلَ الْفَزَالَةَ مُقْلَبًا • مَضَاحِكُهَا كَلَالَةُ الْبُرُوقِ  
 حَيَارَى كَالْمَدَايَا مُبْكَرَات • عَلِيمُ الْفَلَاحِ فِي الْخُلُوقِ  
 يُبَادِلُ الشَّقِيقَ وَلَا شَقِيقٌ • وَقَدْ نَقَدَ الشَّقِيقُ مِنَ الشَّقِيقِ  
 وَقَوْمٌ أُنْجِرُوا مِنْ ظِلِّ دُنْيَا • مَتَاعُهُمْ يُبَاعُ بِكُلِّ سُوقِ  
 وَمُقَرَّبٌ قَرِيبُ الدَّارِ مُلَقًى • بِلَا رَأْسٍ بِسَارَةِ الطَّرِيقِ  
 تَوَسَّطَ مِنْ قِتَالِهِمْ جَمِيعَا • فَا يَدْرُونَ مِنْ أَى الْقَرِيقِ  
 فَلَا وَلَدٌ يُقِيمُ عَلَى أَيْسِهِ • وَقَدْ هَرَبَ الْمَدِيقُ مِنَ مَدِيقِ  
 وَمَهْمَا أَلَسَ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّى • فَإِنِ ذَاكَ دَارَ الرِّقِيقِ



## بيان المصادر العربية والافرنجية الهامة

التي عوّلتا عليها في المراجعة لكاتب عصر المأمون

ثبتت لك هنا الهام من مراجع الكتاب هذا دواوين الشعراء ومعجمات اللغة التي أشرنا إليها في مواضعها من الكتاب وهوامشه . وهي :

المصادر باللغة العربية :

- |  |   |
|--|---|
| تاريخ دمشق لابن عساكر، مخطوط .                                       | تاريخ الطبري ، طبعة مصر وليدن .                                       |
| تاريخ المشاركة لصليا بن يوحنا ، مخطوط .                              | تاريخ الكامل لابن الأثير، طبعة مصر.                                   |
| تاريخ بغداد للطيب البغدادي ، مخطوط .                                 | تاريخ مروج الذهب للسعدي ، طبعة مصر وباريس .                           |
| تاريخ بغداد لابن طيفور (الجزء السادس) طبعة أوروبا .                  | تاريخ اليعقوبي ، طبعة لندن بإشراف المسيو هنتا .                       |
| تاريخ التشريع الاسلامي للرحوم الخضرى بك ، طبعة مصر .                 | تاريخ أبي القضاة لللك المؤيد ، طبعة الأستانة .                        |
| تاريخ الآداب السلطانية والعلوم الاسلامية لابن طباطبا ، طبعة أوروبا . | تاريخ طباطبا للأندلس لأبي الوليد عبادقة محمد بن يوسف ، طبعة أوروبا .  |
| تاريخ النجوم الزاهرة لابن قنبردى ، طبعة أوروبا .                     | تجارب الامم لابن مسكويه ، طبعة مصر.                                   |
| البده والتاريخ لأبي زرد البلخي ، طبعة باريس سنة ١٨٩٩ «أرنست لرو» .   | تاريخ العبر والميتنا والتجبر لابن خلدون ، طبعة مصر .                  |
| الآثار الباقية للبيروني ، طبعة ليسك .                                | الأخبار الطوال لأبي حنيفة السنورى ، طبعة لندن .                       |
|  | نظم الجوهر لابن البطريق ، طبعة أ. كنفورد سنة ١٦٥٩ للشرق ادوار بوكوك . |

- غنصر تاريخ الدول لأبي الفرج الملقب،  
 طبعة بيروت .  
 تاريخ الاصلاني، طبعة أوروبا .  
 فتوح الشام للواقدي، طبعة مصر .  
 نشود بالحاضرة وأخبار المذاكرة، طبعة  
 مصر .  
 ولاية مصر وقضاها للكندي، طبعة  
 بيروت .  
 ذخائر أخبار الملوك لابن الساعي،  
 طبعة مصر .  
 كشف الظنون لحاجي خليفة، طبعة  
 الأستانة وليسك ومصر .  
 المستطرف للأبشي، طبعة بولاق .  
 معجم البلدان لياقوت الحموي، طبعة  
 ليسك ومصر .  
 المزهر للسيوطي، طبعة بولاق .  
 الأحكام السلطانية للساودي، طبعة  
 أوروبا .  
 أعلام الناس للاتيدي، طبعة مصر .  
 كتاب المعارف لابن قتيبة، طبعة أوروبا .  
 معجم الأدياء لياقوت الرومي، طبعة  
 مصر واشراف مر جليوت .  
 الفهرست لابن النديم، طبعة ليسك .  
 طبقات الأئمة لابن مصاد، طبعة بيروت .  
 طبقات الأئمة لابن أبي أصيبعة،  
 طبعة مصر .  
 تراجم الحكاء للقفطي، طبعة مصر .  
 طبقات الأدياء لعبد الرحمن الأتباري،  
 طبعة مصر .  
 وفيات الأعيان لابن خلكان، طبعة  
 مصر .  
 فوات الوفيات لابن شاذي الكندي،  
 طبعة مصر .  
 الملل والنحل للشهرستاني، طبعة مصر .  
 ألف باء ليوسف البولي، طبعة مصر .  
 مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري،  
 طبعة دار الكتب .  
 فتوح البلدان للبلاذري، طبعة لندن .  
 كتاب البلدان لابن الفقيه الحمصاني،  
 طبعة لندن .  
 كتاب البلدان للياقوت، طبعة لندن .  
 مسالك المسالك للاصطخري، طبعة  
 لندن .  
 المسالك والممالك لابن حوقل، طبعة  
 لندن .  
 أحسن التقاسيم للقدسي، طبعة لندن .  
 المسالك والممالك لابن نرداذبة، طبعة  
 لندن .  
 الأعلام للزركلي، طبعة بيروت .  
 حسن الحاضرة للسيوطي، طبعة مصر .  
 بلوغ الأرب في أحوال العرب للألومي  
 طبعة بغداد .  
 مقدمة الأئمة لميرويس ترميز البستاني  
 طبعة مصر .

كتاب الكشكول العالى، طبعة مصر.  
 سراج الملوك للطوطشى، طبعة مصر.  
 كتاب انخراج لقدملة بن جعفر، طبعة  
 لندن .  
 كتاب انخراج لأبى يوسف ، طبعة  
 بولاق .  
 تاريخ الوزراء المنسوب للصولى، طبعة  
 بيروت .  
 أشهر مشاهير الاسلام، للرحوم رفيق  
 العظم بك، طبعة مصر .  
 كتاب نفع الطيب، طبعة مصر وأوربا .  
 مفاتيح العلوم للقوارزى، طبعة مصر .  
 مفيد العلوم للقوارزى، طبعة مصر .  
 كتاب المواهب الفتحية للرحيم  
 الشيخ حمزة فتح الله، طبعة مصر .  
 كتاب السيرة لابن هشام، طبعة مصر .  
 مقدمة ابن خلدون، طبعة مصر .  
 خطط الشام للاستاذ محمد كرد علي ،  
 طبعة دمشق .  
 مجموعة مجلة المشرق، طبعة بيروت .  
 مجموعة مجلة المجمع العلمى، طبعة دمشق .  
 مجموعة مجلة الهلال، طبعة مصر .  
 مجموعة مجلة المقتطف، طبعة مصر .  
 بعض فصول ومباحث من المجلة  
 الآسيوية .  
 حديث الأرياء للدكتور طه حسين ،  
 طبعة مصر .

حضارة الاسلام فى دار السلام لجليل  
 حلقوب، طبعة مصر .  
 كتاب الأغانى للاصبهانى، طبعة بولاق  
 والسامى .  
 لبسطة الأول من كتاب الأغانى، طبع  
 مطبعة دار الكتب المصرية .  
 نهاية الأرب، طبع مطبعة دار الكتب  
 المصرية والنسخة الفوتوغرافية  
 بالدار .  
 صحيح الأضنى، طبع مطبعة دار الكتب  
 المصرية .  
 كتاب التاج المنسوب للباحظ، طبع  
 مطبعة دار الكتب المصرية .  
 كتاب الأمل لأبى على التالى، طبع  
 مطبعة دار الكتب المصرية .  
 كتاب الكامل لغيره، طبعة مصر .  
 كتاب البيان والتبيين للباحظ، طبعة  
 مصر .  
 العمدة لابن رشتى، طبعة مصر .  
 كتاب المحاسن والمساوى للبيهقى، طبعة  
 فردرك شوالى .  
 كتاب المحاسن والأضداد للباحظ، طبعة  
 لندن .  
 كتاب البخله للباحظ، طبعة مصر .  
 كتاب الحيوان للباحظ، (نسخة  
 فوتوغرافية محفوظة بدار الكتب  
 المصرية).

- منهل الرقاد في علم الاستقراء لقسطنطين  
الحصى بك، طبعة مصر .
- محاضرات الأستاذ الاسكندري  
المدرس بدار العلوم، طبعة مصر .
- الوسيط للأستاذ الاسكندري المدرس  
بدار العلوم، طبعة مصر .
- أدبيات اللغة العربية للأستاذ مصطفى  
صادق الرافعي، طبعة مصر .
- أدبيات اللغة العربية للرحوم عاطف  
بركات بك وزملائه، طبعة مصر .
- مذهب الأفاني للرحوم الخضري بك،  
طبعة مصر .
- بلاغة العرب للدكتور أحمد ضيف،  
طبعة مصر .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة، طبعة لندن .
- طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجهمي،  
طبعة لندن ومصر .
- كتاب الأذكياء لابن الجوزي، طبعة  
مصر .
- العقد الفريد للعلامة السعيد، طبعة مصر .
- العقد الفريد لابن عبد ربه، طبعة  
مصر .
- لطائف المعارف للشمس، طبعة لندن .
- عيون الأخبار لابن قتيبة، طبعة  
دار الكتب وأوربا .
- حلبة الكيت، طبعة بولاق .
- خزانة الأدب لابن حجة الخوي، طبعة  
بولاق .
- خزانة الأدب البغدادي، طبعة بولاق .
- محاضرات الفيلسوف استرلانه بالجامعة  
المصرية .
- محاضرات علم الفلك بالجامعة المصرية  
للسنيور كرونيوز، طبعة روما .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة  
لأطاشكيري زاده، طبعة  
حيدرآباد .
- محاضرات الشيخ عبد الوهاب النجار  
بالجامعة المصرية .
- محاضرات المرحوم الشيخ محمد المهدي  
بالجامعة المصرية .
- محاضرات الأستاذ الخضري بك في تاريخ  
الأهم الإسلامية، طبعة مصر .
- محاضرات الأستاذ الخضري بك في تاريخ  
الدولة الأموية، طبعة مصر .
- التقنين الاسلامي للرحوم جوري بك  
زيدان، طبعة مصر .
- تاريخ آداب اللغة العربية للرحوم  
جوري بك زيدان، طبعة مصر .
- طبقات ابن سعد، طبعة أوربا .
- طبقات الشافعية للسبكي، طبعة مصر .
- المتنوع والمنظوم لابن طيفور .
- رسالة بني أمية للماحظ، خطية .

- الأوراق للصوى، طبعة .  
 مطبوعات تذكاري جيب الإنجليزية  
 وخاصة مؤلفات الأستاذين  
 صرغليوث و برون .  
 زهر الآداب المصرية، طبعة مصر .  
 المشتبه في أسماء الرجال للنهبي، طبعة  
 أوروبا .  
 الواقف بالوفيات للمصطفى (المفوض  
 بدار المكتب المصرية تحت  
 رقم ١٢١٩) .  
 أخبار أبي نواس لابن منظور، طبعة  
 مصر .  
 رسائل البنفاء للأستاذ محمد كرد علي ،  
 طبع مصر .  
 جمهرة أشعار العرب لأبي زيد : طبعة  
 مصر .
- المفضليات للضي، طبعة مصر .  
 حاسة البعثة، طبعة بيروت .  
 الصناعيين لأبي حلال المسكري، طبعة  
 مصر .  
 الموشى لأبي الطيب، طبعة أوروبا .  
 ديوان الحماسة لأبي تمام، طبعة مصر .  
 عجائب الأدب وشرحها، طبعة بيروت .  
 مختارات البلرودى، طبعة مصر .  
 حياة الحيوان للدميرى، طبعة مصر .  
 عيون التواريخ لابن شاعر الكتي  
 (أجزاء منه محفوظة بدار الكتب  
 المصرية) .  
 التفرج بعد الشدة للتونسي، طبعة  
 مصر .

## المصادر الانجليزية :

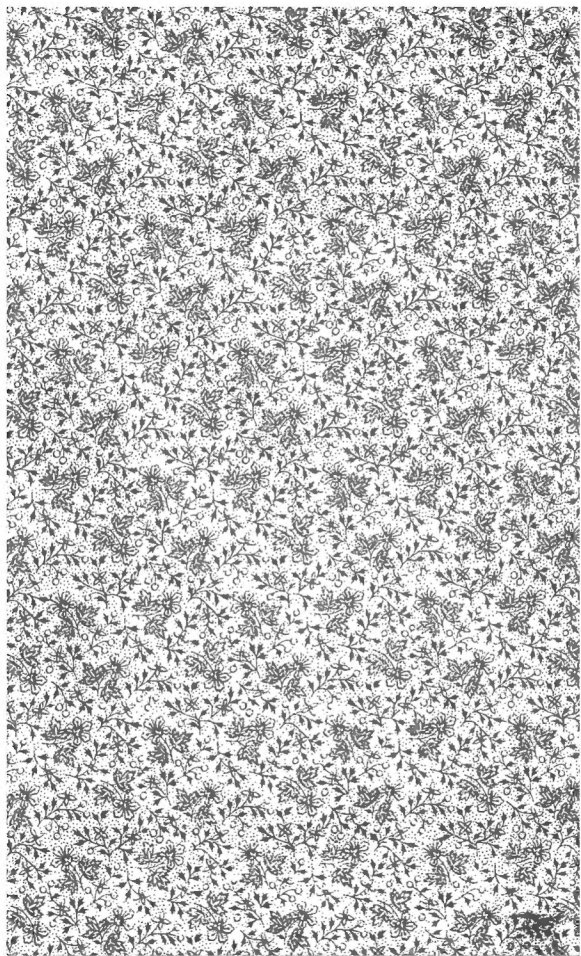
- Histoire des Arabes par Cl. Huart. Paris.  
 Life of Mohamet by Sir W. Muir. (London).  
 The Life and Teachings of Mohammed and the Spirit of Islam by Ameer Ali. (London).  
 D. S. Margoliouth: Mohammed and the Rise of Islam. (London) in "Heroes of the Nations' Series".  
 H. Lammens: "Etudes sur les régnes des Califs Omayyades Moawia 1<sup>er</sup> et Yasid 1<sup>er</sup>". (Beyrouth).  
 Library of Universal History (N. Y.).  
 History of Arabic Literature: Cl. Huart. (London).  
 A Literary History of Persia: Ed. G. Browne. (London).  
 A Literary History of the Arabs by R. A. Nicholson. (London).  
 Short History of the Saracens by Ameer Ali, (London).  
 The Caliphate: its rise decline and fall by Sir W. Muir. (London).  
 Annals of the Early Caliphate by Sir W. Muir. (London).  
 Baghdad during the Abbasia Caliph by G. le Strange. (Oxford).  
 Encyclopaedia of Islam. (Luzac).  
 Encyclopaedia Britannica. (London).  
 La Grande Encyclopédie. Paris.  
 The Historians' History of the World by H. S. Williams. (New York).  
 Ency. of Religion & Ethics by I. Hastings. (London).  
 The History of the Declins and Fall of the Roman Empire by Gibbon. (London).  
 The History of Philosophy in Islam by J. de Boer translated by Jones. (London).  
 Muhammedanische Studien by Ignaz Goldziher, (Halle).  
 Histoire des Musulmans d'Espagne Jusqu' à la Conquête de l'Andalusie par les Almoravides by R. Dozy. (London).  
 Development of Muslim Theology, Jurisprudence and Constitutional Theory by D. B. Macdonald. (London).  
 Margoliouth's Works Etc.

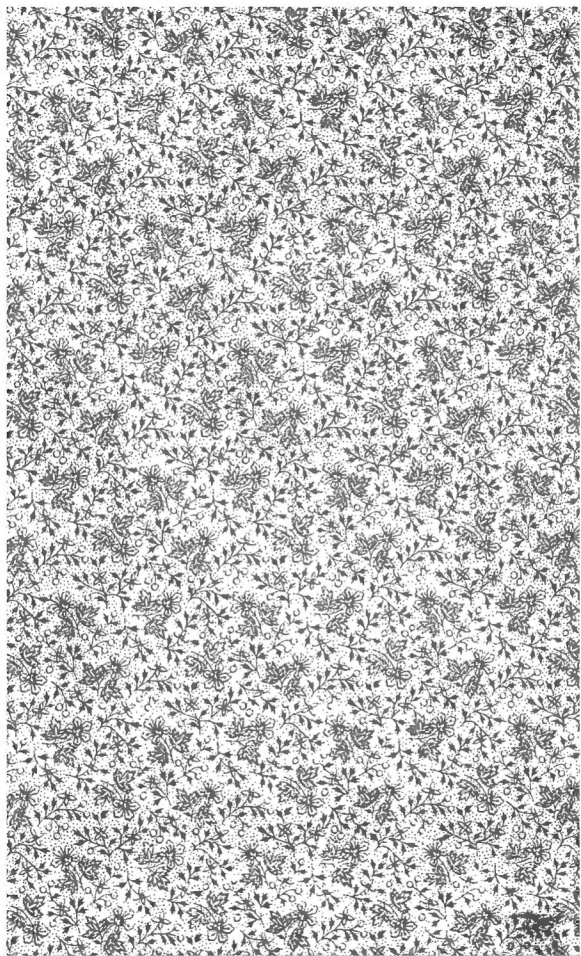




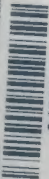








Bibliotheca Alexandrina



0426670